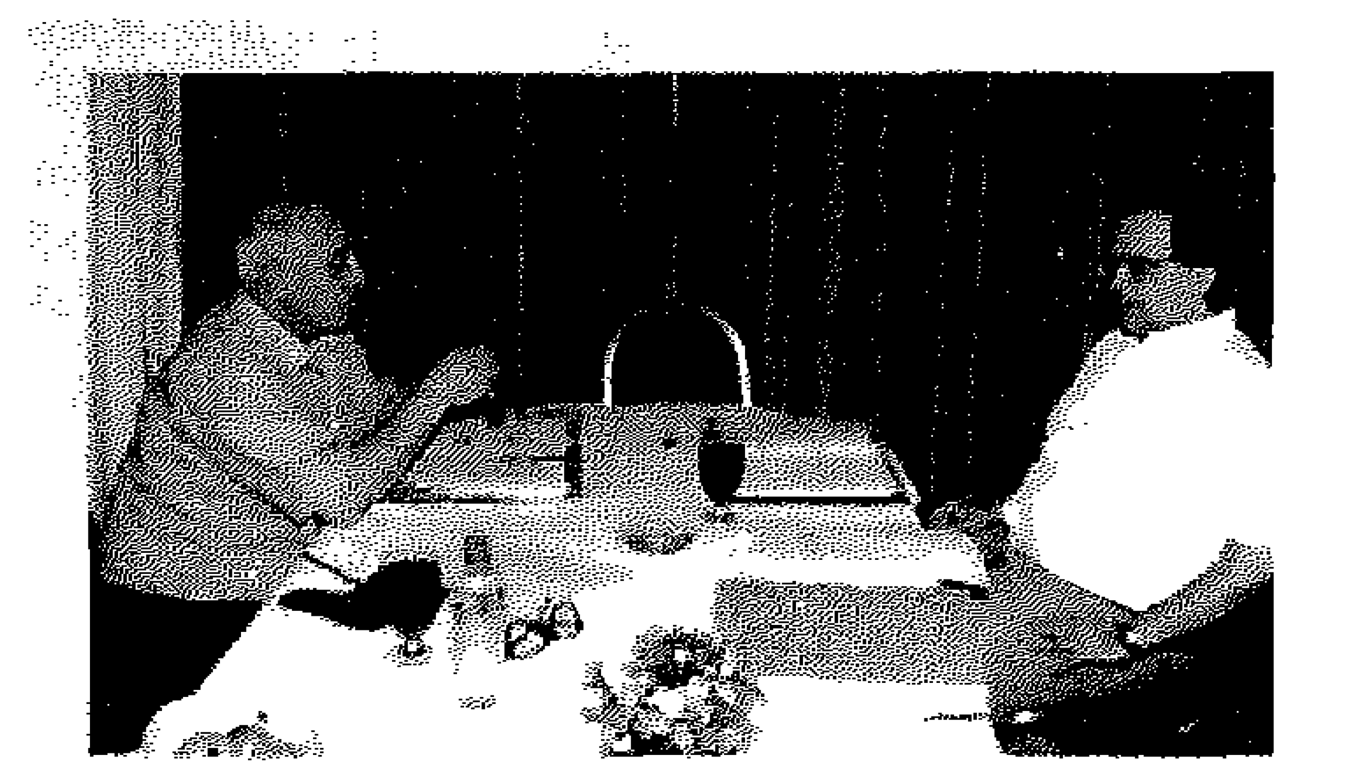
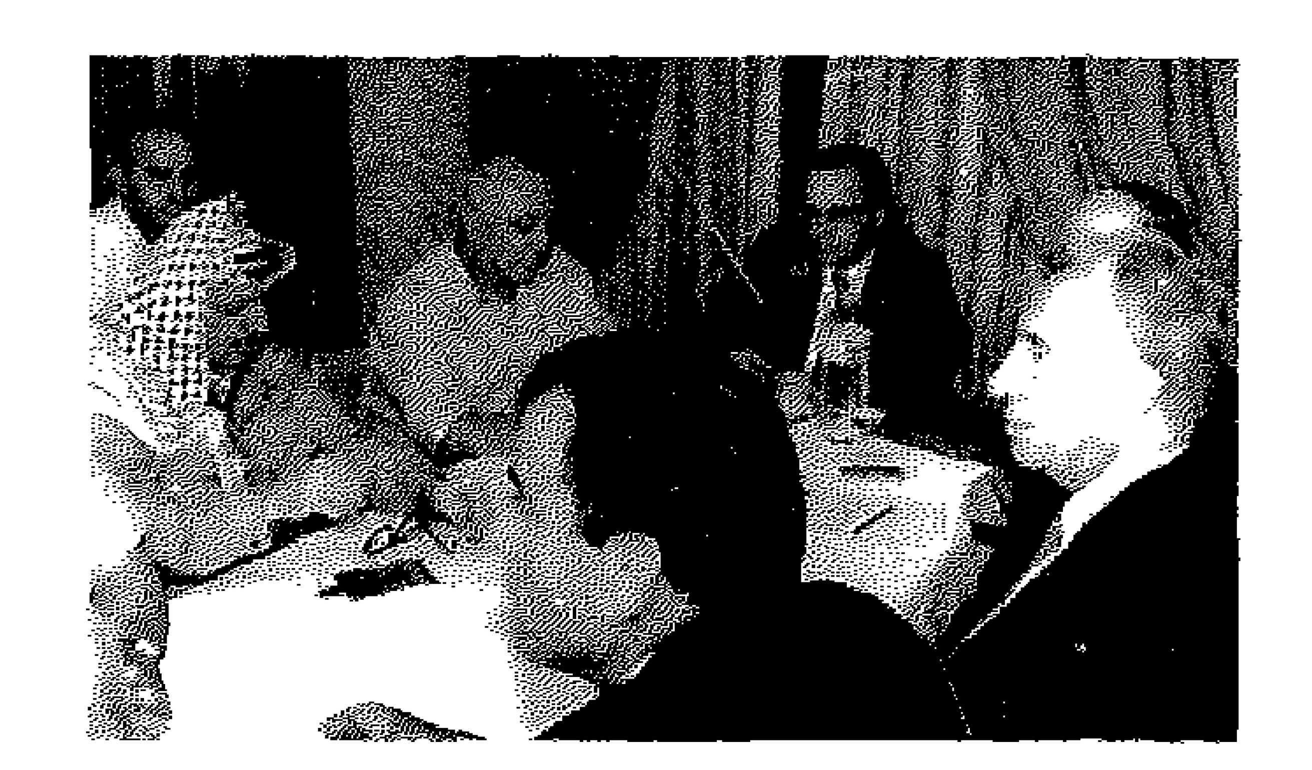
أوري سبير كبير المفاوضين الإسرائيليين

المسيرة

«حكاية أوسلو من الألف إلى الياء»

ترجمة : بدر عقيلي






المســــــــــــــيرة.....

خفايا "أوسلو"... من الألف إلى الياء

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٨/٨/١٢٣٢)

رقـــــم التصنيف : ٩٥٦,٤٠٦

المؤلف ومن هو في حكمه: أوري سبير، ترجمة بدر عقيلي

عنوان الكتاب: المسيرة : خفايا أوسلو من الألف الى الياء

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ

٢- فلسطين -التاريخ

بيانات النشر: عمان- دار الجليل

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

طبع في شركة الشرق الأوسـط للطباعـة- هـاتف٤٨٩٤٩٤١

تصميم الغلاف: ماروة

الطبعـــة الأولى

١٩٩٨

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية-عمـــان
تلفون ٥١٥٧٦٢٧ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨
ص.ب ٨٩٧٢ الرمز البريدي١١١٢١

أوري سـبير

كبـير المفـاوضين الإسـرائيليين في أوسـلو

المســـــــــيرة......

خفايا "أوسلو".... من الألف إلى الياء

تـــــرجمة :

بدر عقيلي



دار الجليل للنشر

والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان ـ ص.ب ٨٩٧٢

تلفون ٥١٥٧٦٢٧ ـ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨

المحتويات

تقديم:

يكاد المرء أن يقفز من مكانه، وهو يقرأ تفاصيل التفاصيل، في حكاية أوسلو، بقلم عرابها الإسرائيلي أوري سبير، وإذ نرى مصداقية الرجل أكثر تجسيدا في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة صدور كتابه" المسيرة"، وحضره بيرس-سابير وأبو علاء، فإننا نضع علامات استفهام كبرى حول بعض الحيثيات، ليس تشكيكا في حدوثها، بل لانها، ربما،لا تتساوق مع مفاهيمنا المتواضعة، وثمة حاجة ملحة لتوضيحها فلسطينيا.

نفهم المأزق الفلسطيني الذي راكمته سنون طويلة من عمر زمن المعاناة والقهر والتشرد، وندرك مدى الإحباط الذي رافق مسيرة النضال الفلسطيني، منذ بداية البدايات، لكننا نفضل ألف مرة، شعار" لو بقيت أم فلسطينية واحدة لأنجبت شعبا"، على مماحكات تفاوضية تدور بأدق التفاصيل المملة، حول" هذه لنا وتلك لكم"، لأننا بذلك نجسد مقولة الإسرائيليين، المعتدلين جداء الداعية إلى التخلي عن أجزاء من "أرض إسرائيل" مقابل السلام، وذلك يعني ببساطة، أن ما تقدمه الدولة العبرية، لا يعدو كونه منة، وليس حقا .... هذه واحدة أما الثانية، فإن "التنازل" الإسرائيلي لم يأت من فراغ بل نتاجا لاعمال المقاومة بكل فروعها وطقوسها.

نقرأ الكتاب، ونحملق بعبارات تتسم بالخبث الإسرائيلي المستند إلى صف خلفي من خبراء القانون، فيما تفوح منها روائح اللامبالاة، أو ربما جهالة المفاوض الفلسطيني ذلك أن "بريستيج" الزعامة طفا على السطح، مع أنه لا يعدل ذرة من تراب أو حق.

. الصداقات التي نشأت عبر"أوسلو" بين المفاوضين الإسرائيليين والفلسطينيين، وعبر عنها سابير في كتابه، بصيغ بيانية رائعة، هي مصلحة إسرائيلية لا ترتبط بالعواطف، فالغزل هنا، محاولة للحصول على الصيد، وليس تعبيرا عن الإعجاب والحب العذري.

نرفض بملء الفم مزاعم أن "أوسلو" وضعت القدم الفلسطينية على أرض الوطن وصولا إلى الدولة، من خلال "خذ وطالب"، بمثل الإصرار على رفض مقولة أن "حرب السلام" أشرس من "ساحة الوغى"، ذلك أن السلام لا يتحقق بمصطلحات الضعف العربي عامة والفلسطيني خاصة.

نتميز من الغيظ، ونحن نستعرض عبارات من مثل"الحرص الفلسطيني على الأمن الإسرائيلي" و"تنازل القيادة الفلسطينية عن تحديد حجم الانسحابات الثلاثة، مقابل مركز شرطة في الخليل" إلى الإيحاء بسطوة

بيرس على عرفات، وسابير على أبو علاء... ثم نتساءل وبقـــوة: هــل حدث هذا فعلا؟ إنه سؤال بحاجة إلى إجابة موثقة.

حكاية "أوسلو"، كما جاءت في كتاب سابير "المسيرة"، تعيدنـــا إلـــى الجدل البيزنطي حول" أيهما أفضل حزب العمـــل أم الليكـــود، وهـــذا فـــي اعتقادنا، مرادف لـــ"أيهما أكثر سوءا"؟

لا نشك للحظة، في أن الحزبين الكبيرين يتفقان فـــي النظـــرة إلـــى "أرض إسرائيل"، وإذ يعمد الليكود إلى رفع شعار القوة لفرض الأمر الواقع، فإن حزب العمل يطرح شعار رفض دولة يهودية بقوميتين"، وهـــو يبـــدي استعداده للتنازل، خاصة في المواضيع التي لا تشكل "إجماعا وطنياً" كقضية القدس، ولعل صعود نتنياهو على رأس الليكود والأحزاب المتطرفـــة إلـــى الحكم، حرمنا من متابعة ما سيؤول إليه الأمر، في الانسحابات والتســـوية الدائمة، فيما لو نجح حزب العمل ومرشحه لرئاسة الوزراء في الانتخابات.

عزاؤنا الوحيد، أن اتفاقيات اوسلو، ترقد في غرفة العناية المركـــزة، والغراب الإسرائيلي يصر على أنها تجتاز حالة ما يشبه الموت الدمـــاغي، ولا بد من نزع كل الأجهزة التي تتصل بأمل الحيـــاة سـعياً وراء دفنـــها. نحسب أن الزعامة الإسرائيلية، ستتحسر ذات يوم، علـــى "أوســلو" التـــي تقاطعت مع أيدولوجيتهم، اذ سيكتشفون أنهم اختاروا طريق العـــذاب بـــدل السلام، وحينئذ ستفرض" ولات مندم" رتم الأحداث.

كتاب سابير" المسيرة"، ليس ككل الكتب التي تحدثت عـــن"أوســـلو"، ذلك ان الرجل كان رئيس طاقم المفاوضين الإسرائيليين الذي رصد بالحرف والكلمة دقائق أحداث المفاوضات مع الفلسطينيين، مـــن خـــلال تفـــاصيل مثيرة، سوف تتعامل معها عيون القراء بدهشة تصل حد الصدمة، يفيقـــون منها على حقائق التاريخ والجغرافيا، التي يرســـمها الشـــعب الفلســطيني لاعادة الحق إلى نصابه بإيقاع مختلف تماما ولغة لا يفهم المحتل سواها.

"دار الجليل"

الباب الأول

-الإنفراج-

الفصل الأول

اللقاء الأول

- من خلف كواليس الحسم التاريخي-

عرفات: مفاوضات واشنطن محاولة لطحن الماء

إتفاق على الحديث عن المستقبل والتخلي عن الشجار حول العدل والظلم

بدأت الرواية بأكملها في ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة، الرابع عشر من أيار ١٩٩٣، فقد اتصل بي وزير الخارجية شمعون بيرس ، وطلب أن آتي إلى شقته الرسمية في القدس.

كان بيرس، قبل فترة قصيرة، قد اختارني مديرا لوزارة الخارجية ونظرا لأنني لم أكن آنذاك قد تجاوزت الأربعين، فقد أثار تعييني لي عاصفة شديدة. وعندما وصلت إلى شقته وجدته مستلقيا على أريكة، والى جواره رئيس مكتبه آفي جيل.

بادرني بيرس بالقول، هل تحب أن اقدم لك كاسا من النبيذ؟؟ فأومأت برأسي دلالة الموافقة، فنهض لاعداده، وسأل بصورة عرضية: ما رأيك في قضاء نهاية الأسبوع في أوسلو؟ حاولت إخفاء مشاعري، وأنا أسمع سؤاله، فقد كنت أدرك أن الذهاب إلى أوسلو يعني إجراء أول حوار رسمي مع ممثلي منظمة التحرير.

لقد كنت أعلم أن اثنين من الأكاديميين الإسرائيليين- يائير هيرشفيلد، ورون فوندك-يجريان، منذ خمسة اشهر، حوارات سرية وغير رسمية مع ثلاثة شخصيات رفيعة من منظمة التحرير، وهم: أحمد قريع(أبو علاء) وحسن عصفور، وماهر الكرد، وهم جميعا من مقربي ياسر عرفات.

ويرجع الفضل في بدء هذه الحوارات السرية إلى صديقي الدكتور يوسي بيلين الجريء داعية السلام الذي لا يكل. فقد عقد صداقة خلال عام ١٩٩٢ مع

الباحث النرويجي في علم الاجتماع (تاري لارسون) الذي كان يترأس مركز (أف آيه أف أو) النرويجي، والذي يعتبر أحد أهم المعاهد الأوروبية لأبحاث السلام، والذي تعمق في دراسات "شروط حياة الفلسطينيين في المناطق المحتلة".

وقد تمكن الاثنان -لارسون وبيلين- من دفع الأمور باتجاه بدء المحادثات غير الرسمية في العشرين من كانون الثاني، في النرويج، والتي مثلها عن الجانب الإسرائيلي البروفيسوران آنفا الذكر، وعن الجانب الفلسطيني الشخصيات الفلسطينية الثلاثة الذين أشرنا إليهم. وقد تمثل هدف هذه المحادثات في بلورة صيغة غير رسمية بشأن المبادئ الأساسية لصيغ السلام في المستقبل بين إسرائيل والفلسطينيين.

وسرعان ما اتضح خلال المفاوضات، أن المفاوضين الثلاثة- وعلى وجه الخصوص ارفعهم مقاما- أبو علاء، يتخذون عدة مواقف مفاجئة في مرونتها خلال الحوارات.

لقد كانت المواقف التي طرحها الثلاثة عملية أضعافا مضاعفة قياسا بالتعقيدات القانونية التي خلقها الوفد الفلسطيني الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير، خلال المفاوضات في واشنطن. ذلك الوفد الذي تم تشكيله من فلسطيني الضفة والقطاع، وتفاوض مع إسرائيل بصورة رسمية منذ مؤتمر مدريد، أواخر عام ١٩٩١.

استغرقت مفاوضات واشنطن شهورا طويلة، وآلت في نهاية المطاف إلى طريق مسدود وفي مرحلة معينة بعث آفي جيل- مدير مكتب بيرس- إلى بيلين وبيرس وإليّ، مجموعة من التقارير حول هذه المفاوضات، بعد أن شطب منها تاريخ إعدادها. ونظرا لأن المفاوضات، كانت تجري في واشنطن، على نار هادئة فإن أيا منا لم يستطع تحديد هامش الترتيب الزمني الذي أعدت فيه هذه التقارير.

ومن الجدير بالذكر، أن أبو عــلاء حــدد، فيمــا بعــد، مبدأيــن مــهمين مــن مبادئ المحادثات السرية الجاريـــة فـــي أوســـلو، وقـــد نـــال هـــذان المبــدآن إعجابنـــا الشديد: التقدم بصورة عملية مـــن القضايـــا الســـهلة إلـــى القضايـــا الصعبـــة، وتعـــاون فلسطيني إسرائيلي بصورة خاصة في المجـــال الاقتصـــادي.

لقد أثار التنـــاقض الواضـــح بيـــن نمطـــي مفاوضـــات واشـــنطن، وأوســـلو، انطباعا لدينا، يشير إلى أن عرفات يلمح إلينـــا بوضـــوح إلـــى أن: محادثـــات واشـــنطن لا تعدو كونها" محاولة لطحن المياه"، لزمـــن لا يعلمـــه الا الله، بيـــد أنـــه فـــي أوســـلو، أي في المكان الذي نتحاور فيه، مع ممثلـــي منظمـــة التحريـــر، فإنـــه علـــى اســـتعداد للتســـوية، وتأسيســـا علـــى هـــذا الانطبـــاع، اعتقدنـــا أنـــه آن الأوان لاجتيـــاز ســـاعة الامتحان الحقيقيـــة.

بيرس وضعنا في صورة الحـــوارات التـــي أجراهـــا مـــع رئيـــس الحكومـــة، اسحق رابين، بهذا الصدد، فقال: "أعلمت رابين بـــأن المفاوضـــات الســـلمية علـــى شـــفا الانهيار، رغم أن الأرضية باتت ممـــهدة للتقـــدم".

تحدثنا في الكثير من الأحيان عن التنـــاقض المـــاثل علـــى أرض الواقـــع، فقـــد طرأ تغيير واسع جداً على أرض الواقـــع، فـــي غضـــون الســـنوات الخمـــس الماضيـــة على الوضع في الشـــرق الأوســـط، إذ انـــهار الاتحـــاد الســـوفيتي"الصديـــق الحميـــم"، ونصير الدول العربية ذات الأنظمة الراديكاليـــة، وبـــرز عـــدد مـــن التصدعـــات فـــي أوساط العالم العربـــي فـــي أعقـــاب حـــرب الخليـــج، وإيـــران منشـــغلة فـــي تصديـــر الإرهاب، وتطوير المعدات الحربيـــة غـــير التقليديـــة. وأصبحـــت الأصوليـــة الدينيـــة، التي يعتبر الفقر مرتعاً خصباً لنموها- عـــاملا مـــهددا لغالبيـــة الأنظمـــة العربيـــة فـــي المنطقة، الأمر الذي حدا بالدول العربية للشـــروع بـــأخذ قضايـــا التطويـــر الاقتصـــادي بعين الاعتبار بصورة جدية أكبر بكثير مما كـــانت عليـــه فـــي الســـابق، إضافـــة إلـــى التقديرات الاستراتيجية التقليديـــة.

لقد بذلت جميع دول المنطقة -تقريبا- جهوداً واسعة لمغازلة الولايات المتحدة. وعملت على ابراز الاستقرار في أراضيها كوسيلة رئيسية لجذب رؤوس الأموال والاستثمارات الاقتصادية الأميركية.

لقد بدأت جهات عربية ترى في إسرائيل شريكاً في جهودها الجديدة. فالفلسطينيون أدركوا أن سني الانتفاضة لم تجن أي إنجازات سياسية. وبدت منظمة التحرير، وكأنها قد وصلت إلى نهاية الطريق، والى حالة الإفلاس، ثم جاءت حرب الخليج لتقويض التحالفات السياسية الإقليمية التي كانت سائدة في المنطقة، مما خلق انطباعاً يشير إلى أن الاستعداد العربي للتفاوض مع إسرائيل، قد نضج، وبات في متناول اليد.

وعلى خلفية كل هذه الأحداث والمستجدات، ولد مؤتمر السلام في مدريد، الذي تمخضت عنه مفاوضات واشنطن. بيد أن هذه المحادثات سرعان ما بلغت حد الجمود التام. وقد أبدى السوريون تصلبا أيديولوجيا وسياسيا شديدا. وبدا تقدمهم بطيئا جدا أو معدوما.

أما الأردنيون، فألمحوا إلى أنهم سينتظرون، طالما لم يحدث الانفراج المأمول مع الفلسطينيين.

وهكذا، شاءت المفارقات أن يصبح الفلسطينيون الذين يعتبرون أضعف حلقة في السلسلة بمثابة العامل الأساسي المحرك للمسيرة كلها. بيد أن المشكلة التي كنا نواجهها معهم تتمثل في أن الدكتور حيدر عبد الشافي يرأس طاقمهم التفاوضي ثم فيصل الحسيني، اللذين لم يحصلا على تخويل حقيقي للتفاوض.

وكل قضية تم طرحها خلال المفاوضات، كانت ترسل من الوفد إلى قيادة منظمة التحرير في تونس.

وبدا بوضوح، أننا نشارك في حفلة تنكرية رغم أننا لم نعترف بذلك آنذاك فالسياسة الإسرائيلية كانت ترفض، منذ زمن بعيد، إجراء أي مفاوضات مع منظمة التحرير وهاهم ممثلو إسرائيل، يجرون الآن، مفاوضات مع ياسر عرفات عبر أجهزة الفاكس.

قال لي شمعون بيرس إبان اللقاء آنف الذكر في بيته:" بات واضحا لنا من هي الجهة التي تدير المسرحية الفلسطينية، وقد قلت لرابين، أنني على استعداد للسفر إلى أوسلو، والالتقاء بممثلي منظمة التحرير سراء، والتعرف على نواياهم الحقيقية، نحن ملزمون بدفع المسيرة السلمية إلى الأمام، ولا جدوى من إضاعة الوقت سدى في واشنطن، من خلال الإدعاء بعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات".

وأضاف بيرس:" بدا بوضوح أن رابين أيضاً كان قد ضجر من مفاوضات واشنطن، بيد أنه كان يعتقد، أن من المبكر جداً الآن، إشراك وزير إسرائيلي في الاتصالات مع منظمة التحرير لذا، فإنه يفضل إرسال موظف رفيع المستوى إلى أوسلو، وقد وقع اختيارنا عليك أنت".

فغرت فمي كي أعقب على ما قاله، بيد أنه قال لي: انتظر لحظة، رابين يصر على شرطين للحوار: توخي السرية التامة، واستئناف المفاوضات في واشنطن، لأن هذه المفاوضات، يجب أن تظل المسار الرئيسي للمفاوضات. ويجب عليك أن تعلم الفلسطينيين بذلك، عبر الوسطاء النرويجيين، أوضح لهم، بصورة قاطعة، أنه إذا ما تسربت كلمة واحدة حول لقاءاتكم، فسوف تكون تلك هي نهاية مسار أوسلو".

أما فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية، فقد كلفني بيرس وبناء على مشاوراته مع رابين- بأن أطرح ثلاث قضايا، وقال:" قبل كل شيء، يجب على الفلسطينيين أن يوافقوا على أن القدس لن تدرج في إطار تسوية الحكم الذاتي. فإذا رفضوا ذلك، يجب أن يدركوا أنه لن يحدث أي تقدم.

ويجب عليهم ثانيا أن يتخلوا عن النمط التقليدي الذي يتبعونه، والذي ينص على عرض جميع الخلافات التي تحدث بيننا للتحكيم الدولي، فنحن لا نرغب في إدخال أي جهاز من أجهزة مجلس الأمن في الصورة، فمن المهم أن نعرف كيف نحل مشاكلنا بأنفسنا.

وبعد ذلك، سيمكننا أن نستوضح منهم ومعهم فكرة إقامة الحكم الذاتي في غزة أولا، والذي تستطيع زعامة منظمة التحرير الانخراط فيه".

كان بيرس يرفع، منذ زمن طويل، فكرة ضرورة فحص الحكم الذاتي للفلسطينيين، أولا في قطاع غزة، قبل توسيعها إلى الضفة الغربية وفي السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٩٢، طرح -بالتشاور مع اسحق رابين- اقتراحاً بهذه الروحية، خلال الحديث الذي أجراه مع الرئيس المصري حسني مبارك الذي قام بدوره بنقل الاقتراح إلى عرفات.

ويبدو أن منظمة التحرير كانت تنزع نحو قبول الفكرة بصورة مبدئية، بيد أن عرفات طلب إضافة أريحا إلى غزة، وسيطرة الفلسطينيين على أحد المعابر الحدودية على نهر الأردن. أو بمعنى اصح، فإنه أراد الحصول على موطئ قدم في الضفة الغربية، وعلاقة مباشرة مع الأردن. بيد أن رابين رفض إضافة أريحا إلى غزة، ورفض رفضا قاطعا تنازل إسرائيل، بأي صورة من الصور، عن السيطرة الإسرائيلية على أحد جسور الأردن. وأصر رابين على إبقاء جميع المناحي ذات العلاقة بأمن إسرائيل والضفة الغربية الخارجي، في أيدي إسرائيل. وقال: يجب على إسرائيل أن تسيطر سيطرة كاملة على جميع الخطوط الحالية.

وأضاف بيرس:" لذا من الأفضل أن تطرح فكرة-غزة أولا-، ولا تلزمنا بإضافة أريحا إليها. وفيما يتعلق بمسودة إعلان المبادئ، التي تمت صياغتها في أوسلو مع فوندك وهيرشفيلد، يمكنك أن تتفحص الجوانب المختلفة، لكن لا تبدأ المفاوضات وفقا لما هو وارد في المسودة نفسها. وبعد عودتك سنقرر كيف يمكن التقدم. هل كل شيء واضح لك؟؟.

بدا لي وجه شمعون بيرس، وقد اكتسى طابعا جديا أكثر مما أعرفه، فأومأت برأسي بالإيجاب، فقال:" ليحالفك النجاح".

أعلمنا النرويجيون، في غضون يومين، أن منظمة التحرير توافق على الشرطين اللذين طرحناهما لإجراء اللقاء القادم في أوسلو، وهما: السرية التامة،

واستئناف المفاوضات في واشنطن، وحينئذ بدأت دراسة المستندات والوثائق الموجودة حول مسار أوسلو.

نزولاً عند توجيهات بيرس، تم ترتيب إجراءات سفري إلى أوسلو عبر مكتب يوسي بيلين. وكانت الحوارات غير الرسمية أجريت في أوسلو، خلال الأشهر الماضية، قد هدفت إلى بلورة تصور مبدئي حول التعاون، مع تطبيق التسويات بصورة تدريجية.

وفي تبريري لسفري، قلت لموظفي مكتبي أنني متوجه إلى فرنسا لإجراء مفاوضات اقتصادية، وسأنضم، كما يبدو، بعد ذلك، إلى زوجتي عليزة الموجودة في مدينة(كان) لحضور مهرجان السينما. وكانت زوجتي ستتوجه إلى هناك بحكم عملها كرئيس لشعبة الفنون في وزارة الخارجية بيد أنني ألمحت لابنتي، بأن هذه الرحلة لن تكون رحلة عادية. ومن الجدير بالذكر، أن ابنتي (مايا) -التي أنهت خدمتها العسكرية لتوها- كانت تؤيد ،بحماس بالغ، أي نشاطات لدفع المسيرة السلمية إلى الأمام فقد رافقتنا منذ سن الرابعة في المظاهرات السلمية التي كنا نشارك فيها، وتبنت وجهات نظرنا القائلة بضرورة إجراء حوار مع منظمة التحرير، وبأهمية هذا الحوار. ولم أكن قادرا على البوح لها بشيء، بيد أنني أردت أن تدرك أن أحد آمالنا على وشك التحقق، لذا، قلت لها قبل سفري بيوم أو يومين، بصورة عارضة:" هذه الرحلة مهمة " فتساءلت بفضول: إلى أي حد هي مهمة، فقلت" إنها أهم رحلة" ويخيل إليّ أنها أدركت قصدي.

وقبل سفري، زرت بيلين في بيته، لقد انتظرنا طويلا هذه اللحظة، منذ منتصف الثمانينات، عندما شغل بيرس منصب رئيس الحكومة لأول مرة، واشتهرنا نحن باسم" شبيبة بيرس"، وكنا خمسة مساعدين شبان معبئين بالحوافز".

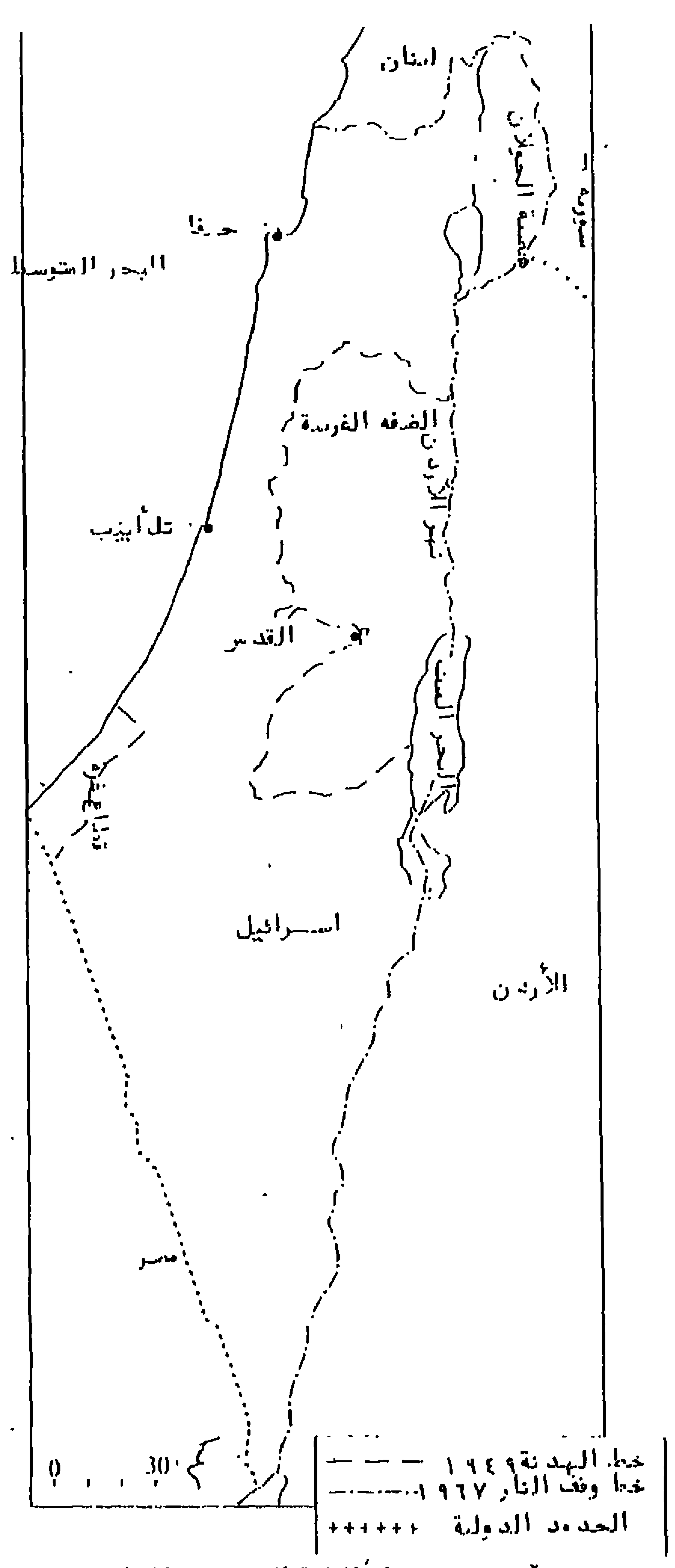
كان يوسي بيلين -الذي عمل مع بيرس، منذ الانقلاب الذي حدث عام ١٩٧٧ وأوصل الليكود إلى السلطة- آنذاك سكرتيراً للحكومة. وتم استدعائي من

نيويورك، حيث كنت أعمل ناطقا باسم القنصلية الإسرائيلية هناك، كي أعمل كناطق رسمي لبيرس.

شعرت، وأنا بصحبة بيلين، بعدم الارتياح، جراء توجهي إلى أوسلو، وبقائه هو في إسرائيل، فهو صاحب الفضل في خلق مسار أوسلو، رغم المخاطرة التي جازف بها، والتي كان بالإمكان أن تكلفه مكانته السياسية بيد أن بيلين أكد لي أنه شديد الارتياح لما يحدث. لقد كان كبيرس قد تنبأ بالمستقبل.

أقلعت طائرتي في العشرين من أيار، في طريقها إلى باريس. وإثر إقلاع الطائرة، سجلت لنفسي عدة أسطر لتكون نبراساً لي حول بدء الحوار. ثم تناولت تقرير وزارة الخارجية، والذي كان يتضمن معلومات حول الشخص الذي سأقابله بعد عدة ساعات(أبو علاء)، وقد عرفت من التقرير، أنه يناهز الخمسين، وقد بدأ حياته كموظف بنك، وترأس مؤسسة (صامد) والتي تعتبر بمثابة الشبكة الاقتصادية لمنظمة التحرير. كما ترأس العديد من الهيئات الأخرى التي كانت تقوم بأعمال تمويل نشاطات اقتصادية واجتماعية في الضفة الغربية.

ولد أحمد قريع في أبو ديس المتاخمة للقدس، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية عمل في الأردن والسعودية، وانضم إلى مؤسسي حركة فتح، وفي عام ١٩٦٧-في أعقاب انتهاء الحرب- تفرغ للعمل في منظمة التحرير بوظيفة كاملة، وكرس عمله في المجال الاقتصادي ومنذ ذلك الحين، نقل مكان سكنه من دولة إلى أخرى، فعمل في الخليج، وبيروت، وقبرص وتونس ومع مرور الزمن أصبح أحد المقربين للرئيس الفلسطيني عرفات، وأكثر من العمل مع محمود عباس -أبو مازن-، وهو الرجل الذي كان مسئولا، في غضون السنوات الخمس الماضية، عن العلاقات غير الرسمية بين إسرائيل ومنظمة التحرير.



الخارطة الأولى : اسرائيل ـ الضفة الغربية ـ وقطاع غزة

وصفت أجهزتنا أبو علاء كشخص برغماتي، وذكي وماكر، وقد كان موجها للمحادثات متعددة الأطراف، التي جرت إثر مؤتمر مدريد، من وراء الكواليس، نظرا لعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات آنذاك. وكان يوجه، من غرفته في الفندق، الوفد الفلسطيني- الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير- لما يجب أن يقوله.

وتساءلت بيني وبين نفسي، فيما إذا كان قد تورط خلال سني عمله في أعمال"الإرهاب" التي مارستها منظمة التحرير؟؟ ورغم أن ملفه الذي كان بين يدي لم يتطرق إلى هذا الجانب أبدا، الا أنني لم استطع منع نفسي من التساؤل فيما إذا كان على معرفة مسبقة بعمليات قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ، أو عملية (معالوت) و"كريات شمونة" الدمويتين؟ وراودتني الكثير من الأفكار حول العمليات الإرهابية، وسفك الدماء، والاحتلال، والتوق إلى السلام، واللقاء القريب مع هذا الرجل.

كانت أمامي مهمة صعبة للغاية، ولم أبدأ بعد الخطوة الأولى.

إستقبلني في مطار، شارل ديجول، في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا، اسحق آلون الملحق في السفارة الإسرائيلية بباريس، وفي طريقنا إلى فندق(بولتيمور) أخبرته أنني سأتوجه إلى مدينة(كان) للقاء زوجتي، واقترحت عليه أن نلتقي في ساعات المساء من يوم السبت في الفندق. وحال وصولي إلى الفندق وضعت على باب الغرفة المخصصة لي يافطة" أرجو عدم الإزعاج"، وسارعت مجددا إلى الشارع وتوجهت إلى المطار من جديد، وهناك وجدت رون فوندك بانتظاري.

وفي طريقنا إلى كوبنهاجن، وصف فوندك لي الشخصيات الفلسطينية الذين سنجتمع بهم والجرأة التي يتحلون بها، وأدبهم الجم، واعتدالهم. واعتقدت أنه يتوقع مني أن أقابلهم بالمثل.

وما كدنا نصل باب الطائرة في كوبنهاجن، حتى وجدنا مجموعة من الإيرانيين تهم بصعود الطائر، فرشقت فوندك بنظره تحذير، رد الى مثلها، ثم

انفجرنا، نحن الاثنين، بالضحك من الشكوكية التي نحملـــها، نحـن الإسـرائيليين، لكـل مكان نذهب إليه. ولا شك أن شكوكيتنا كانت في محلـــها، فتـهديدات "الإرهـاب" التـي تواجهنا تحت رعاية الإيرانيين، كانت تسكن عقولنا وقلوبنا، وقـــد اتضـح، فيمـا بعـد، أن هذا الإرهاب سيظهر كثقل موازٍ أساسي للمســيرة السـلمية كلـها.

وحينمــا هبطــت الطــائرة وجدنــا هيرشــفيلد بانتظارنــا، وبصحبـة تـاري لارسون، والذي شعرنا بمـــرور الأيـام، بالارتيـاح الشـديد لكفاءاتـه النفسـية الفـذة، والتي استخدمها بأناة ترويجية لا تعرف الحـدود، بـل أن أصعـب العوائـق والمشـاكل التي واجهتنا، لم تجعله يفقد صـبره وأناتـه.

أخذنا لارسون إلى غرفة الشخصيات المهمة فـي المطـار، واهتـم بـأن تمـر الإجراءات بسرعة وأن يعفينا من الكثير من المراسيم التي كـــان علينـا اجتيازهـا.

قال لارسون :" سنغادر المطار من الباب الخلفي وســنتوجه إلـى شـقة آمنـة تبعد حوالي نصف ساعة سفر هذا في الوقت الذي قامت زوجتـــه مونــه يـول- وهـي أيضا دبلوماسية ناجحة- بمرافقة الفلســطينيين إلـى هنــاك. وقـد جلسـت إلـى مقـود السيارة التي أقلتنا، أحـد أعضـاء معـهد(أف آيـه أف أو) وحارسـان مـن الشـرطة السرية النرويجية. لقد تم التخطيط لجميع التفاصيل بدقـــة بالغــة للغايـة.

استهل لاريسون الحديث حول(روحيــة أوسـلو) مثلمـا اسـماها- وبـدا لـي بوضوح أنه يعتبرني تكنوقراطيا شابا رابط الجأش، وربمـــا صلبـا أكـثر ممـا تتطلبـه المهمة التي نحن بصددها- قال لاريسون: يجـب أن تكـون الحـوارات غـير رسـمية، تماما مثلما كان الامر مع الأكاديميين الســابقين. إن النتــائج التـي خلصنــا إليـها، فـي مسار أوسلو، هي نتائج للحلول الخلاقـــة والمبدعــة لمسـار التفكـير الحـر، وليسـت نتاجا للجدل التقليدي بين طرفين متصلبين، وبـــدا واثقــا، مـن أن الأجـواء النرويجيـة المريحة، ستلقي بظلالها علينا، وامل فـــي أن ننجـح فـي خلـق مزيـج مـن أوسـلو وإسرائيل. وقال:" الفلسطينيون متـــأثرون كالأطفـال".

أدركت ما الذي يسعى إليه، بيد أنني كنـت متوتـرا، إلـى الدرجـة التـي لـم أرغب فيها القيام بمحاولة لاقناعـــه.

وصلنا إلى (لهفتي لودج) أحد منازل الضيافـــة النرويجيـة، وجلسـنا بصمـت دون أن ينبس أي منا ببنت شفة، وبعد لحظات، سـمعنا طرقـات خفيفـة علـى البـاب، ودخلت(مونه) بشخصيتها الساحرة، وتبعها الفلســطينيون الثلاثـة واحـدا اثـر الآخـر، وسارعت أنا وفوندك وهيرشفيلد للوقوف علـــى أقدامنــا، وكأننـا فـي حفـل اسـتقبال رسمي، وفجأة وجدت أبو علاء يقـف فـي مواجـهتي، وبـادرني لاريسـون بـالقول: أرجو أن تتعرف على عدوكم الأول، أحمد قريع، المعروف باســم أبـو عـلاء.

فاجأني منظر الرجل، بنظاراتـه السـميكة، والتـي لـم تتمكـن مـن إخفـاء نظراته النفاذة، وحلته الرسمية، والتي أبدته في صورة رجــل أعمـال أوروبـي، أكـثر منه زعيما لعمل سـري.

تمتم أبو علاء وهو يصافحني:" لطيف أن أتعـرف عليـك"، وحـدق كـل منـا في الآخر بعصبية مع إدراكنا التام لمغزى هذا اللقاء الـذي لـم يسـبق لـه مثيـل. ثـم ساد صمت تام في الغرفة، قطعة تـاري بـالقول:" أرجـو أن تتعـرف علـى عدوكـم الثاني حسن عصفـور.

بدا الرجل وكأنه يناهزني في العمر، ورأيت فـي عينيـه بريقـا غاضبـا إلـى حد ما، وكنت أعرف أنه شيوعي سـابق، وأحـد أعضـاء الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسطين، التي يترأسها جورج حبش، وقد سـبق لـه أن سـجن فـي سـورية قبـل أن يصبح مستشارا سياسيا لأبو مـازن.

وعندما ازدادت معرفتي بهذا الرجل، فيما بعد، خيـل الـيّ أنـه ممـزق بيـن فكرين. اشمئزازه من الغطرسة التـي يعزوهـا إلـى إسـرائيل مـن جـانب، وإيمانـه بإمكانية صنع السلام معها من جـانب اخـر.

أما العدو الثالث الذي قدم اليّ، فهو ماهر الكرد-٦٠سـنة- وهـو شـخص فـي غايـة الأدب، وقد أثار لدي انطباعا فوريا، بأنه يصلـح لأن يكـون مديـرا لمدرسـة ألمانيـة. واتضح لي فيما بعد، أنه درس في إحدى جامعـات ألمانيـا الشـرقية، قبـل أن يصبـح مستشارا اقتصاديا لعرفـات.

وشعرت أن البرود الذي ساد لقائي الأول بهم قد ذاب، إلى حد ما، عندما قام فوندك وهيرشفيلد بمعانقة الثلاثة، الذين التقوا بهم المرة تلو الأخرى، في غضون الأشهر الخمسة السابقة.

قام لاريسون فجأة، وخلع معطفه، وعرض علينا أن نفعل مثله، وأدركنا أنه يحاول تخفيف حدة التوتر القائم، بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل. فقال وهو يتجه إلى الباب، أنا موجود في الطابق الأسفل، سأترككم وحدكم، وإذا لم تستطيعوا التفاهم. أرجو أن تدعوني للعودة.

وهكذا، جلسنا نحن الستة على جانبي طاولة العمل، وقمت أنا بإخراج المذكرة التي كتبتها في الطائرة، وبدأت أقرأ الملاحظات على الفلسطينيين، كي لا يسيء أي شخص في تونس فهم نوايانا، وقام الفلسطينيون بتسجيلها واحدة تلو الأخرى.

وقد بدأت كلامي بالإعراب عن الارتياح نظرا لقدرتنا على التحاور وجها لوجه، وشكرت الحاضرين على الجهد الذي بذلوه خلال اللقاءات السابقة، وقلت:" إن هدف الحكومة المنتخبة في إسرائيل، يتمثل في إحراز مصالحة تاريخية مع الشعب الفلسطيني، ولسنا معنيين إطلاقا بإحداث تغيير جمالي فقط في الوضع الراهن، ولا نرغب في التحكم والسيطرة على حياتكم، ومصلحتنا تكمن في السلام والأمن والانفراج، سوية معكم، واحلال السلام في المنطقة كلها".

وأضفت ..."لقد فرض الاحتلال على إسرائيل عام ١٩٦٧، وهدفنا الأخلاقي والسياسي يتمثل في التحرر والانعتاق من هذا الوضع، بصورة تضمن الحرية للفلسطينيين، وتوفر الأمن لإسرائيل".

وفي أعقاب هذه المقدمة، طرحت الشرطين اللذين أصر عليهما بيرس ورابين، فأكدت، بادئ ذي بدء، أن القدس ستكون خارج الحكم الذاتي الفلسطيني، وقلت:" القدس هي بؤرة أخلاقياتنا الوطنية، وإذا كانت هذه القضية مفتوحة للمفاوضات، فلن نتمكن من إحراز أي تقدم.

"أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولي، فيجب عليكم أن تقرروا، فيما إذا كنا سنعمل كشركاء ونسوي خلافاتنا في الرأي، فيما بيننا، غير الحوار أم أنه يجب علينا أن نطلب وسطاء في صورة مجلس الأمن الدولي، ونصل، في نهاية المطاف، إلى كومة كبيرة من القرارات، التي لن تعدو كونها أكثر من أرقام متسلسلة دون جدوى.

"وإذا كنتم توافقون على هذين الشرطين، فسوف أوصي أمام رئيس الحكومة اسحق رابين، ووزير الخارجية شمعون بيرس، بالشروع في مفاوضات توطئة لبلورة إعلان مبادئ مقبول لدى الطرفين".

وفي ختام كلمتي أوضحت أن الخط الذي يوجهنا في تعاملنا مع المفاوضات، يتمثل في التقدم على مراحل، وأننا نرغب في أن نطبق أول النتائج في قطاع غزة، وامتنعت عن الإشارة إلى أريحا.

وأضفت... من وجهة نظرنا، يجب أن يتم التركيز على الجانب الأمني، ويجب أن يكون واضحا تماما، أن على منظمة التحرير أن تكف تماما عن ممارسة أي أعمال إرهابية، كما أن هناك زخما كبيرا جدا، على صعيد التعاون الاقتصادي ويجب أن نعمل على ترجمته إلى لغة العمل لقد لاحت لنا جميعا فرصة تاريخية، لا يجب أن نضيعها، بأي حال من الأحوال".

نهض أبو علاء من مقعده، واستهل الحديث بالقول: "زميلاي وأنا، والزعامة الفلسطينية في تونس، نشعر بالسرور جراء وصول الاتصالات بيننا في نهاية المطاف إلى المرحلة الرسمية، لقد أنجزنا عملا مهما مع صديقينا فوندك وهيرشفيلد. وسأشعر بالسرور البالغ، إذا ما أعلمت مسئوليك أن نوايانا ونوايا الرئيس عرفات، جدية".

حال سماعي اسم عرفات شعرت بإحساس غريب ينتابني، فقد كان من الصعب علي، بداية، أن أفكر فيه كشخص سيصبح جزءا من روتينية مفاوضات. ويبدو أن أبو علاء قرأ أفكاري لذا واصل الحديث قائلا: "لا توجد أي فرصة

للتقدم نحو السلام دون منظمة التحرير وزعامتـــها، حيـث لا تملـك أي جهــة أخـرى الصلاحية والشرعية المطلوبة للتحدث باســم الشـعب الفلسـطيني".

وأضاف بجدية ظاهرة للعيان:" نحن نرغـــب فـي التعــايش معكـم، ونرغـب في التعاون معكم، من أجل تطوير المنطقة واحيــاء خطــة (مارشـــال) شـرق أوسـطية وبذلك، نستطيع أن نفتح الطريق أمامكم إلى العـــالم العربـي، وتنفتـح الطريـق أمامنـا نحو الحرية. إن الوضـــع القـــائم فـي المنـــاطق المحتلـــة، هـو وضـع يـائس علـى الصعيدين السياســـي والاقتصـــادي، فـي آن واحـد، والزمـن يمضـي بسـرعة دون عـودة".

واعترف أبو علاء، بأن مفاوضات واشنطن آلــت إلـى طريـق مسـدود، بيـد أنه وعد باستمرارها. وفي معرض تطرقـــه للبنديــن (الشــرطيين) اللذيــن طرحتــهما، قال: إن عليه التشاور مع الزعامة فـي تونـس.

وأضاف ..في كل ما يتعلــق بــالأمن، لـدي أوامـر صريحــة مــن الرئيـس عرفات في التوصل معكم إلى اتفاق حول جميــع مناحيــه".

توقف أبو علاء للحظة، ثم توجه إلى بصورة مباشرة، وقـــال: قـل لـي سـيد سبير لقد سمعت تصريحات إسرائيلية تقول أنكـــم تعتـبرون منظمــة التحريـر بمثابـة خطر على وجودكم، وأنا أريد أن أفهم هذه النقطة. فإســرائيل هـي دولـة عظمـى فـي المنطقة، ووفقا لما تنشره وسائل الإعــلام الدوليــة، فــإن إســرائيل هـي أيضـا دولـة عظمى نووية، ولديكم أفضل ســلاح جـو فـي العــالم، وعـدد هـائل مـن الدبابـات، وأفضل جهاز استخبارات في العـــالم، وأحـد الجيـوش البريــة الكبـيرة وذات القـدرة الهائلة. وأنتم تطلقون علينا لقب مخربين، في حين نســمى أنفسـنا مقـاتلي حريـة، ولا نملك سوى حفنـــة مـن بنـادق الكلاشـينكوف والقنــابل اليدويــة، وسـيارات الجيـب والحجارة. فهل يمكنك أن تقــول لـي كيـف يمكننــا أن نشـكل خطـراً علـى وجـود إسرائيل؟؟ ولماذا لا نرى نحن الأمور على العكس تمامــا ممـا تقولـون؟

بدا أبو علاء راضيا عن نفســه، فقـد طـرح الـرأي الفلسـطيني بوضـوح، حيث أبدى فيه الفلسطينيون في صورة داود، والإسرائيليين فــي صـورة جوليـات.

لقد أدركت، فيما بعد، أن الفلسطينيين يفـــهمون التــوازن بيننــا وبينـــهم حقـــا، مثلما طرحه أبو علاء:" قزم يقف في مواجهـــة عمـــلاق". ومثلمـــا يحـــدث فـــي العديـــد من النزاعات كل طرف يعتبر نفســـه الضحيـــة.

وبعد لحظة تفكير خاطفة، قلت له:" أنتم تشـــكلون خطـــرا لأنكـــم تريـــدون أن تسكنوا في بيتـــي".

-أبو علاء: من أين أنـــت؟؟

-أنا: من القـــدس.

-أبو علاء: أنا أيضا من القدس. ومن أيـــن والـــدك؟

-أنا: لقد ولد في ألمانيـــا.

-أبو علاء: لقد ولد أبي في القدس، ولا زال يعيـــش هنـــاك.

-أنا:" ولماذا لا تسأل عن أجدادي، أنا أســـتطيع أن أقـــول لـــك أن ســـلالتنا تعـــود إلـــى الملك داود". ولم أخف غضبي:" أنا واثق أننا قـــادرون علـــى التجـــادل حـــول المـــاضي سنين طويلة، ثم لا نصل إلى أي اتفاق. لذا قـــد يكـــون مـــن الأجـــدى أن نتفـــق حـــول المســـتقبل".

-أبو علاء: موافـــق.

وهكذا توصلنا إلى أول تفـــاهم بيننـــا، ينـــص علـــى أن لا تجـــري أي جـــدال حول الماضي. لقد كان هذا الاتفاق بمثابة خطوة مهمة نظـــرا لانـــه وضعنـــا خلـــف أي محاولة للشجار حول العدل والظلم. إن الســـعي لمناقشـــة مـــا ســـيؤول إليـــه المســـتقبل يعني البحث عن الحلول في خضـــم المصـــالح والحقـــوق للطرفيـــن، وليـــس الـــدوران والمراوحة المكانية في دوامة الحديث عن الظلـــم القديـــم.

قلت لأبو علاء: أريد أن أرجع إلى ما قلته أنت حول أمننـــا، مثلمـــا يبـــدو الان.

أبو علاء: رفض الاعتراف بإسرائيل لن يمنحنا الحرية
وسيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن
رابين عكف على اختبار نوايا الفلسطينيين
وبيرس عمد إلى إثارة خيالهم

وضعت ورقة على الطاولة، وشرعت في رسم خارطة لإسرائيل والمناطق المحتلة، ثم رسمت خارطة للعالم العربي المحيط بنا. وقلت:" لقد كفرتم، أنتم الفلسطينيين، بوجودنا كدولة، ومنذ ولادة إسرائيل، كان رفض وجودنا هو الذريعة التي طرحها العالم العربي لمحاربتنا". وأشرت إلى الخارطة الموضوعة أمامي، وقلت: هذه هي معادلة الأمن الحقيقية:" عدت إلى مقعدي، وجلست بارتياح بعد أن أوضحت لأبو علاء، من هي الجهة التي كانت (داود) على أرض الواقع.

بيد أن أبو علاء رد علي بصورة موضوعية قائلا:" أعتقد أننا وصلنا إلى لب المشكلة لقد تعلمنا بأن رفض الاعتراف بوجودكم لن يمنحنا الحرية، وأنتم ترون أن سيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن، لذا يجب علينا أن نتعايش، أحدنا إلى جانب الآخر بسلام ومساواة وتعاون وهذا هو أيضا رأي زعامتنا في تونس.

قلت في محاولة لخلق قاعدة مشتركة لمواصلة الحوار:" أوافقك بصورة مبدئية على ما قلته. ونحن بحاجة إلى تقدم على مراحل، ولبلورة الصلة الجديدة من العلاقات، والتي يمكن، من خلالها، تطوير سلام وأمن وازدهار اقتصادي. إننا بحاجة إلى خريطة طرق جديدة، قادرة على قيادتنا إلى الثقة المتبادلة".

ذكرت أبو علاء بأن عددا لا بأس به من الإسرائيليين، يحتقر منظمة التحرير، ويشك في مصداقية زعامتها،"بيد أننا، نعتزم وبجدية، فتح صفحة جديدة وبناء الثقة بيننا بصورة تدريجية. وبمقدورنا أن نبدأ الحوار حول الوثيقة التي توصلتم إلى إعدادها مع فوندك وهيرشفيلد، بيد أنني أريد أن أعرف أولا ردك على قضية القدس والتحكيم الدولي. أضف إلى ذلك، أن من الأهمية بمكان أن

تظل حواراتنا سرية أيضاً، في المراحـــل القادمـــة. أي تســريب ســيجعل هــذه القنــاة مستحيلة، على الصعيد السياســـي".

انفجر أبو عــلاء بــالضحك، وقــال:" لا يجـب أن تخشــوا منــا علــى هــذا الصعيد، وقلقنا ينصب على صحافتكم، فـــهي تعــرف أشــياء، حتــى قبـل أن تحــدث". واقترح أبو علاء إرجاء الحــوار حتــى يتمكــن مــن الاتصـــال بقيادتــه فــي تونــس، ويعلمها بفحوى الحوار الذي دار بيننـــــا.

كانت الساعة قـــد شــارفت علــى الرابعـــة تقريبـــا عندمـــا نـــهضنا جميعـــا، وتصافحنـــا، ونزلنـــا إلـــى الطـــابق الأرضـــي، وهنـــاك وجدنـــا لاريســـون وزوجتـــه بانتظارنا فتساءل بقلـــق:

ما الذي حدث؟ فقال أبو علاء: "لم يعد هناك مـــا يمكـــن الحديـــث عنـــه وســـنعود إلـــى تونس". وقلت أنا:" لقد انتهى كل شـــــيء.

بدا لاريسون شديد القلق ولم يعـــرف فيمـــا إذا كنـــا نمـــزح أم نحـــن جـــادون، لكننا جميعا انفجرنا بالضحك، وهدأنا روعـــه. لقـــد كـــان مـــا حـــدث أمـــام لاريســـون، نموذجا لما سيحدث مرات عديدة بعد ذلك، كلمـــا آلـــت الأمـــور إلـــى عـــائق يصعـــب تجاوزه، وتوقفت المفاوضات توقفـــا حرجـــا.

أخذني لاريسون وزوجته إلى منزلهما لأحل ضيفـــا عليـــهما. وكنـــت ارغـــب في إعلام بيرس بفحوى ما دار، فهو الرجل الـــذي أتـــاح فرصـــة الانتقـــال إلـــى هـــذه المرحلة الرسمية من الحوار مـــع منظمـــة التحريـــر، كجـــزء مـــن خطـــة فضفاضـــة وواسعة للسلام والازدهار الاقتصادي فـــي الشـــرق الأوســـط والتـــي كـــانت تســـتحوذ على كل تفكيره. بيد أن ضرورة الســـرية حـــالت دون اتصـــالي بإســـرائيل. وخرجـــت إلى شرفة غرفتي، ووجدت أفكاري تنتقل إلـــى أبـــي. (ليئـــو ســـبير) وهـــو صـــهيوني متحمس، ومثقـــف فطـــن وكـــان دبلوماســـيا منـــذ الـــولادة، وأحـــد مؤسســـي الخدمـــة الإسرائيلية في الخارج. وقد اعتبر الاحتلال الإســـرائيلي، منـــذ اللحظـــات الأولـــى، فـــي الضفة الغربية وقطاع غزة، كارثة ستؤدي إلـــى تدمـــير الجـــانب الأخلاقـــي والإنســـاني في دولة إسرائيل، وهو الجانب الذي اعتبره شديد الحيويـــة لبقـــاء اليهوديـــة.

وفي نهاية السبعينات، دعي والدي لإجراء حوار بين إسرائيل ومنظمة التحرير، ولم يكن متوهما أبدا في تحديد ماهية المنظمة، بيد أنه اعتبرها الممثل الحقيقي لاكبر واخطر أعداء إسرائيل واعتبر التحاور مع"العدو" عندما يصبح هذا العدو على استعداد لذلك- بمثابة اختبار لنضج إسرائيل وأن عدم التفكير في التحاور مع المنظمة، يرجع إلى المخاوف الكامنة في صدورنا، وأن هذه المخاوف، هي التي قادت مناحم بيغن لتشبيه عرفات بهتلر.

وكان أبي يعتقد أن إسرائيل قوية بما فيه الكفاية كي يجعلها قادرة على التحاور مع اعدائها. وكان يقول: إذا كنا نخشى عمل ذلك، فسوف نكون قد أخطأنا في حق الصهيونية، بوصفها"جهدا تاريخيا للترفع" فوق عقدة الغيتو. لقد اعتبر أبي النزوع اليهودي لاكتشاف اللاسامية، في كل مكان وبقعة، بمثابة مرض واعتقد أيضا، أن اليهود في أمس الحاجة إلى دولة قوية، ليس فقط لضمان البقاء، بل أيضا كي تسهم في تغيير التوجهات الشائعة تجاه اليهود، ومن ضمنها شعور الشعب اليهودي تجاه نفسه. وكان يؤمن إيمانا قاطعا بضرورة تطبيع علاقاتنا مع العالم. وكان يجد من الصعب عليه، أن يستوعب أن أمة صغيرة كأمتنا، تحظى بتأييد دولي لم تحظ به سوى قلة قليلة من الأمم الأخرى، وفي نفس الوقت، هناك عدد كبير جدا من الإسرائيليين لا زالوا يعتبرون أنفسهم ضحايا أبديين. وكان أبي يقول: إن الحوار مع العدو، والتأثير على توجهاته، لن يسهما فقط في إزالة الكراهية تجاهنا، بل سيسهمان أيضا، في أن نداوي نحن، جراح أنفسنا.

وفي عام ١٩٨٥- أي قبل وفاته بعام واحد كتب مقالة في جريدة" جيروزواليم بوست"، ضمنها هذه الأفكار، ولا زلت أحمل هذه المقالة معي دائما، لقد كان أبي أقرب الأشخاص الي.

وشعرت بحزن عميق، وأنا أقف على الشرفة في أوسلو، لأنني لم استطع أن أقول له أنني فعلت لتوي الامر الذي حلم به زمنا طويلا وأنني تحدثت

مع العدو-بوصفي ممثلا عن دولة إسرائيل- بغية العثور على أساس مشترك للتحاور. ولا شك أنه كان سيشعر بالفخر لو أنه علم بذلك.

لقد شعرت فيما يتعلق باللقاء مع أبو علاء وزميليه، أنني قمت بزيارة للمجهول، فخلال اللقاء- الذي بدا وكأنه لا يختلف عن أي لقاءات دبلوماسية أولية- تجسدت اعمق مخاوفنا وكذلك أكبر آمالنا. لقد وقفنا في نهاية المطاف على عتبة الخروج من نزاع دام مائة سنة، حول نفس البقعة من الأرض. رفض خلاله كل طرف، حق الطرف الآخر في الوجود كاملة، وتحمل كل منهما وزر وعبء العذابات الإنسانية والقتل. وأبرز لقاؤنا أيضا، حقيقة أن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني يحتل مركز الخلافات القائمة بين إسرائيل والعالم العربي بأسره فالعربي لم يكن يجد أمامه حافزا أقوى من مشكلة الفلسطينيين لمقاومتنا، لذا، فإن المصالحة الفلسطينية الإسرائيلية ستكون بمثابة المفتاح الذي سيتيح الفرصة للمنطقة كلها كي تلج إلى عهد السلام وستقوم هذه المصالحة، مع مضي الوقت، بردع القوميين، والأصوليين، والمتطرفين مهما كان نوعهم، وتثنيهم عن ممارسة أي دور تخريبي. وسيمنح كل واحد منا للآخر الشرعية، مقابل حرية تحقيق الذات الوطنية، والتخلص من الحروب والعنف.

أثارت الفرصة الكبيرة السانحة تأثيرا كبيرا في نفسي، ورغم ذلك، أخافتنا العوائق والعقبات الجمة القائمة على الطريق، والحقيقة، هي أنني لم أكن أتخيل حجم تلك الصعوبات، ولم أتخيل المآسي التي قد تقع.

وفجأة، شعرت بيد لاريسون على كتفي تنتشلني من أفكاري، وقال:" أقترح أن تذهب إلى سريرك، ولا تنس أن لديك غدا لقاء مع أصدقائك الجدد". فقلت:" حسنا، على الأقل هم جيراني في المستقبل".

جلست وحدي، صبيحة اليوم التالي، بعد أن تناولت طعام الإفطار مع لاريسون وزوجته، كي أدون لنفسي العناوين اللازمة والتي سأطرحها خلال لقائي مع أبو علاء. وقلت لنفسي، أن مفتاح النجاح يتمثل في التغيير السريع على أرض الواقع، استنادا إلى نظرية"غزة أولا"، التي طرحها بيرس.

ولا شك أن مثل هذا التغيير سيضمن، على الأقل، عدم ضياع الفرصة السانحة لنا، بالجدل القضائي العقيم. وحددت عشر خطوات على طريق الهدف آنف الذكر، والتي يجب تنفيذها خلال المفاوضات، وضمنتها تصريحات حول الاعتراف المتبادل، ووضع حد للإرهاب الذي تمارسه منظمة التحرير، وتفعيل الحكم الذاتي في غزة، خلال ثلاثة أشهر. وقد تقت إلى طرح هذه الأفكار، للحوار مع بيرس، حال عودتي إلى إسرائيل، ولم أفكر أبدا في أنها ستثير مشكلة.

توجهت أنا(ومونه) لإحضار فوندك وهيرشفيلد في طريقنا إلى بيت الضيافة الرسمي. وفي الطريق، تحدثنا عن الانسجام الذي حدث أمس بيننا وبين الفلسطينيين. وقد أشار لاريسون إلى هذه القضية أيضا، عندما جاء مصطحبا أعضاء الوفد الفلسطيني، بل واقترح أن أخرج أنا وأبو علاء للتنزه قليلاً في الغابة المجاورة.

وعندما بدأنا أنا وأبو علاء التنزه قال لي: أنه خصص باقي الليلة الماضية للاتصال بتونس، وأعرب للقيادة عن ارتياحه من اللقاء معنا، واشار إلى أنه يعتقد أن نوايانا جدية. وعلى أرضية ذلك، وافق عرفات وأبو مازن على إخراج القدس من إطار حوارات الحكم الذاتي-رغم تأكيده على أن هذه القضية ستطرح مجددا، إبان مفاوضات التسوية الدائمة.

وشعرت بالدهشة من الرد السريع والواضح الذي نقله إلي أبو علاء، ووجدتني أميل للاقتناع بأن الزعامة الفلسطينية، تسعى للسير قدما.

أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولي، فقد اقترح أبو علاء أن نلجأ إلى التحكيم الدولي في حالة موافقة الطرفين على ذلك. وقال: أن هناك ما يمكن الحديث حوله بشأن إقامة الحكم الذاتي في غزة أولا، وأشار إلى أن عرفات لا زال يواصل الضغط من أجل إضافة أريحا كصورة رمزية. وقال: هناك أهمية كبيرة لان تحظى القيادة الفلسطينية بموطئ قدم في الضفة الغربية، وذلك خشية أن تتحول غزة أولا، إلى غزة أولا وأخيرا.

ثم بدأنا نتحدث عن أنفسنا، فرويت لأبـــو عـــلاء الكثـــير عـــن نفســـي وعـــن عائلتي، وسنوات عملي مع بيرس، في حين روى لـــي هـــو عـــن ترحالـــه المتواصـــل بدءا من القدس وانتهاءً بتونس. ثم تحدث عن زوجتـــه وعـــن أبنائـــه الخمســـة -اثنـــان في تونس، واثنان في أوروبا، والخامس في الولايـــات المتحـــدة- تحـــدث عـــن الســـنين التي قضاها بمعية عرفات، وبدا شديد التقدير لزعيمه وأســـاليب عملـــه "الملتويـــة".

وعندما عدنا إلى غرفة الاجتماعات، أعلن أبـــو عـــلاء الـــردود انفـــة الذكـــر، التي أعلمني بها، أمام جميع الموجودين، ثم اقـــترح أن ننتقـــل لمناقشـــة مســـودة إعـــلان المبادئ التي تمكن هو وزملاؤه من إعدادها بالتعاون مـــع فونـــداك وهيرشـــفيلد.

ألقينا معا نظرة خاطفة على المســـودة، ثـــم أشـــرت إلـــى أنـــها لـــم تتطـــرق بإسهاب وجدية، إلى قضايا مهمة، مثل الأمن، ومكانـــة الاســـتيطان الـــذي لـــن نوافـــق على حله. واعربت عن تأييدي لتطلعات التعـــاون الاقتصـــادي. والحقيقـــة، هـــي أننـــي فوجئت بالاهتمام الكبير الذي أولاه الفلسطينيون للعلاقـــات الاقتصاديـــة مـــع إســـرائيل. فهم لم يتطلعوا إلى هذه العلاقة على أنها ســـتفضي إلـــى تحســـين وضعـــهم الاقتصـــادي فقط، بل تطلعوا إليها كجسر لتطويـــر المنطقـــة.

أصغى الفلسطينيون الثلاثة إلى الملاحظات التـــي أدليـــت بـــها، واقـــترحوا أن نعكف على إعداد ملحق أمني. فقد أدركوا أن هذا اللقـــاء هـــو بمثابـــة اختبـــار بالنســـبة للإسرائيليين وتاقوا إلى اجتياز هذا الاختبار. وقد أكـــد أبـــو عـــلاء ذلـــك قـــائلا:" نحـــن معنيون بالتعاون معكم في جميع منـــاحي الحيـــاة ومـــن البديـــهي القـــول: أننـــا نســـعى للحصول على جميع حقوقنا الوطنية وجميـــع أشـــكال الحريـــة التـــي نســـتحقها، ونحـــن ندرك أن أفضل الطرق لنيلها هي طريق التعاون معكم، ربما أكـــثر مـــن التعـــاون مـــع أي جار اخر من جيراننـــا".

لقد كنا، نحن أيضا، نسعى إلى هـــذا التعـــاون، وعندمـــا أشـــرت بمصطلحـــات عامة إلى ضرورة انعكاس كل ذلك علـــى أرض الواقـــع، جـــاء رد أبـــو عـــلاء مؤيـــدا جدا لما أقول، وأضاف:" الوضع في المنـــاطق المحتلـــة خطـــير للغايـــة، ومـــن الجـــائز أن يفضي في كل لحظة إلى حـــدوث الانفجـــار.

لذا، فإننا ملزمون بمنح الأمل لشـــعبنا".

-أنا:" بالتأكيد، بيد أن هذا الأمـــل يجـب أن يكـون بعيـدا عـن ممارسـة أي أعمـال عنف ضدنـا".

-أبو علاء:" هناك علاقة جدلية بين هـاتين المسـألتين، ونحـن قـادرون علـى وضـع حد للعنف، شريطة أن نتمكن من ضمان مستقبل مختلف عمـا هـو عليـه الان".

ومن الجدير بالذكر، أن العلاقة بين الأمل والعنف، بـدا فيمـا بعـد كمحاولـة أساسية للمسيرة السلمية برمتـــها.

واستطرد أبو علاء قائلا:" يجب أن تسـفر الانتفاضـة عـن ثمـار سياسـية، لأنكم لن تستطيعوا إخضاعنا بالقوة، أضف إلى ذلك أنه لا حاجـة لذلـك أبـدا".

-أنا:" قلت ساخرا: أنا متأثر لأنك توقفت عن قـراءة الصحـف، هنـاك فـي إسـرائيل اليوم حكومة، لا ترغـب فـي مواصلـة السـيطرة علـى شـعبك". فحقـوق الإنسـان والاحتلال لا يسيران جنبا إلى جنب، ونحـن نـدرك ذلـك جيـدا، لكـن إذا لـم يطـرأ تغييرا على توجهاتكم السياسية، بشكل خـاص، بشـأن الوضعيـن السياسـي والأمنـي، فإننا لن نستطيع إحراز تغيير عميق علـى أرض الواقـع".

وأعتقد أن أبو عـلاء أدرك، فـي هـذه اللحظـة، أنـه يقـف علـى أعتـاب مفاوضات صلبة ومرهقة، لذا، أطاح بجسـده إلـى الأمـام، ورشـقني بنظـرة ثاقبـة، وقال:" يجب أن تعرف سيد سـبير، وأن تعلـم المسـئولين الإسـرائيليين، أننـا قدمنـا خلال المحادثات مع فوندك وهيرشفيلد تنازلات كبيرة، تنـازلات تاريخيـة مـن وجهـة نظرنا. نظرا لأننا نسعى، حقا، إلى بدايـة جديـدة، بيـد أن عرفـات سـيجد صعوبـة بالغة في تقديم تنازلات أكثر من ذلـك".

-أنا:" اعتقد أننا اتفقنا على الا تبـدأ المسـاومات.

ضحك أبو علاء لردي، وبدا أنه يشـعر بالمتعـة لخـوض المفاوضـات التـي تنتظرنا. وهنا تدخل هيرشفيلد، واشار إلى قضية تم التطـرق إليـها خـلال المحادثـات التي أجراها مع الفلسطينيين، وهـي: ضـرورة السـير قدمـا وبصـورة عمليـة علـى صعيد المصالحة بين الشعبين، في صورة بناء"خطـة دعايـة سـلمية".

حذرت أبو علاء قائلا:" أنت تعرف أن الكثير من الإسرائيليين يعتبرونكم، مجرد عصابة من الإرهابيين".

-أبو علاء:" وغالبية الفلسطينيين تعتقد أنكم أمة تمارس الاضطهاد ومتوحشة، تسعى لسلبنا أراضينا".

اتفقنا على إشراك شعبينا في مسيرة المصالحة، بيد أننا لم نلتزم، فيما بعد، بفحوى هذا الاتفاق.

وعندما توقفنا عن المحادثات وتوجهنا إلى قاعة الطعام، انضم إلينا(يان اجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، ووعد بأن يحرص على توفير جميع سبل الراحة والسرية للمحادثات ثم اتفقنا على تنصيب لاريسون في منصب ضابط الاتصال بين إسرائيل وتونس، واتفقنا على كلمة سرية للاتصالات فيما بيننا، فسمينا عرفات" بالجد"، واسمينا أبو مازن"روح القدس"، وأبو علاء"رقم واحد"، وهكذا دواليك. أما على الصعيد الإسرائيلي فأطلقنا على اسحق رابين لقب" الجد،"و على بيرس لقب"الأب"، وبيلين لقب"الابن"، وأنا "رقم واحد".

وفي ساعة متأخرة أخذتني (مونه) لمقابلة وزير الخارجية النرويجي(يوهان يورجان هولست)، الذي استقبلني استقبالا حارا، وكاد يخرج عن طوره، وهو يحاول إقناعي بأن منظمة التحرير تتعامل مع الامر بمنتهى الجدية. وأنه اقتنع بذلك تماما، في أعقاب لقائه بعرفات.

ثم أعلمني بالاتصالات التي أجراها مع الأميركيين بشأن المسار السري في أوسلو، وقال لي: أن رجاله اعلموا دان كرتسر-نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط-بالأمر، وأن كرتسر اعلم وزير الخارجية كريستوفر. ووعد هولست بأن يزود الأميركيين بتقارير وافية عن سير الحوار، كلما رغبت في ذلك. وطلب أن تجري اتصالاتنا مع الأميركيين، بهذا الصدد، بالتنسيق معه، كي لا تتضرر المصالح النرويجية مع الأميركيين، ووعدته أنا بدوري، بذلك وقال محذرا:" الأميركيون لا يعرفون بزيارتك هنا". فقلت:" أنا اعرف ذلك" ووعدت بإعلام بيرس بذلك.

وحسب معلوماتي، فـإن الأمـيركيين لـم يطلبـوا مـن هولسـت أي تقـارير حول مسار أوسلو، كما أن رابين قدم إليـهم تقريـرا متحفظـا جـدا حـول احتمـالات نجاحه. فقد كانوا عاكفين، آنذاك، على معالجة المسـار السـوري، وتركـوا لنـا حريـة التصرف على المسار الفلسـطيني.

وفي ساعات ما بعد الظهر عدت إلـى بـاريس لتنـاول طعـام العشـاء مـع الملحق الإسرائيلي ألدن، ثم طرت صبيحة اليـوم التـالي إلـى رومـا، حيـث التقيـت زوجتي، في طريق عودتها إلى إسرائيل، ورويت لها كـل مـا حـدث. بيـد أنـه كـان يتوجب عليّ الانتظار، حينما وصلنا إلى إسـرائيل، ثلاثـة أيـام، حتـى يعـود بـيرس من الجولة التي كان يقوم بها في الشرق الأقصى، ولأروي لـه مـا حـدث.

حاولت خلال فترة انتظار عـودة بـيرس أن أتخيـل ردود فعـل الإسـرائيليين على إعلان المفاوضـات مـع منظمـة التحريـر، وتخيلـت أن غالبيـة الإسـرائيليين سترحب بذلك، وتعرب عن اعتقادها بضرورة التفـاوض مـع منظمـة التحريـر، لأننـا سنحقق ربحا من ذلك، حيث لن يضطر أبناؤنـا الذيـن يـؤدون الخدمـة فـي الجيـش، للعمل كرجال شرطة ضد الأولاد الذين يرشـقونهم بالحجـارة فـي غـزة لقـد دفعـت الانتفاضة بالكثير من الإسرائيليين للاسـتيقاظ، ولـم يعـد الاحتـلال مسـألة روتينيـة يمكننا التغاضي عنها، وتجاهلـها، وأخـذ الكثـير مـن الإسـرائيليين يبـدون مظـاهر الضجر والإرهاق من هذا النزاع المتواصل، ويتطلعون إلـى السـلام والراحـة.

وعندما تلفت حولي على الخارطة السياسـية فـي إسـرائيل، وتسـاءلت مـن هي الجهات التي ستعارض هذا الحوار؟؟ بـدا واضحـا لـي، أن أول المعـارضين هـم المتدينـون ذوو الصلـة الأيديولوجيـة بـاليمين الإسـرائيلي وبالمسـتوطنات، والذيـن سيعتبرون أي صفقة نعقدها مع عرفات، بمثابة مأساة وطنيـة، وتـهديد لوجودنـا.

وفجأة، شعرت بالرعب مـن أن تبـدو المسـيرة السـلمية التـي أؤمـن بـها إيمانا عميقا- للآخريـن- وعلـى وجـه الخصـوص أولئـك الداعيـن لضـم الضفـة الغربية إلى إسرائيل لأسباب تاريخيـة، ورغـم كونـها مأهولـة بـأكثر مـن مليـون فلسطيني- بمثابة خنوع، بل وربمـا انتحـار.

وإذا كنت أنا، قد اعتبرت أن المصالحة مع "الأعداء" ستحقق فكرة دولة اليهود، وأهدافها، فإن الكثيرين، سيشعرون، بأن سقوط الأسوار ستجعلنا أكثر تعرضا للإصابة بالأضرار من قبل أعدائنا في الداخل والخارج، نظرا لأن وحدة المجتمع الإسرائيلي، رهن بالمقاومة لعدو مشترك. ترى هل بالإمكان تجسير الهوة بين هذين العالمين الموجودين في إسرائيل؟؟ اعتقد أن الرد سلبي.

لقد اكتشفنا، فيما بعد، أن السلام مع منظمة التحرير، أسهم في تعميق شقة الخلاف بين أولئك الذين آمنوا بإمكانية وأهمية قيام علاقات جديدة بين إسرائيل القوية والقادرة على مواجهة المستقبل والجيران، وأولئك الذين يعتقدون أن العداء الخارجي حقيقة، ستبقى قائمة، وأن مصلحة إسرائيل، تكمن ليس في الوقوف موقف الحذر فقط، بل أيضا في الشكوكية الدائمة والمتطرفة تجاه جيراننا. لكنني قدرت أن غالبية الإسرائيليين، يرغبون في السلام وسوف يؤيدوننا. أما السؤال الذي كان يقلقني فهو إلى أي حد ستصل ردود فعل المعارضين؟.

ووجدت لدي انطباعا من معالم السلام التي بدا أنها أخذت تبرز في أوسلو، يشير إلى أن نزاعا داخليا إسرائيليا سيقوم لا محالة، وذلك على أرضية السؤال الذي كان دائما وأبدا بمثابة الحد الفاصل بين اليمين واليسار، والقائل: هل يجب على إسرائيل الحديثة أن تتعاون مع جاراتها من خلال إمكانية المصالحة والتسوية–مثلما أمل ديفيد بن غوريون ؟؟ أم أنه يجب عليها مواصلة العيش خلف" الجدار الفولاذي" الذي دعا إليه زئيف جابوتنسكي؟؟

وأدركت أن نجاح محادثات أوسلو سيؤدي إلى انهيار: الجدار الفولاذي"، وبالتالي فإن المسيرة السلمية، لن تكون فقط، نضالا حاسما تجاه الفلسطينيين، بل أيضا تجاه أنفسنا.

وعلى أية حال، فإن الفلسطينيين سيجتازون وصفا مماثلا، ففي الوقت الذي سيبدو فيه السلام بالنسبة للبعض كخشبة النجار، فإنه سيبدو في أعين البعض الآخر كخنوع. ومن المنطقي، أن يحاول الرافضون ممارسة الإرهاب ضدنا في

محاولة لتحدي عرفات ووضع حد لاستسلامه لإسرائيل. أي أن السلام سيثير في أوساط الفلسطينيين صراعا حول الهوية، تماما مثلما سيفعل بالإسرائيليين وسيضطر الطرفان للشروع بشن حرب داخلية شديدة من أجل إنجاح السلام. ورغم كل ذلك آمنت إيمانا مطلقا، بأنه آن الأوان كي نبدأ المسيرة.

عدت إلى مكتبي لإعداد وثيقتين، الأولى تحت عنوان" اتجاهات عمل مقترحة لمواصلة المفاوضات"، والأخرى تحت عنوان" إجمال شخصي" يقوم على أساس العناوين التي سجلتها لنفسي بينما كنت في ضيافة لاريسون.

وسجلت في هذه الأوراق، انطباعاتي حول قدرة منظمة التحرير في اتخاذ القرارات، وحول استعداد زعامتها للمصالحة. وقلت:" لقد أتيحت لنا فرصة كي نسير خارج أطر كامب ديفيد ومؤتمر مدريد، وأن نصل إلى اتفاق تدريجي، يبدأ بغزة، مع وقف الأعمال العدائية والإرهابية التي تشنها منظمة التحرير، وخلق تعاون اقتصادي، حتى قبل التوقيع على اتفاقية حكم ذاتي كاملة.

وتأسيسا على ذلك، اقترحت التحرك على مسارين متوازيين:" المسار الأول في واشنطن، من أجل الحفاظ على الصورة الخارجية، والمسار الثاني: في أوسلو، على أن نحرص، نحن والنرويجيين، بإطلاع الولايات المتحدة على مجريات الأمور، والتطورات، واقترحت أيضا، أن يتم إدراج التسويات الأمنية في وثيقة إعلان المبادئ وأن تتم الإشارة صراحة، إلى أن المستوطنات ستبقى في مكانها. بيد أنه يجب علينا أيضا أن نتخذ قرارا، حول ما سنعرضه على الفلسطينيين، بشأن التغيير الفوري على أرض الواقع، وما الذي يتوجب علينا أن نطالب به مقابل ذلك. واقترحت أيضا، إشراك مستشار قضائي في المفاوضات.

تفحص بيرس الوثيقتين، ووافق على إشراك مستشار قضائي- يوآل زينجر-الذي أوصى به شلومو جور مدير مكتب بيلين. والذي كان آنذاك، يعمل في واشنطن، في الشركة القضائية ذائعة الصيت" سيدلي آند اوستين"، والذي شارك في جميع المفاوضات الإسرائيلية المهمة التي جرت منذ كامب ديفيد.

اقترح بيرس تطبيق الحكم الذاتي أولا على غــــزة، فــي نفــس الوقــت الــذي يتم فيه نقل قيادة منظمة التحرير إلى هناك. في حين أعربــت أنــا وبيليــن وآفــي عــن شكنا فيما إذا كان عرفات سيجد أن من الصــواب تحمــل مســئولية غـزة علــى كـثرة مشاكلها. وتساءلنا عن كيفية استيعاب الجمــاهير الإســرائيلية للجــار الجديـد؟؟ بيـد أن بيرس كان مصرا على رأيــه.

لقد أمل بــيرس، سـنوات طويلــة، فــي أن يكــون الملــك الحســين شــريكاً لإسرائيل، في حــل المشــكلة الفلســطينية، بــل وتوصــل عــام ١٩٨٧-إبــان شـغله لمنصب وزير الخارجية في حكومة الوحدة الوطنيــة- إلــى تفــاهم مــع الحســين فــي لندن، ذلك التفاهم الذي عرفته العامة باسم (اتفاقية لندن)، علــى عقـد مؤتمــر دولــي- على غرار المؤتمر الذي تم عقده فيما بعد في مدريــد- وعلــى أن يلعــب الأردن فيــه دورا رائدا في حل المشــكلة الفلســطينية، بيــد أن رئيــس الحكومــة، آنــذاك، اســحق شامير، تمكن من إحباط هذا الاتفاق، وقــام الحســين فيمــا بعــد، وفــي ذروة انــدلاع الانتفاضة، بفك الارتباط مــع الفلســطينيين.

لقد رأى بيرس، في محادثات أوسلو، نقطة تحول تاريخيــة. لقـد رغـب فــي إحداث تغيير في الوضــع الراهــن، ليــس كصــورة تكتيكيــة سياســية، بــل كخطــوة استراتيجية، لخلق مصالح مشتركة مع شــريك جديــد.

كان بيرس قادرا علــى رســم مســتقبل أفضــل بمصطلحــات حاســمة جــدا، مبديا بذلك كفاءة وقدرة نادرتين، وسط أمة تعيــش أســيرة رؤيــة قاتلــة مــن العــداء الأبدي.

كانت منظمة التحرير، بوضعــها الضعيــف آنـذاك، قابلــة لإحــداث عمليــة التغيير الجذرية، وبدا الزمن ناضجا تماما، لتقبل الحســم التــاريخي، ولــم يبــق ســوى شيء واحد، وهو إقناع شخص واحد ووحيد، وهو رئيــس حكومــة إســرائيل.

قطع اسحق رابين وشمعون بــيرس زمنــا طويــلا مــن العمــل، فــي ظــل منافسة شديدة جدا ومتواصلة وفقدان ثقة أحدهما بالآخر، لقــد كانــا نقيضيــن كــاملين. فقد كان رابين محللا حــذرا للواقــع، وشــديد التعلــق بالتفــاصيل ويحــرص عليــها

حرصاً بالغاً، في حين كان بيرس صاحب ذهنيــة موسـوعية عالميــة. يـرى عبرهـا التاريخ بمصطلحات في صــورة مسـيرات، وينجـذب انجذابـاً شـديداً جـداً، باتجـاه المستقبل. وقد غذت هذه التناقضات في شخصيتهما مـن العـداء والخصومـة بينـهما. وفجأة برزت أوسلو، التي تعتبر بمثابة الفصل النـهائي فـي علاقتيـهما.

تم الاتفاق بيـن بـيرس ورابيـن، عندمـا شـكل رابيـن الحكومـة، صيـف ١٩٩٢، على أن يهتم بيرس بالمفاوضات متعددة الأطـراف، فـي حيـن اختـار رابيـن أن يدير بنفسه، المفاوضات الثنائية، التي تعتبر أكـثر أهميـة. وقـد توصـل الاثنـان، حتى ذلك الحين، إلى تفاهم أساسـي آخـر.

ولا زلت أتذكر ما قاله بيرس إثر الزيارة التي قـام بـها لرابيـن فـي منزلـه، بعد انتهاء الانتخابات في محاولة لوضع علاقاتـهما علـى مسـار عمـل جديـد، حيـث قال:" قلت لرابين، لقد أصبحنا، نحن الاثنين، في السـبعين ونيـف، وطيلـة حياتنـا كنـا مختلفين في وجهات نظرنا؛ دعنـا نضـع خلافاتنـا جانبـا، ونعمـل معـا بالأسـلوب الوحيد الذي يمكنه أن يجلـب السـلام إلـى هـذه البـلاد، إننـا قـادران علـى اتخـاذ القرارات المطلوبة لصنع السلام. إننـا قـادران علـى تجنيـب أولادنـا العـبء الـذي نرزح تحتـه، ونمنحـهم فرصـة محـورة جـهودهم، حـول الأوضـاع الاقتصاديـة. والثقافة، والقضايا الاجتماعيـة".

وافق رابين على الطرح الذي وضعـه بـيرس، واتفـق الاثنـان علـى إبـرام نوع من الاتفاق السري. وأنا اعتقد أنه لولا إقدام بـيرس علـى هـذه الخطـوة، لحيـل دون خوض دولة إسرائيل معركة من هذا القبيـل، والتـي تتسـم بشـروخ وانقسـامات عميقة في أوساط الجمـاهير الإسـرائيلية حولـها، مثـل معركـة الاعـتراف بمنظمـة التحرير والتصالح معـها.

أصبح رابين في صورة ما يحدث في أوسـلو منـذ اللقـاء الأول هنـاك. ففـي التاسع من شباط، أعلمني بيرس أنه عقد اجتماعـا مـعهما مـع رابيـن، أطلعـه خلالـه على فحوى ما دار فـي أوسـلو، وشـجعه علـى خـوض المفاوضـات مـع منظمـة التحرير. وقد بدا رابين، في البدايـة، متشـككا، لكـن حينمـا لاحـظ التغيـيرات التـي

طرأت على منظمة التحرير، بدأ يقتنع، بصورة تدريجية. ورغم ذلك، كان رابين يجد سحرا أكثر جاذبية في المسار السوري بالتنسيق مع الولايات المتحدة، فقد ألهب خياله الطابع الاستراتيجي الكامن في هذا المسار، في حين بدأ بيرس يؤمن بضرورة التمسك بالمسار الفلسطيني بغية التوصل إلى تسوية تاريخية مع منظمة التحرير، واعتبر هذا الطريق بمثابة الطريق الوحيد لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام.

ومنذ اللحظة التي اقترح فيها انتقال ياسر عرفات من تونس إلى غزة، اصبح الاعتراف المتبادل بين الجارين، مسألة مطلوبة، باعتبار أن هذا الاعتراف، هو الجسر الذي سيعبر عليه السلام الشامل في المنطقة.

وفي الوقت الذي عكف فيه رابين على اختبار مدى جدية نوايا الفلسطينيين، عمد بيرس إلى إثارة خيالهم، والإيحاء لهم عبر تحديد المصالح المتبادلة الأوسع.

كان رابين مصرا على إحراز تقدم، بيد أنه كان لا يزال أسيرا لوضع العداء القائم مع الفلسطينيين، هذا في حين كان بيرس يعيش وضع ما بعد العداء. كانت الشراكة بين بيرس ورابين، شراكة إرغام، بيد أن الاثنين كانا يشكلان معا قوة هائلة.

وإثر اتخاذهما قرار الشروع بالمفاوضات السرية الرسمية مع منظمة التحرير، اشترك الاثنان في اتخاذ جميع القرارات ذات العلاقة بالمفاوضات، وجميع التساؤلات التي طرحت أثناءها.

ورغم ذلك، كادت قاطرة المفاوضات في أوسلو تنحرف عن قضبانها، قبل انطلاقها.

ففي أعقاب عودتي من أوسلو، سلم بيرس إلى رابين الوثائق التي أعددتها، وقد وافق رابين فورا على استدعاء يوآل زينجر -الذي كان يكن له تقديرا كبيرا جدا- من واشنطن إلى إسرائيل للتشاور. بيد أن رابين عاد وتفحص الوثائق، وبعث رسالة غاضبة إلى بيرس، بشأن مقابلاتي في أوسلو، وبشأن النقاط

العشر التي أعددتها. فقد شك في أن أكون قد طرحت النقاط المذكورة أمام منظمة التحرير.

بدا بيرس مذهولا من التحفظ الذي أبداه رابين، وأكد في رسالة خطية:" أنني لم أناقش النقاط المذكورة مع ممثلي المنظمة في أوسلو". بيد أن بيرس شعر، بعد ذلك، بالارتياح، نظرا لان رابين احتج على عملي دون ايلائي الصلاحيات اللازمة، وليس على طبيعة النقاط. وهكذا، ورغم أن محادثات أوسلو، ظلت حتى ذلك الحين سرا من الأسرار، الا أنها أصبحت جزءا من السياسة الرسمية.

وصل يوآل زينجر من واشنطن وتوجه للعمل فورا، وخلال اجتماعنا المشترك في مكتب بيلين، وجه عدة أسئلة حول الصيغة المقترحة لإعلان المبادئ. وبدا زينجر حادا جدا، وتناول إحدى الوثائق الموضوعة على الطاولة، ولوح بها بغضب، وقال: ما هذه؟؟ هذه ليست مسودة اتفاق، أنها لا تعدو كونها كومة من اللغو.

ذهلت من عدوانيته، واقترحت عليه أن يعد هو بنفسه مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه رفض ذلك رفضا مطلقا، وطلب أن تعرض على الفلسطينيين اولا سلسلة من الأسئلة بغية استيضاح مواقفهم. وهكذا تم إعداد قائمة تضم حوالي مائة سؤال. وقد احتلت هذه الأسئلة جل الوقت، خلال اللقاء التالي الذي أجريناه مع ممثلي المنظمة.

وافق رابين وبيرس على عودتي إلى أوسلو ومعي زينجر، بيد أنهما طلبا منا الانتظار حتى الإعلان عن استئناف المفاوضات في واشنطن.

وقد استؤنفت المفاوضات في السادس عشر من حزيران، حيث أظهر الوفد الفلسطيني خلالها أسلوبا أفضل من الأسلوب الذي انتهجه سابقا.

ورغم ذلك، تشدد الوفد بالمطالبة بإدراج القدس في اتفاقيات الحكم الذاتي. وهكذا كان عرفات يلوح لنا، بأن التقدم إلى الأمام لن يكون الا من خلال التفاوض مع منظمة التحرير ومع أبو علاء في أوسلو.

وقبل عودتي إلى أوسلو، تذكرت ما قاله لي أبو عـــلاء، عندمـــا تنزهنـــا معـــا في الغابة وحدنا:" لقد سمعنا عنك الكثير سبير، ونحن نعـــرف أنـــك وصديقيـــك يوســـي بيلين وحاييم رمون تتحدثون باسم جيل جديد، ونحن نعلـــق عليكـــم آمـــالا كبـــيرة. لقـــد خيب أخوتنا العرب آمالنا، ونحن –أبو مازن وأنـــا– توصلنـــا إلـــى اســـتنتاج مفـــاده، أن من الجائز أن يكون (أبناء عمومتنا) الإســـرائيليين هـــم أفضـــل الشـــركاء للتقـــدم إلـــى الأمام. وأريدك أن تعرف بأننا منخرطـــون فيمـــا ســـيصبح–حســـب إحساســـي–شـــراكة حقيقيـــة".

لقد تمنيت هذه اللحظة، منذ زمن طويـــــل، ووجدتنـــي أرغـــب فـــي أن أقـــول له ذلك:" أصدقائي وأبناء عائلتي يعتقدون منذ زمن طويل، أنـــــه يجـــب علينـــا التحـــاور معكم. وقد أقنعت الانتفاضة، العديد من الإســـرائيليين، بـــأن مـــن المســـتحيل أن نتمكـــن من السيطرة عليكم إلى الأبد. إسرائيل هـــي روايـــة نجـــاح كبـــيرة، بيـــد أن الاحتـــلال يسهم في تدمير نفوس أبنائنا، ونحن نرغب في التخلص منـــــه بصـــورة لا تـــترك لدينـــا أي شكوك بشأن أمننا، وأنا آمـــل أن نتمكـــن مـــن زيـــارة إســـرائيل بســـرعة، لرؤيـــة أصدقائي والتأكد مما أقوله لـــــك".

وبعد لحظة قصيرة قال أبو علاء:" بيتـــي فـــي أبـــو ديـــس، وأمـــي توفيـــت، وأبي مريض، واراضينا صودرت لاقامة مســـتوطنة عليـــها".

قلت له: هل تريد أن تزور والدك؟؟ هل تريـــد أن أنقـــل لـــه رســـالة منـــك؟؟ فقال لي بلهجة فخورة:" لا، سازوره حينما أتمكن من العـــودة إلـــى بيتـــي" بيـــد أن أبـــو علاء لم يحظ برؤية والده، الذي توفي بعد ذلـــك بســـنة، بســـكتة قلبيـــة، بعـــد أن رفـــع دعوى إلى المحكمة كي تعيد لـــه أرضـــه.

قلت له: أنا أستطيع أن أتفهمك، فقد توفـــي أبـــي أيضـــا، ولا شـــك أنـــه كـــان سيسعد بلقائك وأنا أرغب في أن اقدم لك نسخة مـــن مقالـــة كتبـــها عـــام ١٩٨٥ حـــول ضرورة إجراء حوار من النوع الـــذي تجريـــه الان.

وحينها، ولأول مرة نـــاداني أبـــو عـــلاء باســـمي الشـــخصي، وقـــال لـــي:" أتدري أوري، لدي إحساس بأننا سننجح". فقلت له:" وهـــذا أيضـــا إحساســـي".

الفصل الثاني

خارطة طرق أوسلو

السرية رافقت المفاوضات حتى التوقيع

زينجر: إذا لم نتوصل إلى إتفاق مع هؤلاء سنكون حميراً

لم تسر الأمور في أوسلو بعد ذلك بسهولة، فقد اتسمت في غضون الأشهر الثلاثة التالية بالشدة والإرهاق، وعندما كانت المفاوضات تصل إلى طريق مسدود، كان هذا الطرف أو ذاك، يوقف المفاوضات نهائياً، وكانت تراودنا منذ البداية، مخاوف بأن يتم اكتشافنا. وفي الثاني عشر من حزيران، وعندما سافرت، أنا ويوآل زينجر لأول مرة معاً، وقع لنا حادث محرج في مطار كوبنهاجن، فقد وجدت أمامي فجأة الضابط الإداري في السفارة الإسرائيلية، في الدنمارك(يوسي الفسي) والذي أتى لاستقبال فريق كرة القدم الإسرائيلي، وقد سر باللقاء والحديث معي. وقد بادرني بالسؤال "إلى أين تسافر"؟ فقلت بهدوء" إلى أوسلو"، قال "لماذا"؟ فأجبته:" أريد أن أزور شقيقتي هناك". والحقيقة هي أن شقيقتي تسكن في فيلادلفيا.

كان الوضع شديد الحساسية، وكل تسريب لوسائل الإعلام، يمكن أن يخرب المحادثات والتي جرت دون معرفة حكومة إسرائيل، باستثناء رئيس الحكومة رابين، ووزير الخارجية بيرس، ونائبه يوسي بيلين.

وفي نفس الليلة، كانت بانتظارنا مفاجأة أخرى، فحال وصولنا إلى أوسلو قدم لنا(يان أجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، تقريراً لوكالة الأنباء الفرنسية، حول محادثات سرية تجري بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين من منظمة التحرير في النرويج، وبدا النرويجيون شديدي التأثر. وشاء حسن طالعنا، أن يعقد اجتماعاً مغلقاً في أوسلو، فقام النرويجيون بتحويل أنظار وسائل الإعلام

إلى هذا الاجتماع. الذي خصص لإجراء أبحـــاث، حـــول جـــذور الـــنزاع الإســـرائيلي العربي، وليس لحلـــها.

جعلتنا هذه الحادثة، نبذل جهداً أكبر، علـــى صعيـــد بنـــاء (روايـــات تغطيـــة) لسفراتنا السبع إلى أوسلو، وقد أشـــارت ســـفراتي المتكـــررة الشـــكوك لـــدى موظفـــي وزارة الخارجية، ولم تفد رواية الاتفاقيـــات الاقتصاديـــة شـــيئاً، لـــذا، روجنـــا شـــائعة تفيد بأنني أجري اتصالات مع مبادرين مـــن الخليـــج، وهـــذا الأمـــر يتطلـــب الحفـــاظ على أقصى درجات الســـرية.

وخلال سفرياتنا المتواصلـــة والطويلـــة، تمكنـــت أنـــا وزينجـــر مـــن رســـم استراتيجية المفاوضات التي سننتهجها. وعندما كنـــا نصـــل إلـــى أوســـلو، كنـــا نحـــن والفلسطينيين، نتمازح حول الأساليب التي اتخذها كل منـــا لتضليـــل مـــن قـــد يحـــاول اقتفاء أثره. وكنا خارج غرفة المفاوضـــات، خـــلال تنـــاول وجبـــات الطعـــام، وأثنـــاء الجولات التي نقوم بها، وســـاعات الاســـتراحة، نـــثرثر بصـــورة جعلـــت لاريســـون يطلق علينا اسم"منتدى أوســـلو".

كانت لقاءاتنا تجري بصـــورة عامـــة علـــى بعـــد عـــدة ســـاعات ســـفر مـــن أوسلو، في أماكن مريحة، وفي ظل أجواء ريفيـــة رائعـــة. وكـــانت وجبـــات الطعـــام تغص بكل ما لذ وطاب، والغابـــات الجميلـــة كـــانت تغوينـــا للقيـــام بنزهـــات ثنائيـــة وإجراء محادثات غير رســـمية. وقـــد خصـــص الـــنرويجيون مبلـــغ خمســـة ملاييـــن دولار لتغطية نفقاتنا. ومثلما هو الأمر في مثل هـــذه اللقـــاءات الســـرية، فقـــد طورنـــا فيما بيننا قاموسا خاصا على أساس الطرف التي كنـــا نتبادلـــها والتـــي انخرطـــت فـــي ذاكرتنـــا

وذات مرة روى لنا أبو علاء رواية مضحكـــة، فقـــال: توفـــت زوجـــة رجـــل كبير في السن، بعد زواج دام خمسين عامـــا، وقـــد امتـــلأ المـــنزل بـــالمعزين، الذيـــن أخذوا يؤمون البيت في الأيام الأولى، ويتنـــاقصون تدريجيـــاً، حتـــى وجـــد نفســـه ذات يوم وحيداً، فأخذ يتجول في أنحاء البيت ويقول: أنـــــا وحـــدي، أنـــا وحـــدي، ورويـــداً رويداً أخذ يغني الكلمتين حتى أصبحت شـــبه أغنيـــة.

ولا زلت أتذكر منظر أبو علاء وهو يدور حـــول نفســه ممثــلا ذاك الرجــل، ويرقص، مما أثار في أوساطنا عاصفـــة مــن الضحــك. ومنــذ ذلــك الحيــن اعتدنــا استهلال اتصالاتنا الهاتفية بالقول:" أنت وحــــدك"؟ وعندمــا رويــت لبــيرس القصـــة، قال لي:" كتب شاعر هندي ذات مرة بيتــا مــن الشــعر يقــول:" أنــت وحــدك وأنــا وحدي، دعنا نكون وحدنا معـــا".

بيــد أن الخصوصيــات التــي كنــا نتبادلــها، والمــزاح لــم تتســرب إلـــى مفاوضاتنــا.

لقد بدت محادثاتنا المكثفة، والتي كانت تصـــل إلــى حوالــي خمســين ســاعة فأكثر كل جولـــة، لا يقطعـــها ســوى ســاعتين أو ثــلاث للنــوم، أو لتنــاول وجبــة نرويجية غنية- كلعبة شطرنج مارثونية، مليئة بالمكـــائد، والخــدع، ومنــاورات لفــت الأنظار، بعيداً عن المقـــاصد.

وكانت المواجهات أحيانا، وحشية، والأزمــات التــي كــانت تنشــب، تكــاد أن تدمر كل شيء. وكثيرا ما كان الثور يعبر عــن نفســه فــي ضحكــة رنانــة مدويــة، وأحيانا كان أحدنا يضغط الآخر، حتى يصل إلــى مرحلــة الغليــان.

كانت مشاعر العداء الماضية، والمشــاعر التــي نتمنــى أن تســود بيننــا فــي المستقبل تختلــط اختــلاط الحــابل بالنــابل فــي نفوســنا. وكــان الطرفــان يتحليــان ويتسمان بنفس عوامـــل الدفــاع: الشــكوكية، الســخرية، وحــب النكتــه، والشــعور العميق بالاضطهاد التــاريخي.

قلت ذات مرة لأبو علاء:" هــل تعــرف لمــاذا لا نحبكــم؟؟ لأنكــم تذكروننــا بأنفســنا".

-أبو علاء: بالضبط هذه هي المشكلة أيضا بالنســـبة لــي.

-أنا: ربما كان ذلك يرجع لأننا ننتمي إلى شــعبين عانيــا الكثــير.

-أبو علاء: وربما لأنكم ونحن، قد جئنا من نفس المكان. لم يكــن أبــو عــلاء لينســى للحظة، أو ليسمح لي أن أنسى أننا- نحن الاثنيــن- مــن القــدس.

لقد كانت طبيعة المفاوضات بيننا -نحن الطرفين- متشابهة إلى حد بعيد، ففي جولتي المحادثات اللتين أجريتا خلال الفترة الواقعة بين ١٤-١٥ من حزيران، و ٤-٦ من تموز، وجه كل طرف للطرف الآخر مجموعة من التساؤلات لاستيضاح موقفه.

وفي اليوم الذي وجه فيه، يوآل زينجر قائمة المائة سؤال لأبو علاء، أدرك أبو علاء أنه يقف أمام اختبار اسحق رابين، لأنه كان يعلم أن رابين يصغي لأقوال زينجر، وأنه طلب منه أن يقدر فرص وإمكانية التوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير. وقد جعل هذا الوضع أبو علاء يجيب عن الأسئلة بأناة وصبر ويضبط نفسه إلى أقصى حد، رغم الغضب الذي كان يجيش في صدره- كما خيل إلي- من أسلوب ولهجة زينجر، التي تميل إلى التحقيق. وقد جاءت الأسئلة والأجوبة على النحو التالي:

-زينجر: بأيدي من سيكون مصدر الصلاحيات في الضفة الغربية وغزة؟

-أبو علاء: ستنتقل بصورة تدريجية إلى أيدينا.

-زينجر: هل فكرتم في جهاز سلطة؟ جهاز، أو جهازين؟؟

-أبو علاء: نحن نطالب بصلاحيات تنفيذية وتشريعية.

-زينجر: وماذا بشأن إعادة الانتشار؟؟.

-أبو علاء: يجب أن يطبق على جميع المناطق المأهولة بالفلسطينيين في البداية، ويجب عليكم أن تخلوها قبل أن تجري انتخاباتنا.

-زينجر: وماذا بشأن مسائل الانسحاب الأخرى؟؟

-أبو علاء: يجب أن تنسحبوا إلى مناطق أمنية محددة.

س: وما الوصف الذي سيمنح لهذه المناطق؟؟ أنا أفترض أنك تدرك أن الجيش الإسرائيلي هو الذي سيحدد أماكن إعادة انتشاره في الضفة الغربية؟؟

-أبو علاء: وأنا أفترض أنكم لن تتخذوا قراراً ينص على أن الضفة الغربية هي منطقة أمنية.

وهكذا، تواصلت الأسئلة طيلة اليومين الأولين للقـــاء، وطيلــة ثلاثيــن ســاعة تقريبا، مما ساعد زينجر في بناء فكرة تحدد اتجــاه منظمـــة التحريـــر.

شعرت بالخشية من الانطباع الذي أثـــاره زينجــر فــي أوســاط الفلســطينيين. فقد كنت أفضل دائما أسلوب الإقناع كوســيلة مجديــة لإنجــاز الأهــداف. بيــد أنني سرعان ما أدركت أن لدى زينجر أسلوبه الخاص، وأنـــه يجيــد عمليــة خلــق الثقــة. وعلى أية حال فقد تأثر زينجر خلال هذا اللقاء من عمق وجدية محادثيه.

وفي أعقاب اللقاء طرنا إلى(فينا) لتقديم تقرير إلـــى بــيرس، الــذي قــدم إلـــى المدينة للمشاركة في مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنســـان. وفـــي الطريـــق قـــال لـــي زينجر أنه مقتنع بأن هناك فرصة للتوصل إلى اتفاق مع منظمــــة التحريـــر، بيــد أنــه أهاب بي كيلا نبدي حماسا خلال تقديم التقريـــر لبـــيرس.

كان زينجر، مثله مثل الكثـــيرين، يعتقــد أن "شــبيبة بــيرس متلــهفون أكــثر مما ينبغي لمعانقة العدو - هذا رغم أنه غير رأيـــه فيمـــا بعــد، واعتبرنــا مــن أشــد المفاوضين الإســـرائيليين.

عندما عاد بيرس إلـــى غرفتـــه، وجدنـــا بانتظـــاره، فقـــال بصـــوت مرتفـــع:" كيف سارت الأمور يا زينجـــر"؟؟

-زينجر: إذا لم نتوصل إلى اتفاق مع هؤلاء الأشـــخاص ســنكون حمــيرا.

-أنا: يا إلهي كيف تبدو عندما تكـــون متحمســـا.

*** *** ***

مكنت الإجابات التي قدمها أبـــو عـــلاء علـــى الأســئلة التـــي وجـــهت إليـــه، والمسودة التي أعدها الفلسطينيون بالتعاون مـــع هيرشـــفيلد وفونـــدك، مكنـــت زينجـــر من إعداد الصيغة القضائية لإعلان المبادئ. وفي الوقـــت الـــذي انشـــغل فيـــه بـــإعداد الإعلان، قمت أنا بإعداد تقديراتي للوضع، كي أقدمـــها لبـــيرس وبيليـــن. وقـــد قمـــت بإعداد هذه الوثيقة في مقصف الفندق الذي يـــنزل فيـــه بـــيرس، وعلـــى بعـــد طاولـــة واحدة من فاروق الشرع وزير الخارجية السوري، وقـــد تقـــابلت نظراتنـــا، فحيـــا كـــل

منا الآخر بهزة رأس دون أن تكون لديه فكرة عمـــن أكـــون، ولـــم يكـــن يعلـــم أنّنـــي أكتب مـــليلي:

" لا شك لدي في أن الفلسطينيين يسعون لاقامة دولـــة مســتقلة، ويخيــل إلـــي أنهم يفضلون إقامة إتحاد كونفدرالي مع الأردن، مـــع تطويـــر مصـــالح مشـــتركة مـــع إسرائيل. وهم معنيون بتوجه عرفات إلـــى المنـــاطق، وهـــدف عرفـــات يتمثـــل فـــي نزع سلاح حماس. وفي نفـــس الوقـــت، بأنـــهم يخشـــون مـــن إدارة الحكـــم الذاتـــي، ويدركون أنهم سيكونون مرتبطين بالتعاون مـــع إســـرائيل. وهـــم شـــديدو الحساســـية تجاه الرأي العام الفلسطيني، بيد أنهم لا يكنون الكثير مـــن التقديـــر للزعامـــة المحليـــة التي تدير المفاوضات في واشـــنطن". اعتـــدت خـــلال زمـــن المفاوضـــات أن أتقاســـم مع بيرس مشاعري وأحاسيسي تجـــاه الفلســـطينيين. وقـــد قلـــت لـــه ذات مـــرة: لقـــد أخطأنا جميعا بالإدعاء أننـــا خـــبراء فـــي الشـــئون العربيـــة بشـــكل عـــام، والشـــئون الفلسطينية بصورة خاصة. فكلما أكثرت مـــن الالتقـــاء بشـــركائنا الفلســـطينيين، كلمـــا اكتشفت أننا ربما نعرف الكثير جدا عنهم، بيد أننـــا نفهمـــهم قليـــلا.

لقد أخطأت إسرائيل بتجاهلها للشعب الفلســـطيني. فعندمـــا بدأنـــا المفاوضـــات مع عرفات كنا نعتقد اعتقادا جازما بأن الفلسطينيين ســـيقبلون كـــل مـــا نمليـــه عليـــهم دون أي اعتراض، وهو الأمر الذي حـــال دون رؤيتنـــا لضـــرورة العمـــل مـــن أجـــل إحلال السلام بين الشعبين. فعرفات هو حقا زعيم ورمز، بيـــد أن الســـلام معـــه ليـــس بالضرورة سلاما مع الفلسطينيين. وقد عبر أبـــو عـــلاء عـــن هـــذه الحقيقـــة بـــالقول مرات عديـــدة:" إذا أنجزتـــم ســـلاما مـــع عرفـــات أو معـــي، واعتـــبرت الجمـــاهير الفلسطينية هذا السلام غير منطقي، فإن هذا الســـلام لـــن يصمـــد أبـــدا، يجـــب عليكـــم أن تتذكروا أن الفلسطينيين كلهم جيرانكم". بيد أنني لم أعـــرف انـــذاك، فيمـــا إذا كـــان أبو علاء يقول ذلك من أجل إحراز مكســـب تكتيكـــي أم أنـــه كـــان يقصـــد حقـــا مـــا يقول. ولربما أن أبو علاء قال ما قال، كمحاولـــة لتقليدنـــا، ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن الفلسطينيين تعاملوا دائما مـــع طرحنـــا لمســـألة الخلافـــات العميقـــة المستشـــرية فـــي أوساط المجتمع الإسرائيلي، حول السلام، وكأنها طـــرح تكتيكـــي يقصـــد بـــه إحـــراز

مكاسب سياسية، بيد أنهم اضطروا لتغيير تفكيرهم في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، في أعقاب اغتيال رئيس الحكومة اسحق رابين.

تضمنت مسودة يوآل زينجر - الخاصة بإعلان المبادئ - قسمين: الإتفاقية نفسها، ومذكرة حول قضايا متفق عليها، والتي كانت بمثابة تفسير مشترك وملزم لبعض البنود الأكثر تعقيداً.

وقد أضاف زينجر إلى ذلك توصيات شخصية تتعلق بإبرام اتفاق مفصل حول الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير. فقد كان مثلي تماماً قلقاً من حقيقة أننا نمنح منظمة التحرير شرعية حين نتفاوض معها، دون أن نطالبها بتغيير النظرية التي قامت عليها، والتي تنص على نفي حق إسرائيل في الوجود، والذي اعتبرناه بمثابة لب النزاع الإسرائيلي-العربي. وبناءً على ذلك قدم يوال زينجر إلى رابين مسودة إعلان المبادئ مصحوبة بتوصيات شخصية بضرورة التوصل إلى اتفاق حول الاعتراف المتبادل بين الطرفين. وقد رد رابين على ذلك بحذر بالغ، حيث صادق على مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه ترك لنا حرية جس النبض و التحري بشأن اتفاقية الاعتراف المتبادل.

وفي حواراتنا معه، أصر رابين على مسألة واحدة وأكد على ضرورة توضيحها للفلسطينيين بصورة لا تقبل الجدل، وهي: التأكيد على أن إسرائيل ستكون صاحبة الحق الوحيدة في ضمان أمن مواطنيها والدفاع عنهم، ضد أي تهديد خارجي. وقال: إذا رفض الفلسطينيون هذا المطلب، يمكنهم أن ينسوا الاتفاق برمته.

سافر زينجر إلى أوسلو في السابع والعشرين من حزيران وحده- من أجل عرض مسودة اقتراح إعلان المبادئ- على الفلسطينيين، وكنا ندرك أن الفلسطينيين سيجدون من الصعب هضم هذه المسودة. ولهذا السبب، حرص زينجر على إيضاح وجهة نظرنا بأناة وصبر. وكما حرص زينجر،على إفهام الفلسطينيين، بأن اسحق رابين كان مسرورا من تقريره، وأنه بدأ ينخرط في

المفاوضات.وألمح إليهم بشأن الاعتراف المتبادل، بيد أنهم فضلوا عدم التطرق إليه.

وفي رحلتنا اللاحقة إلى النرويج، في الرابع من تموز، عرضنا على الفلسطينيين المسودة الرسمية المكتوبة لإعلان المبادئ، والتي تطرقت إلى مسار تدريجي، ينص على إقامة حكم ذاتي في غزة وأريحا، ثم إبرام اتفاقية تسوية مرحلية تنتهي بتطبيق الحكم الذاتي في الضفة الغربية وفي الختام إجراء مفاوضات حول التسوية الدائمة للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

وقد تم تسليم الفلسطينيين الوثيقة والتي تم إعدادها على ورق عادي، لا يحمل أي إشارة رسمية لإسرائيل-كي يدرسوها. وحال عودة الفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات بدا ردهم متشددا جدا. وانفجر حسن عصفور قائلا: لقد ألقينا أشهر العمل الطويلة السابقة في صندوق القمامة، وها نحن نبدأ كل شيء من الصفر"

خشي الفلسطينيون من أن الحكم الذاتي الذي عرضناه عليهم، ليس سوى عرض صوري. لا يمنحهم أي صلاحيات حقيقية، وذلك على عكس الوثيقة التي تم التوصل إليها، مع فوندك وهيرشفيلد.

والحقيقة هي أن الامر كان أقل من ذلك بكثير، فقد قبل الفلسطينيون خلال محادثاتنا التفصيلية مبدأ(التدريج) والذي يبدأ من الحكم الذاتي في غزة وأريحا، وقد وافقنا على إدراج أريحا في المرحلة الأولى من الحكم الذاتي. وأوضحنا للفلسطينيين، ما كانوا يعرفونه أصلا، بأن المفاوضات الحقيقية الملزمة، ستبدأ الان، بيد أن الاحتجاجات تواصلت، حتى قرر أبو علاء وقف الجدل، غير المجدي، والتعقيب على النص نفسه.

Draft of July 3, 1993

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the Palestinians, represented by the Palestinian team in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference (the "Palestinian delegation), agree to the following principles:

Article I

PREAMBLE

1. Israel and the Palestinians agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict and achieve historic reconciliation and peaceful coexistence.
2. In order to accomplish these objectives, in line with the invitation to the Madrid Peace Conference the aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace process is to establish interim self-government arrangements for the Palestinians in the West Bank and the Gaza Strip for a transitional period of five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.
3. The agreed framework for the interim self-government ~~arrangements~~ is set forth in this Declaration of Principles ~~below~~.

הטיוטה המשפטית הראשונה שהוגשה לנציגי אש״פ באוסלו ב־4 ביולי 1993
(הכוללה הערות שנכתבו כהכשא״וכהן).

المسودة القانونية الاولى التي قدمت لممثلي المنظمة بتاريخ
١٩٩٣ ٧-٧-٤

قال أبو علاء:" أرى أنكم تتشددون بشكل خـــاص فـــي مجـــال الأمـــن، وهـــذا مقبول لدى الرئيس عرفـــات".

ولا شك أن التطرق إلى الصلاحيات في المسودة، كـــان بمثابـــة إلماحـــة إلـــى الاستعداد للعمل معاً. وقد بدا في الأيام الثلاثة التاليـــة، وحتـــى السـادس مـــن تمـــوز، أننا فعلاً بدأنا نتقـــدم إلـــى الأمـــام. وقـــد وافقنـــا علـــى تضميـــن المســودة تحفظـــات الفلسطينيين بين قوسين، ثم كـــان علينـــا أن نـــرد علـــى تســـاؤلات عرفـــات وإشـــباع فضوله. وقد أطلعنا أبـــو عـــلاء علـــى عـــدة أوراق مغطـــاة بملاحظـــات وتســـاؤلات عرفات بخط يده بالقلم الأحمـــر. اســـتهل أبـــو عـــلاء تســـاؤلاته قـــائلا:" مـــن الـــذي سيسيطر على المعابر الحدوديـــة؟"

-يوآل زينجر: نحـــن.

-أبو علاء: كم ستكون مساحة منطقـــة أريحـــا؟؟

-زينجر: نحن نعتبر هذه المنطقة رمزيـــة فقـــط.

-أبو علاء: هل ستوافق إسرائيل على إجراء دوريات مشـــتركة علـــى طـــول الحـــدود بين قطاع غزة ومصـــر؟؟

-زينجر:لا، كل ما يرتبط بأمن إسرائيل الخارجي سيبقى بيـــن أيـــدي إســـرائيل.

س: كم عدد رجال الشرطة الذين سيكون بمقدورنا إحضـــارهم مـــن الخـــارج؟؟

-زينجر: يجب أن نتوصل إلى اتفاق حول ذلك، وفقـــا للتقديـــرات الأمنيـــة.

-أبو علاء: أنا أتفهم ذلـــك، لكـــن يجـــب أن تتذكـــر أن هدفنـــا هـــو التعـــاون وليـــس الفصل، كما أننا ملزمون بالدفاع عـــن اقتصادنـــا.

-أنا: دون أمن لن يكون هناك أي تطويـــر اقتصـــادي".

-أبو علاء: ودون تطوير اقتصادي لن يكون هناك أي صورة مـــن صـــور الأمـــن.

كان من الواضح أننـــا لا زلنـــا فـــي البدايـــة، وفـــي مرحلـــة الاســـتيضاحات، رغم أننا تميزنا بكون الوثيقـــة الموضوعـــة علـــى طاولـــة المفاوضـــات هـــي وثيقـــة إسرائيلية، مع اعتراضات فلســـطينية.

وخـلال الجولـة التاليـة، وخـلال يومـي١١-١٢ مـن تمـوز، جـاء دور الفلسطينيين المجتمعين معنا في فندق (هالفسبوله) القريـب مـن أوسـلو، كـي يقدمـوا موقفهم الأولي للانطلاق. وقد استهل أبو عـلاء هـذا الموقـف بقـراءة رسـالة مـن عرفات، كان يوجهها إلى القيادة الإسرائيلية عبرنا، وقد جـاء فيـها: "لقـد بلغـت هـذه المحادثات المتفردة الجاريـة بيننـا، مرحلـة جديـة الآن، لقـد لاحـت لنـا فرصـة تاريخية في تاريخ النزاع العربي الإسـرائيلي، وعلـى أكتافنـا، يلقـى عـبء العمـل من أجل عدم إضاعتها هبـاء".

هذا، وقد كرس عرفات جل الرسـالة لطـرح المطـالب الفلسـطينية الجديـدة، حيث طالب بالانسحاب الفوري والكبير من غزة وأريحـا. وقـال:" يجـب أن تـأخذوا بعين الاعتبار الرأي العام الفلسطيني، لذا، هناك أهمية كبـيرة جـدا لتواجـد الزعامـة الفلسطينية في تونس- أي عرفات نفسه- في المنطقة التـي ستنسـحبون منـها بـهدف مواجهة احتمالات قيـام المجموعـات المتطرفـة المهتمـة بتخريـب اتفاقيـة السـلام الجديدة، من خلال نشاطات بـهذا الصـدد.

ويجب إجراء انتخابات في القـدس، وإيجـاد السـبل الكفيلـة بمنـح "تعبـير" للمؤسسات الفلسطينية في القـدس".

وأكد عرفات فـي رسـالته أيضـا، أهميـة الضمانـات الدوليـة، والوسـاطة الخارجية، وبذلك يكون عرفات قد تنكر للوعود، التي حصلنا عليـها منـه، فـي أيـار بهذا الصدد. مما جعلني أعبر عن احتجـاجي الشـديد.

وفي أعقاب توقف أبو علاء عن القراءة، قلـت:"نحـن نقـدر رسـالة الرئيـس الفلسطيني، بيد أنكم تتراجعون عن المواقف الأساسية التـي طرحتموهـا. ونحـن لـن نقبل التفاوض بهذا الأسلوب. وبمقدوركم إعلام الرئيس عرفـات بذلـك فـورا".

وسرعان ما بدا لي" أن الاحتجاج الشديد الـذي طرحتـه كـان مجديـا، ففـي نفس الليلة، بعث عرفات رسالة جديدة بالـهاتف عـبر أبـو عـلاء، أكـد فيـها نيتـه التوصل إلى اتفاق، وقال: أن الرسالة السـابقة التـي بعـث بـها كتابـة، عـبر أبـو

علاء، ترمي فقط، للإعراب عن نواياه الحسنة وطرح عدد مـــن القضايـــا التـــي تثـــير قلقه.

وهكذا، ففي الثاني عشر من تموز أصبــح لــدى كــل طــرف صــوره عامــة عن مطالب الطــرف الآخــر، كمــا تــم توضيــح المعــايير الأساســية للمفاوضـــات. وقامت إسرائيل ومنظمة التحرير. بمناقشة خارطة طـــرق مســتقبلية للضفــة الغربيــة وقطاع غزة، واللتين تتراوح مســاحتهما حــول_٦٢٠٠)كيلــو مــتر مربــع-(الضفــة ٥٦٠٠) وغزة(٣٦٠)كيلو مترا مربعـــاً.

واتفق الطرفان على أن افضل الصيغ لاعادة بلـــورة العلاقـــات فيمـــا بينـــهما، تتمثل في التقدم على مراحل-بيد أن كل طـــرف رغــب فــي ضمـــان مزايـــا لنفســـه، من خلال التفكير في التسوية الدائمة. ووفقا لذلـــك كـــان الإصـــرار الإســـرائيلي علـــى الاحتفاظ بصلاحيات معينة، نظراً لإدراكنا أنها ستؤثر علـــى مصالحنـــا علـــى المـــدى البعيد- مثل السيطرة على المـــوارد المائيـــة-.

كان همنا الوحيد، وأكثر الأمور الحيوية بالنســبة لنـــا، هـــو الأمـــن. وتمثلـــت مشكلتنا في رغبتنا في التخلص من عبء الاحتلال، وفي نفـــس الوقـــت القـــدرة علـــى مواصلة الدفاع عـــن المواطنيـــن الإســـرائيليين، وتوفـــير الأمـــن لـــهم، بمـــن فيـــهم عشرات آلاف المستوطنين في الضفـــة والقطـــاع.

ولهذا السبب، أصر اسحق رابين على أن تكـــون إســـرائيل مســـئولة بالكـــامل عن أمن الإسرائيليين، وعن الأمن الخارجي لمناطق الحكـــم الذاتـــي المســـتقبلية.

طالبت منظمة التحرير أن نعـــترف بـــالحقوق الوطنيـــة للشـــعب الفلســـطيني، ونتعهد بتطبيق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمـــن الدولـــي فـــي أعقـــاب حـــرب ١٩٦٧، والذي يدعو إســـرائيل إلـــى الخـــروج مـــن (منـــاطق احتلـــت) خـــلال تلـــك الحرب، مقابل إحلال سلام دائم. كما طـــالبت منظمـــة التحريـــر بـــأن يكـــون للحكـــم الذاتي ذراعان: تنفيذي وتشريعي، وأن تتحكم سلطة الحكـــم الذاتـــي بمعظـــم الســـيطرة داخل مناطقها، وناضل المفاوضون نضالاً عنيفاً، مـــن أجـــل إحـــراز مكانـــة للســـلطة الفلسطينية في القدس- مثل منح مواطنـــي القـــدس الشـــرقية حـــق الترشـــيح لمجلـــس

الحكم الذاتي' ورغبوا في خلق مسار لاعادة نازحي عام ١٩٦٧ خلال التسوية المرحلية. وتطلعوا للحصول على نصيب في السيطرة على جسر الملك حسين الواقع على نهر الأردن. وذلك على افتراض أن يصبح نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة فلسطينية مستقبلية.

وأرادت منظمة التحرير أيضا، أن تحتفظ ببقاء خيار التحكيم الدولي كضمانة لتطبيق الاتفاقية.

كانت غالبية هذه النقاط غير مقبولة لدى إسرائيل. وكانت هناك ضرورة لتطوير استراتيجية مشتركة تقوم على رغبة الطرفين في الاعتراف المتبادل بالأمن والازدهار الاقتصادي وتسوية القضايا محل الخلاف بما يتلاءم مع المصلحة الأساسية للتعاون بينهما. كان هذا التفكير هو الاختبار الحقيقي للمفاوضات بيننا، فلو أن الاستراتيجية المشتركة والمأمولة، تمكنت من السيطرة على الطرفين، فلا شك أن المفاوضات ستندفع قدما بسرعة فائقة، أما إذا لم يحدث ذلك، فسوف ندور مطولا حول أنفسنا في حلقة مفرغة.

حددت محادثات أوسلو أيضا، التوجه التكتيكي الأساسي من الطرفين للمفاوضات، بدءا من مرحلة جس النبض التي أردنا من خلالها استيضاح ماهية المصالح المشتركة للطرفين.

ورغم أن هذه المرحلة من المحادثات، لم تكن مرحلة مفاوضات كلاسيكية، الا أنها كانت مرحلة حرجة للغاية، نظرا لأننا حددنا خلالها الأهداف الأساسية التي تطلعنا إلى إنجازها. فالاتفاق هو بمثابة (بوصلة) تشير إلى اتجاه محدد وواقع جديد، فإذا كان الاتجاه الذي يشير إليه الاتفاق، غير قابل للتطبيق، من وجهة نظر أحد الطرفين، فإن ذلك يعني، أن هذا الاتفاق لا قيمة تذكر له.

لقد كان بيرس هو صاحب فكرة انتقال عرفات إلى غزة، وقد ناقش ذلك خلال محادثاته مع الرئيس المصري حسني مبارك، في تشرين الثاني١٩٩٢، وكذلك ناقشها فوندك وهيرشفيلد مع أبو علاء إبان مناقشة قضية التعاون بين الطرفين ومغزى ذلك.

لقد قامت المباحثات الخاصة بإعلان المبادئ على عدة افتراضات رئيسية تتمثل فيمايلي:

إن إسرائيل ومنظمة التحرير تدخلان عهداً جديداً من تعاون المصالح، وأن التعبير عن هذا التعاون سيتمثل في قيام حكم فلسطيني ذاتي في غزة وأريحا، مع مسئولية إسرائيل عن أمنها، والذي سيجد تعبيره في عملية سلام إقليمية. وإن تقدم المسيرة سيأتي تدريجيا حتى تصل إلى التسوية الدائمة، التي ستقوم على مصالحة تاريخية.

وفي المرحلة الثانية، يختار كل طرف- بصورة عامة- أن يبدي مرونة كدلالة على حسن النوايا، ولدفع الطرف الآخر للكشف عن بعض مواقفه الحقيقية. وهذا ما حدث في الجولتين الأوليين في أعقاب انضمام زينجر إلى المحادثات.

أما في المرحلة الثالثة، فتبدأ الصداقة والعلاقة الودود في الاهتزاز، عندما يقوم أحد الأطراف- إسرائيل في أوسلو- بطرح موقف البدء، الذي يعتزم الانطلاق منه صراحة، ويحاول إقناع الطرف الآخر، بأن هذا الطرح هو أفضل ما يمكن أن يقدمه، بل وأنه الطرح الوحيد الذي لا يوجد غيره، وفي هذه الحالة، يكشف الطرف الآخر عن مواقفه، وتبدأ عملية المساومة الحقيقية.

وتميل المساومة في البداية إلى أن تكون مضنية وبطيئة وذلك نظراً لعدم استعداد الطرفين للكشف عن خطوط المرونة المستعدين للتنازل إليها، أو حتى الاعتراف بوجود مثل هذه الخطوط. ويسفر هذا الوضع عن ولادة أزمات، يقوم كل طرف بتوجيه إصبع الاتهام خلالها، إلى الطرف الآخر، ويتهمه باللامنطقية ويؤكد أن آخر الاقتراحات التي قدمها، هو آخر الحلول، وأن البديل ليس سوى انهيار الحوار. وفي غالبية الاحيان، ما تنتهي الأزمات بالاعتماد على الثقة التي تم تطويرها بين الطرفين، والتي تتيح لهما إمكانية الكشف عن (الخطوط الحمراء) الحقيقية التي يضعانها لأنفسهما. وحينها فقط، تبدأ عملية المساومة،

ويعود الطرفان لتبني مصلحتــــهما المشــتركة، واللجــوء إلـــى طــرح أفكـــار خلاقـــة ومبدعة، بغية التوصل إلى اتفاق لم يتوقعه أي منـــهما منــذ البدايـــة.



١- أوري سبير وأبو علاء خلال المحادثات في ايلات حول التسوية المرحلية – آب ١٩٩٥.

(حالات المد والجزر في المفاوضات)

عرفات حرص على العودة إلى الذاتي لمعالجة المعارضة

عملية يوم الحساب لم تؤثر على مسار المفاوضات

يبدو تقدم المفاوضات في ظــل الواقــع، ليــس مخططــا، نظــرا لأن القــائمين عليه يصطدمون بالعديد من المشــاكل، إضافــة إلــى التغــيرات فــي الواقــع، والتــي تؤثر على سير المفاوضـــات.

وديناميكية المفاوضـــات تتـــأثر أيضـــا بوســـائل الإعـــلام والنشـــاطات التـــي تبديها، وباستخدام الأطراف الثلاثـــة، ومـــن التنـــازلات الوهميـــة والحلـــول الكاذبـــة، ومن مختلف المناورات والألاعيب الأخرى، لـــذا، فـــإن المفاوضـــات المعقـــدة تتطلـــب من كل طـــرف، التحديـــد الواضـــح والدقيـــق للأهـــداف والمصـــالح بعيـــدة المـــدى. وإدراك واضح لما هو حيوي، وما هو غير مجد، وقـــدرة علـــى التفريـــق بيـــن الغـــث والســـمين.

ومثل هذه المفاوضات، تحتاج أيضا إلى قـــدرة وأنـــاة للتفكـــير فـــي المشـــاكل على صورة:"كتلة"، وإجراء أعمال جذرية بصـــورة منهجيـــة.

وخلال محادثات أوسلو، قام المتفاوضون أنفســـهم بـــإدارة الأعمـــال الجذريـــة بالتعاون مع يوسي بيلين. وآفـــي جيـــل وشـــلومو جـــور، وبتوجيـــهات مـــن بـــيرس ورابين. ومن الجدير بالذكر، أنه عندما كان رابين وبـــيرس يلتقيـــان كنـــا نقـــول: لقـــد التقى رئيس الحكومة بوزراء الدفاع والخارجية والماليـــة ورئيـــس الأركـــان والســـفير في واشنطن ونائب وزير الدفاع، وجميـــع المنـــاصب الأخـــرى التـــي شـــغلها الاثنـــان طيلة حياتهما السياســـية.

واتضـــح لنـــا أيضـــا أن الســـرية هـــي شـــرط ضـــروري لنجـــاح المعركـــة السياسية، وطيلة السنوات الثلاث مـــن المفاوضـــات، والتـــي تمخضـــت عـــن ثـــلاث اتفاقيات، لم يتسرب أي شيء جوهري. أضـــف إلـــى ذلـــك، أن الســـرية هـــي مفتـــاح

العمل المشـــــترك بين الأطـــراف، إضافـــة إلـــى جدواهـــا الكبـــيرة، فـــي بنـــاء الثقة بين المفـــاوضين.

لقد بقيت القاعدة السرية، التي تم العمـــل بـــها فـــي أوســـلو، علـــى مـــا هـــي عليه، منذ ربيع عام ١٩٩٣، وحتـــى التوقيـــع علـــى اتفاقيـــة التســـوية المرحليـــة فـــي أيلول ١٩٩٥.وعملنا بها أيضـــا تجـــاه الأمـــيركيين وتجـــاه المصرييـــن. وكـــان ذلـــك نتاجا للايمان، بأن على أولئـــك الذيـــن حكـــم عليـــهم بالتعـــايش المشـــترك ســـوية، أن يقرروا بأنفسهم، كيفية عمل ذلك، وتحمل مســـئولية قرارهـــم.

وفي غضـــون الفـــترة اللاحقـــة، لعبـــت الإدارة المركزيـــة دورا رئيســـا فـــي المسيرة. بما يتلاءم مع العلاقة الجديدة التـــي أنشـــأناها مـــع منظمـــة التحريـــر، كمـــا سارعت إلى تقديم شبكات الحماية، كلما بـــرزت مشـــكلة عويصـــة فـــي حاجـــة إلـــى حل، وبتقديم المساعدات الاقتصادية للفلسطينيين. هـــذا فـــي الوقـــت الـــذي لـــم تـــول الولايات المتحدة مفاوضات أوسلو، طيلـــة الأشـــهر الســـبعة الأولـــى مـــن بدئـــها أي اهتمام.

ويرجع السبب في ذلك، إلى أن الفطنـــة والحنكـــة الأميركيـــة كانتـــا تشـــيران إلى أن فرص التوصل إلى سلام مع سورية أكـــبر، وأكـــثر أهميـــة.

ورغم ذلك، بذل طاقم السلام الأمـــيركي بقيـــادة روس، جـــهودا كبـــيرة لدفـــع المفاوضات في واشنطن مع الفلسطينيين إلـــى الأمـــام. وفـــي الثـــامن والعشـــرين مـــن الشهر نشر هذا الطاقم صيغتـــه لإعـــلان مبـــادئ مقلـــص، بيـــد أن الاقـــتراح الـــذي عرضه كان أقل مما اعتقدنا أن بمقدورنا إنجازه فـــي أوســـلو، أضـــف إلـــى ذلـــك أن قسما لا يستهان به من بنود الاقتراح- وعلـــى وجـــه الخصـــوص تلـــك البنـــود التـــي تطرقت إلى العلاقة بين التسوية المرحلية والدائمـــة- متعبـــة ومثـــيرة للمشـــاكل، مـــن وجهة نظرنـــا.

وحرصنا علـــى إطـــلاع المصرييـــن أيضـــا، بيـــن الفينـــة والأخـــرى، علـــى مجريات الأحداث، وعلى رأسهم الرئيـــس المصـــري ومســـاعدوه وقـــد عقـــد أســـامة الباز، مساعد الرئيس مبارك اجتماعه مـــع رئيـــس الحكومـــة رابيـــن، فـــي حزيـــران

إضافة إلى أن عرفات، كان يستعين بخبرة المصريين، بصورة دائمة ويتشاور معهم. والحقيقة هي أن المصريين كانوا للفلسطينيين بمثابة الأخ الأكبر.

وفي أعقاب لقاء الباز برابين، سارع إلى إعلام الفلسطينيين، بأن رابين ملتزم بمسار أوسلو.

ولم يكتف النرويجيون بمكانة الرعاية بل عملوا على دفع المسيرة نفسها إلى الأمام. ففي الثاني عشر من تموز، توجه وزير الخارجية هولست وزوجته مريانة، وتاري لاريسون وزوجته مونه إلى تونس، فيما أسموه بالدمج بين زيارة عمل واجازة خاصة. وكان هدفهم الرئيسي يتمثل في الاجتماع بعرفات. وفي أعقاب المحادثة المطولة التي أجروها معه، توجه لاريسون وزوجته للقاء شمعون بيرس، حاملين معهما رسالة من هولست حول ما أسفرت عنه محادثاته مع عرفات.

وفي البداية، عمد عرفات إلى إخراج مسرحية كبيرة بحضور مساعديه، فوجه شجباً إلى الولايات المتحدة، على محاباتها لإسرائيل. بيد أن النرويجيين وجدوا في عرفات، في اللقاء الثاني الذي أجراه معهم، بحضور -أبو علاء فقط- شخصاً مختلفاً، وواقعياً، وقد تحدث بارتياح عن التقدم الذي تم إحرازه في أوسلو، وأثنى على ضيوفه، والجهود التي بذلوها من أجل ذلك.

وأطلعهم على خارطة تفصيلية لمنطقة الحكم الذاتي في غزة، والمنطقة الواسعة التي حصل عليها في أريحا، والطريق الواصل بين المنطقتين. وسجل على خريطة- تم نقلها إلينا فيما بعد- نظريته حول أريحا. وفي محاولة لتبرير مطلبه الخاص بمنحه منطقة واسعة في أريحا، أكد عرفات على عدم وجود مستوطنات، حول أريحا، أو أي أماكن مقدسة لليهود. وأكد أيضا، أنه كلما كانت المناطق الخاضعة له أوسع، كلما تمكن من كبح جماح أولئك الذين سيسعون لإثارة الشغب.

وعزا عرفات أهمية كبيرة لحقيقة أن عليه، هو بالذات، أن يتوجه إلى مناطق الحكم الذاتي، كي يتمكن- مثلما قال- لمعالجة حركة حماس.

وقال: أنه إبان تواجده في بيروت كان قادرا على إحداث شروخ في أوساط المعارضة التي قامت ضده، وأنه سيعود إلى ذلك مجددا، في الضفة الغربية. إن فكرة فرق تسد هي إحدى طباع عرفات.

أعرب لاريسون وزوجته مونه، عن اعتقادهما بأن عرفات يرغب حقا في إنجاز السلام. وقد تحدثا عنه بمزيج من الاحترام والسخرية، الامر الذي ساعدنا في فهم هذا الرجل، زعيم منظمة التحرير الذي اتخذ جميع القرارات الصعبة وحده.

وخلال مأدبة العشاء التي أقامها بيرس، على شرف لاريسون وزوجته في فندق(لاروم) في القدس، أعرب عن ثقته بأن إحراز السلام مع الفلسطينيين، سيبشر بولادة عهد جديد للشرق الأوسط كله. وطلب من الضيفين أن يوضحا لعرفات بصورة لا تقبل الجدل، أن هناك ثلاث قضايا ليست واردة بالحسبان، إطلاقا:

- توسيع مناطق الحكم الذاتي بأي صورة من الصور باتجاه القدس.
- توسيع مساحة المنطقة الممنوحة له في أريحا.
- منح معبر مستقل-خارج السيطرة الإسرائيلية للفلسطينيين بين غزة والضفة الغربية، وقال:"إذا أصر عرفات على معارضة أي نقطة من هذه النقاط، فلن يتم إبرام أي اتفاقيات".

لقد اتضح لنا بصورة فجائية أن بيرس يتحدث بصراحة تامة رغم حقيقة أن النادل الذي قدم لنا الوجبة، هو فلسطيني الجنسية- وقد لاحظ يوسي بيلين نظراتي، وهي تتحرك باتجاه النادل، بيد أن بيرس تجاهل ذلك. ولحسن الحظ، فإن النادل لم ينتبه لما نقول.

ومع عودة لاريسون، حمله بيرس رسالة إلى هولست، ضمنها الخطوط الحمراء آنفة الذكر وفي العشرين من تموز أطلع هولست عرفات على فحوى الرسالة. فعاد عرفات، ليؤكد على المسائل المهمة بالنسبة له، والمتمثلة في الأهمية التي يدليها للمعبر بين غزة وأريحا، وبين أريحا والأردن، وأبدى حماسا

بالغا، وهو يتحدث عن ضرورة عودته إلى غزة، وحاول أن يبدو وكأنه شديد الإخلاص، في تجسيد المصالح المشتركة، ووافق على ضرورة تسريع المسيرة السلمية، واغتنام الفرصة السانحة.

وفي الرسالة التي بعث بها هولست فيما بعد إلى بيرس، قال: أن عرفات أكد له، أن منظمة التحرير جاهزة لإجمال المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية، وأن الإرجاء، أكثر من ذلك سيفضي إلى فقدان السيطرة من أيدينا جميعا.

الطرفان بحاجة إلى السلام، ويجب علينا أن نتوصل إلى حلول، يجب على الفلسطينيين والإسرائيليين أن يتعلموا كيفية التعايش معا.

*** *** ***

أدت مساهمة هولست في توضيح المواقف للطرفين، والحوارات الجماعية التي أجراها مع بيرس، فيما بعد، إلى وضع الأسس لجولة المحادثات التالية بين الرابع والعشرين والسادس والعشرين من تموز.

كانت مسيرة أوسلو قد وصلت إلى لحظة الحقيقة، وجئنا إلى المفاوضات ونحن نتوقع حدوث تقدم سريع، وفي نفوسنا استعداد كبير للتسوية، وسرعان ما اتضح لنا أن علينا أن نستيقظ من هذا الحلم، فقد عاد الفلسطينيون ليؤكدوا على مواقفهم من خلال وثيقة كاملة وجديدة تماما. ورغم وعودهم بالتقدم إلى الأمام، فقد بدا لنا أنهم تراجعوا عن المواقف التي سبق لنا أن جذرناها معهم. فقد تجاهلت وثيقتهم الوثيقة التي قدمناها إليهم في الرابع من تموز. وطالبوا بتواجد عشرة آلاف شرطي فلسطيني في غزة وأريحا، وسيطرة فلسطينية على المعابر الحدودية، وانسحاب إسرائيلي من غزة في غضون ثلاثة أشهر، وإجراء مفاوضات لتحديد حجم كل انسحاب إسرائيلي جديد. وقد تحدث الفلسطينيون في هذه الوثيقة، لأول مرة، عن منظمة التحرير كشريك لنا في المفاوضات.

ورغم أن مثل هذا الأسلوب في المفاوضات، لم يكن غريبا بالنسبة لي، الا أنني رددت عليه بالقول: " أبو علاء... أنك تتنكر للتفاهم الذي سبق أن أحرزناه، وإذا ما أطلعنا رابين وبيرس على هذه الوثيقة، فإن ذلك سيعني نهاية

هذه المباحثات، فإما أن نعود لمناقشة وثيقة السادس من تموز- والتي أضفنا إليها معارضة الفلسطينيين في السادس من تموز، وإما أن تنتهي المباحثات.

ثم خرجت من الغرفة، وسرعان ما لحق بي أبو علاء، وطلب أن نتحدث أنا وهو على انفراد-مثلما اعتدنا أن نفعل مرات عديدة يوميا٠٠وقال:" لا نتجاهل وثيقة السادس من تموز، والمواقف التي نطرحها مفتوحة للنقاش، أما إذا ما تجاهلتم الوثيقة التي نقدمها إليكم، فلن نستطيع العودة إلى تونس".

اقترحت أن نعود إلى وثيقة السادس من حزيران، وأن ندرج في إطارها مطالبهم الجديدة. وهكذا كرسنا في هذه المباحثات التي جرت، نهاية شهر تموز، أكثر من يومين في محاولة للعثور على حل وسط بين تفاهم السادس من تموز وبنود الوثيقة الفلسطينية الجديدة.

كانت حواراتنا مكثفة جدا، ناقشنا خلالها الحلول المطروحة طيلة خمس وخمسين ساعة دون توقف، بل إن الأنباء التي وصلتنا من إسرائيل حول شن إسرائيل حرب "يوم الحساب" على لبنان، لم تؤد إلى وقف المباحثات. ولم يبد الفلسطينيون اهتماما لما يجري في لبنان، وركزوا جل اهتمامهم على الوثيقة الماثلة أمامهم.

انضم إلى المفاوضات محمد أبو كرش، والذي حل محل ماهر الكرد. وقد قدمه أبو علاء بأسلوبه الفكاهي خلال جولة المباحثات السابقة عندما وقف في باب غرفة الاجتماعات، وقال:"الإرهابي القاتل ذو السمعة السيئة محمد أبو كرش" وآنذاك دخل إلى الغرفة شخص قصير القامة خجول، قدم نفسه على أنه أحد ممثلي منظمة التحرير في الأمم المتحدة في جنيف. وعندما حاولت معرفة ما حدث للكرد، رد علي أبو علاء باختصار وإيجاز:" لا تسأل كثيرا". وقد علمنا، فيما بعد، أن الكرد، لم يتوخ السرية التامة، وباح بقليل مما يعرف، لذا تم إرساله إلى كندا، بيد أنه عاد إلى تونس فيما بعد، واصبح مستشارا اقتصاديا للرئيس الفلسطيني.

أبديت اهتماما خلال الأيام الثلاثة اللاحقة بأحد المفاوضين القدامى- حسن عصفور، فقد شعرت بالدهشة، من شبكة العلاقات التي طورها مع زينجر، والتي تختلف-بمفهوم معين- عن العلاقة القائمة بيني وبين أبو علاء. لقد كان زينجر وعصفور ذوا جذور عميقة كل في مجتمعه، مما أحدث بينهما في البداية الكثير من الصدامات، بيد أنهما اعتادا، فيما بعد، تطوير لغة مشتركة وقد بدأ زينجر يقدر عصفور، كإنسان مستقيم وذكي، والذي طرأ لديه تغيير عميق في طبيعة تعامله مع إسرائيل. ولم يكن يجيد التعبير عن نفسه بالانجليزية، بيد أن عينيه أشارتا إلى التغيير الذي طرأ عليه، من الاحتقار الذي كان يكنه للمفاوضين الإسرائيليين الجالسين أمامه، إلى فضول متزايد، بل والى قدر مفاجئ من المشاركة الوجدانية.

وبينما نحن نثرثر ذات يوم، بالقرب من الفندق، قال لي: بوصفه شيوعيا عسكريا وتلميذا لجورج حبش، فإنه اصطدم مرات عديدة مع عرفات، بيد أن وجوده في تونس، ودخوله في دائرة تأثير أبو مازن، جعله يتبنى مواقف أكثر اعتدالا تجاه إسرائيل.

وعندما جلسنا، وحاولنا تخيل قيام علاقات جديدة بين إسرائيل والفلسطينيين، قال لي:" هل تعرف.. لديكم أناس يفكرون بالأساليب القديمة؛ ولديكم أناس يفكرون بأسلوب العصر، إن جميع الإسرائيليين الذين قابلتهم هنا، يتطلعون نحو المستقبل، وهذا يشجعني على الإيمان بالسلام القائم على المساواة بيننا".

لقد قال لي ذلك، في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات والتي تعتبر بمثابة الخيط الواهي الذي يربط بين الماضي والحاضر-تواجه فيه اختبارا صعبا

كان الفلسطينيون، آنذاك، قد أسقطوا من حسابهم، سلسلة من المطالب، بما فيها مطالبتنا بإجراء حوار حول كل انسحاب جديد إضافي، هذا إضافة إلى

وجود خلافات عميقة بيننا في البنـــود الستة عشـر الأخـرى، إلـى الدرجـة التـي يصعب تجسـيرها.

وفي ساعات ما بعد ظهر السـادس والعشـرين مـن تمـوز، قررنـا إجـراء محاولة لإنقاذ المحادثات وقد رفـض الفلسـطينيون مسـألة مسـئوليتنا الكاملـة عـن الأمن الإسرائيلي، في مناطق الحكم الذاتي. مما جعلنـا ننتقـل إلـى مرحلـة الصـراخ وتبادل الاتهامات، بلهجة صارمـة وحـادة.

وقد صرخ أبو علاء قـائلا:" أنتـم تريـدون أن تحتفظـوا بالسـيطرة الأمنيـة الكاملة، بيد أنكم لن تمنحونـا كـامل الصلاحيـات المدنيـة ولـن تعـترفوا بحقوقنـا الوطنية، وستبقون جميـع المسـتوطنات فـي مكانـها. وأنتـم تلقبـون ذلـك بـالحكم الذاتي؟؟ إن ما تصفونه بالحكم الذاتي هو فـي الحقيقـة "لا شـيء"، سـوى الاحتـلال بوسائل أخرى. إننا نفضل الانتظار عشر سنوات أخرى لإنجـاز اتفـاق منطقـي".

وقد رددت عليه بالقول: أن كل مـا تفعلونـه هـو أن ترفضـوا، وترجئـوا، إن التطرف لن يقودكم إلـى أي مكـان، ولـن يحقـق لكـم أي إنجـاز كـان، لمـاذا لا تعترفون بالمسارات والقضايا التي نقدر على إدخالها إلـى حركـة الزمـن؟؟ لمـاذا لا تدركون أنـه، ومنـذ اللحظـة التـي سـتوقع فيـها علـى الاتفاقيـات، ونبـدأ بنقـل الصلاحيات، فإن العد التنازلي لبدء التسوية الدائمة سـيبدأ؟؟ وحتـى نبـدأ هـذا العـد، فلن يكون بمقدوركم عمل شيء سوى الانتظار، -بـل كلنـا سـننتظر قـدوم المسـيح، وستتواصل آلام الشعبين". بيد أن الفلسطينيين واصلوا الإصـرار علـى آرائـهم.

توقفت عن الصراخ، وشـرعت فـي توضيـح الصـورة ببـطء، قـائلا:" لـن نتخلى عن أمن الإسرائيليين، ولن ننصبكـم مسـئولين عـن هـذا الأمـن، مـا الـذي يجعلنا نفعل ذلك؟ لقد حارب أحدنا الآخر مائة سـنة، والآن فقـط، شـرعنا فـي بنـاء الثقة فيما بيننا. لن نعترف بحقوقكم الوطنية، لأن ذلـك يعنـي قيـام دولـة فلسـطينية، في حين، يجب علينا، أن نميز بين المحادثـات التـي نجريـها حاليـا، حـول الحكـم الذاتي، ومحادثات التسوية الدائمة فـي المسـتقبل".

تواصل الجدل والنزاعات، واتهمنا أبو علاء بأننا نسعى إلى إبقاء الاحتلال على ما هو عليه إلى الأبد.

وبدا فوندك، يعرب عن اسفه البالغ لإضاعة الفرصة الكبيرة السانحة. أما زينجر، الذي كان يعزف عن الخوض في أي جدل، لا علاقة له بالمباحثات فقد جلس غارقا في مقعده مغمض العينين، متظاهرا بأنه لا يسمع شيئا مما يدور.

قررت إنهاء هذا الوضع، فقلت لأبو علاء بصوت رسمي:" أبو علاء، يخيل الي أننا لم نعد نتقدم إلى الأمام، وأنا أقترح أن يقوم كل وفد بإعلام المسئولين عنه بنشوب أزمة".

حملق أبو علاء في كومة الأوراق المطروحة أمامه. ثم بدأ يجمعها، بصورة منظمة، وكأنه يعتزم مغادرة القاعة، وبدأت، أنا أيضا، جمع حاجياتي لأغادر القاعة، وحينها استدار بصورة فجائية نحوي، وقال:" لحظة فقط، أود أن أدلي بتصريح شخصي"، وجلس في مقعده، وقال بصوت خافت:" أنا وزملائي نبذل جهودا مضنية من أجل التوصل إلى سلام معكم. ونحن على استعداد لتقديم تنازلات كبيرة، بيد أنني لم أعد أجد معنى لمواصلة هذه القضية برمتها، لقد وصلنا إلى طريق مسدود وأنا لا أتهم أي إنسان، بيد أنني لا أستطيع تقديم أي مساهمة بعد ذلك. ورغم أن هذه لحظة صعبة بالنسبة لي، الا أنني أعلمكم بأنني سأستقيل من المفاوضات. وأبو عمار سيقرر، من هو الشخص الذي سيحل محلي. وأنا أمل أن ينجح البديل في إحراز ما لم أتمكن من إحرازه لأنني أؤمن بالاتفاق ، وسأكون على استعداد تام، لتقديم أي استشارة أو معونة له، إذا رغب في ذلك أشكركم على التعاون، لقد كان التعرف عليكم شيئا ممتعا بالنسبة لي، أمل لكم النجاح، وأن نلتقي في المستقبل".

ساد الغرفة صمت شديد، وشاهدت دموعا في عيني أبو علاء وأدركت أن علي أن أرد بشيء ما. بيد أنني لم أكن أعرف بالضبط، ما إذا كان يقصد حقا ما يقول، أم أنه يقوم بعرض مسرحية؟؟ ولربما أنه هو نفسه لم يكن يعلم الحقيقة.

وعلى أية حال، فقد قال لي إحساسي الداخلي، أنه لا يجب علي بأي حال، أن ألين.

استهللت كلامي بالقول:" لقد جئنا إلى هنا لإجراء حوار، توطئة للتوصل إلى مصالحة، وكدنا نعتقد أن منظمة التحرير هي شريكنا في هذه المبادرة، لكن عندما نكشف عن الأوراق، سنجد أن منظمة التحرير تتهرب من اتخاذ قرارات واضحة. وأنا أحترم الجميع هنا، بيد أنني لا أفهمكم. هل تعتقدون أن أي مواطن فلسطيني في المخيمات سيغفر لكم رفضكم لتسلم المسئولية عن قسم من أبناء شعبكم، فقط بسبب خلافات على بعض الكلمات؟؟ لربما كانت منظمة التحرير أهم لديكم من الشعب الفلسطيني. ولربما أن أولئك الذين يقولون أنكم لا تفوتون فرصة لإضاعة الفرص السانحة، محقون في قولهم.

"أيضا نحن ارتكبنا أخطاء، ففي عام ١٩٧١ اقترح علينا الرئيس المصري أنور السادات تسوية مؤقتة في قناة السويس، بيد أننا رفضنا المبادرة، وفي عام ١٩٧٣ اندلعت الحرب، وعام ١٩٩٣، هو عام ١٩٧١ بالنسبة لكم. فبدلا من أن نتوصل إلى سلام في أوسلو، قد نجد أنفسنا بعد سنتين في خضم نزاع عنيف. "لقد شعرت في أعقاب مئات الساعات التي قضيناها في التفاوض معا، أنني أقدركم واحترمكم. وأنا أشعر بالأسف للقرار الذي اتخذته يا أبو علاء، وهو قرار خاطئ، بيد أنني سأحترمه، وباسمي وباسم زملائي أتمنى لك النجاح، ولا شك أننا سنواصل العمل مع البديل، الذي سيحل محلك".

بقي وجه أبو علاء مقطبا وجامدا كما هو، وحينها طلب هيرشفيلد أن يقول شيئا ما، واستهل كلامه بالقول: أنا وفوندك نعرفك منذ أشهر طويلة، وكنا نعتقد أننا سنتمكن من التوصل إلى اتفاق إلى حد كبير بفضلك. هذا يوم اسود، والتاريخ لن يغفر لنا، لقد ناضلت طيلة حياتي من أجل هذا السلام وها أنا أراه يفر من بين أصابعي، ولا يوجد هناك من يدري ما إذا كنا سنواصل السير على هذا الطريق أم لا، وربما ينجح غيرنا، وربما كتب علينا أن ننتظر زمنا طويلا آخر. ونحن لم نتواجد هنا، من أجل أنفسنا، بل من أجل شعبينا اللذين يستحقان

السلام والحياة الأفضل، بيد أننا نحبطهما، إن هذا اليوم هـو أسـوأ يـوم شـهدته فـي حياتي".

أثرت كلمات هيرشفيلد فينا أبعد تـأثير، لقـد قـال لنـا مـا الـذي ينتظرنـا، وكان هو الوحيد القادر على فعل ذلك، وتوجـهت جميـع الأنظـار إلـى أبـو عـلاء، الذي بدا وجهه شديد التكدر والعبوس، ونهض على قدميـه، وطلـب مـن زملائـه أن يحزموا أمتعتهم، واتجـه نحـو بـاب الغرفـة دون أن ينبـس ببنـت شـفه، ويتبعـه المفاوضون الآخرون، دون أن يلقـوا نظـرة واحـدة باتجاهنـا، وسـرنا. نحـن فـي أثرهم .

وعلى مداخل المنزل، وجدنا لاريسـون وزوجتـه مونـه، ومعـهما الحـراس جالسون. كانت وجوهنا تعكس كل شـيء وعندمـا اقـتربت مـن لاريسـون تمتمـت بهدوء: هذه المرة كل شيء قد انتـهى.

***　　***　　***

لم أكن واثقا حقاً من أن الأمور آلـت إلـى الطريـق المسـدود واتجـهت إلـى غرفة حاسوب (أف.آيه.أف.أو)، حيث كـان فونـدك يعمـل علـى إعـداد مسـودات الأتفاقيات واحدة إثر الأخـرى.

بدا زينجر- وهو الرجل الذي شهد أزمات لا حصـر لـها-هادئـاً للغايـة. لقـد ساد بيني وبينه، تفاهم تام، حول التكتيك المتبـع، فقـد كنـا نحـن الاثنيـن، مقتنعيـن تماماً بأن هناك شيئاً أهم من إنجـاز الاتفـاق، ألا وهـو إحـداث تغيـير فـي نظريـة منظمة التحريـر.

شعرت، وأنا في طريقي إلى غرفة الحاسـوب بـأنني بحاجـة لإلقـاء نظـرة على مصدر المشكلة، على المسودة التي أعدهـا زينجـر بشـأن الاعـتراف المتبـادل بين إسـرائيل ومنظمـة التحريـر ونسـخنا منـها البنـود السـبعة المهمـة بصـورة مختصرة، ثم عمدنا إلى إجراء مقارنة بيـن البنـود السـتة عشـر، موضـع الخـلاف في إعلان المبادئ مع التنازلات التـي احتفظنـا بـها للمرحلـة النهائيـة. ووضعـت علامات على ثمانية بنود لا نستطيع تقديم أي تنـازلات بشـأنها، ومـا كـدت أنتـهي

من ذلك، حتى دخل لاريسون إلى الغرفة وتوسل الـــي قـــائلا:" اذهـــب وتحـــدث مـــع أبو علاء إنه يجلس وحده في المكتبـــــة.

-أنا: هل طلب أو وافق على التحـــدث معـــي؟؟

-لاريسون: الحقيقة، هي أنني عرضت عليـــه أن أرتـــب لقـــاء بينكمـــا، فكـــاد أن يلقـــي بي خارج الغرفـــة؟

ذهبت إلى المكتبة، فوجدت أبـــو عـــلاء جالســـا إلـــى جـــوار النـــافذة مقطـــب الجبين، وشديد العبوس. فبادرته بالقول: كيـــف حـــالك".

-أبو علاء: الوضع سيء للغاية. الطرفان متصلبـــان فـــي رأيـــهما، ولا يدركـــان مـــدى أهمية هذه اللحظة، وأنا لا أستطيع مواصلة الحوار علـــى هـــذا النحـــو".

-أنا:" إذا كنت غير قادر على معالجة أعراض المرض، ربمـــا يجـــب عليـــك أن تلجـــأ لمعالجة جذوره، ما رأيـــك فـــي أن تجـــري حـــوارا حـــول الاعـــتراف المتبـــادل بيـــن منظمة التحرير وإســـرائيل؟؟

-أبو علاء:" ما الذي تقصـــده".

-أنا:" اطلب منك أن تسجل البنود السبعة التالية"، ثم أخـــذت أقـــرأ البنـــود مـــن الورقـــة التي معـــي:

أولا: حق إسرائيل في الوجود بـــأمن وســـلام.

ثانيا: قبول قراري مجلس الأمـــن الدولـــي ٢٤٢،٣٣٨.

ثالثا: حل النزاع بالطرق الســـلمية.

رابعا: حل الخلافات في وجهات النظر عـــبر المفاوضـــات.

خامسا: التخلي عن الإرهـــاب.

سادسا: وقف الانتفاضـــة.

سابعا: إلغاء بنود الميثاق الوطني الداعيـــة لتصفيـــة إســـرائيل، أو التـــي تتنـــاقض مـــع المسيرة الســـلمية.

" إذا ما نجحت في إقناع الرئيس الفلسطيني بقبول هذه البنود، فسأحاول إقناع رابين وبيرس بالاعتراف بمنظمة التحرير، والشروع بحوار علني معها ومع عرفات كرئيس للمنظمة، وليس كرئيس فلسطيني".

-أبو علاء:" سأنقل ذلك إلى عرفات".

-أنا:" أرجو أن توضح له أنني أفعل ذلك على مسئوليتي، وأنني بحاجة إلى مصادقة رابين وبيرس. واقترح عليك أيضا- وهذا أيضا بمبادرة مني- أن تقنع عرفات بالرد على البنود الثمانية التالية في إعلان المبادئ، وإذا ما وافق عليها، فسأحاول إقناع زعمائنا بإبداء مرونة بشأن البنود الثمانية الباقية". ثم عمدت إلى توضيح البنود الثمانية المهمة بالنسبة لإسرائيل، والتي تتضمن المسئولية الإسرائيلية الكاملة، على أمن الإسرائيليين، والاحتفاظ بصلاحيات مدنية معينة والسيطرة على المعابر الحدودية.

-أبو علاء:" أنا على استعداد للمحاولة، رغم أن ذلك سيكون صعبا".

-أنا: سيكون ذلك أيضا صعباً بالنسبة لنا، بيد أنها ستكون -ربما- الفرصة الأخيرة للتوصل إلى اتفاق. وأرجو أن تبعث لي رداً بواسطة لاريسون، سواء أكان الرد إيجابياً أم سلبياً. ولا اعتقد أن هناك هامشاً زمنياً قد تبقى لدينا للمساومة.

فوارن كريستوفر وزير الخارجية الأميركي سيقوم في غضون الأيام القليلة القادمة بزيارة للمنطقة، ومن الجائز أن يتم تحريك المسار السوري، مثلما يفضل الأميركيون".

فهم أبو علاء إلماحتي، وأدرك أنني أمارس عليه ضغطاً، بيد أنني أيضاً، أخاطر بالإعراب عن الاستعداد لإبداء مرونة فيما يتعلق بالبنود الثمانية الباقية، التي لم أشر إليها-مثل الاعتراف بالحقوق السياسية للفلسطينيين، وانتقال الزعامة الفلسطينية إلى المناطق المحتلة-.

(التوقيع بالأحرف الأولى)

بيرس احتفل بميلاده السبعين مع بشائر التنازلات الفلسطينية
واشنطن أهملت أوسلو ووجدت في المسار السوري قبلة السلام

لقد أدرك، أن مثل هذا الحديث لا يمكن أن يدور فيما بيننا، الا بفضل الثقة التي بدأ كل منا يوليها للآخر، تلك الثقة الناجمة عن اعتقادنا، بأنه رغم جميع الحيل والألاعيب التي تمارسها، فإن هناك في نفسنا توقاً شديداً، لإحراز السلام. وكنا ندرك أيضاً أننا سنكون بحاجة في المستقبل لهذه الثقة، كي تخدمنا، لذا لم يكن هناك أي سبب يجعلنا لا نضعها على المحك العملي.

طلبت من زينجر الانضمام إلينا، كي نستعرض معاً البنود الستة عشر موضع الخلاف. وقد سلط زينجر الأضواء على البنود التي تحتاج من الفلسطينيين إلى تقديم تنازلات، وقد بدا أنه يتحلى بقدرة فائقة على طرح ذلك بصورة مباشرة ومزخرفة، تلك القدرة التي ساعدته في العديد من المرات، على إقناع محادثيه، بأن التنازلات تتساوق مع مصالحهم. أضف إلى ذلك أن الفلسطينيين كانوا يثقون به، فقد رأوا فيه مفاوضاً شديداً، وفي نفس الوقت منطقياً للغاية.

وفي نهاية النقاش، نهض أبو علاء من مقعده، وحذرنا بلهجة جدية للغاية، قائلاً:" أوضحوا لزعمائكم، انهم إذا لم يتقدموا إلى الأمام، فلن تكون هناك إمكانية لإحراز الاتفاق". وبدا لي، أنه عاد لممارسة اللعب من جديد.

بقي أبو علاء في أوسلو بعد خروجنا منها عائدين إلى إسرائيل، وبعث عصفور إلى تونس للالتقاء بعرفات، وإعلامه بفحوى ما حدث، وتحمل صلية غضبه الأولى. في حين توجه هو للتحاور مع النرويجيين.

وفي أعقاب اللقاءات والحوارات التي أجراها أبو علاء مع النرويجيين، كتب هولست رسالة إلى بيرس، قال فيها: أنه وجد في أبو علاء شخصاً متفائلا للغاية. لكن عندما قدمنا إلى بيرس تقريراً، بدا قلقاً إلى حد ما، وقال: :"أعتقد

أنكم بالغتم، إلى حد ما، عندما اقترحتم على أبو علاء الاعتراف المتبادل، فما فعلتموه أكثر من مجرد جس نبض. أما فيما يتعلق بالبنود الثمانية، فأرى أن من الأفضل أن ننتظر ردهم عليها. ويجب عليّ أن أتحدث، على وجه السرعة، مع رابين".

طلب بيرس من زينجر وبيلين مصاحبته في لقائه مع رابين، بيد أن الاثنين بديا متخوفين في أعقاب رد بيرس، من أن يصطدما بمعارضة رابين. بيد أن رابين فاجأهم بالقول:" إذا ما قبلوا البنود السبعة آنفة الذكر، فسوف نعترف بمنظمة التحرير".

لقد عمل رابين بصورة منطقية وعملية، فإذا ما قبلت منظمة التحرير الشروط التي قدمناها إليها، فسوف يكون هذا القبول بمثابة بادئة الاعتراف المتبادل. أما فيما يتعلق بإعلان المبادئ، فقد أعرب عن شكه في قبول الفلسطينيين للشروط التي عرضناها عليهم، وعلى وجه الخصوص المتعلق منها بالأمن والصلاحيات الإسرائيلية، واقترح هو الآخر، أن ننتظر ردهم.

وسرعان ما جاء الرد أسرع مما توقعنا، فقد وصل في نفس الليلة، في الساعة الثالثة صباحا، حيث اتصل لاريسون بي هاتفيا وقال:" هاي، هذا هو لاريسون الإرهابي، أرجو ألا أكون قد أزعجتك".

كنا في تلك الآونة قد اعتدنا مثل هذه الاتصالات الهاتفية الليلية، فقد ألفنا ساعات العمل التي ينشط فيها عرفات، وتعودنا العمل في الأوقات الغريبة.

واصل لاريسون الحديث، قائلا:" اتصل بي رقم واحد، وقال أن الأب وروح القدس يقبلان البنود السبعة، وهما على استعداد لمناقشة البنود الثمانية الأخرى".

رأينا في هذا مجرد رد جزئي، وقررنا الرد عليه أيضا جزئيا. وأرجأنا سفرنا إلى أوسلو، إلى ما بعد الثالث عشر من آب – أي إلى ما بعد زيارة كريستوفر للمنطقة.

اتصلت بلاريسون، وطلبت إليه أن يحصل من تونس، على رد أكثر تحديداً. وقد رد أبو علاء بالقول: أنه يعتقد أن بالإمكان التوصل إلى تفاهم خلال اللقاء القادم، وأكد ذلك أيضاً لهيرشفيلد، إبان اللقاء الذي جرى بينهما في باريس، في السادس من آب.

في تلك الآونة قام دنيس روس وكريستوفر بجولات بين دمشق وإسرائيل، وتم إحراز تقدم معين على المسار السوري. وقد بلغت الأمور حد تبادل الرسائل بين الرئيس السوري حافظ الأسد ورابين بوساطة الأميركيين بين الثالث والرابع من آب. وقد طرح خلال هذه الرسائل، المعايير الخاصة بعقد صفقة سلام محتملة بين الدولتين، استناداً إلى انسحاب إسرائيلي كامل من هضبة الجولان، وذلك مقابل التطبيع الكامل في العلاقات، وترتيبات أمنية مرضية لإسرائيل، وجدول زمني موسع لتنفيذ العملية. بيد أياً منا لم يكن يعلم شيئاً أبداً، عندما عدنا للاجتماع بممثلي منظمة التحرير في النرويج في الثالث عشر من آب في إحدى الفيلات في (بورجرد).

كانت الفيلا فخمة للغاية، وقد حدث لدينا انطباع، بأن أصحابها من الطبقة النرويجية الأرستقراطية وحينما وصلنا إلى الفيلا، قدموا إلينا شمبانيا، بيد أن الفلسطينيين لم يتناولوها. وقد تم إعلامهم بأننا رجال أعمال من الشرق الأوسط. واعتقد أن العصبية التي أبديناها خلال الحوارات أكدت لهم ذلك.

جلسنا في غرفة فارهة، وبدأنا الحوار بصورة أكثر نعومة من السابق، وكما يبدو فإن طعم الفشل، يمكن أن يهز ثقة أفضل المفاوضين وأكثرهم حنكة، بأنفسهم.

وبدأت العوائق تتساقط، وقد اتضح لنا، أن الفلسطينيين لم يغيروا رأيهم بشأن البنود الثمانية في إعلان المبادئ، بيد أنهم أبدوا ليناً، بعض الشيء، في بعض البنود الحرجة. فهم مثلاً لم يعودوا يطالبون بالإشارة إلى حقوق الفلسطينيين سكان القدس الشرقية في ترشيح أنفسهم لمجلس الحكم الذاتي. وقد رددنا لهم هذه المبادرة بتسريع الانسحاب من غزة وأريحا، والاعتراف بحقوقهم

السياسية- وليس بحقوقهم الوطنية، وقد تم إبقـــاء منطقـــة أريحـــا مفتوحـــة للتفـــاوض فيما بعـد.

في الرابع عشر من آب، اجتمعنا ســـوية فـــي إحـــدى الفيلـــل، وجلســـنا معـــاً حول الموقد، للتخطيط لاستمرارية عملنا فـــي أعقـــاب التوقيـــع علـــى الاتفاقيـــة: نقـــل الصلاحيات، والتعاون في المجال الأمني، وتجنيـــد المســـاعدات الاقتصاديـــة.

وفجأة، ارتسم المستقبل أمامنـــا، فـــي ضـــوء واقعـــي وحقيقـــي، لقـــد انطلـــق النور من هذه الفيلا القابعـــة فـــي أقصـــى أطـــراف أوروبـــا، ووصـــل إلـــى الشـــرق الأوسط، كي يحدث تغييرا عميقاً في حياة ســـكان المنطقـــة بأســـرها.

لقد وافق الفلسطينيون، على بنودنـــا الســـبعة الخاصـــة بـــالاعتراف المتبـــادل، بيد أنهم طرحوها بأسلوبهم، كما أنهم عملوا على خلـــق تســـاوق بيـــن هـــذه المطـــالب، ومطالب مقابلة قدموها من طرفهم، مثل قيامهم بكبح جمـــاح الإرهـــاب مقـــابل قيامنـــا نحن بوقف أعمال العنف ضدهـــم.

شعرنا، رغم ذلك، أن الطرفيـــن لـــن يتوصـــلا إلـــى اتفـــاق ســـريع، وقررنـــا إرجاء قضية الاعتراف المتبادل، إلى ما بعد استكمال إعـــلان المبـــادئ. لكننـــا أكدنـــا، أن هذه القضية، يجب أن تجري قبل التوقيـــع علـــى بيـــان إعـــلان المبـــادئ. وهكـــذا، تحولت قضية استكمال بيان إعلان المبـــادئ إلـــى المهمـــة التـــي تحتـــل رأس جـــدول الأعمـــال.

إن بناء اتفاقية سلام، يعني أن يتـــم خلـــق تـــوازن يمكـــن كـــل طـــرف مـــن الحفاظ على مصالحه الحيوية. ولم نعتقد أن هناك مـــا هـــو أهـــم مـــن خلـــق مســـتقبل دائم. ولربما كان عملنـــا فـــي أوســـلو، تحـــت وطـــأة ضغـــط شـــديد مـــن المصـــالح الأساسية المشتركة والمتعارضة، هو الذي مكننا مـــن بنـــاء تـــوازن كـــهذا الآن، بـــل إن الشراكة التي تمكنا من خلقها، كانت قادرة علـــى الصمـــود أمـــام اختبـــارات تبـــدو مســـتحيلة.

ولم يبق عشية الرابع عشر من آب علـــى جـداول الأعمـال، سـوى خمسـة بنود. وبدا أبو علاء في وضع نفسي جيد، بصـــورة خاصــة، وقــال:" ســأتصل بـأبو مازن، وأطرح بعض صيغ الحل، وآمل أن نتمكن غدا مـــن إجمـال المفاوضـات".

عدنا إلى الفيلا ونحن لا نحمل شـــعوراً بالارتيـاح وتوجـه أبـو عـلاء إلـى الهاتف، بينما جلست أنا وزينجر لنتحدث مـع مونـه. وبينمـا نحـن نسـتمتع بحديـث مونه، وبشعورنا بأننا أنجزنا المهمة، قدم أبو علاء مـن الطـابق الأعلـى وهـو يـهز رأسه دلالة الإحباط، وقال:" لقد رفـض أبـو عمـار وأبـو مـازن اقتراحاتـه بشـأن البنود الباقيـة.

عدنا إلى غرفة المباحثات، وأخـذ الفلسـطينيون يوضحـون لنـا الصعوبـات القائمة على صعيد قضايا مثل السيطرة علـى المعـابر الحدوديـة علـى نـهر الأردن، وحرية حركة الجيش الإسرائيلي في غزة. بيـد أننـي أمـرت جميـع أعضـاء وفدنـا بعدم التعقيب، وانسحبنا إلى غـرف النـوم.

في صبيحة اليوم التالي، طلب أبو علاء أن نمـدد فـترة إقامتنـا ليـوم آخـر، كي نتمكن من حل المشاكل العالقة بيد أنني رفضت ذلـك، فقـد شـعرت أنـه إذا مـا ضعفت وطأة الضغط سوف تتواصـل المفاوضـات إلـى مـا لانهايـة. وقـد أثمـر رفضي، ففي نفس الليلة، وحتى قبـل أن أتمكـن مـن تقديـم تقريـري إلـى بـيرس، اتصل لاريسون بتل أبيب، لنقل رسالة من أبو علاء قال فيها، أنــه تـم العثـور علـى طريقه لتجسير الخلاف خلال مباحثاته مـع عرفـات.

احتفل بيرس فـي السـادس عشـر مـن آب بعيـد ميـلاده السـبعين، وقـد حضرت الاحتفال أنا والأديـب عـاموس عـوز -الـذي كـان شـريكا فـي السـر، والحنان شاي-كأقدم أصدقاء بيرس. وبيرس نفسـه الـذي كـان يـدرك أنـه يحتفـل بعيد ميلاده في يوم تاريخي بالنسبة لإسرائيل. وقد ألقـى كلمـة قصـيرة، قـال فيـها:" سريعا ولربما في غضون فترة قصيرة جداً، سنشـهد انفراجـاً تاريخيـاً فـي علاقاتنـا مع الفلسطينيين، وقد عزا غالبية الحاضرين الذين لم يكونـوا علـى علـم بمـا يـدور وراء الكواليس، في أوسلو، أقواله إلى التفـاؤل الدائـم الـذي يتحلـى بـه. لقـد أدرك

بيرس، أن على إسرائيل أن تبني قوتها بصورة تمكنها من بلورة مستقبل مختلف عما عاشته في الماضي. لذا، أنهى كلمته قائلا:" لقد كرست حياتي كلها للأمن، والآن بعد أن أصبحت إسرائيل قوية، لم يبق أمامي سوى أن أجلب السلام لأجيالنا الشابة".

توجه بيرس من الاحتفال للاجتماع برابين وقد قرر الاثنان خلال هذا الاجتماع، أن يعمل بيرس خلال الزيارة الرسمية التي سيقوم بها إلى الدول الاسكندنافية على حل القضايا العالقة بشأن إعلان المبادئ، وتوقيع الاتفاقية في التاسع عشر من آب في أوسلو.

وفي صبيحة اليوم التالي توجه بصحبته (آفي جيل) إلى ستكهولم، على أن يلحق بهما زينجر هناك، ودعي هولست إلى الانضمام لهم بصحبة لاريسون ومونه، في حين بقيت أنا في إسرائيل، على أهبة الاستعداد، وللانضمام إليهم إذا ما طلب مني ذلك. وفي صبيحة الثامن عشر من آب، اتصل بي آفي جيل وقال لي:" أنصت إليّ، لقد أنهينا لتونا سبع ساعات من الاتصالات الهاتفية مع تونس، وقد تحدث هولست من هنا، في حين وقفنا أنا وبيرس وزينجر إلى جانبه. وقد كان أبو علاء في الناحية الأخرى من الخط وأبو عمار على جانبه. لقد تم تجسير جميع المشاكل باستثناء مشكلة واحدة، والتي ستكون مهمتك أنت".وذكر (آفي) المشاكل التي تم حلها بالتفصيل مثل: التنسيق على المعابر الحدودية الدونية، ومسئوليتنا الكاملة عن الأمن الخارجي، وحاولت بدوري أن أنقشها في ذاكرتي. ثم قال جيل:" أنا ذاهب الآن إلى النوم، لقد ارتحت أنت بما فيه الكفاية لذا امتط أول طائرة واذهب إلى أوسلو وأتمنى لك النجاح".

ولم تمض عدة ساعات، حتى كنت أنا وفوندك وهيرشفيلد في طريقنا إلى أوسلو في الوقت الذي وصل بيرس إلى هناك في زيارة علنية ورسمية. وقد تم نقلنا من المطار مباشرة إلى فندق (أوسلو بلازا)، وكان الفلسطينيون، بانتظارنا في إحدى الفيلل الفاخرة وفي أحد المقاعد شاهدت بصحبة الفلسطينيين وجها جديدا، هو(طاهر الشاش)، وهو مستشار قضائي مصري، أحضره الفلسطينيون معهم

لدراسة إعلان المبـــادئ. وبينمـــا جلـــس هـــو وزينجـــر -الـــذي كـــان يعرفـــه، منـــذ الثمانينات لدراسة الإعلان، تمكنت أنا وأبو علاء مـــن حـــل المشـــكلة التـــي لا زالـــت عالقة. وقد اتفقنا على إنهاء مفاوضـــات التســـوية الدائمـــة فـــي موعـــد لا يزيـــد عـــن خمس سنوات من موعد الانسحاب الإســـرائيلي، مـــن غـــزة وأريحـــا. وهكـــذا بـــدأت عقارب الساعة تدق باتجاه موعد المفاوضات الدائمـــة والمصالحـــة الصعبـــة.

وحال الانتهاء من ذلك، قرأ الوفـــدان الـــبروتوكول الاقتصـــادي، والـــذي قـــام الدكتور عمانوئيل شارون- رئيـــس مجلـــس إدارة بنـــك العمـــال الإســـرائيلي بفحصـــه تلبية لطلبي دون أن أعلمه من أين أو كيف ولـــدت هـــذه الوثيقـــة؟.

وقد شاء سوء الطالع أن يقـــع التعـــاون الاقتصـــادي -والـــذي احتـــل مكانـــة بارزة جـــداً فـــي تفكيرنـــا حينمـــا بدأنـــا المباحثـــات- ضحيـــة للصعوبـــات الأمنيـــة والتقديرات السياسية الفلسطينية والإســـرائيلية. وهـــي الروايـــة التـــي عـــادت لتكـــرر نفسها في الاتفاقيات اللاحقـــة.

في الوقت الذي جلسنا فيه، أنا وأبو علاء، في فنـــدق أوســـلو بـــلازا، لإعـــداد الكلمات التي ســـنلقيها خـــلال المراســـيم الســـرية للاتفـــاق والتـــي كـــان يفـــترض أن تجري في نفس الليلة، كـــان بـــيرس يتحـــدث مـــع مضيفيـــه الـــنرويجيين ويحظـــى بضيافتـــهم.

وفي حوالي منتصف الليل، قدم لاريسون إلى الفيـــلا بلباســـه الرســـمي، وبـــدا عصبياً بصورة واضحة، وقام بتوجيـــهنا خـــلال مراســـيم التوقيـــع بـــالأحرف الأولـــى على الاتفـــاق.

وحال انتهائه من كلمتـــه، قـــام فونـــدك بالتقـــاط صـــورة جماعيـــة (لمنتـــدى أوسلو) السري، لأول مرة في تاريخـــه، ونحـــن نقـــف علـــى اســـتعداد للعـــب دورنـــا التاريخي دون جماهير النظـــارة.

وما كاد فوندك يلتقط الصورة حتى اتصل آفـــي جيـــل، وســـأل فيمـــا إذا كـــان عليه أن يخبر حراس بـــيرس الإســـرائيليين- والذيـــن تـــم إعلامـــهم بـــأن حدثـــاً مـــا سيجري خلال الليل، دون أن يتم شرح ذلك- بماهيـــة مـــا يحـــدث-؟؟

وقد قلت له: أن عليه أن يخبرهم، وقلت لـــه:" تخيـل مـا الـذي سـيحدث إذا ما اكتشفوا وجود شخص ما مسجل لديـــهم كمخـرب، مـن منظمـة التحريـر وهـو يتجول في شقة بيرس، في سـاعات الفجـر".

ثم نقلنا، في أعقاب ذلك، إلى بيت الضيافـة الحكومـي، وإلـى غرفـة كبـيرة، شاهدنا طاولة ضخمة قيل لنا أنه تم التوقيع عليها عـام ١٩٠٥ علـى اتفاقيـة الفصـل بين النرويج والسويد. وقام جيـير فدرسـون- أحـد كبـار رجـال وزارة الخارجيـة النرويجية-والمسـئول عـن الجـانب الإداري للمحادثـات، بـإعداد الأوراق اللازمـة للتوقيع عليها في ملفات من الجلد الأحمر، وتم إرسـال كـل وفـد إلـى غرفـة، وقـد وجدنا في غرفتنا شمعون بيرس وآفي جيل. وبدا بـيرس متوتـراً، ففـي نفـس اليـوم، سقط سبعة من جنودنا في لبنان وقد أعلمه رابين بذلـك لتـوه. لقـد بـدا لنـا أن كـل خطوة من خطوات التقدم إلى الأمام فـي هـذه المسـيرة، ملطخـة بـالدم، وأن الألـم يمتزج بكل انتصار نحـرزه.

أوضح لنا بيرس، أن رؤسـاء الوفـود سـيوقعون بـالأحرف الأولـى علـى الاتفاقية وتم الاتفاق على أن ينضم إلينا يوآل زينجـر، وحسـن عصفـور. وقـد حيـل دون إلقاء بيرس كلمة، خلال المراسيم أو التوقيع علـى الاتفـاق نظـرا لأن الحكومـة لم توافق على إعلان المبادئ، والحقيقـة هـي أن جميـع الـوزراء-باسـتثناء رابيـن وبيرس- لم يكونوا يعلمون بوجود الإعلان. وقـد قـام الـنرويجيون بتصويـر جميـع الأحداث، على شـريط فيديـو، ثـم نـهض أعضـاء الوفـد لمصافحـة المسـتقبلين والمتمثلين في بـيرس ويوهـان هولسـت، ومريانـة هيـبرج، ولاريسـون ومونـه، وقدرسن، ثم جلست أنا وأبو علاء علـى جـانبي الطاولـة، وجلـس هولسـت بيننـا، وجلس الجميع وراءنا باستثناء بـيرس وهيـبرج وقـد وقـف بـيرس جانبـا، وكأنـه مجرد شاهد فقط. وبعد أن وقعت أنا وأبو عـلاء علـى كـل صفحـة مـن صفحـات الاتفاقية، نهضنا وتصافحنا وتعانقنا. ثم جـاء حسـن عصفـور وزينجـر وجلسـا فـي مقعدينا، ووقعا على الاتفاقية بدورهمـا.

كنا مجموعة صغيرة، ورغم ذلك، تم إلقاء أربعـــة خطابـات بـهذه المناسـبة، وكنا جميعاً ندرك حجم المفارقة في هذا الاتفاق لشــعبينا، وللشـرق الأوسـط، وربمـا للعالم بأسره من جانب، ومدى خصوصية هذه المراسيم مـــن الجـانب الآخـر.

وقـد أثنـى هولسـت- أول المتحدثيـن- علـى الزعمـاء وممثليـهم فــي المفاوضات، ووعد بمواصلة مد يد المسـاعدة النرويجيـة، وقـال:" نحـن هنـا علـى أهبة الاستعداد دائماً لتقديم يد المساعدة لكـم وخدمتكـم إذا مـا احتجتـم لنـا. بيـد أن المهمة هي مهمتكم، ويجب عليكم أنتم، إنجــاز العمـل".

كان أبو علاء المتحدث الثاني، وقد لاحت الدموع فـي عينيـه وهـو يتحـدث عن التأثر الذي أخذ بزعماء منظمة التحريـر، فـي أعقـاب المحادثـة التـي أجروهـا مع هولست وبيرس قبل ليلتين، وتوجه إلى بـيرس، الـذي كـان ينـاضل مـن أجـل إخفاء تأثره-قائلا:" أهلا وسـهلاً، لقـد تـابعت بانتبـاه شـديد تصريحـاتك، وأقوالـك ومقالاتك، والتي أكدت لنا رغبتـك فـي إحـراز السـلام العـادل والدائـم والشـامل وباسم الوفد الفلسطيني وزعيمه ياسر عرفـات، أحييـك، وأتمنـى لـك السـعادة فـي عيد ميلادك السبعين، آملاً أن تتمكـن مـن إحـراز الانتصـار فـي معركـة السـلام الكبيـرة".

وأضاف.. "إننا نخوض اليوم حملة جديدة باتجاه مسـتقبل جديـد. فـي عـالم لم يتم بعد بلورة صورته النهائية، والذي لا زال مفتوحاً أمـام التغيـيرات مـن جميـع الأنواع. إن المستقبل الذي نسعى إليه لن يتجسد الاّ إذا تغلبنـا جميعـاً علـى مخـاوف الماضي، واستقينا العبر من أجـل المسـتقبل".

وعندما جاء دوري، كان علي أن اضبـط مشـاعري الجياشـة، وقـد تحدثـت أنا أيضاً عن المسـتقبل، فقلـت:" حقـاً أن مـا بدأنـاه اليـوم هـو بدايـة المسـتقبل، المستقبل الذي سترتفع فيه التطلعـات الشـرعية الفلسـطينية للسـيطرة علـى حياتـهم في حكم ذاتي بصورة تتساوق مع رغبة إسرائيل للسـيطرة علـى مصيرهـا بوسـاطة الأمن. إنها بداية مرحلة انتقالية. تجسر بين فوضـى الـنزاع فـي المـاضي، وتسـوية التعايش الدائر في المسـتقبل".

وعندما جاء دور لاريسون، تحدث إلى المتحاورين وعددهم واحداً واحداً بالأسماء، وقال:" شيء واحد هو الذي جمعكم ووحدكم هنا، وهو مصطلح الصداقة. وهو المصطلح الذي سترتكز إليه علاقتكم في المستقبل". كان لاريسون على ثقة من أن هناك مغزى تاريخيا عالميا للمسيرة السلمية التي خضناها.

وفي أعقاب انتهاء المراسيم، اجتمع بيرس وأبو علاء لمدة نصف ساعة، على حدة، لأول مرة. وقد أعربا عن التزامهما بالاتفاقية التي تم التوقيع عليها، بالأحرف الأولى، وقد أثار بيرس إعجاب أبو علاء بحماسته لتشجيع المساعدات الاقتصادية الدولية للإطار الفلسطيني الجديد. وناقش بيرس ايضا وزير الخارجية النرويجي، هولست، بشأن المساعدات الاقتصادية واقترح العمل على تشكيل جهاز دولي لهذا الغرض.

ثم عاد كل منا إلى الفندق -للإخلاد إلى الراحة في أعقاب هذا الجهد الخارق الذي بذلناه- حاملا معه نسخة من الإتفاقية، موقعة من قبل الجميع كذكرى. وأخذت أتصفح الأوراق والتي جاء فيها:" إعلان المبادئ بشأن التسوية المرحلية لحكم ذاتي".

لقد عكس هذا الإعلان صورة الخطوة، خطوة توطئة لإبرام تسوية تقوم على مبادئ واضحة. لقد كانت كلمة" بالتدريج" هي المفتاح لوصف الانتقال من مرحلة الاحتلال إلى الحكم الذاتي، ومن العنف إلى التعايش بسلام، من خارطة طرق سياسية إلى المصالحة الحقيقية.

ويضيف إعلان المبادئ:-

" لقد أخذت إسرائيل على عاتقها سحب جنودها من قطاع غزة وأريحا في غضون ستة أشهر منذ بدء نفاذ مفعول إعلان المبادئ-الثالث عشر من اب ١٩٩٣.

إعادة الانتشار الجديد للجيش الإسرائيلي في المناطق الأخرى من الضفة الغربية، والانتخابات لمجلس السلطة الفلسطينية، يجب أن تنفذ في غضون تسعة أشهر، من تاريخ نفاذ مفعول إعلان المبادئ.

يجب أن تبدأ المفاوضات حول المكانة الدائمة للضفة الغربية وقطاع غزة في غضون زمن لا يتجاوز العام الثالث للانسحاب الإسرائيلي من غزة وأريحا، وعلى أن تنتهي قبل نهاية خمس سنوات على هذا الانسحاب- بدأ الانسحاب في الرابع من أيار ١٩٩٤، وبدأت المحادثات حول التسوية الدائمة بعد سنتين، في الخامس من أيار ١٩٩٦، أي أن الاتفاقية الدائمة يجب أن توقع حتى الخامس من أيار ١٩٩٩.

يجب نقل الصلاحيات المدنية- ليس جميع الصلاحيات التي كانت بأيدي الحكم العسكري الإسرائيلي- إلى أيدي الفلسطينيين، بادئ ذي بدء، في غزة وأريحا، ثم وبصورة تدريجية في الضفة الغربية. وسيشمل المجال القضائي للمجلس الفلسطيني" مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة-باستثناء المناطق التي سيتم تحديد مكانتها خلال المفاوضات حول التسوية الدائمة- القدس، المستوطنات، والمناطق الأمنية.

سيتم نقل قسم من الصلاحيات الأمنية بصورة تدريجية إلى أيدي "قوة شرطة فلسطينية قوية" في حين تواصل إسرائيل تحمل المسئولية الشاملة لأمن الإسرائيليين والمستوطنات والدفاع ضد التهديدات الخارجية". اتفق الطرفان على التنسيق في المعابر الحدودية بين غزة ومصر، وبين أريحا والأردن-مع السيطرة الإسرائيلية الوحيدة على المناحي الأمنية، كجزء من صلاحياتها للأمن الخارجي.

سيتم توسيع صلاحيات المجلس الفلسطيني على مراحل، ومن المفروض أن تنسحب إسرائيل اولا من أجزاء من قطاع غزة ومنطقة أريحا، ثم تنفيذ إعادة انتشار جديد تدريجيا من قبل القوات الإسرائيلية، في باقي مناطق الضفة الغربية على أن يتم ذلك في البداية من المناطق المأهولة- قبل إجراء الانتخابات للمجلس الفلسطيني، -وفيما بعد- وعلى مراحل- من مناطق غير مأهولة، باستثناء المستوطنات الإسرائيلية" ومناطق محددة"أخرى وفقا لتحديد إسرائيل لها".

الانتخابات للمجلس الفلسطيني ستجري تحت إشراف دولي متفق عليه، وسيتم تحديد صلاحيات المجلس الفلسطيني، وأسلوب انتخابه، والشروط الدقيقة للانتخاب-بما فيها القدس-في اتفاقية التسوية المرحلية".

لقد تطرق بيان إعلان المبادئ أيضاً، بصورة عامة، إلى هدف التسوية الدائمة بالتأكيد، على أن هدف المفاوضات هو"التعايش بسلام واحترام وأمن متبادل" وللتوصل إلى " مصالحة تاريخية" بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني.

وجاء في إعلان المبادئ، أن المفاوضات حول التسوية الدائمة، ستقود إلى "تجسيد قراري مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢،٣٣٨" وسيشمل "قضايا تم إبقاؤها: بما فيها القدس، واللاجئون. المستوطنات، والترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، إضافة إلى قضايا ذات اهتمام مشترك".

ونظراً لأن التعاون كان شرطاً ضرورياً في كل مرحلة، فقد تم التأكيد، في الإعلان، على إقامة لجان مشتركة للشئون الأمنية، والاقتصادية، ونازحي عام ١٩٦٧، وتنفيذ الاتفاقية.

لقد تم إعداد الخرائط التي يفترض أن تنقل الشعبين من المواجهة إلى المصالحة، في ظل الأجواء الرائعة في (بيوزديم) القريبة من أوسلو، كي تتمكن من منافسة العوائق والتغلب عليها، ومواجهة، الغضب والكراهية والعنف وعدم الثقة.

لقد أثمرت الجهود الأولية التي بذلناها، وأدت إلى التوصل إلى مصالحة معقولة بين حالتين من حالات التوق إلى الحرية:"التحرر من السيطرة، والتحرر من العداوة. لقد كان طرفا الاتفاق حركتي تحرر وطني، تقاتلا طيلة مائة عام دفاعاً عن وجودهما، وبدتا الآن، على استعداد للتعايش السلمي، وهو الأمر الذي لم يسبق له مثيل على صعيد حدة تحولاته.

بيد أن كل هذه التمخضات والأمور، كانت في تلك الآونة- بين التاسع عشر والعشرين من آب- لا تزال سراً من الأسرار الدفينة. وعندما عدنا إلى فندق أوسلو بلازا كنا شديدي التأثر من الحدث التاريخي، ومتحررين من

الضغوط الشديدة التي عشناها طيلة الوقت الماضي، لذا أخذنا في قتل الوقت، بتقليد بعضنا البعض، كي يبرهن كل منا للآخر، أنه كان يدرك كل ما كان يخفيه في داخله، ويمارسه من حيل ومناورات.

وعندما هممنا بمغادرة، المكان، أشار إلي أبو علاء بأن ألحق به إلى غرفته وهناك أخرج وثيقة من حقيبته، وقال: أشرت في كلمتك، أننا كنا دائماً متفقين حول مسألة واحدة، هي ضمان مستقبل أفضل لأولادنا- ولهذا السبب، اقترحت إهداء هذه الاتفاقية لهم ولأبناء جيلهم في الشرق الأوسط. دعنا نخرج ما قلته إلى حيز التنفيذ الفعلي، فأهدي أنا الكلمة التي ألقيتها لابنتك، وتهدي أنت الكلمة التي ألقيتها لابنتي، فالاثنتان تناهزان العشرين وبمقدورهما فتح أجنحة الأمل للمستقبل".

جلسنا، نحن الإثنان، وكتبنا على أوراق الخطابين عدة كلمات. وعندما قارنا ما كتب كل منا، اتضح انهما متماثلان.

فقد كتب أبو علاء:"

مايه الغالية:

أود أن أهنئك لسببين:-

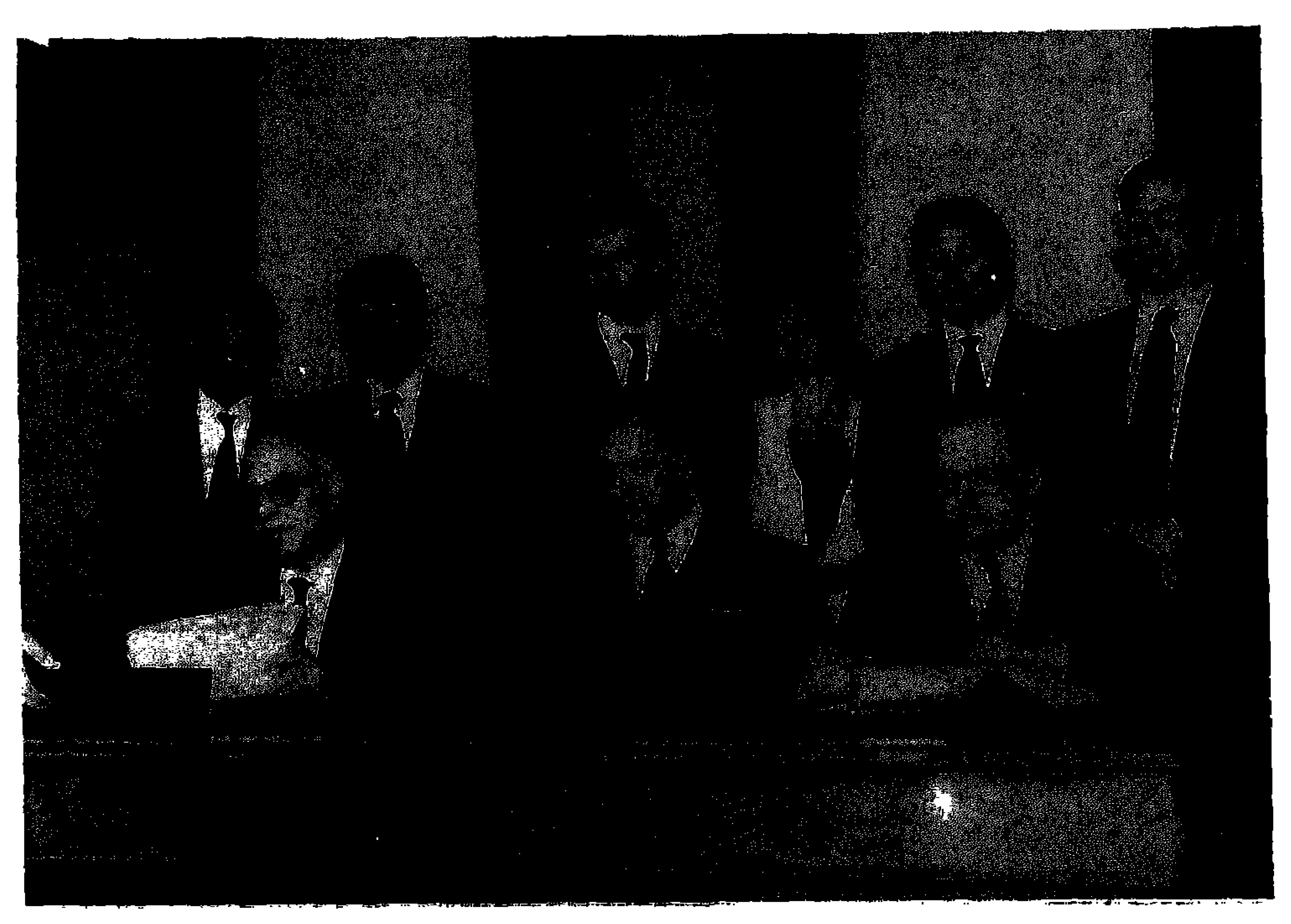
أولاً: اهنؤك على والدك.

وثانيا: بسبب إنجازه الكبير من أجلك ومن أجل ابنتي منى ومنال. وإنني آمل أن تصبحن صديقات في المستقبل القريب جداً حظ سعيد، لقد انطلق التاريخ الجديد في طريقه.

ابو علاء، ١٩ آب ١٩٩٣

وفي صبيحة اليوم التالي، وحال هبوطي في مطار بن جوريون، توجهت إلى المطعم الذي تعمل فيه ابنتي مايه، كنادلة، في إجازة الجامعة الصيفية. كنت قبل سفري إلى أوسلو قد قلت لزوجتي عليزة ولميه أن من الجائز أن أعود هذه المرة ومعي وثيقة الإتفاق. وحينما شاهدتني ميه من النافذة سارعت للخروج إلى

وعانقتني، ثم ابتعدت عني قليلاً وتــــأملت وجــهي باهتمـــام كــي تــرى مــا تعكســه ملامحي، فقدمت إليها صيغة خطاب أبو عـــلاء، فتصفحتــه، ثــم تصفحــت الإهــداء، وتوجهت نحو سيارتي، وجلست فيها، وانفجـــرت بالبكـــاء.



٢- من اليسار الى اليمين : أبو علاء ووزير الخارجية النرويجي هولست، أوي سبير جلوسا، وخلفهم من اليسار الى اليمين : حسن عصفور، يان اجلند، مونة يول، تاريه لارسون، يوئيل زينجر، يائير هيرشفيلد.

[illegible]

Dear Maya
May I congratulate you
for two things:
- The first of your great father for the great achievement
- The second for you and for my daughter [illegible]
- He made for you and Mona and [illegible] friends
that you will be [illegible] very new future [illegible]
[illegible]

Exc. Mr Holst

Exc. Mr Perez

Mr Uri

Ladies and Gentlemen

Mr Holst.

I would like to confirm that we are indebted to Norway, to you personally and to all the women and men who contributed to this great historical breakthrough. Indeed it is our obligation towards your friendly country and towards you personally to recognize here your courage, wisdom and persistence and outstanding role in this back channel.

Mr Perez. *Welcome,*

I have keenly followed up your declarations, statements and writings which confirmed to us your care to achieve a just, permanent and comprehensive peace. In the name of the Palestinian delegation and its leader Yassir Arafat I would like to welcome you and to congratulate you on your 70th birthday, *hoping you all success for the great battle of Peace*

We start today a new journey towards a new future, in a world whose final form has not yet been shaped and which is open to all sorts of change. The future which we look for will not materialize unless we both together overcome the fears of the past and learn from the past lessons for our future.

נאום אבו עלא בטקס החתימה החשאי באוסלו בליל ה־19 באוגוסט 1993.
עם ההקרשה למיה סביר.

الخطاب الذي ألقاه ابو علاء خلال مراسيم التوقيع السرية في اوسلو ليلة التاسع عشر من آب ١٩٩٣ مع الاهداء لمية سبير

الفصل الثالث

الاعتراف المتبادل

مرحلة جديدة من العلاقات تستبعد فكرة"كل شيء أولا شيء"

الميثاق٠٠ الانتفاضة ومحاربة الإرهاب كانت أصعب القضايا

كان الاحتفاظ بسرية المحادثات بمثابة معجزة من المعجزات، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هناك حوالي مائة شخص كانوا مطلعين على خفايا هذا السر، منهم خمسة وسبعون إسرائيليا وفلسطينياً ونرويجياً، وحوالي خمسة وعشرين أميركياً ومصرياً ومغربياً وتونسياً وروسياً.

لقد تم الحفاظ على السر بفضل الشعور العميق بالمسئولية لدى جميع الجهات ذات العلاقة بالأمر من جهة، وللشكوك العميقة التي كانت تراود الكثير من الجهات في إمكانية نجاح مساعينا، وأيضاً للحظ الذي حالفنا. إضافة إلى أننا أدرنا حياتنا طيلة فترة المفاوضات بصورة طبيعية للغاية ظاهرياً.

في أعقاب تعييني مديراً عاماً لوزارة الخارجية، في الأول من أيار ١٩٩٣، أعلنت عن اعتزامي إجراء عملية إصلاح واسعة النطاق في خدمة وزارة الخارجية، والتي أخذت من وقتي واهتمامي جانباً كبيراً جداً. كان علينا أن نبني وزارة خارجية جديدة، متحررة من حالة الدفاع التقليدية التي انتهجناها تجاه ما اعتقدنا أنه عداء دولي تجاهنا، وأن نعمل على الانفتاح تجاه العالم، وكل ذلك بغية خلق شبكة علاقات دولية عملية على الصعيد الاقتصادي والعلمي والحضاري.

كان العالم آخذاً، في التغير تحت أسماعنا وأبصارنا، وبدا أن مهمة الدبلوماسية الإسرائيلية المساعدة في ربط إسرائيل بالبؤر والمصادر الجديدة للقوة العالمية، والاعتراف منها، وتقديم المساعدة لها في كل موقع محتمل.

وقد تم بناء خط واضح بين أوسلو والإصلاحات التي اعتزمت إجراءها في الوزارة، ويتمثل في بناء جسر بين إسرائيل ودول العالم.

واجه يوآل زينجر تحديا صعبا للغاية ولا شك أنه كان لديه بديل يحل محله، لأنني لا أدري إذا لم يكن لديه بديل، كيف تمكن من الصمود إزاء السفريات والجولات التي كان يقوم بها، كل أسبوعين، بين ثلاث قارات، دون أن يثير الشبهات، هذا، في الوقت الذي كان علينا جميعا أن نعيش تحت وطأة الصمت والكتمان.

لم يبد في أي من التصريحات والكلمات والمقابلات التي كنا نجريها هنا وهناك، ولو إلماحة واحدة إلى ما يحدث على الرغم، أن التفاؤل في نفوسنا كان يبدو واضحا للعيان. وقد عزت الكثير من الأوساط تفاؤلنا إلى الآمال المفرطة التي نحملها، والتي تمكنت من تشويش تفكيرنا الواقعي.

وفي الثاني من آب، كدت أسقط في زلة فظيعة خلال اللقاء المتلفز بيني وبين الناطقة باسم الوفد الفلسطيني حنان عشراوي، عندما قلت:" لننتظر للغد والأيام القادمة، لنرى ما الذي سنقترحه كي نتحرك باتجاه الانتخابات الفلسطينية الديموقراطية الحرة، مع الاهتمام الكامل بأمننا. وأنا أعتقد أن المفاجأة لن تهل علينا عبر وثيقة إسرائيلية بل عبر العمل المشترك، على أرض الواقع. وعندما غادرنا الاستوديوهات في القدس، سألتنا حنان عشراوي: ما مصدر تفاؤلي الكبير؟؟

فقلت لها:سترين أنني كنت محقا فيما قلته.

مضى أسبوع، منذ توقيعنا على الاتفاقية بالأحرف الأولى، قبل أن تظهر الدلائل الأولية في وسائل الإعلام، حول ما حدث، ورغم ذلك، كانت المعطيات خاطئة، ففي الرابع والعشرين من آب، أي في نفس اليوم الذي عاد فيه بيرس من جولته في الدول الاسكندنافية، همس الصحفي شمعون شيفر في أذني قائلا:" أنا أعرف من مصدر رفيع، أن بيرس اجتمع في ستكهولم مع شخصية

رفيعة من منظمة التحرير، ولا جدوى من إنكار ذلك، لقد أردت أن أوفر عليك المفاجأة، عندما تقرأ صحيفة يديعوت احرونوت صباح الغد".

كنا في هذه المرحلة، قد قررنا، عدم الكذب على وسائل الإعلام، وفي نفس الوقت عدم مساعدتها في معرفة الحقيقة. أو على الأقل حتى إطلاع الحكومة الأميركية على التطورات، وقبل أن تصادق الحكومة الإسرائيلية على إعلان المبادئ.

وبناءً على ذلك، قلت لشيفر:" أنت مخطئ، ورغم ذلك، خرجت جريدة يديعوت في صبيحة اليوم التالي، وهي تحمل عنواناً يقول: "شمعون بيرس يجري لقاءً سرياً في ستكهولم مع شخصية رفيعة من منظمة التحرير".

وفي اليوم التالي، كتب زئيف شيف في جريدة هآرتس،أن شمعون بيرس اجتمع بممثل منظمة التحرير في النرويج، بحضور أوري سبير، بيد أنه لم يتم التوقيع على أي اتفاقيات".

حال عودة بيرس إلى إسرائيل، تم اتخاذ قرار بأن يقوم هو بنفسه بإعلام و زير الخارجية الأميركي، وارن كريستوفر، وجهاً لوجه، بالانفراج الذي تم التوصل إليه في أوسلو.

كان كريستوفر آنذاك موجوداً في كاليفورنيا وقد طلبنا من سفيرنا هناك ترتيب اللقاء.

وفي الثامن والعشرين من آب انطلقت طائرة بيرس إلى هناك، ومعه زينجر، وأفي جيل. وقد هبطت الطائرة في جنيف، حيث التحق بها هولست ولاريسون ومونه. أما أنا وبيلين، فقد بقينا في إسرائيل من أجل معالجة النتائج التي ستنجم عن إعلان النبأ والتي باتت الآن شبه محتومة.

وفي التاسع والعشرين من آب(يوم جمعة) وبعد سبعة أشهر تقريباً، من بدء مسيرة أوسلو وبعد عشرة أيام، من التوقيع على الاتفاقية بالأحرف الأولى، كشفت إذاعة الجيش، النقاب عن أن بيرس في طريقه للالتقاء بكريستوفر، كي

يعرض عليه مسودة اتفاق تم التوصل إليه مع منظمة التحرير خلال مفاوضات سرية أجريت في أوسلو.

اجتمع الإسرائيليون ونظراؤهم النرويجيون مع كريستوفر ودنيس روس، في القاعة الجوية التابعة للأسطول الأمريكي(بوينت موجو). وكان هذا اللقاء بمثابة اختبار حقيقي لمعايير الثقة الأساسية القائمة بين إسرائيل والولايات المتحدة، وأيضاً لسياسة الخارجية الأميركية.

كانت الإدارة الأميركية على علم بوجود المسار السري في أوسلو، بيد أنها كانت تشك في إمكانية أن يسفر عن أي شيء كان.

ولم تبد وزارة الخارجية الأميركية أي اهتمام. بتفاصيل المحادثات في أوسلو، فقد كان الأميركيون يسعون إلى بناء استراتيجية مفاوضات مع سورية أولا. وفجأة يأتي شمعون بيرس إلى كاليفورنيا، وبيده، ليس فقط، إعلان مبادئ، موقع، بل أيضا وثيقة اعتراف متبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

خشي بيرس من أن يشعر الأميركيون بالإهانة، جراء تركهم خارج الصورة كل هذا الوقت، وبالتالي، يردون ببرود على الفرصة السانحة. أما النرويجيون فخشوا الا يقبل الأميركيون الاتفاقية، مثلما هي عليه.

وحينما عرض بيرس الوثيقتين على كريستوفر، تحدث عن الانفراج التاريخي الذي يجب انتهازه بكل قوة. وألمح إلى أنه، ومنذ الآن، فصاعداً، سيصبح الأميركيون رعاة مسيرة أوسلو.

طلب كريستوفر وروس الاطلاع على الوثائق، وبعد أن قرآها، سأل كريستوفر روس:"ما رأيك؟؟". فقال روس:" هذا إنجاز تاريخي كبير". فعقب كريستوفر بحماس بالغ:" بالتأكيد".

لقد بدا أصدقاؤنا الأميركيون دعاة سلام حقيقيين، وارتفعوا في اللحظة المناسبة فوق الصغائر. لقد كانت اللحظة، بمثابة لحظة مهمة بالنسبة لدولة عظمى وذكية وكريمة.

لقد أعلنت جميع الحكومات الأميركيـــة المتعاقبـــة منـــذ عـــهد الرئيـــس لنـــدن جونسون، أنه يتوجب على الأطراف أن تتوصل بنفســـها إلـــى حـــل، وأنـــه ليـــس مـــن مهمة الولايات المتحدة، أن تفرض عليهما الحلـــول التـــي تراهـــا، وكـــان هـــذا أيضـــا، هو رأي الحكومة الأميركيـــة.

وافق الأميركيون على اســـتضافة مراســـيم التوقيـــع علـــى الاتفـــاق فـــي البيـــت الأبيض، وهو الأمر الذي يعني أنه إذا وافقت منظمـــة التحريـــر علـــى النقـــاط الســـبع، فإن الولايات المتحدة أيضاً ستعترف بـــهم، وهـــو الأمـــر الـــذي يحتـــاج إلـــى موافقـــة الكونغرس. وتم اتخاذ قرار بالتأكيد، بالموافقة علـــى البنـــد الـــذي فصّـــل فيـــه عرفـــات حركته عن منظمات الإرهاب العاملة خـــارج منظمـــة التحريـــر.

حال عودته إلى إسرائيل، وجد بـــيرس بانتظـــاره دولـــة مذهولـــة، فقـــد تنـــاولت العناوين الرئيسة للصحف نبأ الاتفاق، تحـــت عنـــوان"انفـــراج تـــاريخي بيـــن إســـرائيل ومنظمة التحرير". وشرعت وسائل الإعلام فـــي التطـــرق إلـــى روايـــة بصـــورة غـــير دقيقة.

وفي الثلاثيـــن مـــن آب، صـــادقت الحكومـــة الإســـرائيلية علـــى بيـــان إعـــلان المبادئ، بعد أن عرض يوآل زينجر، علـــى الـــوزراء، مســـألة الانســـحاب التدريجـــي من الضفة الغربية، والتي لم تتطرق إليها اتفاقيـــات كـــامب ديفيـــد.

تقابلنا أنا وأبو علاء في أوســـلو، لمناقشـــة شـــروط الاعـــتراف المتبـــادل، وقـــد قبل الفلسطينيون غالبية مطالبنا والتـــي كـــانت شـــبيهة بالنقـــاط الســـبع التـــي ســـبق أن طرحتها في الخامس والعشرين من تمـــوز، بعـــد أن صاغـــها زينجـــر بعنايـــة بالغـــة. ورغم ذلك كانت الخلافات القائمة-رغم قلتـــها-ذات أهميـــة كبـــيرة.

وصلت المحادثات إلى اللحظة الحاسمة، خـــلال المحادثـــات التـــي تـــم إجراؤهـــا في باريس، في التاسع والعاشر من أيلول. وفـــي الثـــالث مـــن أيلـــول، حـــاول بـــيرس وهولست، التحاور مع تونس عبر الهاتف. كان بيرس آنـــذاك فـــي بـــاريس، مـــن أجـــل اطلاع صديقه الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران علـــى التطـــورات. وجـــرت محادثـــات

مماثلة في السادس من أيلول بين إســرائيل والقــاهرة حينمــا قــام هولســت وعرفــات بزيارة الرئيس مبــارك.

وفي صبيحة اليوم التالي، اتصل بي هولســـت وقــال أنــه والرئيــس المصــري مبارك مقتنعان بضرورة إجراء لقاء آخر بين طـــاقمي أوســلو. وإذا لــم يحــدث ذلــك، فإن الاعتراف المتبادل سيرجأ في أحســن الأحــوال. وطلــب أن أتوجــه أنــا وزينجــر إلى باريس، لإجراء جولة مباحثات أخرى، مــن أجــل ترتيــب الاتفــاق قبــل التوقيــع على إعلان المبادئ، في واشنطن، في الثالث عشــر مــن أيلــول.

طلب مني أن أوصي بعقد اللقاء في فندق (ديســكرني) كــي لا تكتشــفنا وســائل الإعلام، وإزاء اعتقادي بأن الصحفيين يتغلغلون في كل زاويـــة مظلمــة مــن بــاريس، فقد اقترحت إجراء اللقاء في الفندق المعروف بريستول. وقد اتضـــح فيمــا بعــد، أننــي كنت محقا، فقد أفادت الصحفيــة أورلــي ازولاي كيتــس -يديعــوت احرونــوت- فــي التاسع من أيلول، عن إجراء حوارات ومباحثات فــي فنــدق غــامض خــارج بــاريس، وضعته الحكومة الفرنسية في خدمة المفاوضين، في الوقت الـــذي سـجلنا فيــه جميعــاً أسماءنا العائلية، تحت اسم عائلة لاريسون، وأعطــى لكــل واحــد منــا اســم نرويجــي خاص، يبدأ بنفس الحرف الذي يبــدأ بــه اســمه، فأســموني أولــف لاريســون، وأبــو علاء ألف لاريسون، وهكذا دواليك. وحول طاولة فـــي صــالون الطــابق الثــاني مــن الفندق جلسنا أنا وأبو علاء وهولست ومحمد أبـــو كــرش، ومريانــة وهيــبرج ومونــه ويوآل زينجر. وتم تخصيص هاتف لكل وفـــد فــي غرفــة ملاصقــة للصــالون، كــي يتمكن من الاتصــــال بصــانعي القــرارات فــي إســرائيل وتونــس. وفــي اللحظــات الحرجة، كان بيرس ورابين يتواجدان سويا، فـــي حيــن كــان ياســر عرفــات يتواجــد بصحبة أبو مازن وحسن عصفـــور.

بدأنا المفاوضات في الســـاعة الرابعـــة مــن بعــد ظـــهر الثــامن مــن أيلــول، وواصلنا النقاش حتى الساعة الثانية من ظهر اليوم التـــالي. وقــامت مريانــة، بطباعــة مسودات الاتفاق الواحدة تلو الأخـــرى.

لقد كانت الساعات الاثنتان والعشرون، أهم الساعات التي قضيناها في التفاوض، نظراً لأننا حاولنا خلالها إبطال النظريات التي غزت النزاع المستمر الذي دار بين حركتينا الوطنيتين. ولم يكن التحدي مسألة شعارات أو كلمات، بل كان مسألة اتخاذ قرارات تتحول إلى التزام دولي جديد، قادر على توجيه العلاقات بيننا، نحو آفاق جديدة.

لقد رسمنا في أوسلو افتراضات براغماتية لإنهاء السيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، بصورة تدريجية، دون أن يمس ذلك بأمن إسرائيل. وها نحن الآن، نعكف على معالجة الجذور الأيديولوجية للنزاع. لقد كان واضحاً تماماً أن بنود إعلان المبادئ، لن تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي أبداً، دون أن يطرأ تغيير حقيقي متبادل على وجهات النظر والتفكير، المعمول بهما لدى ممثلي منظمة التحرير وإسرائيل.

وهكذا، وجدنا أنفسنا نقف على أبواب الإعلان عن وضع حد للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، والانتقال إلى مرحلة العلاقات السياسية الدائمة. ومنذ هذه اللحظة، قد تتعرض هذه العلاقات للمد والجزر، وتصبح سيئة أو جيدة، بيد أنها لن تقوم ابداً تحت شعار" إما كل شيء أو لا شيء".

ولهذا السبب، طلبنا أن تعترف منظمة التحرير بإسرائيل وتقبل قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢،٣٣٨ وأن تشجب الإرهاب، وتحاربه، وأن تضع حداً للانتفاضة، وتلغي بنود الميثاق الوطني التي تنكر وجود إسرائيل. وقلنا أنه إذا قبلت منظمة التحرير كل ذلك، فسوف تعترف إسرائيل بها كممثل للشعب الفلسطيني.

وظهرت خلال النقاشات خلافات واسعة فيما يتعلق بمدى المسئولية التي ستتحملها منظمة التحرير بشأن محاربة الإرهاب، ودعوة الفلسطينيين لنبذ العنف.

وقد تساءل أبو علاء:" كيف تريدون منا أن نتعهد بمحاربة ومنع الإرهاب في المناطق التي لا تقع في إطار صلاحياتنا؟؟ وإذا ما دعونا شعبنا للتخلي عن الإرهاب، فإن ذلك سيعني أن شعبنا يمارس الإرهاب، والأمر ليس كذلك".

وقد رد عليه زينجر بالقول: لقد كان الإرهــاب بمثابــة الوســيلة الأساســية التــي استخدمتموها في حربكم ضدنـــا، والآن عليكــم محاربتــه بجميــع الوســائل الممكنــة، والتاكيد لأبنـــاء شــعبكم أن الإرهــاب، ليــس وســيلة مشــروعه للنضــال. ودون أن تلتزموا بذلك، لن نستطيع التوصل إلــى اتفــاق".

لقد دار معظم الجدل، حول قضية أوسع من ذلــك، وهــي هــل يجــب أن يكــون الاعتراف المتبــادل مطلقــا؟ أم يجــب ربطــه واشــتراطه بشــروط التســوية الدائمــة للنزاع؟؟ وقد طالبنا بأن يعــترف الفلســطينيون بحــق إســرائيل فــي الوجــود بســلام وأمن. وفي أعقاب المشاورات التي أجراهــا أبــو عــلاء مــع تونــس، عــاد وقــال:" طلبكم مقبول مع تغيير طفيف:" منظمة التحرير تعــترف بحــق إســرائيل فــي الوجــود داخل حدود آمنة ومعروفــة".

رد زينجر على هذا التعديل بغضب قــائلا:" هــذه العبــارة مــأخوذة مــن قــرار ٢٤٢، وهي تعني أن الاعــتراف ســيدخل حــيز التنفيــذ الفعلــي، عندمــا يتــم تنفيــذ القرار، أضف إلى ذلك، من هي الجهة التي سترسم حـــدود إســرائيل، بصــورة تســمح لمنظمة التحرير بالاعتراف بـــها؟؟

تساءل أبو علاء عابسا:" هل تريدون أن نعــترف بإســرائيل فــي ظــل حدودهــا الحالية؟؟ إن هذا يعني أننا سنعترف بالاحتلال، وهذا ما لن يكـــون إلــى الأبــد".

تدخلت في الحديث قائلا:" يجب عليكـــم الاعــتراف بإســرائيل دون أي شــروط، وهذه القضية غير قابلة للتفاوض، بمقدورنا مناقشة نقاط الخـــلاف فــي المســتقبل، أمــا الاعتراف فيجب أن يكون مســألة مبدئيــة".

نشب خلاف مماثل بيننا، عندما وصلنـــا إلــى مناقشــة بنــود الميثــاق الوطنــي الفلسطيني التي يجب إلغاؤها فقد طالبت إسرائيل بـــأن تتخلــى منظمــة التحريــر عــن البنود التي تنكر حق إسرائيل في الوجود، بان تعلن أن هـــذه البنــود، لــم تعــد ســارية المفعول أو عملية. هذا في حين أرادت المنظمة الاكتفاء بـــالإعلان عــن أن البنــود لــم تعد سارية المفعــول.

قال أبو علاء:" الأمران هما نفس الشيء، فالميثاق الوطني الفلسطيني غير عملي منذ سنوات، ومن الواضح أنه ليس ساري المفعول، فقد قررنا عام ١٩٨٨ الاعتراف بوجود إسرائيل".

بيد أن هذا التنكر السلبي، لم يكن جيدا بما فيه الكفاية. لقد طالبنا بأن يقبل الفلسطينيون إسرائيل ليس كحقيقة واقعة، بل كجوهر سياسي مشروع. وقد قلت لهم:" يجب أن نتأكد، ليس فقط من أن أيديولوجيتكم فقط، قد تغيرت بل أن نقتنع أيضا بأن سياستكم العملية قد تغيرت، لذا يجب أن تعلنوا صراحة بأن البنود التي تنكر حق إسرائيل في الوجود لم تعد نافذة المفعول أو عملية؟ فقال، أبو علاء:" يجب أن اتصل بعرفات وأسأله رأيه".

كنا ندرك أن الفلسطينيين يعانون آلاماً نفسية جسيمة، من كل كلمة واردة في النص. فقد كان مغزى الاعتراف واضحاً لهم، تمام الوضوح، بيد أن التطرق بإسهاب إلى التغييرات وكتابياً بدا لهم أصعب بكثير من التسليم بالسياسة الجديدة.

وفي مرحلة معينة، قال الفلسطينيون أنهم لا يستطيعون العثور على صيغة باللغة الإنجليزية، فأطلعتهم على البنود الجادة الواردة في الصيغ التي أوردناها معنا من إسرائيل، والتي تحدثت عن"تحرير فلسطين" كهدف مقدس، وواجب وطني. من أجل طرد الاجتياح الصهيوني الكبير من الوطن العربي". لقد كان يجب محو مثل هذه العبارات من الواقع الجديد. لقد سبق لجولدا مائير، أن قالت في حينه:،لا يوجد شعب فلسطيني، وهذا يحتاج إلى تعديل. إن المغزى الحقيقي للاعتراف المتبادل، كان يتمثل، باديء ذي بدء، في الاعتراف بالواقع.

ساد توتر في غرفة الاجتماعات عندما عاد أبو علاء، وقال: أن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عاكفة على دراسة بيان المباديء لذا لم يستطع الاتصال بعرفات بشأن بنود الميثاق. لذا قررنا الإعلان عن مرحلة استراحة.

عندما عدنا إلى غرفة الاجتماع، حاول أبو علاء الاتصال بعرفات مرة أخرى دون جدوى، وفجأة قدم أربعة ضيوف غير مرغوب فيهم، في البداية (مايه)، والتي كانت في زيارة لباريس، وقدمت مع صديقة لها، ثم زوجة أبو

علاء وابنه عصام، اللذان كانا ينزلان في فنــدق آخــر، وشــعرا بــالقلق جــراء عــدم اتصاله بهما. وقد قدم أبو علاء زوجته وابنه لنا، وعندمـــا قدمــت إليـــه مايـــه عانقـــها. ووقفنا حائرين في هذا الوضع الجديد، بيد أن لاريســون خلصنــا مــن المــأزق، حينمــا اقترح أن يتحاور عصام ومايه باسم الطرفيــن، فضحــك عصــام، وقــال: لا توجــد أي مشكلة في ذلك، سنذهب إلى مرقص، ونحل كل المشكلة هنـــاك، فـــي لحظــة".

وعندما ذهب الضيوف، عدنــا إلــى المفاوضــات الصعبــة التــي كنــا غــارقين فيها، بينما بقيت (مايه) للعمل كعاملة هاتف بالنســبة لنــا.

وفي حوالي الساعة الثانية ليلا، تمكن أبو عــلاء مــن الاتصــال بــأبو عمــار، وقال: لقد تحدثت معه مطولاً، فقال لي: لا أستطيع اتخاذ قــرار مــهم مــن هــذا القبيــل بنفسي، لذا، سوف يعقد اجتماعاً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، ثـــم يتصــل بنــا".

اتصلت ببيرس في حوالي الساعة الثالثـــة صباحــاً، وأوضحــت لـــه الصعوبــات القائمة، فطلب مني أن أطلعه علــى التطــورات فـــي الســاعة الســابعة صباحــاً، قبــل اجتماعه مع رابيــن.

واصلنا النقاش، ونحن بانتظار اتصـــال أبــو عمــار، وخــلال النقــاش طرحنــا ثلاث قضايا أخرى:" القدس والانتفاضة، والاســتيطان. وقــد رغبــت منظمـــة التحريـــر في أن تلتزم إسرائيل بعدم إغــلاق مؤسســات فلســطينية فـــي القــدس الشــرقية. وقــد وافقنا على ذلك، شريطة أن ينطبـــق ذلــك، فقــط، علـــى المؤسســات التـــي لا تعتـــبر ممثلة لمنظمة التحرير أو بـــالحكم الذاتــي الفلســطيني المســتقبلي، أي أننـــا لـــن نغلـــق المؤسسات الاجتماعيـــة والثقافيـــة والدينيـــة، لان مصلحتنـــا تقضـــي بتطويرهـــا. وقــد طلب بيرس أن لا يتـــم الإعــلان عـــن التزامنـــا بـــهذا الصـــدد. ورغـــم أن الموافقـــة الإسرائيلية، لم تكن تحمل أي تنـــازلات الا أن كـــل مـــا يتعلـــق بـــالقدس، كـــان يثـــير الرأي العام الإسرائيلي، ويجعل من الصعب أخـــذ مصادقـــة الكنيســت علـــى الاتفاقيـــة. وقد أصر أبو علاء على أن يقوم بيرس، بإرسال رســـالة بـــهذا الشـــأن لهولســت، بيــد أنه وافق على الاحتفاظ بالأمر طـــي الكتمـــان.

ثم طالب أبو علاء بتجميد جميع عمليات التوسع الاستيطاني في الضفة والقطاع، وهو الأمر الذي أثار ثائرة بيرس، والذي صرخ في الهاتف قائلا:" ما الذي يطلبه في هذه اللحظات الأخيرة؟؟ قل له أننا لن نوافق على وقف البناء تحت وطأة الضغط الفلسطيني. وقل له أن الحكومة قررت منذ عام ١٩٩٢ وقف عمليات البناء".

وعندما نقلت رد بيرس إلى أبو علاء، قال لي:" لا تهمنا الصورة التي ستوقفون بها البناء في الضفة والقطاع، بيد أن ما يجب أن تدركوه جيدا، هو أن استئناف البناء في المستوطنات، سيؤدي إلى انهيار المسيرة السلمية".

وعندما طرحنا قضية الانتفاضة التي ضعفت جداً، ثارت ثائرة أبو علاء من جديد. وقال:" أنتم لم تصفوا الاحتلال وهو باعث الانتفاضة. وإذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف يمكننا أن نوقف الانتفاضة؟؟ إن هذه القضية خارج سيطرتنا".

فقال زينجر:" عليكم أن تختاروا بين العنف، وبين المسيرة السلمية، التي ستمكنكم من بناء مجتمعكم واقتصادكم. ويجب أن تقولوا لنا الآن ما هو خياركم، لأن هذا الخيار سيؤثر إلى حد كبير على طبيعة توجهنا بشأن الاتفاق".

قال أبو علاء:" أنه سيوصي عرفات بدعوة الفلسطينيين للعودة لممارسة حياتهم العادية، والاهتمام بالتطوير الاقتصادي، أو بمعنى آخر أن يوقفوا العنف.

وقد اقترح هولست، أن يتم الإعراب عن هذا الالتزام في رسالة ترسل إليه. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحا وافقنا على ذلك.

لم تتمكن وسائل الإعلام من العثور على مكاننا، باستثناء جين كوربين من شبكة (بي بي سي)، وقد بعثت رسالة إلى غرفتي قالت فيها: إذا أجريت معها مقابلة، فإنها لن تكشف مكان وجودنا، وستحرص على بث المقابلة يوم التوقيع على الاتفاقية في واشنطن. ولم يكن بوسعي سوى الموافقة.

وفي غرفة رقم ٥٣٥ في الفندق، وجدتها هي وطاقمها بانتظاري:

س: ماذا تفعلون في الطابق الثاني؟

-أنا: نعمل على تشييع جنازة النزاع.

س: هل أبو علاء صديقك؟

-إلى الدرجة التي لن أجيب فيها عن سؤالك.

وفي تمام الساعة السابعة، اتصلت ببيرس لأطلعه على المستجدات مثلما اتفقنا، بيد أنه كان نافذ الصبر، وقال لي:" إذا اصبح عرفات عالقا ويراوح مكانه في هذه القضايا الأساسية، فلا شك أن بمقدورنا أن نعيش دون الاعتراف المتبادل. دعنا نترك هذه القضية إلى مرحلة لاحقة، ونوقع على إعلان المبادئ".

حتى الساعة التاسعة، لم يتصل عرفات بأبو علاء، وعرفت منه، أن اللجنة التنفيذية لا زالت منعقدة، فقلت له:" يبدو لي آنفا أننا لن نتوصل إلى اتفاق" فقال:" ليكن، أدار لي ظهره وذهب.

لحق به لاريسون، واقترح أن يتصل هولست بعرفات. وقد اتصل هولست بعرفات وقال له بأدب حاد:" أبو عمار، يجب عليك أن تتخذ قرارا فوعد عرفات، بمناقشة القضية مع مساعديه والاتصال به بسرعة.

واصل بيرس ممارسة الضغوط، وقال لنا:" إن الحكومة ستجتمع في الساعة الخامسة للمصادقة على الاتفاقية، إذا كانت هناك اتفاقية".

لقد استغرقت جلسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ثلاثة أيام متوالية لمناقشة بيان إعلان المبادئ، والآن لم يبق أمامهم سوى ثلاث ساعات فقط، للتوصل إلى قرار حول الاعتراف المتبادل.

لم يكن الفلسطينيون يواجهون أية مشكلة في الاعتراف بإسرائيل في إطار المسيرة السلمية بيد أننا كنا نتحدث عن اعتراف دون أي شروط، أو التطرق إلى حدود اسرائيل، أو لجوهر الحل بيننا. أما نحن فكنا على استعداد للاعتراف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني لكن ليس كزعامة لدولة فلسطينية. لذا كنا مصرين ووفقا لأوامر من إسرائيل، أن يوقع عرفات على رسالته إلى رابين باسم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وليس رئيس فلسطين مثلما اعتاد التوقيع على رسائله منذ عام ١٩٨٨.

وفي ساعات الظهر من يوم التاسع من أيلول، تحدث أبو علاء مع أبو مازن والذي أعلمه بموافقة منظمة التحرير بعد نقاش عاصف، على صورة الاعتراف التي طلبناها. ووافق زعماء المنظمة أيضا على تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، وعلى شجب الإرهاب، والدعوة إلى إنهاء الانتفاضة.

وقد رددنا لهم ذلك بإبداء الاستعداد للاعتراف بمنظمة التحرير، وبالتعهد بأن يعلن بيرس في رسالة يبعث بها إلى هولست، عن التزامه بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس الشرقية. وأن تزود الفلسطينيين بقرار الحكومة عام ١٩٩٢ الذي ينص على تجميد الاستيطان. ولا شك أنه لولا هذه السياسة، لما تمكنا من التوصل إلى اتفاق.

وبعد برهة وجيزة أصبحت رسالة الاعتراف جاهزة للطباعة النهائية وللنقل عبر النرويجيين إلى تونس وإسرائيل. ومن الجدير بالذكر، أن رابين أكد بألا نستهل رسالته إلى الرئيس الفلسطيني بالكلمات المألوفة في رسائله: سيدي الرئيس العزيز، بل فقط الكلمات السيد الرئيس. وقد انطبقت هذه القاعدة على رسالة عرفات إلى رابين أيضا.

كانت مريانة على وشك الانتهاء من طباعة الرسالة، عندما دخلت فيه إلى الغرفة وقالت لي: رئيس الحكومة يرغب في التحدث إليك والى زينجر. وقد قال لي رابين أريد أن تبدل كلمة واحدة في الرسالة. التي يجب أن يرسلها عرفات إلي. وكان قد جاء في الصيغة الرئيسية" وفقا لذلك" فإن منظمة التحرير تلتزم بمطالبة المجلس الوطني الفلسطيني مصادقة رسمية للتغييرات الضرورية في الميثاق الفلسطيني". وقد طالب رابين باستبدال كلمة"وفقا" بكلمة"بناءً على ذلك".

وقد قال لي يوآل: لا أجد أي فارق في المعنيين، بيد أنني أدركت أن أبو علاء سيشك في أن لهذا التغيير معنى سياسيا عميقا.

عدت إلى الصالون– ووجدت النرويجيين في حالة رعب، حتى قبل أن أتفوه بأي كلمة وأطلب من أبو علاء الانضمام إلي في الغرفة المجاورة. وهناك أعلمته بمطلب رابين، وقلت له: ثق أنني لا أفهم معنى هذا التغيير. فابتسم، وقال:

أنا أدرك الأمر جيداً، لديكم هواجس من الكلمات، حسناً دعنا نخرج إلى الذين ينتظروننا في الخارج، لقد بات لدينا اتفاق".

وجدنا النرويجيين في الصالون شديدي الإحراج رسم أبو علاء على وجهه أكبر تقطيبه ممكنة، وقال للنرويجيين قلت لسبير، أن بالإمكان التوقيع على الاتفاقية، شريطة تغيير كلمة واحدة، بيد أنه رفض الاستجابة لي".

"أية كلمة" صرخ هولست قائلا، لقد باتت الرسائل مطبوعة وأنا مضطر للسفر بعد نصف ساعة لا يمكنكم أن تضيفوا كل نصف ساعة شيئا جديدا".



٣- المصافحة التاريخية في واشنطن، من اليسار الى اليمين اسحق رابين، بيل كلينتون، وياسر عرفات ١٣/٩/١٩٩٣.

أوسلو أغضبت دولاً عربية كانت آخر من يعلم

الأردن كان محطتنا الثانية وطريقنا إلى القمة الاقتصادية

طلب أبو علاء نسخة رسالة عرفات وأشار إلى الكلمة، وقال: أنا أطالب بتغييرها.

بدأ النرويجيون يتوسلون إلينا أن نتنازل، وبعد عدة مشاورات بيننا في غرف جانبية قلنا أننا توصلنا إلى اتفاق لتغيير الكلمة، وتم طباعة الرسالة من جديد.

وهكذا، اصبح بين أيدينا أربع رسائل: رسالة عرفات لرابين باعتراف منظمة التحرير بإسرائيل، ورسالة عرفات لهولست والتي يوجه فيها نداءً للشعب الفلسطيني لشجب العنف ورسالة رابين لعرفات يعترف فيها بمنظمة التحرير، ورسالة سرية من بيرس لهولست يتعهد فيها بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس. وقد قمنا بإرسال صور عن النسخ الأربع بالفاكس، لإسرائيل، واحتفظنا بالنسخ الأصلية.

وفي الساعة الثانية ظهراً، وبينما صوت إسرائيل يعلن أنه لا زالت هناك صعوبات جمة في المفاوضات، تناول هولست زجاجة شمبانيا من الثلاجة، ودعوت"مايه" للانضمام إلينا، وبدأنا الاحتفال بالعهد الجديد في العلاقات، بين منظمة التحرير وإسرائيل.

*** *** ***

في نفس الليلة صادقت منظمة التحرير على تبادل الرسائل، وبذلك، أصبح الميثاق الوطني الفلسطيني لاغياً وملغياً على الصعيد العملي، ولا شك أن هذه كانت خطوة كبيرة جداً، على صعيد منظمة التحرير. وبعد سنتين ونصف السنة، وفي نيسان ١٩٩٦، صادق المجلس الوطني الفلسطيني، على تعديل الميثاق، في الجلسة الخاصة التي عقدها في غزة، في الوقت الذي واصلت فيه جهات إسرائيلية يمينية الادعاء-استناداً إلى تفسيرات كلامية لا أساس لها من الصحة-

بأن الميثاق الأصل لا زال ساري المفعول. وتساءلت بيني وبين نفسي، ما الذي بقي على الفلسطينيين عمله بدون الجدار الاستنادي العدائي المعروف والمريح؟ لقد سقط هذا الجدار في العاشر من أيلول عندما وقع عرفات على الرسائل المتعلقة بذلك في تونس، وقام هولست بعرضها على وسائل الإعلام الإسرائيلية والدولية في مراسيم بسيطة، في مكتب رئيس الحكومة في القدس، وقد قام رابين والى جانبيه بيرس وهولست بالتوقيع باسم حكومة إسرائيل على رسالة الاعتراف بمنظمة التحرير، وهكذا كان التحدي التاريخي كله في جملة واحدة جاء فيها:

سيدي الرئيس:

ردا على رسالتك في التاسع من أيلول ١٩٩٣، أود أن أؤكد أمامك، أنه وفي ضوء التزام منظمة التحرير المدرجة في رسالتك، فقد قررت حكومة إسرائيل الاعتراف بمنظمة التحرير، كممثل الشعب الفلسطيني، والشروع بمفاوضات مع منظمة التحرير في إطار مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

وبعد ثلاثة أيام- في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣- تم التعبير عن هذا الاعتراف، بأكثر الصور علنية في حدائق البيت الأبيض في تمام الساعة العاشرة صباحا، عندما وقع شمعون بيرس باسم إسرائيل، وأبو مازن باسم منظمة التحرير على إعلان المبادئ. وفي أعقاب التوقيع، طلب الرئيس الأميركي من اسحق رابين وياسر عرفات -اللذين لم يتخيل أي إنسان أن بالإمكان رؤيتهما معا في أي مكان- كي يصافح أحدهما الآخر.

وكما يبدو، فإن هذه المصافحة كانت أكثر مصافحة التقطت لها صور في العالم. لقد عزا العالم بأسره، إلى هذه المصافحة، السحر الذي أدى إلى تسوية أحد أكثر النزاعات تعقيدا في العالم، وأشدها حساسية في التاريخ الحديث، والآمال التي ولدت في قلوب الكثيرين على أرضية هذه المصافحة.

جلست إلى جوار يوسي بيلين- وهو الرجل الذي حرك هذه المسيرة- في الصف الأول، وهمست له :" هل تصدق ما ترى عيناك" فقال" إذا كان ما نراه حقيقيا، فلا شك أنه هائل".

لقد قدم بيرس إلى واشنطن على أهبة الاستعداد، بل ومسرورا لمقابلة أبو مازن، وجها لوجه، باسم إسرائيل، ولم يكن متحمساً لوجود رابين وعرفات وقال أن وجودهما سابق لأوانه جداً.

أما رابين البراغماتي، فقد اعتبر الاتفاقية بمثابة أمر وطني، وتعامل مع الفلسطينيين كشركاء في السلام، رغم أنه لا زال يراوده شعور بالإحجام عنهم، وخصوصاً من رئيسهم ياسر عرفات، وقد وجد صعوبة بالغة في إخفاء ذلك. بل وشعر بالاشمئزاز عندما صافح الرئيس الفلسطيني، وربما أنه يكون بذلك قد عكس مشاعر الكثير من الإسرائيليين. ثم جاء دور بيرس لمصافحة عرفات الذي بدا وكأنه هبط من كوكب آخر، رغم مظهره الخارجي الذي بقي على حاله، وقد حظي بتصفيق حاد كالذي يحظى به المبشرون بالسلام. لقد كان بمقدوره أن يترفع ويرتفع إلى مستوى الحدث، بيد أنه، كما يبدو، كان يرى الحدث برمته دليلا على عدالة النضال الذي خاضه حتى الآن، وليس كتحية للتحول الكبير الذي طرأ على القيم.

كانت هناك قواسم مشتركة تربط بين الشخصيات الثلاثة الماثلة على "خشبة المسرح"، عرفات ورابين وبيرس: فقد كانوا زعماء أقوياء ومحنكين، لا يمكن لتشويهات كلامية أن تهزمهم، والثلاثة كانوا وحيدين، ومقتنعين بعدالة طريقهم، ويحملون في أعماقهم حوافز هائلة بغية إنجاز أهدافهم، والثلاثة كانوا يتمتعون بالقدرة على التحمل، وقد تزايد تأثير المسيرة عليهم تدريجياً كلما تقدمت إلى الأمام. وهاهم الثلاثة يقفون على (خشبة المسرح) المتحركة باتجاه مستقبل لا زال في المجهول.

شاهدت أبو علاء في أعقاب انتهاء مراسيم التوقيع واقفاً وسط مجموعة من كبار شخصيات منظمة التحرير، فاتجهت نحوه، لكنه رمقني بنظرة محرجة. لقد شعرنا الآن، ونحن في خضم الواقع، أننا بعيدون عن خصوصية أوسلو وعزلتها، إننا غرباء. وبدا أننا تحولنا من شركاء سريين إلى أعضاء في معسكرين مختلفين وعلى وشك الانطلاق في مسيرة مشتركة.

وقفت إسرائيل ومنظمة التحرير الان علـــى خـط الانطـلاق، وكــان عليــهما أن يترجما إعلان المبادئ إلى واقع عملي. ترى هل ســـيتمكنان مــن العمــل معــا؟ هــل سيستطيعان اتخاذ الاستعدادات اللازمة لبدء الجـدل حـول إقامــة الحكـم الذاتــي فــي غزة واريحا؟؟ وكيف سـيعالجان ردود الفعـل الداخليــة لديـهما؟؟ ولا شــك أن الــرد على هذه التساؤلات كان يحتاج إلى جدول أعمــال كــامل وجديــد.

عقدت أول جلسة عمل بين إسرائيل ومنظمـــة التحريــر فــي ســاعات مــا بعــد ظهر الثالث عشر من أيلول في أحد أجنحة الطابق الخـــامس مــن فنــدق(مــاي فلــوا) والذي كان بيرس يحل فيه مع عائلته. وقد شارك فـــي الجلســة أبــو مــازن وبــيرس ويوسي بيلين وأبو علاء وحسن عصفور ويوآل زينجر وأنـــا- قــرر رابيــن وبــيرس عدم ضم هيرشـــفيلد وفونــدك إلــى الوفـد الرســمي للمراسـيم- حيـث اعتقــدا أن هيرشفيلد وفوندك بالغا في الإدلاء بتصريحـــات حــول الــدور الــذي قامــا بــه فــي المسيرة وكان ذلك خطــأ.

استهل بيرس حديثه بتحديد المقدمات الثـــلاث التاليـــة"

"أولا: من المهم تشكيل طاقم المفاوضات لتجســـيد الاتفاقيـــة.

ثانيا: علينا أن نسلط الأضواء فـــي النقـــاش علـــى القضيـــة المركزيـــة الخاصـــة بالتطوير الاقتصادي في الضفة والقطاع، وقد تحدثـــت مـــع الـــنرويجيين وقـــالوا لـــي: أنهم أعدوا قاعدة اســـكندنافية لتقديـــم المســـاعدات الدوليـــة، والأمـــيركيون ســـيؤيدون هذه الخطوة، وقد ضمنت خلال زيارتي لبروكســـل، تعـــاون الاتحـــاد الأوروبـــي بـــهذا الصدد، سوف يتم تشكيل تنظيــــم دولـــي مـــن أجـــل دعمكـــم ونحـــن نتـــوق لرؤيـــة نجاحكم، لأننا مهتمون بالعيش إلى جانب جـــيران، يتمتعـــون بالازدهـــار الاقتصـــادي. ولا يوجد لدينا أي اهتمام في إدارة حياتكم بيد أننا نرغب فـــي تقديـــم المســـاعدة لكـــم.

ثالثا: أنا واثق أن علينـــا أن نجـــري اتصـــالات يوميـــا فيمـــا بيننـــا، واقـــترح أن يصبح أبو علاء وسبير ضابطين هـــذا الاتصـــال".

وفي مستهل كلامه، قال أبو مازن: أنه كان دائمـــا يقـــدر الجـــهود التـــي يبذلـــها من أجل السلام. ورغم أنه انتهج أسلوبا أقل عملية مـــن بـــيرس الا أنـــه وافـــق علـــى

أهمية التعاون بين الطرفين. وأضاف،" يجب علينا أن نعمل معاً على معالجة الوضع الاقتصادي الحالي، لان شعبنا بحاجة لأن يشعر بالفروق".

كان هذا اللقاء، هو الأول مع الرجل الذي يوازي يوسي بيلين لدينا، على صعيد مبادرة حوار أوسلو في الجانب الفلسطيني. ولم يكن هذا الرجل قد مني، ولو بقدر صغير من العصبية التي مني بها نظراؤه.

ولم ندرك في تلك المرحلة، أن ضبط النفس السودي الذي يتحلى به، وعدم وضوح ردوده كانا يعكسان عدم استعداد الفلسطينيين للشروع بسرعة في تطبيق الاتفاقية. كانت المشكلة بالنسبة لهم تتجلى في عدم توفر مصطلحات ومعدات جاهزة للحكم، إضافة إلى تركيز غالبية الصلاحيات بين أيدي عرفات.

وخلال الاحتكاكات التي جرت مع مستشاريه وفي معرض التطرق إلى عامل الزمن، اتضح لنا لدهشتنا أن الفلسطينيين يعتقدون أن الزمن يعمل لمصلحتهم، في الوقت الذي كنا نحن نشعر بالضيق الشديد جراء مرور الزمن دون أن نستغله.

وكان من الصعب علينا، أيضا، في تلك الآونة، أن نحدد ما الذي يتوجب على كل طرف عمله وحده، وما الذي يجب أن نفعله بالتعاون معا؟ وهكذا، وجدنا أنفسنا نراوح بين بقايا النزاع من ناحية والتعاون فيما بيننا من الناحية الأخرى.

رافقت أعضاء الوفد الفلسطيني حتى باب الفندق، وهناك أخذت أرقام هواتفهم، وأخذوا رقم هاتفي، وقال أبو علاء: يمكنكم أن تتصلوا بنا مباشرة في تونس، أما نحن فلا نستطيع بعد الاتصال مباشرة بالضفة الغربية أو غزة. لقد آن الأوان للعودة إلى البيت" فقلت له:" أهلا وسهلا" فرد قائلا: أهلا وسهلا، ولربما أنه اراد أن يقول لي بذلك: لستم أنتم الذين تستضيفوننا.

غادرنا واشنطن، ونحن لا ندري أن هذا اللقاء سيكون آخر لقاء لفترة طويلة. فقد قطع عرفات العلاقة معنا لعدة أسابيع، دون أن نتلقى أي مكالمة من أبو علاء. وفجأة وصلتنا مكالمة من أبو كرش- الرجل الثالث لمنظمة التحرير

في أوسلو، وطلب أن يجتمع بي في فرانكفــورت وحــال وصولـــي، أعلمنـــي رســمياً، أنه تم تعيينه ضابطاً للاتصال للمنظمة مـــع إســـرائيل.

أدهشني ذلك، بيد أن هذا التعيين كان بالنسبة لنـــا، أحــد أســـاليب عرفــات، فـــي الإخلال بتوازن مقربيه لقد قدم عرفات الدعـــم لأبـــو عـــلاء إيـــان اتفاقيـــات أوســـلو، والان نحاه جانباً بيد أن هذه المرة، كانت آخر مرة أشـــاهد فيـــها أبـــو كـــرش. كـــانت الاتصالات تجري معي من قبل شـــخصيات فلســطينية مختلفـــة، بيـــد أن أبـــو عـــلاء كان يعود للظهور، كلما أصبحت المحادثـــات جديـــة.

والى جانب الطرفين، كان هناك مجتمع دولي مذهـــول مـــن رؤيـــة المصافحـــة، ويتوق إلى رؤية الازدهار الناجم عن التعـــاون الجديـــد.

اجتمع فـــي الأول مـــن تشـــرين الأول وزراء الخارجيـــة والماليـــة مـــن جميـــع أنحاء العالم في واشنطن، بمبادرة من شـــمعون بـــيرس، بغيـــة الاتفـــاق علـــى صفقـــة مساعدات للفلسطينيين، ووافقـــت الجـــهات المشـــاركة، علـــى تضميـــن هـــذه الصفقـــة هبات وقروضاً بقيمة ٢،٥ مليـــار دولار، والتـــي ازدادت، فيمـــا بعـــد، حتـــى بلغـــت ثلاثة مليارات دولار، من الولايات المتحدة والاتحـــاد الأوروبـــي واليابـــان- أمـــا دول الخليج فعادت لتخيب آمال الاخوة الفلسطينيين مـــن جديـــد.

وتم اختيار النرويج- بطلة المفاوضـــات- لـــترؤس مبـــادرة المســـاعدات تحـــت إشراف هولست ولاريسون. وقد سألني لاريسون: هل فكرت، فـــي يـــوم مـــن الأيـــام، أن وزراء إسرائيليين يقومـــون بجمـــع الأمـــوال لمنظمـــة التحريـــر؟؟ وقـــد الـــتزمت إسرائيل نفسها بتقديم مساعدات للحكـــم الذاتـــي الفلســـطيني بقيمـــة خمســـة وعشـــرين مليون دولار على مدى خمس ســـنوات.

أذهل الاتفاق العـــالم العربـــي، وكـــان مـــن البديـــهي أن تصـــب دول الرفـــض العربية عليه جام غضبها، أما الدول المؤيدة فكـــانت تلـــك الـــدول التـــي تـــم إشـــراكها في سر أوسلو: مصر، والمغـــرب وتونـــس. وبيـــن هذيـــن النوعيـــن، كـــانت هنـــاك بعض الدول العربية التي فاجأها اتفـــاق أوســـلو ايضـــا. وكـــانت هـــذه الـــدول تؤيـــد الفلسطينيين أخلاقياً، بيد أنها تتحفظ على تطلعاتـــهم السياســـية.

كان الأردنيون يخشون على مصالح مملكتهم، أما دول الخليج، فكانت لا تزال تكن الحقد على عرفات، جراء تأييده لصدام حسين إبان حرب الخليج. ورغم ذلك، فقد شعر العديد من هذه الدول أن الاتفاق أزاح عن ظهرها عبئاً ثقيلاً.

ولا زلت أذكر، أن أبو علاء قال لي إبان المفاوضات في أوسلو:" أنتم ستمنحوننا المفاتيح إلى الولايات المتحدة ونحن سنفتح الباب لكم إلى العالم العربي" وهذا ما حدث بالفعل، فقد بدأ الباب نحو العالم العربي في الانفتاح. فبعد يوم واحد من إجراء مراسيم التوقيع على الاتفاقية في واشنطن، تم تحديد جدول أعمال للتفاوض بين ممثلي الأردن وإسرائيل، ذلك الجدول الذي أسفر في نهاية المطاف عن إبرام اتفاقية السلام المستقبلية بين الدولتين.

وفي طريق العودة من واشنطن، هبطت طائرتنا في الرباط، وقام الملك الحسن الذي يعتبر أحد رواد السلام العربي-الإسرائيلي بإعداد استقبال ملكي لرابين وبيرس".

إن التوق الإسرائيلي لوضع حد للاحتلال واعترافنا بمنظمة التحرير، أحلت العديد من الدول العربية من تحفظاتها من إسرائيل تلك التحفظات التي كانت ناجمة عن تأييدها للقضية الفلسطينية.

ونظرا لأن نزعنا نحو التأثر بالعرب الذين يوجهون الانتقادات إلى الفلسطينيين، فقد استحال علينا أن ندرك أنه طالما بقي اليهود يسيطرون على العرب فإن السلام لن يسود أبدا في الشرق الأوسط.

وخلال مراسيم التوقيع على الاتفاقيات في واشنطن اتضح لي، وليوسي بيلين أننا كنا نجلس إلى جوار الأمير بندر-سفير السعودية في واشنطن- والذي يعتبر شخصية بارزة جدا في الولايات المتحدة منذ الثمانينات.

وفي نهاية المراسيم، توجه إلينا قائلا: لقد سمعت عنكم الكثير، وأنا أحبيكم" وفي أعقاب وجبة العشاء التي أقامها وزير الخارجية كريستوفر، تحدث الأمير بندر مع بيرس.

وقد أخبرني مسئول أميركي، فيما بعد، أن السعوديين سمحوا لبندر بالمشاركة في المراسيم، بيد أنهم اشترطوا عليه أن لا يعرب عن تقديره لعرفات. هذا رغم أنه لولا عرفات، لما كان لقاؤنا مع بندر أو مع أية شخصية عربية أخرى لتحدث.

حطت طائرتنا في إسرائيل، في الساعة الرابعة فجر عيد رأس السنة العبرية، لقد استغرقتنا مهمتنا منذ بدايتها وحتى نهايتها اثنتي وسبعين ساعة.

كنا شديدي التعب والإرهاق، ورغم ذلك، طلب منا بيرس أن نمثل في مكتبه الساعة السابعة من صبيحة الغد. وعندما وصلنا أنا وبيلين وجيل، كنا مرهقين تماما، بيد أن بيرس بدا في قمة حيويته ونشاطه. وقد جلس أمامنا، وقال بجدية تامة:" هذه هي الساعة المناسبة للهجوم على الأردن . فانفجرنا نحن الثلاثة بالضحك، وأخذنا نشرح شكوكنا حول ذلك، بيد أن مبرراتنا لم تغير رأيه، وقال:" الملك لن يبقى في الخلف" وطلب من بيلين أن يمهد الأرضية للقاء.

في الأول من تشرين الأول اجتمع بيرس علنا ولأول مرة، مع ولي العهد الأردني الأمير الحسن تحت رعاية الرئيس الأميركي في واشنطن.

وبعد أربعة أسابيع اجتاز ثلاثة إسرائيليين هم: بيرس الذي حاول إخفاء شخصيته باعتمار قبعة وشارب، وآفي جيل، وافرايم هيلفي-رئيس الموساد حاليا-جسر الملك الحسين على نهر الأردن، في طريقهم إلى القصر الملكي في عمان. لقد هاجم بيرس حقا الملك الحسين بتنبؤاته حول السلام والازدهار في المنطقة كلها، وأسهب في القول حول دور المملكة الهاشمية في تجسيد هذه النبوءة.

وفي نهاية الحوار، توصل الملك وبيرس إلى تفاهم حول معايير اتفاقية السلام المستقبلي، ووقعا بالأحرف الأولى على وثيقة مؤلفة من أربع صفحات.

ونظراً لأن التطوير الاقتصادي، احتل رأس جدول اهتمامات بيرس، فقد سارع لتقديم اقتراح للملك، قائلا: ما رأي جلالتك، في دعوة أربعة آلاف رجل أعمال إلى عمان لمناقشة الاستثمار في الشرق الأوسط الجديد؟؟

وأسهب بيرس في شـــرح خطتـــه، بمـــا فيـــها عمليـــات نقـــل الضيـــوف مـــن إسرائيل واليها بطائرات الهليوكبتر. وقد أعرب الملـــك عـــن موافقتـــه علـــى الفكـــرة، والتي تم ضمها إلى وثيقة التفاهم التي تم إنجازهـــا بيـــن الصديقيـــن الحميميـــن. كـــان ذلك في الثاني من تشـــرين الثـــاني ١٩٩٣.

عاد بيرس إلى إسرائيل وهو يشعر بالإعجـــاب الشـــديد بنفســـه. ومـــن البديـــهي القول: أن اللقاء جرى بمباركة رابين، رغم أنـــه أعـــرب عـــن شـــكه فـــي أن يســـارع الملك الحسين، إلى دفـــع الحـــوار بيـــن الأردن وإســـرائيل إلـــى الأمـــام فـــي أعقـــاب (الصفقة) التي تم تنفيذها مع الفلسطينيين مـــن وراء ظـــهره.

والأميركيون أيضا، لم يكونـــوا يتوقعـــون إحـــراز أي تقـــدم، خصوصـــاً علـــى أرضية معارضة السوريين للصفقـــات المنفـــردة، ومواقفـــها التهديديـــة تجـــاه الأردن . كنت في تلك الآونة في باريس، وخلال تنـــاولي طعـــام العشـــاء مـــع مـــارتن اينـــدك ودنيس روس، قرأت تفاصيل الوثيقـــة التـــي تـــم إنجازهـــا فـــي عمـــان. وبـــدا روس مندهشا، وقال:" لقد توقفت عن الشك في قدرة بيرس علـــى عمـــل المعجـــزات أرجـــو أن تنقل له تهنئتي: لقد لمســـت فـــي هـــذه الأقـــوال تغيـــيرا فـــي لهجـــة الأمـــيركيين وتعاملهم تجاه بيرس، الذي كان من وجهة نظرهم، يشع بالأفكـــار الخلاقـــة، بيـــد أنـــه ليس (أرثوذكسيا جدا) ومنذ تلـــك اللحظـــة، أصبحـــت اتصالاتـــه مـــع طـــاقم الســـلام الأميركي شبه يوميـــة.

في الرابع من تشرين الثاني اجتمع بـــيرس فـــي القـــدس مـــع كـــلاوس شـــفاب، وجريجوري بلات رئيس الهيئة الاقتصادية العالميـــة فـــي "دافـــوس" وأطلعـــهما علـــى المبادرة التي ناقشها مع الملك الحســـين، وأعلمـــهما بموافقـــة الملـــك، وطلـــب منـــهما العمل على تنظيم عقد مؤتمر قمة اقتصادي وقد وافـــق شـــفاب علـــى تحمـــل مســـئولية تنظيم هذا المؤتمـــر.

وقد افترض عليـــه أن يعمـــل بالتعـــاون مـــع (الســـلي جلـــب) رئيـــس مجلـــس العلاقات الخارجية في نيويورك، فـــي الوقـــت الـــذي لـــم يؤمـــن أي مـــن المقربيـــن لبيرس، بإمكانية عقد مؤتمر بالحجم الذي يتحدث عنه بـــيرس فـــي الزمـــن المنظـــور.

لذا، كنا نتحدث من خلف ظهر بيرس، عن مؤتمر الأربعيـــن والذيـن يعنـي أن عـدد المشاركين فيه لن يتجاوز أربعيـن شـخصاً.

بيد أنه لم يمض سوى عام حتـى عقـد فـي كازابلانكـا المؤتمـر الاقتصـادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيـا، بمشـاركة أربعـة آلاف ممثـل عـن عـالم رجـال الأعمال والماليين، لقد قرر الأردنيـون عـدم استضافة المؤتمـر الأول، بيـد أنـهم دعوا المؤتمر الثاني للانعقاد علـى اراضيـهم.

ولا شك أن كل هذه الأحـداث وقعـت بفضـل التوقيـع علـى اتفاقيـة إعـلان المبادئ مع منظمة التحريـر.

***   ***   ***

بدت المسيرة وهي تنطلق بعد ذلك مختلفة تماما عمـا تـم التخطيـط لـه سـابقاً. فالعمل الذي بدا لمنظمة التحريـر ومؤيـدي السـلام كنقطـة انطـلاق جديـدة، أثـار معارضة شديدة ومتطرفة ومهددة من قبل ائتلاف هـش مؤلـف مـن القـوى المعنيـة بتدمير المسيرة السـلمية.

لقد اعتبر الأصوليون الإسلاميون المسيرة بمثابـة كارثـة، نظـرا لان حركاتـهم كانت تنمو، فقط، وسط اللااسـتقرار الاجتمـاعي والاقتصـادي.

وعارضها كذلك حاملو لـواء القوميـة العربيـة مـن خـلال رؤيتـهم الضيقـة لمصالحهم، ومن خلال عدم الثقة المتجذرة في أعماقـهم تجـاه إسـرائيل.

وقد سارع هؤلاء وأولئك إلـى نفـض غبـار الصدمـة الأولـى عـن أنفسـهم، وبدأوا يعدون العدة للعمل العنيف ضد"خطـر السـلام".

كان هناك، في الجانب الفلسطيني، معـارضون يحظـون بتـأييد سـوريا، مثـل جورج حبش،الذي قال: يجـب الإلقـاء بعرفـات إلـى حاويـة القمامـة" أمـا أحمـد جبريل، فقد تنبأ لعرفات بمصير مماثل لمصير السادات. وأقسـم نـايف حواتمـة بـأن يدمر اتفاقية السلام بالوسائل العنيفـة والوحشـية.

وكان هناك أيضاً في داخل منظمة التحرير من اعتبر الاتفاقية بمثابة خنوع ياسر عرفات، للإملاءات الإسرائيلية، وقد ترأس هذا الجناح رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير فاروق القدومي.

لم تشعر الحكومة السورية بالارتياح من الاتفاقية التي ولدت بعد أيام معدودة من التطورات الحقيقية(والسرية) التي طرأت على المفاوضات بينها وبين إسرائيل وشك الرئيس الأسد، بوجود مؤامرة لمنعه من معارضته إعلان المبادئ. بيد أنه وبتشجيع من الإدارة الأميركية، التي وعدت بمواصلة جهودها الرامية إلى عقد اتفاقية إسرائيلية سورية سمح للناطقين السوريين بتقديم التهاني الفاترة على الاتفاق.

أما الدول المتشددة في العالم العربي: العراق، وليبيا، والسودان-نصيرة وحامية الإرهاب، إيران- فقد شرعت في كيل السباب والشتائم لعرفات على خنوعه المخزي لإسرائيل، وتعهدوا بمواصلة النضال.

وبدأت حركة حماس، حليفة إيران باتخاذ الاستعدادات اللازمة توطئة للقيام بعمليات إرهابية تشد الرأي العام العالمي، وتثير ثائرة الرأي العام الإسرائيلي، ضد الاتفاقية ولهدم أي أمل بالمصالحة ولم تكتف هذه القوى بالصراخ فقط، فقد أعطت لتهديداتها طابعا عمليا.

وعلى طول الهامش الزمني للسنوات الثلاث التالية، قامت كتائب الموت ببناء قنابلها، في الوقت الذي كان فيه الزعماء القوميون يتخذون قرارات صعبة، ويفاوضون، ويواصلون حواراتهم ويوقعون الاتفاقيات.

لقد بدأت ساعتان زمنيتان تدقان على مسرب الصدام:" الأولى هي تلك الساعة التي تعمل على تحريك المسيرة السلمية باتجاه التسوية الدائمة، والثانية هي التي تدق للاقتراب من ساعة الصفر لانفجار القنبلة الموقوتة الرامية لإشاعة الخراب واليأس والخوف، وفي الوقت الذي خرج فيه الدبلوماسيون وهم يحملون حقائبهم التي تغص بالمواد الناسفة.

ولم يقتصر هذا الوضع على الفلسطينيين والعرب فقط، بل كانت هناك في إسرائيل أيضاً أوساط تعمل على إحباط المسيرة السلمية قولاً وعملاً. فقد بلغ الغضب ذروته في نفوس المعارضة اليمينية المتطرفة، وزعامة المستوطنين، الذين اعتبروا اتفاقيات أوسلو بمثابة خطر على أيديولوجيتهم أكثر مما هي خطر على أمنهم الشخصي. وقد وصف حنان بورات -عضو الكنيست عن حزب المفدال- التنازل عن غزة وأريحا كخيانة للوطن. وقد أسهمت مثل هذه التصريحات الهوجاء في زرع بذور الشيطان والشغب. وقد انضم إلى المستوطنين، نصف أعضاء الكنيست تقريباً برئاسة رئيس الليكود، عضو الكنيست بنيامين نتنياهو.

وفي اليوم الذي وقف فيه رابين على حشائش البيت الأبيض وقال: يكفينا دماء ودموعاً". أخذ نتنياهو يتحدث عن الخطر الذي لم يسبق له مثيل، والمحدق بإسرائيل، وأن الحكومة تسمح لمنظمة التحرير بتنفيذ خطتها الرامية إلى تخريب إسرائيل. وهكذا، فإن نفس القضية التي اعتبرها بعض الإسرائيليين أملاً للسلام، اعتبرها إسرائيليون آخرون خطراً على وجود إسرائيل.

لقد أرغمت عملية التوقيع على إعلان المبادئ معارضي ومؤيدي أوسلو، على اتخاذ موقف عملي، وذلك نظرا للتحركات التي بدأت في أعقاب التوقيع على الاتفاقية، باتجاه إحداث تغييرات على أرض الواقع. لقد وقفت المنطقة كلها، أمام تغيرات جذرية، مما حدا بكل جهة لتحديد مصالحها الحيوية، وتحديد كيفية الدفاع عنها.

لقد بدأت دوامة المصالح المتعارضة والمتضاربة تعصف بالمكان في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣. فاتفاقيات أوسلو مكنت من دق إسفين بين الإيمان بالواقع الجديد، الآخذ في التطور، وبين الشبهات والشكوك القديمة ذات الجذور الضاربة طولاً وعرضاً، دقت إسفيناً بين المصالح الاقتصادية البراغماتية المشتركة، وبين النظريات التقليدية والدينية والتربوية. بيد أن أصعب الخصومات نشبت بين مؤيدي مسيرة السلام المعقولة، والمبلورة، وبين المعارضين الأيديولوجيين، بين

الشريكين اللذين قررا تقسيم الشراكة كـهدف اسـتراتيجي، وبيـن القـوى التـي قـالت" كلها لي"، بين أولئك الذين تاقوا لرؤية أسوار الكراهيـة والحقـد وهـي تنـهار، وبيـن أولئك الذين اعتبروها بمثابة دفاع عن القيـم التقليديـة.

ومن الجدير بالذكر، أنه ومنذ المصافحة التي جـرت فـي واشـنطن بيـن عرفـات ورابين، ومصر والشرق الأوسط، لم يعد رهناً باتفاقيـات أوسـلو فقـط، بـل بـالنزاع الذي أخذت بوادره تبدو في الأفق بين مؤيديـها ومعارضيـها.

بعد ثلاثة أشهر من مراسيم التوقيع، دعيت أنـا وأبـو عـلاء إلـى أوسـلو لتلقـي شهادة تقدير من هيرالد ملك النرويج. وفي ظل هـذا الوضـع اجتمعـت عائلتانـا. فقـد جاء أبو علاء وبصحبته زوجته، وابنته منى، وابنـه عـلاء، وعروسـة ابنـهم دليلـة، وحفيدتهم زينة. أما أنا فقد قدمـت مـع زوجتـي علـيزة، وابنتـي مايـه، وصديقتـها (أبيطـل).

وسرعان ما عثر الجيل الشاب على قواسم مشـتركة، وعلـى وجـه الخصـوص مايـه ومنى، وقمنا بجـولات فـي الثلـج الـنرويجي، واسـتمعنا إلـى الموسـيقى الشـرقية، وعندما قمنا بزيارة مكان لقائنا الأول، أدركت أن العدو رقـم واحـد، أصبـح صديقـا.

وعندما استقبلنا الملك وحدنا، قال له أبو علاء: " يـا صـاحب الجلالـة، لقـد جئنـا هنا كوفد واحد، كي نشكركم على الـدور الـذي قـامت بـه الـنرويج فـي محادثـات السلام وعلى العمل الرائع الذي قام بـه لاريسـون ومونـه، وبصـورة خاصـة علـى الدور الذي قام به وزير الخارجيـة هولسـت".

الباب الثاني

تعارضات وتناقضات

الفصل الرابع

الفلسطينيون استقبلوا الاتفاقية بمزيج من الارتياح والشكوك
القادمون من تونس شكلوا مصدر قلق لزعامة الداخل

بعد مائة سنة من الاقتتال الدموي الشرس وجد الفلسطينيون والإسرائيليون أنفسهم يسيرون معا في مسيرة مصالحة طويلة، لقد تمسك ياسر عرفات طيلة ثلاثين عاما، بسياسة الإرهاب، ولا شرعية، وجود إسرائيل.

واتخذ إسحاق رابين وشمعون بيرس، اللذان شغلا منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع، إبان العمليات، التي نفذها الفلسطينيون، ردود فعل شديدة جداء، وحاربا الإنتفاضة بمنتهى الشدة والعنف.

وقد اعتاد كل من الطرفين على وصف الطرف الآخر بالبربرية؛ والتصقت هذه الأوصاف في ذهن الطرفين، ويصعب القول أن هناك عائلة فلسطينية أو يهودية، لم تصب بجرح من جروح الإقتتال الذي بدا أنه بلا نهاية، مما جعل الشعبين يحملان بصمات دامية على الصعيدين المادي والنفسي، والتي بقيت نازفة دائما.

وبصورة فجائية، طلع زعماء الشعبين على أبناء شعبيهما بإتفاق يحول الشعبين المحاربين الى حليفين، يملؤهما الأمل بصورة لم تتح لأي منهما بالشعور أنه مهزوم، وهكذا، إمتزج الماضي والحاضر والمستقبل في خضم نظرية جديدة وأحاسيس جديدة.

لقد صفق الطرفان للاتفاق التاريخي، وكل طرف بدأ يتحدث عن الآمال التي انبعثت في قلوب أبناء شعبه على أرضية الاتفاق بيد أن أيا من الطرفين لم يبد تغييرا في أحاسيسه تجاه عدو الأمس، لقد أدت عملية المراوحة بين العادة المألوفة، منذ زمن طويل، وترقب حدوث التغير، خلق نوعا من أنواع الحركة

الذاتية، ذات الذبذبات العالية، والمراوحة بين العودة إلـــى مـــا هـــو معـــروف ومنتـــهج تارة، وتفجر المشاعر البناءة، تـــارة أخـــرى.

وفي أعقاب التوقيع علـــى إعـــلان المبـــادئ، كـــان علـــى الطرفيـــن مواجهـــة جهات داخلية لم يتم إشـــراكها فـــي المســـيرة، والتـــي وجـــهت انتقـــادات شـــديدة إلـــى الاتفاقية، ووجد عرفات نفسه يواجه صعوبات لم يســـبق لـــه أن عرفـــها، فـــي محاولتـــه للحصول على موافقة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير علـــى الإتفاقيـــة، فقـــد عمـــد ســـتة أعضاء من بين أعضاء اللجنة الثمانيـــة عشـــر، إلـــى الاســـتقالة، احتجاجـــا علـــى مـــا أسموه بالخنوع بيد أنه تمكـــن مـــن تحييـــد المعارضـــة والتغلـــب عليـــها بالمنـــاورات السياسية الذكية، التي انتهجها وعندما لم تكف هـــذه المنـــاورة لتحقيـــق المطلـــوب، لـــم يتحرج عرفات في اللجوء إلى الضغوط التحذيرية والإشـــارة بحـــدة، إلـــى عـــدم وجـــود أي بديل آخر لزعامتـــه.

قام عرفات بعرض الاتفـــاق علـــى زملائـــه، واصفـــا إياهـــا بصـــورة غـــير صحيحة- بأنها ضمانة لإقامة الدولة الفلسطينية، وفقا لجـــدول زمنـــي ثـــابت، وتجـــاهل عرفات التفاصيل طالما كان ذلك ممكناً، ولم يكـــن فـــي عجلـــة مـــن أمـــره بالشـــروع بمفاوضات حول تطبيق الإتفاقيـــة.

عندما سمع بيرس كيـــف وصـــف عرفـــات إتفاقيـــة إعـــلان المبـــادئ أمـــام وسائل الإعلام، عقب قائلاً : إن عرفات يتعامل مـــع الإعـــلان مثلمـــا يتعـــامل غالبيـــة المسافرين للاتفاقية المعقودة بينهم وبين شركة الطـــيران، والتـــي يتـــم صياغتـــها خلـــف تذكرة السفر، فقـــد قـــال عرفـــات : "الـــهدف المـــهم بالنســـبة لـــي، وليـــس الأحـــرف الصغـــيرة".

في أعقاب التوقيع على الاتفاقية في واشنطن عمـــد عرفـــات إلـــى إبعـــاد كـــل من أبو مازن وأبو علاء عن مراكز اتخـــاذ القـــرار، حيـــث اعتقـــد أن الأثنيـــن حظيـــا باهتمام دولي كبير جداً، وقد رد أبو مازن علـــى ذلـــك، بالإعتكـــاف فـــي بيتـــه لأكـــثر من سنة، أما أبو علاء الذي كـــان مـــهتماً بتعزيـــز العلاقـــات بيـــن منظمـــة التحريـــر والدول العربية المجاورة، فقد كرس جهده في مجـــال التوصـــل إلـــي إتفـــاق اقتصـــادي

مع الأردن ونجح في التوصل إلى وثيقة متفق عليها تضمن للأردن مكانة مفضلة في الاقتصاد الفلسطيني الآخذ في التطور، بما فيها اعتبار الدينار عملة قانونية إلى جانب الشيكل الإسرائيلي، بيد أن عرفات منعه من التوقيع على الإتفاقية رغم أنه طلب من فاروق القدومي- أحد معارضي اتفاقيات السلام، التوصل إلى إتفاق مماثل مع الأردن، فيما بعد.

إستقبل الفلسطينيون الإتفاقية المبرمة مع إسرائيل، بمزيج من الارتياح والشكوك، فرغم أن الوثيقة تجعلهم يحظون، في نهاية المطاف، بحكم ذاتي، فقد كانوا يشكون في حدوث تغيير حقيقي لدى إسرائيل في أعقاب سنوات الاحتلال الست والعشرين. وقد قال معظم الفلسطينيين الذين أجريت معهم مقابلات بهذا الصدد :"أنهم يأملون بأن يطرأ تحسن على حياتهم". أي نفس الجملة الإسرائيلية المستخدمة، والتي تقول "إن شاء الله سيكون كل شيء على ما يرام".

ورغم ذلك تغيرت ألوان الشوارع الفلسطينية بصورة مفاجئة، وأخذت الأعلام الفلسطينية تبرز وترفرف في كل مكان وشرفة وسطح. ولم تعد إسرائيل تتخذ سياسة غبية، وتأمر جنودها بإنزال الأعلام، لقد تعلمنا بأسلوب صعب للغاية، استحالة هزيمة علم، وبدأت صورة عرفات تظهر في كل مكان، في المقاهي، وواجهات المحلات والشوارع.

وعندما بات من المتوقع أن يتحول الرمز الوطني إلى قائد على أرض الواقع، أصيبت عدة جهات فلسطينية بحالة فزع، خشية أن تقوم الزعامة القادمة من تونس، بإقصاء الزعامة المحلية، عن مراكز السلطة، ولا نفرد لها زاوية معقولة في قاعة الحكم.

أضف إلى ذلك، أن الطبقات المثقفة بدأت تلمح إلى ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لبناء (مجتمع مدني) في الضفة والقطاع لمواجهة متطلبات الحكم الذاتي.

وتوجه الدكتور حيدر عبد الشافي رئيس وفد المفاوضات في مدريد - إلى تونس في محاولة لأخذ تعهد من الزعامة الفلسطينية لانتهاج نظام التعدد

الحزبي، بيد أنه عاد من هناك خــاوي الوفــاض، فعرفــات لــم يكــن يعــتزم الســماح بتشكيل قاعدة لقوة معارضــــة.

لقد بــــذل عرفــات جــهداً كبــيراً لتحســين الاتفــاق فــي أعيــن الجمــاهير الفلسطينية، آخذاً بعين الاعتبار، مزاج هذه الجمــاهير، وتحــدث عــن إعــلان المبــادئ بفخر، لوصفها الخطـــوة الأولـــى علـــى صعيــد الانتصــار، وأكــد أهميتــها بالنســبة للفلسطينيين، فقال : "لقد وضعنا هذا الإعلان، علـــى الخارطـــة السياســـية والجغرافيـــة.

أدى التناقض القائم بين العداء العميـــق الـــذي يكنــه الفلســطينيون لإســـرائيل، والتوقيع على إتفاقية المبادئ إلـــى إحـــراج الفلســطينيين، وإبطـــاء اســتعداداتهم بشـــأن تنفيذ الإتفاقيـــة.

تمكن الطاقم الإسرائيلي المشـــكل لخــوض المفاوضـــات علـــى الإعـــداد لـــه، وقد عين رئيس الأركان أمنون شاحك رئيسا للطـــــاقم، واللـــواء عــوزي ديـــان رئيـــس شعبة التخطيط في هيئة الأركان، رئيساً للجنة القضايـــا الأمنيـــة، وعيـــن اللـــواء دانـــي روتشيلد منسق الأعمال في المناطق، رئيســـا للجـــان الشـــؤون المدنيـــة، وعيـــن يـــوآل زينجر، مشرفاً على الجانب القضائي فــــي المباحثـــات.

وعلى عكـــس عرفـــات تمامـــا، لـــم يجـــد إســـحق رابيـــن أي صعوبـــة فـــي الحصول على موافقة زملائه على إعلان المبـــادئ، وكـــانت الحكومـــة آنـــذاك مركبـــة من ممثلي العمل ومـــيرتس فقـــط، ممـــا جعلـــها أكـــثر حكومـــة تناســـقاً فـــي تـــاريخ إسرائيل، وقد استقبل أعضاء الائتـــــلاف الحكومـــي إعـــلان المبـــادئ بحمـــاس بـــالغ، واعتبروه بمثابة إنجاز تاريخي، وعليه فقـــــد اتخـــذت، جميـــع القـــرارات فـــي الفـــترة التي تلت اتفاقيات أوسلو، وفقاً لرأي شخصين فقط، همـــا رابيـــن وبـــيرس، بـــل وقـــد تم استبعاد يوسي بيلين من هذا الإطـــار، خصوصـــا جـــراء مواصلـــة اعتبـــار نفســـه، هو وهيرشفيلد وفوندك العراب الوحيد للمسيرة السلمية، وبالتالي لـــم يتـــم ضمـــه إلـــى الجهاز السياسي والأمني الذي بناه رابيـــن وبـــيرس.

اســـتقبلت الجمـــاهير الإســـرائيلية الإتفاقيـــة، وفقـــا لتقســـيماتها السياســـية والحزبية، وقد تحدث رابين عن الإتفاقيـــة كتطـــور إيجـــابي، إجبـــاري، ســـيؤدي إلـــى

تقريب إسرائيل من هدفها المبدئي، وهو الأمن بيد أنه تجاهل ضرورة المصالحة، وتحدث عن الاتفاق علناً، كوسيلة جديدة لإحراز أهداف أخلاقية، بينما لازالت بأيدينا وسائل أخرى لتحقيق هذه الأهداف.

وأضاف.."إذا لم ينجح الفلسطينيون في اختبار تنفيذ ما يتوقع منهم، فإننا قادرون، وفي غضون برهة زمنية قصيرة جداً، في السيطرة على كل ما ينحرف عن الطريق المرسوم.. وإزاء عدو مر، فإن أفضل الطرق تتمثل في العثور على أسلوب للتفاهم".

في الوقت الذي كان فيه كل طرف، يناضل من أجل بلورة نقطة انطلاقه في المفاوضات بدت هناك ضرورة للعمل على بلورة إطار لتنفيذ المبادرة المشتركة. وفي السادس من تشرين الأول – أي بعد ثلاثة أسابيع من التوقيع على إتفاقية إعلان المبادئ في واشنطن، اجتمع رابين وعرفات، في أول لقاء عمل بينهما في القاهرة.

كان اللقاء موضوعيا، وفي إطار موسع، من تلك الأطر الذي لا يسمح بأكثر من تبادل وجهات النظر العامة، وليس إجراء حوار منطقي. وقد برز في الوفد الفلسطيني ثلاث شخصيات محلية هم : فيصل الحسيني، وحنان عشراوي، وزياد أبو زياد، وهو من القدس، ومعروف بعلاقاته مع اليسار الإسرائيلي.

أما الوفد الإسرائيلي فقد شمل مساعدي رابين الثلاثة المقربين : رئيس مكتبه ايتان هابر، ومدير مكتب رئيس الحكومة شمعون شييس، والمستشار السياسي جاك نيريا.

وتمثل الإنجاز الرئيسي لهذا اللقاء في خلق إطار لإجراء المفاوضات حول الماهية الدقيقة للحكم الذاتي في غزة وأريحا، وهو الإجراء الذي كان يجب أن يخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي في طابا.

رغب الفلسطينيون في أن تستضيف مصر هذه المحادثات، نظرا لأن الرئيس المصري، حسني مبارك كان بين المؤيدين المتحمسين لقضيتهم أضف إلى ذلك، أن إجراء المحادثات في طابا، كان ذا مغزى رمزي بالنسبة لهم، حيث

أنها قطعة من شبه جزيرة سيناء، التي عادت إلى المصريين إثر التحكيم الدولي بينها وبين إسرائيل عام ١٩٨٦، هذا في حين اختارت إسرائيل طابا لقربها المكاني المريح ، ونظرا لإمكانية عودة المفاوضين الإسرائيليين يوميا إلى إسرائيل وإجراء النقاشات اللازمة دون خشية التنصت عليهم، أما المفاوضات حول الوضع الاقتصادي، فقد تم الاتفاق على عقدها في أوروبا (باريس) بإشراف وزير المالية أبراهام شوحط وأبو علاء.

وفي أعقاب الاتفاق على هذه الأمور، ألقى رابين محاضرة على عرافات، حول الأمن الذي تتطلع إليه إسرائيل كاختبار حقيقي يجب على الفلسطينيين أن ينجحوا في اجتيازه، في حين طرح عرفات أمام رابين عدة قضايا، مثل إطلاق سراح المعتقلين الأمنيين، بيد أن رابين، رفض هذا المطلب، وقال : "يجب مناقشة جميع الأمور في الأطر المخصصة لها". بيد أنه استجاب لمطلب رمزي لعرفات ينص على عدم نقل الفلسطينيين في غزة، بعد ذلك، إلى إسرائيل.

وفي الثالث عشر من تشرين الأول عقدت في القاهرة أول جلسة مراسيم خاصة للجنة الارتباط المشتركة العليا بحضور أبو مازن وبيرس وفي نفس الوقت، بدأت الحوارات في طابا حول غزة وأريحا، وقد ترأس الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي، المفاوضان نبيل شعث وأمنون شاحك، ورغم أن شاحك كان شديد الحرص جدا على مصالح إسرائيل، إلا أنه سرعان ما اكتسب ثقة وتقدير الفلسطينيين، ربما أكثر من أي ممثل إسرائيلي آخر، جراء إنسانيته وقدرته على التعامل مع مطالبهم وأحاسيسهم دون تكوين رأي مسبق أو عجرفة.

أما شعث الذي أسر وسائل الإعلام بالإنجليزية القوية، فقد اتضح أنه نوع من أنواع (أبا ايبان) فلسطيني، وسرعان ما تمكن من كسب تقدير محاوريه، بسبب مبرراته القوية وتفهمه الدقيق للمجتمع الإسرائيلي، أكثر بسبب قدرته وحنكته في المفاوضات.

وفي أعقاب الخطابات الافتتاحية، توجه رئيس الوفدين في جولة على طول ساحل البحر الأحمر.

بيد أن شهر العسل في طابا، كان قصيراً جداً، فقد أدى طرح المواقف الافتتاحية للوفدين، إلى إدراكهما البون الشاسع القائم بين وجهتي نظرهما حول إعلان المبادئ.

فقد أكدت القراءة الإسرائيلية لإعلان المبادئ على الصلاحيات العسكرية والمدنية التي ستبقيها إسرائيل في قبضتها في أعقاب انسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة وأريحا، وقد فهم من ذلك أن إسرائيل "مصدر الصلاحيات الرسمي"، ستمنح للفلسطينيين صلاحيات محدودة، والأهم من ذلك أنها ستسيطر بصورة مباشرة، على معابر الحدود بين غزة وإسرائيل ومصر، بما فيها حقها في اتخاذ قرار حول من الذي تسمح له بدخول غزة أو الخروج منها.

واعتزمت إسرائيل، أيضاً، مواصلة السيطرة المباشرة على ثلاث قطاعات من قطاع غزة والتي تتضمن المستوطنات وأراضيها الزراعية، والطرق المؤدية إليها، والمسارات الأساسية المؤثرة على أمنها.

أما الفلسطينيون، فقد طالبوا بالعكس تماماً، حيث طالبوا بالانسحاب التام من غزة وأريحا، وتسليم السيطرة على المعابر الحدودية إليهم، وترتيب دوريات مشتركة بينهم وبين الجيش الإسرائيلي على طول الخطوط الحدودية الدولية ذات الصلة بهم. وتلبية مطالب الفلسطينيين، كانت المستوطنات ستحظى بالحماية، فقط من داخلها، وطالبوه بعدم الانتقاص من الحقوق الفلسطينية بدعوى أمن المستوطنات.

وطالب الفلسطينيون أن يتم تسليمهم الصلاحيات المدنية بالجملة وليس بالقطاعي، ونظرا لأن مطالبهم كانت انعكاسا إستراتيجيا لهدفهم الأساسي، من المسيرة السلمية، فقد جاء في إحدى الوثائق التي قدموها في طابا : "هدفنا يتمثل في إقامة دولة فلسطينية داخل حدود ١٩٦٧".

كانت تلك المواقف الافتتاحية، والتي أعيد طرحها في المحادثات التي جرت بعد ذلك، ولم يجد زينجر صعوبة في تقديم أساس قضائي للموقف الإسرائيلي، بيد أنه قال في التقرير الذي قدمه لي ولبيرس فيما بعد : أنه يعتقد أن فرص التقدم في طابا ضئيلة، وقال : إن ما جرى هناك لم يكن مفاوضات، بل استعراضات كلامية لا نهاية لها، وتشتمل على منح تصريحات لوسائل الإعلام الإسرائيلية، وفي عقد المؤتمرات الصحفية.

بقيت المواقف التي يتخذها، الطرفان كما هي عليه، بيد أن الفوارق بينها أخذت تتقلص رويداً رويداً، لصالح الجانب الأقوى، وقد تمكن الجيش الإسرائيلي عبر الحرص على أولوية الوضع الأمني، من إملاء الموقف الإسرائيلي، وهكذا حدث أن المسيرة السلمية ومن أساسها فرضت لسد احتياجات أمنية قصيرة المدى، وليس أدل على ذلك من النقاش الإسرائيلي الداخلي الذي عقد في تل أبيب في تلك الآونة حول مطلب الفلسطينيين الخاص بإقامة محطة تلفزيون وراديو رسمية، وقد كان ثمانية من العشرة الذين شاركوا في النقاش من كبار الشخصيات في الجيش وجهاز الأمن العام، وقد تمحور النقاش، بغالبيته العظمى، حول الجانب الأمني وإمكانية استخدام الشبكتين للتحريض ضد إسرائيل- وليس بالجدوى السياسية التي سيجنيها الحكم الذاتي الفلسطيني الجديد، واحتمال التعاون مع إسرائيل.

شعر مسئولو وزارة الخارجية، الذين أصبحوا لأول مرة، خارج التأثير السياسي بصورة مؤقتة – بالقلق الشديد جراء تصعيد الدور العسكري، بيد أنهم امتنعوا عن الإعراب عن هذه المخاوف علنا وقد بعث بيرس إلى رابين تقريرا وضعته شعبة التخطيط السياسي في الوزارة وأشار فيه إلى نقاط الضعف في التوجه نحو المفاوضات، وقد كتب (هاري مارني طل) رئيس الشعبة يقول : إن الفلسطينيين يتمتعون بالمسيرة التي يمنحها لهم هدف إستراتيجي واضح، أضف إلى ذلك، أن الإتمام الإسرائيلي في المفاوضات ينصب على معالجة قضايا يومية.

وأضاف .. إن النهج الإسرائيلي يعمل حقا على الحد من الحركة الفلسطينية بيد أنه يسهم أيضا في إلحاق الأضرار بالمصالح الإسرائيلية التي تقضي بتطوير علاقات مع الفلسطينيين ولا شك أن هذا النموذج من التعامل هو دلالة على العداء ولا شك أنه كان محقاً في ذلك.

لقد أسفرت محادثات طابا عن مفارقة تفاقمت بمرور الزمن، حتى أصبحت مثيرة للقلق.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل، وفي إطار محاولاتها لتقاسم الصلاحيات مع الفلسطينيين، حاولت أن تفرض عليهم نظرية أمنية تنص على أن تبقي إسرائيل بيدها وتحت سيطرتها كل شيء كانت إسرائيل تعزو له أهمية، في الوقت الذي رغب الفلسطينيون فيه بتحقيق المستحيل، والمتمثل في الانفصال الكامل عن إسرائيل ودون أن يأخذوا بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلي الحيوية جداً، مثل النضال ضد معارضي المسيرة السلمية والذين يلجأون إلى العنف، كي يصبح هذا النضال صورة من صور الإستراتيجية المشتركة.

وهكذا وعلى عكس الأسس الموجهة التي تم انتهاجها في أوسلو، فقد حاول كل طرف من الطرفين استخلاص أقصى ما يستطيع استخلاصه من الطرف الآخر بدلا من استغلال المزايا الناجمة عن الشراكة.

وبرزت خلافات عميقة أيضا في الحوار والمفاوضات الاقتصادية الجارية في باريس، فقد وضع وزير المالية أبراهام شوحط نصب عينيه، حقاً، العمل من أجل الشراكة الاقتصادية التي ينص عليها إعلان المبادئ، بيد أنه حرص على أن يستفيد الاقتصاد الإسرائيلي أكثر.

وهكذا اقترح شوحط أن تبقى مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني كوحدة جمركية واحدة وحيدة مع إسرائيل، وأن يتم تحديد التجارة التي يقوم بها هذا الحكم مع الدول العربية بقائمة منتجات محددة سابقة، وأن تصبح المعايير والنوعية للمنتجات الزراعية والبيئة في الحكم الذاتي، متناغمة مع ما هو مقبول لدى إسرائيل.

بيد أن شوحط كان يريـــد أن يوضـــح للفلســطينيين أن تحركــات المواطنيــن الفلســطينيين، وبضائعـــهم ســتكون خاضعـــة للتقديــرات الأمنيــة الإســرائيلية. أي أن الفلســطينيين وتحركاتـــهم وتحركــات بضائعـــهم، ســتكون متعلقــة تمامــا بالاقتصـــاد وبالأمن الإسرائيلي، أو أكثر دقة للإحســاس الإســرائيلي بــالأمن.

بيد أن الفلسطينيين كانوا يتطلعـــون إلـــى حريــة تجــارة أوســع مـــع الأردن ومصر، والى شروط جمركية وضريبة قيمة مضافـــة، أقــل مـــن جارتـــها ذات القـــوة الاقتصادية الكبيرة، وكانوا يولون أهمية أكبر لحريـــة حركــة عمالـــهم وبضائعـــهم مـــن الحكم الذاتي إلى إسرائيل والعكـــس.

إن الشخصية الوحيـدة الـذي حـذر مـن مغبـة التـأثير السـلبي للسياسـات الإســرائيلية، كــان ممثــل وزارة الخارجيــة فــي المحادثــات الاقتصاديــة عوديـــد عيران(ســفير اســرائيل فــي الاردن حاليــا) وعــيران صــاحب التفكــير والشــخصية المستقلة والذي كان علـــى صلــة بالمفاوضــات، أكــثر مــن أي شــخصية إســرائيلية باستثنائي أنا وزينجر- طالب وبحق وإن لم يحرز نجاحــا علـــى هــذا الصعيــد- منــح الفلسطينيين قدرا كبيرا من الحرية والاســـتقلال الاقتصــادي.

وعندما قابلت أبو علاء في باريس، خـــلال فــترة المحادثــات السياســية، قـــال لي : أن شوحط ترك لديه انطباعا، بأنه رجــل يقــف علـــى أرض الواقـــع بثبـــات، وأن بالإمكان بناء علاقات ثقة معـــه، وتحـــدث عـــن الجـــهود التـــي بذلـــها بغيـــة لتحســين شروط الإتفاقية الاقتصادية بصورة تتيح للاقتصـــاد الفلســطيني الفرصـــة لنيـــل فرصـــة حقيقية لرفع رأسه، بيد أنه كان واقعيا جـــدا، فيمـــا يتعلـــق بفـــرص تعزيـــز قـــوة هـــذا الاقتصاد دون أن تكون إسرائيل – كشريك قـــوي – كريمـــة وذكيـــة، بمـــا يكفـــل لـــها تقدير المزايا الكامنة في منح الاقتصاد الفلســطيني إمكانيـــة النمـــو.

وأضاف أبو علاء قـــائلا تذكـــر أن الأمـــن لـــن يتحقـــق دون تطـــور ونمـــو إقتصاديين، يجب علينـــا أن نســير قدمـــا بوتـــيرة أســـرع. ولاشـــك أن شـــاحك هـــو شخصية ممتازة، وسيتوصل إلى إتفاق مع شعث، بيـــد أنـــه يتوجـــب علينـــا أن نفكـــر، بما بعد إتفاقية غزة وأريحـــا.

قلت له متذمرا : "جمـــاعتكم لا يســارعون فـــي ترتيـب أمورهــم". فقـــال : "زعامتنا موجودة الآن فـــي الخـــارج، فـــأبو مـــازن فـــي دول الخليـــج وعرفـــات فـــي أوروبا، وهم يستقبلون هناك بصورة جيـــدة، ويحـــاولون الحصـــول علـــى أكـــبر دعـــم ومساعدات للسلطة الفلسطينية، بيد أن المسألة المهمة، هي الســـير قدمـــا"، لـــذا، فـــإنني أقترح أن نشرع إلى جـــانب كـــل هـــذا بمحادثـــات ســـرية، لوضـــع أســـس التســـوية المرحلية، التي تعتـــبر، فـــي حقيقـــة الأمـــر، المســـألة المهمـــة. إن الآخريـــن يـــرون الأشجار، بيد أنهم لا يرون الغابة : الشراكة التـــي اتفقنـــا حولـــها فـــي أوســـلو، وإنني أعتقد أن حسن عصفور وزينجر، هما الوحيدان اللـــذان يدركـــان الوضـــع".

وعدت أبو علاء بمناقشـــة بـــيرس حـــول إمكانيـــة إجـــراء محادثـــات ســـرية موازية للمحادثات الجارية، بيد أنني ذكرت أبـــو عـــلاء، بـــأن القضيـــة المهمـــة تتمثـــل في التوصل إلى إتفاق حول غزة وأريحا، وإحداث تغيـــير حاســـم علـــى أرض الواقـــع، فوافق على ما قلته، وقال لي : لقد وافق الطرفـــان علـــى التوصـــل إلـــى إتفـــاق حتـــى الثالث عشر من كـــانون الأول.

وقلت له : إنكم تضيعون الوقت سدى، علـــى التفـــاصيل، فمـــا الـــذي فعلتمـــوه حتى الآن، على صعيد إعداد المجتمع الفلسطيني لاســـتقبال الحكـــم الذاتـــي، عـــبر بنـــاء مؤسسات هذا الحكم، إن هذه الخطوة هي أهم من إثـــارة الجـــدل معنـــا.

فقال أبو علاء : "أنا أوافقـــك الـــرأي، لكنني و–ح–د–ي.

ضحكنا، نحن الاثنين، واتفقنا علـــى الحفـــاظ علـــى اتصـــال هـــاتفي أفضـــل، ولم يكن أي منا يعتقد أن الظروف ستجعلنا نتقـــابل أكـــثر.

إضافة إلى العلاقة الخاصـــة التـــي تطـــورت بينـــي وبيـــن أبـــو عـــلاء فـــي أوسلو، فقد تطور تفاهم مفاجئ بين شـــخصيات أمنيـــة إســـرائيلية رفيعـــة والشـــخصيات الفلسطينية، التي كانت تجري معها لقاءات ســـرية فـــي جنيـــف، وقـــد كشـــف أمنـــون شاحك لي هذه الحقيقة عندما توجهت أنا وهو إلى القـــاهرة منتصـــف كـــانون الأول.

ففي غضون الأسابيع التي سبقت هــذه المرحلــة إلــى القــاهرة، اجتمــع هــو ويعقوب بيري رئيس جهاز الأمـــن العــام، مــع محمــد دحــلان وجــبريل الرجــوب واللذين تم اختيارهما لترؤس جهاز الأمن الوقائي في غـــزة والضفــة الغربيــة.

كان الإســرائيليان ضــابطين رفيعيــن، بتجربــة واســعة، فــي حيــن كــان الفلسطينيان مقاتلي شوارع سبق لـــهما أن حاربــا، حســب وســائلهما الخاصــة، ضــد "جيش الاحتلال" الإسرائيلي، مما جعلهما يقضيان فترة طويلــة جــداً مــن حياتــهما فــي المعتقلات الإســرائيلية.

وقد حكم على دحلان بالسجن لمدة خمـــس ســنوات، وفــي أعقــاب خروجــه من السجن، توجه إلـــى تونــس، وعمــل رئيســاً لإحــدى وحــدات الحمايــة للرئيــس الفلسطيني وتأسيسا على هذا الوضع، أصبح مقربا لعرفــــات، وتمكــن مــن بنــاء قــوة مركبة، بصورة رئيسية من الأشخاص المبعديــن عــن المنــاطق.

ويقول شــاحك : إن الشـــيء المميــز فــي جــبريل الرجــوب، هــو صوتــه العميق والغامض الذي يشبه مارلين براندو، فــي فيلــم "العــراب".

كان الرجوب ودحلان يتحدثـــان اللغـــة العبريــة بطلاقــة ولكنــة إســرائيلية، ويعرفان جميع مناحي المجتمع الإسرائيلي، بدءا من السياسة وحتـــى كــرة القــدم. فقــد عمل الإثنان- الرجوب كان محكومــاً لمــدة خمــس عشــرة ســنة- تعلــم ودرس كــل شيء حول العدو الصهيوني. وقــد أعجــب الرجــوب بشــكل خــاص بكتــاب منــاحيم بيغن "التمرد"، وأكثر من القول أن بيغن جعـــل مـــن هــذا الكتــاب، نموذجــا لنضالــه الصلب، والذي لا يعرف الكلل ضـــد الاحتــلال.

كان هؤلاء الأربعة يناقشـــون كيفيــة عمــل قــوات الأمــن الفلســطينية فــي الضفة وغزة، وكيفية تنســيق الجــهود المشــتركة لكســر حــدة الإرهــاب ومقاومتــه. وربما أفضل النتائج التي أسفرت عنها هــــذه المحادثــات هــو تطويــر لغــة مشــتركة بينهم، لقد كانوا أعداء الأمس من نـــوع غريــب. كــانوا مضطــهدين (بكســر الــدال) ومضطهدين (بفتح الدال) في عين أحد الأطراف، فيمـــا كــانوا إرهــابيين وجنــودا فــي أعين الطرف الآخر، بيد أن الفلسطينيين كــانوا قــادرين علــى كبــح جمــاح غضبــهم،

في حين لم يبد الإسرائيليون أي دلالة من دلالات التعاظم، وشاعت المفارقات العجيبة أن يشعر الفلسطينيون بالثقة في إمكانية التأثير على أبناء شعبهم، تأثيرا واسعا، في حين قصر الإسرائيليون أمورهم على القضايا الأمنية.

وعلى أية حال، فإن سيطرتهم المشتركة على لغة القوة الممزوجة بالأحاسيس الإنسانية، هي التي أكسبت العلاقات بينهم تلك الصفات المميزة، ومنحتهم القدرة والكفاءة اللازمتين في اللحظات الحرجة من المسيرة.

كانت العلاقات بينهم حقا مميزة، بيد أن الصورة الأوسع لمفاوضات غزة أريحا كانت تغص بالتناقضات بين الالتزام بالشراكة الجديدة وبين الذهنية التي كانت قائمة لمعادلة نتيجتها صفر.

مثلما هي العادة، في المواقف الافتتاحية، فقد آلت محادثات طابا بسرعة إلى طريق مسدود، وقد بذل زينجر قصارى جهده، من أجل إقناع الطرفين وحثهما على التوقف عن توجيه الإتهامات، والإتهامات المضادة، والانتقال إلى مرحلة إعداد الوثائق كأساس لإعداد المسودات المشتركة، بيد أن الخلافات، كانت واسعة جدا، وبلغت درجة احتاجت فيها إلى تدخل الزعامة العليا لتحريك المسيرة.

اجتمع بيرس وعرفات في الحادي عشر من كانون الأول على هامش، اجتماعات لجنة اليونسكو للعلاقات الثقافية، والتي عقدت في إسبانيا.

وبعد يومين – أي في الثالث عشر من كانون الأول، وهو التاريخ الذي تم تجديده في إعلان المبادئ لاستكمال اتفاقية غزة – أريحا عقد اجتماع رسمي في القاهرة، بمشاركة رابين وعرفات لم تكن هذه اللقاءات لطيفة، بيد أنها كانت ضرورية.

حاول بيرس في إسبانيا، أن يوضح لعرفات إصرار إسرائيل على القضايا الأمنية، وبشكل خاص في كل ما يتعلق بالأمن الخارجي، والمعابر الحدودية، وقال : "سيدي الرئيس، سأطرح أمامك الحقيقة بصورة مباشرة ودون أي زخارف، أنا ورابين ندرك الصعوبات التي تواجهها، ونحن معنيان بنجاحك، بيد أنه يتوجب عليك أن تدرك أي محاولة عنف تقوم بها حماس، ستواجه برد

فعل شديد من جانبا ولن نتهاون في المفاوضات حول المعابر الحدودية على نهر الأردن والحدود المصرية، ونحن نخشى من عمليات تهريب السلاح، فعشرة مسدسات قادرة على إسقاط العديد من الضحايا، وهذه المسألة من وجهة نظرنا، هي مسألة حيوية لأمننا".

وقد فسر عرفات هذه اللهجة على أنها تعني حصار الفلسطينيين من جميع الجهات ووضعهم في قفص، قال : لست على استعداد للنضال من أجل بنتوستان – وهي دولة تابعة وكانت محاطة بجنوب أفريقيا في عهد حكومة التمييز العنصري– من فضلكم، فتشوا عن صيغة أخرى، ألا تعتمدون علي؟؟

وبيرس : "لا نعتمد على حماس".

عرفات: "وأنا آخذ بعين الاعتبار المعارضة تقف أمامي، والانتقادات التي يوجهها زملائي فأنا لا أستطيع الموافقة على ما تقول– هذه مسألة كرامة– ونحن لن نسمح بوقوع عمليات أمنية وسنستخدم القبضة الحديدية بهذا الصدد، أكثر مما كنتم تفعلون، وبمقدورنا تنسيق نشاطاتنا مع نشاطاتكم".

بيد أن بيرس، قال بلهجة أكثر حدة : "لا نستطيع أن نتهاون أو نتوصل إلى تسوية بهذا الصدد".

عرفات : "أنتم حقا الأقوى، لكن لا تدفعوني إلى الزاوية، إنني أقف وظهري إلى الحائط ولا أستطيع أن أقول للفلسطينيين أنكم ستسيطرون على جميع نقاط الدخول الحدودية بالاتجاهين".

بيرس : "إتفاقية التسوية المرحلية تبقي الأمن الخارجي في قبضة إسرائيل".

عرفات : "لكنني لا أحكم اليوم بناءً على حصولي على أغلبية الأصوات في الانتخابات، بل بناءً على تخويلي الشخصي".

بيرس : "ولدينا مصلحة واضحة في الحفاظ على هذا التخويل، وسنعمل الكثير من أجله".

عرفات : "لكنكم تعرضون علي وضعاً مماثلاً لبنتوستان فكيف يمكنني العمل في ظل وضع كهذا".

بيرس : "نحن نتحدث عن بداية مسيرة، وعن التسوية المرحلية، وبمقدورك أن توضح ذلك للفلسطينيين".

إن النقاط آنفة الذكر، والتي أكدها بيرس خلال لقائه، والتي أصرت عليها إسرائيل : الإصرار على السيطرة على حدود الحكم الذاتي، والتأكيد على أن إسرائيل ستدعم عرفات، والإشارة إلى أن هذه هي شروط التسوية المرحلية، طرحت، المرة تلو الأخرى، خلال المفاوضات وفي نهاية المطاف، انتصرت نظرية الأمن التي طرحناها.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ترى هل كانت الاستجابة لمطالب عرفات القائلة بتعزيز صلاحياته ومسئوليته ستؤدي إلى تحسين أمن إسرائيل؟ أعتقد أننا لن نتمكن من الرد على هذا السؤال أبداً. لقد تم التأكيد على نفس هذه القضايا خلال الاجتماع الذي عقده رابين وعرفات في القاهرة بعد يومين، ففي أعقاب المحادثات التي أجرياها مع الرئيس المصري حسني مبارك، بقي الاثنان وحدهما لأول مرة وقد استغرق حوارهما ثلاث ساعات، فيما كان الرئيس مبارك ينتظر خارج الغرفة.

وفي الوقت الذي قال فيه الرئيس مبارك لأبو علاء "الآن سنرى من منهما الأقوى"، بدا رابين في الناحية الأخرى من الباب مذهولا لتفسير عرفات لإعلان المبادئ، وخصوصا للمبادئ المتعلقة بالأمن الخارجي.

وكما يبدو، فإن عرفات شعر إثر لقائه مع بيرس، والجلسة التحضيرية التي أجراها مع المستشار السياسي لرئيس الحكومة جاك نيريا، أن هناك ضرورة لاتخاذ موقف متشدد تجاه رابين نفسه ولهذا السبب قال لرابين : إن العلاقات بين الفلسطينيين ومصر والأردن بما فيها الوضع الحدودي مع الدولتين ليست من شئون إسرائيل.

وأضاف .. من حقكم الدفاع عن أنفسكم ضد الأخطار الإستراتيجية، بيد أن السيطرة على الحدود، ونقاط الدخول والخروج هي قضية فلسطينية بحتة، وكما يبدو فإن هذا كان فهمه لإعلان المبادئ.

وقد عمد رابين- الذي أدرك بأنه لا توجد لدى عرفات أي مفاهيم حول معنى الأمن الخارجي بالنسبة لإسرائيل، إلى توضيح معنى هذا المصطلح، بالنسبة لإسرائيل، والذي تضمن ضرورة وضع المعابر الحدودية في قبضة إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، إن وضع المعابر الحدودية تحت سيطرة إسرائيل كانت له أهمية بالغة جدا على الصعيد الإسرائيلي من ناحيتين :

* إن كل من يدخل إلى الضفة الغربية أو غزة من الأردن أو مصر، يدخل أيضا إلى الأراضي الإسرائيلية، نظرا لعدم وجود حدود بين إسرائيل والضفة وغزة، أو بمعنى آخر، فإن تسليم المعابر الحدودية إلى ياسر عرفات سيحرم إسرائيل من حقها في اتخاذ قرار حول من الذي يدخل أو لا يدخل إلى أراضيها.

* ثانيا : إن الحكم الذاتي كان سيحظى بشرطة قوية "من أجل" ضمان النظام العام والأمن الداخلي، أي أن هذه القوة هي أقل كثيرا من جيش قادر على الدفاع عن الحدود، وبالتالي فإن المنطق ينص على أن تتولى إسرائيل مهمة الدفاع عن الحدود والمعابر الحدودية ضد أي تهديد مسلح.

ولا شك أنه لو أصر عرفات على موقفه لكانت المسيرة قد آلت إلى الموت المحتوم، بيد أن رابين كان مصرا على ألا يسمح للأمور للوصول إلى هذا الحد، ولهذا السبب، تم إعلام وسائل الإعلام أن الزعيمين لم يتوصلا إلى إتفاق لكسر الجمود، لكنهما سيواصلان الحوار بعد عشرة أيام.

عاد رابين إلى إسرائيل ونفسه تمتلئ بالشكوك، جراء تفسير عرفات لإعلان المبادئ، ولم يكن يرغب في العودة للجدال مع عرفات حول هذه النقطة، لذا فضل عقد جلسة للجنة الارتباط العليا برئاسة بيرس من الجانب الإسرائيلي، من أجل توضيح الخلاف، وهكذا، فإن إعادة بيرس إلى الصورة كان يعني أن مسار أوسلو على وشك العودة إلى الحياة مجددا.

اجتمع بعض "منتدى أوسلو"، في تلك الآونة في فندق انتركونتيننتال في باريس، وقد استهللنا الاجتماع بتناول طعام العشاء في منزل لاريسون، وقد قدم أبو علاء وبصحبته ابنه عامر وجئت أنا وبصحبتي زينجر من إسرائيل مباشرة،

وتم توجية دعوة إلى الصحفية البريطانية جين كوربيـــن التـي اسـتكملت لتوهـا كتابـا حول مفاوضات أوسلو للانضمام إلينـــا.

وتطرقنا خـــلال الاجتمـاع، إلـى ذكريـات مـن أيـام مفاوضـات أوسـلو، وأعربنا عن تذمرنا من المفاوضات الحالية، لقـد انقلبـت الأمـور رأسـا علـى عقـب منذ ذلك الحين، وبقينا نحن خـارج الصـورة مـع قـدر ليـس قليـلاً مـن الإحسـاس بالإحبـاط.

كان أبو علاء مشاركاً فـي المفاوضـات الاقتصاديـة، وأبـو عـامر متذمـراً من عدم رؤيته لأبيه فقال : "أنا أفتقـر إلـى الأب، وأفتقـر إلـى المـال وأفتقـر إلـى الوطـن".

وفجأة، دق جرس الهاتف، وكانت تلـك (مونـه) زوجـة لاريسـون- والتـي قالت : إن الجهود التي بذلها النرويجيون أسفرت عن اتخاذ قـرار بعقـد جلسـة للجنـة الارتباط العليا المشتركة برئاسة بيرس وأبو مـازن، وأن اللقـاء سـيعقد فـي غضـون ثمان وأربعين ساعة في أوسلو، لذا علينا أن نفتش عـن أبـو مـازن.

نهض أبو علاء، وحاول الاتصال بأبو مازن فـي تونـس، كنـت قـد عرفـت مصادفة أن أبو مازن فـي المغـرب ويحـل ضيفـا علـى صديقـي، رجـل البنـوك اليـهودي المغربـي المعـروف أندريـه أزولاي، وأحـد أخلـص مستشـاري الملـك المغربي الحسن، والذي كان من أصدقاء أبو مازن وبعـد عـدة محـاولات يئـس أبـو علاء في العثور على أبو مازن في تونـس فنـهضت أنـا وقلـت لـة : دعنـي أعـثر عليه أنا، وبعد عدة دقائق كان أبو مازن على الناحية الأخـرى مـن الخـط فـي فنـدق "هيات" في الرباط. وبدا من التعابير التي إنعكست علـى وجـه أبـو عـلاء أن تقديـره للمخابرات الإسرائيلية، قد ازداد إلى حد كبير جداً ولم أوضـح لـه أنّ عـامل الصدفـة الذي جعلني أعرف مكان أبو مـازن.

تناول لاريسون السماعة مني وطلب من أبـو مـازن أن يطـير إلـى أوسـلو حالاً، بيد أن أبو مازن رد عليه بالرفض التـام، تنـاول أبـو عـلاء السـماعة وتحـدث

مع أبو مازن بصـــوت غــاضب، بيـــد أن جميـــع الجـــهود التـــي بذلـــها ذهبـــت أدراج الريـاح.



٤- عيد ميلاد أمنـــون شـــاحك، مـــع أوري ســـبير، ويوئيـــل زينجـــر، وجـــاك نيريـــه ١٩٩٤/٣/١٨.

بيرس يقترح على الفلسطينيين صفقة"الأمن مقابل التاريخ"
عرفات كاد ينسف اتفاق القاهرة. ومبارك انقذ الموقف

لقد كان أبو مازن مصراً، في تلك الآونة، علـــى عـدم تقديـم أي مسـاعدة أو أي خطوة على صعيد المسيرة السلمية، والذي لـم يعـد اتجاهـه يـروق لـه. عـدا عن أن علاقاته مع عرفات، لم تكن، آنذاك، على مـا يـرام.

عدنـا إلـى مـائدة الطعـام لمناقشـة الطـرق التـي تسـهل العـودة إلـى المفاوضات، بانتظار أن تتصل بنا(مونـه) لإعلامنـا بـالتطورات. ولـم نكـن نعلـم أن هولست، في تلك الساعات بالضبط، أصيب بسـكتة دماغيـة فـي مدريـد، ونقـل بالطائرة إلى أوسـلو.

استهل أبو علاء الحديث بالقول:" يجـب علينـا، بـادئ ذي بـدء، أن نفصـل القضايا الأساسية: المعابر، وحجم مساحة أريحـا، ونقـل الصلاحيـات".

وعقبت أنا قائلاً:" وأقترح أن يتم ترجمة وثيقـة إعـلان المبـادئ إلـى اللغـة العربية، لأنني أعتقد أن قسماً من رجالكم لـم يقرأهـا.

فرد علي قائلا: ومن الجائز أن يكون رجالكم أيضـا قـد ترجمـوه إلـى اللغـة العبرية بتصرف إلى حد ما". هبط وفدنا فـي الليلـة التاليـة، فـي مطـار عسـكري بالقرب من أوسلو، ونقل إلـى بيـت الضيافـة (ساربسـبيرج) والـذي أجرينـا فيـه بعض المفاوضات السرية فـي صيـف ١٩٩٣. وقـد تـوارد عشـرات الصحفييـن إلى المكان على أمل أن يتم تسريب شيء مـا، بيـد أن مجيئـهم كـان عبثـاً، فقـد عدنا إلى المفاوضات السـرية.

شارك في هذه المحادثـات بـيرس، ووزيـر البيئـة يوسـي سـريد وأمنـون شاحك ويوأل زينجر وأنا. أما الوفـد الفلسـطيني، فقـد ترأسـه ياسـر عبـد ربـه، وشمل نبيل شعث وأبو علاء وحسـن عصفـور.

أمـا القضايـا التـي تـم تناولـها، خـلال الاجتمـاع، فتمثلـت فـي الأمـن الإسرائيلي الخـارجي، بمـا فيـه المعـابر الحدوديـة. ومسـاحة منطقـة أريحـا،

والترتيبات الأمنية للمستوطنات، وعملنا بصـورة رئيسـية علـى ترجمـة الخلافـات في وجهات النظر بيننا حول البدائل، بغية العثور علـى أسـس للتسـوية.

بدا بيرس، غاضبا جدا، جراء مطالبته بالمشـاركة فـي هـذا اللقـاء الخـاص، وقد عكس غضبه برفـض التحفظـات الفلسـطينية ووصفـها بالصغـائر، والتـأكيد على أن النظرية الإسرائيلية الأمنية، لا تشوبها شائبة. لقد جـاء إلـى أوسـلو لسـبب بسيط للغاية، فقـد أراد أن يقـترح علـى الفلسـطينيين صفقـة تنـص علـى :" الأمن مقابل التـاريخ".

وعندما أصبحنا في النرويج، أملت أن نعـود إلـى المسـار الصحيـح. كـانت الجلسة مصبوغة بروحية أوسلو. بيد أن الخلافـات العميقـة بقيـت علـى مـا هـي عليه، فالفلسطينيون لم يكونوا على استعداد لإحداث تغيـير، ولـو قيـد أنملـة، فـي مواقفهم بشأن المعابر الحدودية –رغم أنهم كـانوا علـى اسـتعداد لمناقشـة احتمـال السيطرة المشتركة عليها. أمـا بالنسـبة لمسـاحة أريحـا، فقـد واصلـوا المطالبـة بمساحة من الأرض تعادل عشرة أضعاف ما تبدي إسـرائيل اسـتعدادا لمنحـه.

أما إسرائيل، وفي إطـار الإصـرار علـى نظريـة الدفـاع الإقليميـة، فقـد طالبت بالسيطرة على ما نسبته ١٥% من مساحة قطـاع غـزة بغيـة التمكـن مـن الدفاع عن المستوطنين الباقين في منطقة يقطنـها مليـون فلسـطيني.

حاول بيرس إقناع الفلسطينيين بأنـه لـن يكـون هنـاك أي طعـم أو جـدوى لمعارضتهم الدائمة لكل حاجة من احتياجـات إسـرائيل الأمنيـة.

وقد حاول –رجل اليسار– سريد تأييد وجهـة نظـر بـيرس، بكـل قوتـه. أمـا شاحك، فقد حافظ على أعصابه ورباطة جأشه طيلـة النقـاش، تاركـا حسـم الأمـر للسياسيين، خصوصا وأنه كان يدرك أن بـيرس لـم يوافـق علـى جميـع مطـالب الجيش، فيما يتعلق بالتسوية مع الفلسطينيين، واعتبر أنـها مبـالغ فيـها، رغـم أنـه لم يستخف بها أبـدا.

ورغم أن لجنة الارتباط لم تتمكـــن مـــن تســـوية الخلافـــات فـــي أوســـلو، الا أنها عادت والتقت أربع مرات في باريس والقـــاهرة، ودافـــوس، ومـــرة أخـــرى فـــي القـــاهرة.

وقد جاء لقاؤنا التالي، في السادس عشر مـــن كـــانون الأول، فـــي فنـــدق فـــي (فرساي). وقد قبل الفلســـطينيون، خـــلال هـــذه اللقـــاءات، اقـــتراح بـــيرس القـــائل بتقسيم المعـــابر الدوليـــة إلـــى جنـــاحين الأول: يخصـــص لجميـــع القـــادمين إلـــى إسرائيل والضفة الغربية-باستثناء أريحا- ويجـــب أن يوضـــع هـــذا الجنـــاح تحـــت المســـئولية الإســـرائيلية الكاملـــة، والثـــاني مخصـــص للقـــادمين إلـــــى الســـلطة الفلسطينية-غزة وأريحا- والـــذي ســـيوضع تحـــت إشـــراف مشـــترك مـــن رجـــال الجيش الإسرائيليين والمدنييـــن الفلســـطينيين.

وفي اجتماعات باريس، بدأت العلاقات بيـــن الطرفيـــن تصبـــح أقـــل رســـمية مما كانت عليه. وفي إحدى الجلسات سأل بـــيرس أعضـــاء الوفديـــن: فيمـــا إذا كـــان الرئيس السوري حافظ الاســـد، ســـيصنع الســـلام حقـــا أم لا؟ وقـــد أعـــرب غالبيـــة الفلسطينيين عن شكهم في ذلك ولربما جـــاء ذلـــك تعبـــيراً عـــن مصلحتـــهم أو نجـــم عن الشعور بالعداء تجاه الرئيس الســـوري- وأكـــدوا أن الرئيـــس الأســـد، ســـيحاول كسب الوقت بعدم إبداء المرونة اللازمة. أما عبد ربه، الـــذي كـــان يعـــرف النظـــام السوري، أكثر من أي جهة أخرى، فقد أعرب عن اعتقاده بـــأن الأســـد ســـيلجأ إلـــى مناورات الإرجاء والتعليق حرصا على ثبـــات نظامـــه واســـتقراره.

إن الإصغاء إلى العرب، وهم يتحدثون عـــن عـــرب آخريـــن أعطانـــا شـــعوراً قريبا من الجار الذي يشعر بإمكانية التجســـس علـــى جـــاره وأثـــار لدينـــا مشـــاعر مثيرة للاهتمـــام.

لم تخط المفاوضات ولو خطـــوة واحـــدة إلـــى الأمـــام، وبقيـــت تـــراوح فـــي مكانها، وعندما عدنا واجتمعنا في القاهرة، شـــعر بـــيرس بـــالضجر الشـــديد، وبـــأن السيل بلغ الزبى، لذا قرر العمل على تســـريع هـــذه المحادثـــات عـــبر شـــن هجـــوم على الوفد الفلسطيني، فاستهل الحديـــث قـــائلا:" إنننـــي أعـــتزم منـــح هـــذه القضيـــة

فرصة واحدة أخرى، أنا لم آت إلى هنا كي أتسلى". بدا صوت بيرس مرتفعاً وشديداً، وهو الأمر الذي أذهل الفلسطينيين وكذلك الإسرائيليين.

وأضاف بيرس:" أنتم تضيعون وقتاً ثميناً وبمقدوركم عمل ذلك بدوني. ومن ناحيتي بمقدوركم البقاء هنا شهراً، فأنتم تتشاجرون على التفاصيل ولا ترون المهم".

كان صراخ بيرس مسألة تكتيكية، بيد أنه كان أيضا تعبيرا عن الغضب الحقيقي. فرغم أن بيرس معروف بالصبر والأناة، الا أنه كان نافذ الصبر جداً، عندما يتعلق الأمر بما يعتبره صغائر لقد كان يرى في موقف الفلسطينيين مجرد تصلب من أجل التصلب، أضف إلى ذلك، أنهم كانوا بمثابة المتنفس الوحيد لغضبه وشعوره بالإحباط.

لقد تعذر عليه إرسال الفلسطينيين للتحاور مع طاقم المفاوضات الإسرائيلي دون أن يحدث مشكلة داخلية.

وعندما بدأنا النقاش حول أريحا، اقترح شاحك بتوسيع رقعتها إلى ٥٥كم مربعاً. فقد كانت مسألة المعابر الحدودية، القضية الرئيسية التي تحتاج إلى حل، نظرا لأنها كانت تشكل صورة مصغرة لمصطلح الحكم الذاتي كله.

كان جسر (اللنبي) الملك حسين مفتوحا في وجه الحركة السكانية والبضائع منذ الأشهر الأولى التي تلت حرب عام ١٩٦٧، على الرغم من أن الأردن وإسرائيل كانتا، على الصعيد الرسمي، في حالة حرب. وقد اجتاز الجسر عشرات الاف الفلسطينيين، بيد أن عمليات التفتيش الشخصية وتفتيش الأمتعة كانت مذلة للغاية من قبل اسرائيل. وكان على المسافرين الفلسطينيين أن ينتظروا ساعات. واحيانا يوما كاملا، قبل ان تتم عمليات التفتيش الدقيقة لهم شخصيا ولأمتعتهم. وقد أصبحت ساعات الانتظار تلك، إحدى أكثر مظاهر الاحتلال كراهية لدى الفلسطينيين. لذا، كان مسألة إزالة هذه المظاهر وامتلاك موطئ قدم على الجسر، أهم للفلسطينيين من أي شيء اخر. وقد اكد شركاؤنا

في المحادثات ضرورة وضع حد لعمليات الإذلال، وبـــدت أصواتـــهم شـــديدة التـــأثر ومليئة بالغضب الحقيقـــي.

وأضافوا: هناك ضرورة لأن تشعر الجماهير الفلســـطينية بـــأن هنـــاك تغيـــيراً راديكالياً على عملية الدخـــول إلـــى وطنـــهم. ولـــهذا الســـبب، طـــالبوا (بفلســـطنة) الجسور عبر وضع رموز فلسطينية، كوجـــود موظـــف فلســـطيني، وإعـــادة النظـــر في عمليات التفتيش والإجـــراءات الإداريـــة.

واصلنا الإصرار على موقفنا القـــائل: أن أي فلســـطيني يرغـــب فـــي دخـــول مناطق الحكم الذاتي، وبالتالي يجب أن يدخـــل إســـرائيل، يجـــب أن يخضـــع لتفتيـــش إسرائيلي. وقد قال بيرس لهم:" نحن سنضمن أمننا، وســـنحافظ علـــى احـــترامكم".

بيد أن المشـــكلة أن هذيـــن العـــاملين" الأمـــن والاحـــترام" كانـــا يصطدمـــان أحدهما بالآخر بصورة محتومة في جميـــع المعـــابر-مثلمـــا يحـــدث فـــي أي مكـــان آخر. لذا لم نجد مناصا، سوى البحث عن حـــل خـــلاق ، بيـــد أن هـــامش المنـــاورة لدينا كان ضيقـــا.

لم يقتنع الضباط الإســـرائيليون بمزاعـــم الفلســـطينيين بشـــأن عمليـــات الإذلال على الجسور، وقالوا: أن المنطقة لا زالت تعـــج(بـــالمخربين). لـــذا، لـــم يكـــن مـــن المستهجن أن يتحول لقاؤنا الأول في القاهرة إلى جدل عقيـــم يطـــرح فيـــه الطرفـــان مواقف متشددة وغير قابلة للحـــل.

قال شعث لامنون شاحك:" أنت ترى الأشـــياء فقـــط، فـــي صـــورة احتياجـــات فورية، ولا تولي اهتماما أبدا بمغزاهـــا علـــى المـــدى البعيـــد". فـــرد عليـــه شـــاحك قائلا:" طالما بقي الإرهاب قائما لن يكون هناك مـــدى بعيـــد".

طلب بيرس ورقه وقلما، ووضعـــهما علـــى الأرض، وشـــرح فكرتـــه والحـــل الذي يراه بشأن المعابر، ثم طلب من شعث وشـــاحك ترجمتـــها علـــى أرض الواقـــع العملي. وفجأة، فتح الباب ودخل أبو مـــازن، الـــذي اســـتجاب مؤخـــرا، وعـــاد إلـــى المفاوضـــات.

كان من المفروض-مثلما أوردنا- أن يكون هناك مدخـلان لكـل معـبر، لقـد فهم الفلسطينيون أن بمقدور إسرائيل أن تفعـل كـل مـا يحلـو لـها فـي النصـف الخاص بها من المعبر، وبالتـالي بـدأ الجـدل حـول الإجـراءات التـي يجـب أن تنتهج في النصف الفلسـطيني.

نشـب نـزاع حـاد فـي البدايـة، حـول السـؤال عمـا إذا كـان سيسـمح للفلسطينيين برفـع علمـهم ووضـع شـرطي علـى مدخلـهم. والحقيقـة هـي أن الفلسطينيين أرادوا أن يتم عرض هذين الرمزين علـى جسـر (اللنبـي) كدلالـة مـن دلالات السيادة، بيد أننا رفضنا ذلك. ورغم ذلك، نجحنـا فـي بعـض القضايـا، فـي خلق نموذج مقبول لدى الطرفين. واتفقنا على وضـع شـرطيين علـى جـانبي بـاب التفتيش الإلكتروني، والـذي يتوجـب علـى جميـع المسـافرين اجتيـازه، أحدهمـا إسرائيلي والاخر فلسطيني. فإذا ما أطلق الجـهاز صفـارة إنـذار حـال عبـور أي مسافر فلسطيني، يتم تفتيشه في غرفـة خاصـة مـن قبـل شـرطي -أو شـرطية- فلسطيني، وبحضور نظير إسرائيلي. أما الحقائب، فيتـم نقلـها إلـى مكـان مغلـق، حيث تقوم إسرائيل بتفتيشها إلكترونيـا. أمـا الحقـائب المشـبوهة، فيقـوم شـرطي إسرائيلي بفتحها بحضور صاحبها وحضـور شـرطي فلسـطيني.

في أعقاب التفتيش الأمنـي، ينتقـل المسـافرون الفلسـطينيون إلـى مرحلـة فحص الجوازات، ويقدمونها إلى شـرطي فلسـطيني. بيـد أن الاراء اختلفـت حـول هذه النقطة. فقد طالبنا نحن بأن يقـوم المسـافر أيضـا، بتقديـم جـواز سـفره إلـى شرطي إسرائيلي، وإذا كان هناك سبب للاشتباه به، يحـق لشـرطتنا التحقيـق معـه دون تواجد شرطي فلسـطيني، بيـد أن الفلسـطينيين احتجـوا بشـدة علـى فكـرة فحص الجوازات المنفردة، وأكدوا على أن كل فلسـطيني يرغـب فـي العـودة إلـى مناطق الحكم الذاتي، يجب أن يشعر بارتياح إيـان هـذه العـودة. وعـارضوا بشـدة فكرة التحقيق مع أي فلسطيني دون وجود شرطي فلسـطيني، وقـالوا: مـن المفـزع حقا أن يتم التحقيق مع فلسطيني عـائد إلـى وطنـه مـن قبـل الغربـاء. بيـد أننـا

أصرينا على موقفنا، وقلنـــا أن أي فلســطيني يرغــب فــي دخــول منـــاطق الحكــم الذاتي يستطيع بعد ذلك الذهاب إلـــى إســـرائيل.

نفذ صبر بيرس، في هذه المرحلـــة، خصوصـــا وأنـــه حضـــر أيضـــا جلســـة المفاوضات السابقة والتي استغرقت ثمـــاني ســـاعات متواصلـــة، لـــذا قـــرر العمـــل على فرض تســـوية، فاســـتدعي يونـــي بيلـــد، وهـــو موظـــف صغـــير فـــي وزارة الخارجية، وبدأ يملي عليه الحل الـــذي يعتقـــد أننـــا توصلنـــا إليـــه خـــلال الجلســـة بسرعة هائلة. وكي يحول دون تمكين الفلسطينيين مـــن مناقشـــة مـــا يقـــول بصـــوت مرتفع، بينهم وبين أنفسهم، كان يصرخ فيه قـــائلا:" اكتـــب-أســـرع وعندمـــا حـــاول شعث التدخل لتصحيح صيغة في قضية معينة، قـــال لـــه بـــيرس بصـــورة حـــادة" لا تتدخل". لقد قبل مطالب الفلسطينيين بشأن العلم والشـــرطي فـــي مجمـــع المســـافرين والبضائع، وليس على الجسر، وأكـــد علـــى المطـــالب الإســـرائيلية بشـــأن الرقابـــة على الجوازات والتفتيـــش الأمنـــي. وهكـــذا ولـــدت وثيقـــة (يونـــي) وقـــد حصـــل الفلسطينيون على نسخة مصورة مـــن الوثيقـــة مكتوبـــة بخـــط(يونـــي بيلـــد) غـــير الواضح، وسارعوا إلـــى مطـــار القـــاهرة، لاســـتقبال عرفـــات الـــذي عـــرج علـــى المطار، لإعلامه بـــالتطورات.

ومرة أخرى، أثبت عرفـــات لمفاوضيـــه وأيضـــا للمفـــاوضين الإســـرائيليين، أنه هو فقط، صاحب القرار، ورفض الوثيقة رفضـــا تامـــا.

وعندما عاد الفلسطينيون مـــن المطـــار، وأعلنـــوا رفـــض عرفـــات للوثيقـــة، هب بيرس من مقعـــده وقـــال: إن الوفـــد الإســـرائيلي ســـيغادر القـــاهرة، وليبعـــث الفلسطينيون. احتجاجاتهم إليه هنـــاك.

وفي الثلاثين من كانون الأول، تلقى بـــيرس وشـــاحك رســـالة بالفـــاكس مـــن نبيل شعث تحمل إجمالا-حسب فهم الفلســـطينيين- لمـــا تـــم إنجـــازه وتســـويته فـــي أوسلو وباريس والقاهرة- وثيقة يوني- وفـــي أعقـــاب هـــذا الإجمـــال، تـــم إرفـــاق مجموعة من المطـــالب التـــي يريدهـــا عرفـــات، ومـــن ضمـــها: وضـــع شـــرطي

فلسطيني على جسر الفلسطينيين، وتوسيع مساحة أريحا بصورة كبيرة-شرقا حتى نهر الأردن، وجنوبا باتجاه البحر الميت.

ومن الجدير بالذكر، أن الفلسطينيين لم يكفوا- منذ أيام مفاوضات أوسلو- عن النضال بغية الحصول على موطئ قدم على حدود المملكة الأردنية.

وفي رده الشديد، قال بيرس: أن إسرائيل لن توافق على إجراء أي تغييرات، باستثناء تغييرات الصياغة في التفاهم الذي تم إحرازه في القاهرة.

اقترح شعث استئناف المفاوضات في طابا. وكنت آنذاك أنا وأبو علاء وعائلتانا في أوسلو، وقد حاولنا العثور على تفاهم أقوى وكان أبو علاء مقتنعا بأن الإحراج الذي ساد أوساط الوفد الفلسطيني، بسبب الاحتكاكات بين عبد ربه وشعث وأبو مازن، يتطلب إدخال عرفات في الصورة بشكل مباشر، وهذا ما حدث فعلا، بعد ثلاثة أسابيع.

في العشرين من كانون الثاني تواجد عرفات وبيرس في أوسلو لتشييع جثمان هولست ولربما كان تواجدنا هناك، حيث بدأت المسيرة هو الذي أعادنا أكثر إلى المفاوضات المثمرة. وقد اجتمع بيرس وعرفات مرتين في أوسلو، واتفقا على السماح لزينجر وأبو علاء بالعمل على وضع مسودة قضائية للاتفاقية، وترك القضايا التي لا زالت محل خلاف، دون حسم. والتزم الاثنان بالاجتماع بعد ذلك حتى حل جميع المشاكل، وعملا على تشكيل طواقم جديدة خاضعة لهما.

عقدت الجلسات الحاسمة بشأن المعابر الحدودية يومي ٢٨-٢٩كانون الثاني في دافوس- على هامش اجتماعات مؤتمر الهيئة الاقتصادية العالمية، الذي عقد هناك- وخلال يومي ٧-٩شباط في القاهرة. وقد شمل الوفد الذي ترأسه أبو علاء، أكرم هنية والجنرال عبد الرزاق اليحيى. أما بيرس فشكل طاقما بموافقة رابين وشاحك، مؤلف من عوزي ديان، ويوآل زينجر وأنا-

كرئيس للمجموعة- ومن الجدير بالذكر أن هـذا الطـاقم اصبـح، فيمـا بعـد، نـواة الوفد الإسرائيلي لمحادثات التسـوية المرحليـة.

لقد ورث عوزي ديان الكثـير مـن الجـرأة والذكـاء والسـحر عـن عمـه موشيه ديان. وقد اتضح كمحنك في الحوار مع مفاوضيـه الفلسـطينيين. وقـد وجـد الفلسطينيون فيه، بداية، إنسانا متعجرفا ومتشـددا، بيـد أنـهم تـاقلموا مـع مزايـاه كإنسان متشدد وذكي وحسـاس.

ومن الجدير بالذكر، أننـي اختلـف اختلافـا بينـا عـن عـوزي فـي نمـط أفكاري، بيد أننا سرعان ما أصبحنـا صديقيـن. وقـد أدت قدرتنـا علـى أن يكمـل أحدنا الآخر، إلى ولادة نظرية أمنية سياسية قوية. وقد شـجع رابيـن وبـيرس هـذا التعاون فيما بيننـا.

لقد تفاوضنا أياما وليالي في دافوس ثم فـي القـاهرة، وناقشـنا جوهـر الحكـم الذاتي، وهو المعابر الحدودية مع الأردن ومصر، وفـي أعقـاب كـل هـذه الجـهود التي بذلناها، بقيت هناك أربع قضايا عويصة" فقـد أصـر الفلسـطينيون علـى رفـع علمهم ووضع شرطي على الجسـور الحدوديـة، وأن يديـروا الأجنحـة الفلسـطينية في المجمعات الحدودية، وعـارضوا بمنتـهى الشـدة، التحقيـق بصـورة منفـردة، ودون وجود شرطي فلسطيني مع أي مواطن فلسطيني، وطـالبوا بـأن يسـمح لـهم بإصدار تصاريح دخـول إلـى منـاطق الحكـم الذاتـي، حتـى تسـعة اشـهر دون الحاجة إلى موافقة إسـرائيل. بيـد أننـا عارضنـا مطالبـهم، تقريبـا، فـي جميـع القضايا فرفضنا رفضا باتـا قضيـة الشـرطي الفلسـطيني علـى المعـابر أو العلـم الفلسطيني على الجسر، لأننـا كنـا نصـر إصـرارا قاطعـا، علـى الحيلولـة دون وجود أي تواجد فلسطيني على الحـدود مـع الأردن، وشـددنا علـى التحقيـق مـع المشبوهين الفلسطينيين دون تواجد شرطي فلسطيني ووافقنا علـى تمديـد مـدة نفـاذ مفعول التصاريح الفلسطينية، حتى سـتة أشـهر.

كانت الحوارات وحشية للغايـة، واصطدمنـا مـرة أخـرى بالـهوة الواسـعة القائمة بين المصالحة، وترتيب الأولويات لـدى الطرفيـن.

كان الأمن بالنسبة لإسرائيل مسألة حاسمة جداً. في حين كان الفلسطينيون يضعون نصب أعينهم الكرامة الشخصية والوطنية والسياسية. ورغم ذلك تمكنا من إحراز تقدم معين خلال ليالي الحوار الطويلة في دافوس، خصوصاً فيما يتعلق بصياغة التفاصيل.

بلغ الجدل حول (الألغام الرئيسية) في المفاوضات، ذروته في القاهرة، في السابع من شباط. ففي حوالي الواحدة فجراً، جلس عرفات وبيرس للتفاوض في وزارة الخارجية المصرية، في حين انتظر الوفدان في الخارج تساورهما الشكوك في أن يخلد الاثنان في نهاية الحوار إلى النوم، ويأمراننا بمواصلة العمل.

وفي حوالي الساعة الثانية، قدم عرفات وبيرس النبأ وابتسامة على وجهيهما، وأعلن بيرس: اتفقنا الرئيس عرفات وأنا، على أن يعمل الوفدان طيلة الأربع وعشرين ساعة بغية التوصل إلى اتفاق بسرعة. وإذا ما اصطدمتم بمشكلة لا تستطيعون حلها، يسمح لكم بإيقاظنا في كل وقت تشاءون".

تبادلنا نظرات حذرة، فقد كنا قد أقسمنا بيننا، أنه إذا قالا لنا واصلوا العمل، ونحن ذاهبان إلى النوم، أن نرفض ذلك. وقد تجرأ شخص ما، وقال: حسناً سنبدأ العمل غداً بعد أن نكون قد ارتحنا. فنظر إليه بيرس مبتسماً، وقال:" يا صديقي العزيز ستنهون العمل، حتى صباح الغد".

خضعنا لأوامره، وتوجهنا إلى الجناح الفلسطيني في فندق الأندلس، وجلسنا حول الطاولة. وقد استهل أبو علاء الحوار قائلا:" إذا وافقنا على عمل عدد من الأشياء بصورة مشتركة، فسوف نتوصل إلى اتفاق. لقد قال لي الرئيس اليوم: علينا أن نتقدم، على صعيد جميع القضايا الأمنية، وأن نصر على مسألة واحدة. وهي أن نعطي لشعبنا شعوراً بأن الاتفاق غيّر أشياء. ويجب أن يشعروا بالفخر حينما يصلون إلى الوطن دون إذلال إسرائيلي على طول الطريق، فإذا كنتم تشاطروننا هذه الرغبة، فسوف يكون بمقدورنا أن نخلد نحن أيضا إلى النوم، قبل بزوغ الفجر.

عقبت على أقوال أبو علاء قائلا:" أبو علاء أنت تعرف أننا بذلنا قصارى جهودنا من أجل تغيير الوضع، وكرامة المواطن الفلسطيني مهمة بالنسبة لنا أيضا، وإحساسه بأن الاتفاق غير الأشياء، هو مسألة مهمة له، بيد أنني أؤكد لك، أننا لن نتهاون في كل ما يتعلق بالأمن. أنتم تفتقرون حتى الآن إلى التجربة. إن المعابر الحدودية تقود إلى الأراضي الإسرائيلية أيضا وليس إلى الحكم الذاتي فقط. وإذا ما تم تهريب قنبلة عن طريق هذه المعابر، فلن تفيد الكرامة الشخصية والوطنية شيئا في إنقاذ الاتفاقية". ثم اقترحت أن يعرض عوزي ديان مطالبنا، فنغمة صوته كانت ناعمة أكثر مما هو مألوف.

وقد استهل ديان حديثه قائلا:" ليس لنا مصلحة يا أبا علاء في جعل حياة ٩٩،٩% من أبناء شعبك مرة، والذين هم دعاة سلام- وفقا لجميع الآراء- ومن أجلهم وأجلنا، علينا أن نحول دون دخول أسلحة وإرهابيين يرغبون في تدمير اتفاقية السلام التي توصلنا إليها. ولدينا نحن تجربة واسعة على صعيد منع مثل هذه الحالات، لذا، نحن نرغب في فحص الحقائب بأنفسنا، ونحن نصر على تحديد المشبوهين والتحقيق معهم وحدنا، إذا كانت هناك ضرورة لذلك".

ضحك أكرم هنية، وقال بمرارة:" وتجندونه كعميل لجهاز الأمن العام؟".

-عوزي:" أكرم، بمقدورك أن تخرج كما تشاء". بيد أنه لن يكون هناك أي تهاون بهذا الشأن.

-أبو علاء:" أوري، أنت تعرف أننا طلبنا منذ أوسلو، شراكه في المسئولية على المعابر الحدودية، ونحن على استعداد للاقتراب من مواقفكم، وأن نترك لكم السيطرة على الجانب الأمني. بيد أنني لن أوافق على إذلال أبناء شعبي. أنت هنا، وأنا أثق بكم، لكن قد يأتي غدا أو في المستقبل ضابط أو أحد مسئولي حرس الحدود التواقين لإذلال وإهانة الفلسطينيين. ولا شك أن بمقدوركم عمل ذلك دون موافقتنا، بل أنتم تمارسون ذلك الآن، دون موافقتنا، فإذا كان هذا هو ما ترغبون فيه، حسنا، واصلوا عمله.

اقترح زينجر، في محاولـــة لتخفيـف التوتـر أن نسـتعرض جميـع مراحـل العبور على الجسور التي لم يتم حتى الان التوصـل إلـى حلـول بالنسـبة لـها، وأن نحاول العثور على حل" وإذا لم ننجح، سنوقظ الزعيمين، همـا يسـتحقان ذلـك".

ضحك الجميع من أقواله الأخـيرة، ويبـدو أن الضحـك نقـى الأجـواء إلـى حد ما، وانتهز أبو علاء هذا النقاء، وقـال: أنـا أوافـق علـى أن تقومـوا بفحـص الحقائب في جانبكم من المجمـع الحـدودي، بيـد أن فتـح الحقـائب يجـب أن يتـم بصورة مشـتركة".

-عوزي:موافـق.

-أبو علاء:" لكن لن أسمح بفحص أي فلسطيني تشـتبهون فيـه وحـده".

-عوزي:" المتهم هو المتـهم، ويجـب عليكـم أن تثبتـوا أنكـم تدركـون مسـتوى الخطر".

-أبو علاء: نحن ندرك ماهية شـعور الفلسـطينيين، وإذا كنتـم لا تدركـون ذلـك، لن يكون هناك سـلام.

-عوزي: أنا على علم بمشاعركم، وأيضـا بالتزامـاتكم لـذا بمقدوركـم اسـتجواب سكان غزة وأريحا في جنـاح فحـص الجـوازات الخـاص بكـم، بيـد أنـه علـى إسرائيل، بعد ذلك، أن نفحص الجوازات وتطـرح الأسـئلة المناسـبة.

-أبو علاء:" إذا لم يكن الإسرائيلي باديا للعيـان، بمقدورنـا الموافقـة؟.

_اوري سبير: بمقدور الإسرائيلي أن يقف خلف مرآة ذات وجـه واحـد، لكـن بعـد أن يفحص الجوازات التـي سيسـلمها لـه الشـرطي الفلسـطيني، يجـب أن يكـون بمقدوره تقديم الاسـتجوابات.

انفجر أبو علاء بالضحك، وقال:" هل تعـرف مـا الـذي يمكـن أن يحـدث لامـرأة عجوز إذا ما بدأت مرآة بـالتحدث معـها؟؟ لا شـك أنـها سـتصاب بسـكتة قلبيـة فورا. وسوف يكون ذلك ذنبكم". ضحكنـا جميعـا.

-عوزي: قد نتمكن من التوصل إلى حـل يجعل الإسرائيلي لا يرى ولا يسمع، على أن لا يحرمه من حقه في فحص الوثائق، واستجواب المشبوهين في مكان مغلق".

-أبو علاء: سمعنا أنكم تسمون هذا المكان المغلق "منطقة التطهير"، إنكم تتعاملون مع الفلسطينيين كما تتعاملون مع الحيوانات.

-أنا:" رفعت صوتي عالياً، وقلت:" إذا كنتم ترغبون في الجدل لمجرد الجدل، فإن بمقدورنا الانضمام إليكم. أرجو أن تتذكر أننا نتحدث عن إحباط الإرهاب، ولا ننوي إهانة أبناء شعبك، إننا نعمل من أجل الحيلولة دون تدمير المسيرة. والآن لنعد إلى القضية، ما رأيكم في الموضوع؟؟

-أبو علاء: يجب أن أتشاور مع الرئيس، لقد بزغ الفجر، فلنأخذ فترة استراحة، وأتحدث خلالها مع عرفات، ثم نعود إلى الحوار.

بعد عدة ساعات، وفي قاعة الطعام اصبح بمقدورنا التحدث عن قدر من التقدم، وأجمل زينجر الوضع في مسودة جديدة، فامرنا بيرس بأن نواصل الحوار. على أساس حديث الليلة الماضية.

واتضح بيرس، من خلال الحديث مع عوزي، أن فحوى ما يدور ينقل إلى هيئة الأركان العامة عبر أحد الضباط الذين يساعدون عوزي، وهناك يقوم طاقم من شعبه التخطيط تم تعيينه من قبل رابين وأهود باراك بدراسة كل ما يقال.

وقد شعر بيرس، أن رابين لا يمنحه الدعم الكافي، رغم أنه استجاب لجميع توجيهاته، ودافع بكل قوته، على الخط الذي حدده الجهاز الأمني.

تمتم بيرس بغضب، ...:" المفاوضات لا تدار على هذا النحو"، وغادر الطاولة بغضب، وتوجه نحو غرفته مصحوباً بآفي جيل. وبعد قليل سمعناه يصرخ في الهاتف قائلا:" اسحق، إذا كان هناك في تل أبيب من يرغب في وضع رقابة علي، فإنني على استعداد للعودة فورا، الأمر الوحيد الملزم، هو ما تم الاتفاق عليه بيننا، إننا ندير هنا معركة صعبة، ولن أعمل بهذه الصورة هل

الطاقم الموجود في إسرائيل، يدير مفاوضات مــع نفســه؟؟ لمــاذا لا ترسـلونه إلــى هنا؟؟ وسنرى كيف يقنعــون الفلســطينيين؟؟".

وكما يبدو حاول رابين تهدئته، وهكذا توقف الطاقم الموجــود فــي تــل أبيــب عن إرسال ملاحظاته الصغيرة إلى القاهرة. كانت تلــك الأقــوال، بالنســبة لبــيرس، تعني أن ما تم الاتفاق عليه مع رابين هو الأمر الوحيد الملـــزم للجميــع، وقــد بقــي الغليان في نفسه طيلة صبيحة ذلك اليوم. فقد كــان يرغــب فــي التقــدم، وشــعر أن هناك زخما، لذا دعا وزير الخارجية عمرو موسى، واشركه فــي بعــض أفكــاره.
-بيرس: الفلســطينيون يضجروننــا بالكلمــات، أرجــو أن تقــول لــهم: أن وقتــي ضيق، قل لهم أنه يتوجب عليهم السير قدمـــا، وعــدم التمســك بمواقــف غــير ذات بال أو قيمة، والا فلا معنى لوجــودي هنــا".

حاول عمرو موسى تهدئـــة غضبــه، ووعــد بــالتحدث مــع عرفــات بــهذا الصدد. وقد اجتمعت أنا بأبو علاء، وقلت لـــه: أن صــبر بــيرس أوشــك أن ينفــذ، فقال أبو علاء:" أنا أتفهمـــه بيــد أن المطــالب التــي يقدمــها غــير معقولــة، أنتــم ترغبون في مواصلة توجيه الإهانات لنا، مع تغيير اسـم هــذه الإهانــة إلــى"الأمــن" إننا على استعداد لتسريع المفاوضات، بيد أننا لا نستطيع القفـــز عــن المشــاكل".

عادت الوفود إلى الاجتماع في ســـاعات الظــهر، وعمــد ديــان إلــى جعــل التسوية الأساسية أكثر وضوحا. وجاء فـــي افــتراض: أن فلســطيني الحكــم الذاتــي سيصطدمون، بداية، بالرقابة على الجـــوازات، ويقــوم موظــف فلســطيني بتوجيــه الأسئلة اللازمة لهم. ومن خلف مرآة ذات وجـــه واحــد يجلــس شــرطي اســرائيلي لا يرى ولا يسمع، ويتم نقل الجوازات إليه في صنـــدوق، وإذا مــا ثــارت شــبهات، يتم إرسال الفلسطيني المشبوه إلى غرفة لا يوجـــد فيــها ســوى إســرائيلي، ويحــق لإسرائيل اعتقال أي مشبوه بعد إعلام الشـــرطة الفلســطينية.

بدا أن أبو علاء ليس راضيا، وقال:" أنــا أطــالب بــالتحديد المســبق لمعــايير اختيار المشبوهين، وتضمينها في الاتفاق، مثل أي إنســـان يحــاول تــهريب أســلحة،

أو يخطط لاعتداء، أو يحمل أوراقـــا مشـــبوهة، وبذلــك نضمـــن الا تتمكنــوا مـــن اعتقال كل من ترغبون في اعتقالــــه".

اقترح زينجر أن تتم صياغة هذا البند بصـــورة مقبولــة لــدى الطرفيــن: ثــم ذهب أبو علاء للتشاور مع عرفـــات، وحـــال عودتــه، قـــال: الحـــل مؤلــم جـــدا للفلسطينيين، بيد أنهم يقبلونه. ورغـــم ذلــك واصـــل الفلســطينيون المطالبــة بإيكـــال إدارة الجناح الفلسطيني من المجمع الحـــدودي إلـــى الفلســطينيين، علـــى أن يتواجــد ضابط أمن إسرائيلي هنــــاك.

عارض عوزي ديان هـــذا المطلـــب بشـــدة، وقـــال: المكـــان منطقـــة أمنيـــة، ويجب على إسرائيل إدارتـــــه".

وهكذا، غرقنا في مشكلة جديـــدة، وغادرنـــا المكـــان، للتشـــاور، وقـــد اقـــترح بيرس أن نحاول، أنا وأبو علاء، حل هذه المشكلة علـــى انفـــراد وهـــذا مـــا فعلنـــاه فعلا. واتفقنا على أن يكون مديرو المجمع- في رفـــح وجســـر اللنبـــي- إســـرائيليين وأن يتحملا مســـئولية الجنـــاحين، علـــى أن يكـــون لكـــل مديـــر إســـرائيلي نـــائب فلسطيني يحمل لقب مدير، ويكون مسئولا عـــن الجنـــاح الفلســـطيني.

قال أبو علاء، المدير الفلسطيني سيستعين بمســـاعدين فـــي الشـــئون الإداريـــة والأمنية وهكذا، توصلنا في نهاية المطاف إلى حـــل مـــرض للطرفيـــن.

أصبحت اتفاقية المعابر الحدوديـــة جـــاهزة، وقـــد اســـتخدمت كنمـــوذج- فـــي جانبه المثير للمشاكل، وفي أسلوب حـــل المشـــكلة- لشـــبكة العلاقـــات الآخـــذة فـــي التبلور بشأن الحكم الذاتـــي الفلســـطيني بأكملـــه. وتمـــت صياغـــة الاتفاقيـــة حـــول المعابر الحدودية في (١٨٠) صفحة. وقد مكنـــا إســـرائيل مـــن مواصلـــة الإشـــراف على كل ما يتعلق بأمنها، ومكنا الفلسطينيين مـــن إبـــراز رموزهـــم الوطنيـــة ونيـــل أكبر قدر من الحافظ على كرامتــــهم.

لقد وضع هذا الاتفاق قواعد العمل العملية، والتـــي تتطلـــب التعـــاون الوطيـــد على أرض الواقـــع.

حال تغلبنا على هذه الصعوبـــة، انتقلنــا للعمــل علــى حــل مجموعــة مــن المشاكل الأمنية الأخرى وأهمها السيطرة علــى محــاور الطــرق العرضيــة الثلاثــة المؤدية من إسرائيل إلى الكتل الاســتيطانية فــي قطــاع غــزة. وكــان حــل هــذه المشكلة يتوجب التحاور مع عرفات بصــورة مباشــرة.

وفي ساعات ما بعد الظهر جرى وضع خارطة أمــام مجموعــة كبــيرة مــن الفلسطينيين والمصريين، والإســرائيليين، والذيــن تجمــهروا فــي غرفــة الطعــام. وكشفنا النقاب، خلال هذا الاجتمــاع، عــن الخطــة الإســرائيلية الكاملــة لمعالجــة الأمن الإسرائيلي في قطاع غـــزة.

-بيرس: دون سيطرة إسرائيل علــى المحــاور العرضيــة، لا نســتطيع التوصــل إلــى أي اتفاق فهي شديدة الأهمية لحماية الاستيطان، ولــن نــترك لكــم هــذه المهمــة. بــل لماذا أصلا تريدون تولي مثل هــذه المهمــة؟؟

وافق عرفات مبدئيا، بيد أنه تحفظ من وضع علامــات علــى المحــاور علــى أنــها أراض إسرائيلية لأن ذلك، سيعني كسر سيطرته علـــى غـــزة. وطــرح بديــلا لذلــك، ينص على أن يبني الفلسطينيون مواقع للدفــاع عــن وســائل المواصــلات الإســرائيلية من وإلى المستوطنات. وقد همس أحد الحاضرين:"هل مــا أســمعه صحيــح"؟؟.

وفي نهاية الجدل، اقترح زينجر الصيغة التي تم قبولــها والتــي تنــص علــى :" توكل إلى إسرائيل جميــع الصلاحيــات والمســئوليات المطلوبــة للقيــام بنشــاطات أمنية مستقلة في محاور الطرق العرضية الثلاثة وعلى الأرصفـــة المحاذيــة لــها".

طلب بيرس التوقيع بالأحرف الأولى على هـــذه الاتفاقيــات، للتــأكيد علــى حــدوث الانفراج ولإتاحة الفرصة للانتقال إلى التفاوض فــي قضايــا أخــرى.

أعرب أبو علاء عن تذمره، نظرا لأننــا أطلعنــا الوفــد الفلســطيني علــى الخرائــط في اللحظات الأخيرة، وبالتالي وضعنــا أمامــهم حقــائق جــاهزة. وقــد جلــس إلــى جواري في المراسيم التي تم إجراؤها في المساء بينمــا وقــف خلفنــا عرفــات وبــيرس والرئيس المصري حسني مبارك، وحــاول الامتنــاع عــن التوقيــع بــالأحرف الأولــى على الخارطة الملحقة بالتفاهم. ولم يصدر عرفات الأمــر بــالتوقيع الا بعــد أن تدخــل

الرئيس المصري حسني مبارك في القضية. لقد كانت هذه الحادثة، توطئة لحادثة أكبر ستحدث فيما بعد.

بدا الرئيس مبارك متفائلا خلال مراسيم التوقيع، وقال: أن المفاوضات حول باقي القضايا الخاصة باتفاقية غزة -أريحا، ستستكمل في غضون أسابيع معدودة. وحينما سمع زينجر ذلك، جذب بيرس جانباً، وقال له: لقد توصلنا حقاً إلى انفراج، بيد أن غالبية العمل لا زالت أمامنا.

بيرس:" هل تستطيعون إكمال العمل في غضون أسبوعين"؟.

زينجر:" سنحتاج إلى شهرين على الأقل.

بيد أنه ومنذ اللحظة التي عاد منها شاحك لإدارة مجموعة العمل في طابا، أخذت المفاوضات تتقدم بسرعة. وقد نجح زينجر وشعث في كتابة كم هائل من الأوراق، وفي غضون أسبوعين، بدا أن الاتفاقية تلوح في الأفق. وبدأ الجيش الإسرائيلي في وضع مخططات للانسحاب من غزة. وفجأة! وقعت الهزة الأرضية.



٥- خلال مراسيم المصادقة على اتفاقية السلام مع الأردن في بيت جبرائيل على ضفاف بحيرة طبرياء من اليسار الى اليمين : الملك الحسين، اسحق رابين، أوري سبير ١٩٩٤/١١/٢٦.

الفصل الخامس

من تونس إلى غزة

سفاح الخليل أوقف المفاوضات وأحرج الزعامة الإسرائيلية

ذهول فلسطيني لقرار عرفات باستئناف مفاوضات غزة_أريحا

ارتدى الدكتور باروخ جولد شتاين – وهو مستوطن متدين من كريات أربع كان قد ولد وتربى في حي بروكلين الأميركي – في تمام الساعة الخامسة، من يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من شباط – زيه العسكري- فهو ضابط في الاحتياط – وتسلح ببندقيته من طراز عوزي، وتوجه إلى الحرم الإبراهيمي في الخليل، وعندما وصل إلى قاعة صلاة المسلمين، فتح النار على جماهير المصلين، مما أسفر عن مقتل واحد وثلاثين مصليا في هذه المذبحة التي لم تتوقف، إلا عندما قتل جولدشتاين نفسه.

انتشرت أنباء المذبحة انتشار النار في الهشيم في قطاع غزة والضفة الغربية، والعالمين العربي والإسلامي والعالم بأسره. وجاءت ردود الفعل فزعة، غاضبة، وفي أوساط الفلسطينيين، كان هناك شعور رهيب بالرعب.

كان جولدشتاين- الذي وصفه جيرانه بأنه طبيب هادئ وطيب القلب- ناطقا سابقا لحركة (كاخ) التي ترأسها الحاخام مائير كهانا في الولايات المتحدة، ولازال منتميا إلى ممثلي هذه الجماعة في كريات أربع.

ورغم أن الشخصيات السياسية والدينية في إسرائيل شجبت هذه الحادثة المرعبة، إلا أن جولدشتاين سرعان ما وجد معجبين في أوساط المستوطنين، فقد شارك المئات في جنازته، ومدحه الكثيرون منهم، واصفينه (بالبطل، والشهيد)، بل لقد شبهه الحاخام ارئيل -حاخام مستوطنة ياميت السابق- بشمشون البطل، ويهودا المكابي.

وقالت وسائل الإعلام أن جميع سكان كريات أربــع الذيــن شــجبوا المذبحــة، تلقوا تهديدات، والأفظع من كل ذلك، أن قبر جولدشتاين فــي كريــات أربــع، أصبـح محجا ومكانا مقدســا.

ولا شك أن الأشخاص الذين تحدثــوا عــن المذبحــة بمصطلحــات مزدوجــة، كانوا إخطر- في الحقيقــة- مــن المتطرفيــن.وفــي تعقيبــها علــى المذبحــة قــالت يهوديت كتسوفر زوجة رئيس مستوطنة كريــات أربــع: "أن جولدشــتاين قــام بعمــل ذي مغزى مهم، رغم أنها لا تعتزم تعليم أولادها تفكــيره وتتبــع خطــاه.

أسهمت هذه الأقوال المرائية، فــي تعزيــز الموقــف الأخلاقــي الــذي انبثــق جولدشتاين منه، والذي يقول: أن القتل يصبح بناء إذا مــا قــام الفــرد بتنفيــذه لصــالح الجماعة. ومن الجدير بالذكر، انه لا توجــد معطيــات إحصائيــة حــول مــدى الدعــم في أوساط الإسرائيليين بوجهـــة النظــر آنفــة الذكــر. وحتــى لــو كــان المؤيــدون للمذبحة هم قلة قليلة، فان الأيديولوجية التـــي خلقــت الوحــي لــها استشــرت بشــكل واسع في قطاعات كبيرة من اليميـــن المتطــرف، والمتديــن، بصــورة أساســية، فــي إســرائيل.

لقد تركـــت الأحــداث التــي تلــت المذبحــة انطباعــا يفيــد بــأن إســرائيل ستضطر، منذ الان، لمكافحــة الإرهــاب علــى جبــهتين، وبــدأت المســيرة الســلمية تواجه خطر الأصوليين المســلمين والإســرائيليين.

أصيبــت الجمــاهير اليهوديــة بــالذهول، وهــي تسـمع عــن قيــام أحـــد الإسرائيليين بتنفيذ مذبحة من هذا القبيل. وقد ســـارعت إلــى عقــد اجتمــاع لرؤســاء الشعب في وزارة الخارجيـــة. وقــد أوضــح ديفيــد افــك، مديــر مركــز الأبحــاث والتخطيط السياسي في الوزارة، مدى الخطورة الكامنة فـــي المذبحــة، وقــال أن مــن المتوقع أن تفهم العملية علــى أنــها اعتــداء علــى الإســلام، وتسـجل فــي التــاريخ الإسلامي. وقال إن عرفات يعيش حاليا أزمـــة خطــيرة، إزاء وقــوع المذبحــة، فــي أوج المفاوضات التي تعتــبر بعيــدة كــل البعــد، عــن إرضــاء التطلعــات الوطنيــة الفلســطينية.

أجرى رابين وبيرس مشاورات فيما بينهما، وبعثا بأحر التعازي إلى عرفات. وعندما اندلعت أعمال العنف في الخليل، وقتل الجيش الإسرائيلي خمسة مواطنين فلسطينيين آخرين، قررت القيادة العسكرية إسكات الضجة عبر فرض نظام حظر التجول على المدينة. وقد نظر العالم بخطورة بالغة إلى هذه الخطوة، وفقا لأقوال الفلسطينيين أن إسرائيل تعمد إلى معاقبة الضحايا مرة أخرى.

اعتقلت الحكومة الإسرائيلية متطرفين من اليمين الإسرائيلي، وعملت على اعتبار حركتي كاخ وكهاناحي خارجتين عن القانون.

رد عرفات على هذه المذبحة، بإعلان وقف المفاوضات مع إسرائيل، وقد سارع رابين إلى إرسال مستشاره السياسي، جاك نيريا لمقابلة عرفات في القاهرة، وعندما عاد قال: إن مزاج عرفات متكدر للغاية، ونقل شروطه لاستئناف المفاوضات: إبعاد المستوطنين من الخليل إلى كريات أربع، تشكيل قوة شرطة فلسطينية في المدينة، وإدخال قوة طوارئ دولية إلى المدينة، كي تساهم في تهدئة مخاوف سكانها.

وفي نفس الوقت، طالب عرفات بعقد اجتماع فوري لمجلس الأمن الدولي، كي يشجب إسرائيل، ويتبنى مطالبه لاستئناف المفاوضات مما حدا بجبهات إسرائيلية للاعتقاد، بان عرفات يستغل الأزمة، لتعزيز مصالحه السياسية بيد أن بيرس ورابين شعرا أن أزمته حقيقية، ورغبا في مد يد المساعدة له، في محنته، أمام أبناء شعبه.

أدت الأزمة التي ولدتها المذبحة إلى إدخال دنيس روس، في الصورة، حيث اتصل بعرفات، ولاريسون، وبي، مرات عديدة للتشاور، حول كيفية الخروج من الأزمة.

لم أستطع، في تلك الأيام العصيبة الاتصال بأبو علاء، وتخيلت مدى الإحباط الذي يشعر به، وقد اخبرني لاريسون أن أبو علاء، اعتكف في بيته، فهو يشعر انه مسؤول عن اتفاقيات أوسلو، وان جميع الانتقادات الموجهة

لأوسلو، موجهة له شخصيا، ونصحني بأن لا أتصل به، وقد أدركت انه قال لي ذلك، تلبية لطلب صريح من أبو علاء.

في الرابع عشر من آذار، قرر بيرس ورابين إرسال عوزي ديان وجاك نيريا وأنا إلى تونس في نفس الوقت الذي كان دنيس روس يتجه إلى هناك أيضا، بعد أن سبقه لاريسون. وقبل خروجنا، قال لي رابين: أن علي أن أوضح لعرفات، مدى صعوبة قبول شروطه، وطلب منا أن ندرس بدائل أخرى لإمكانية استئناف مفاوضات غزة – أريحا. كما طلب من بيرس، أن نمهد الطريق لإجراء لقاء بينه وبين عرفات.

أقلعنا عند منتصف الليل، وكرسنا ساعات الرحلة لإعداد العدة لمواجهة عرفات. وعندما أصبحت الطائرة في سماء مالطا، تلقى الطيار أمرا بالهبوط في روما. وفي المطار، وجدنا من ينتظرنا، وتم نقلنا إلى قاعة الاستقبال في المطار، ومن هناك إلى ليل روما البارد.

اتصلت بمكتبي في القدس، فوجدت مديره رافي براك مستيقظا، بانتظار مكالمتي، رغم أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانية ليلا.

براك : ماذا تفعلون في روما؟ "يجب أن تكونوا الآن في سيسيليا. التونسيون يرفضون هبوط الطائرة في مطاراتهم نظرا لأنها تحمل علامات إسرائيلية. لذا وافق روس على إرسال طائرة وزارة الخارجية الأميركية إلى إحدى قواعد سلاح الجو الأميركي في سيسيليا لنقلكم".

-أنا: وكيف نصل إلى هناك؟

– براك: هل تعتقد أنني أعرف كيف يجب أن تصل إلى هناك؟؟ سأصلك مع روس في تونس عبر مركزية وزارة الخارجية الأميركية.

بدا روس مرهقا ونافذ الصبر، على عكس عادته، وقال باختصار حاد: " توجهوا إلى سيسيليا، لقد أرسلت لكم الطائرة، ونصف الطاقم المساعد لي، ستجدون بانتظاركم اهارون ميلر، ودان كرتسر، بانتظارنا هنا عمل كبير".

ثم قام روس بإيصال طيارنا بضابط أمنه الذي أوضح له كيفية الوصول إلى مطار سيسيليا وفي حوالي الساعة الرابعة فجرا، أقلعت طائرتنا، وبحثت عن المطار حتى عثرت عليه. وعندما هبطنا، وجدنا كرتسر وميلر غاضبين، فهما لم يناما منذ يومين.

أملنا أن نتمكن من الاستراحة في تونس خصوصا وأننا كنا ندرك، أن يوم عرفات يبدأ في ساعة متأخرة من الليل. وفي تونس، قامت سيارة تابعة للسفارة الأميركية بنقلنا إلى فندق هلتون وما كدت اصل حتى توجه إلى شاب ملتح، وقال لي:" انتم من تل أبيب"؟، قلت : "نعم". قال: "أهلا وسهلا، الرئيس عرفات بانتظاركما سجلا نفسيكما في الفندق، وانتظرا في الغرفة، حتى اتصل بكما.

وما كدت اصل إلى غرفتي، والقي بنفسي على السرير معتقدا انه سيكون بمقدوري أن اخلد للراحة بعض الوقت، حتى دق جرس الهاتف وعندما رفعت السماعة، جاءني من الطرف الآخر صوت يقول: سيد سبير، سيارة الرئيس عرفات بانتظارك خارج الفندق.

نقلتنا سيارة عرفات إلى بيت الضيافة، وجلسنا بالانتظار، ونحن في غاية التوتر. وفجأة سمعنا صوتا عاليا لشخص ما – كما يبدو انه كان يقول "انتباه"، ودخل عرفات إلى الغرفة، وعانق جاك نيريا وصافحني أنا وعوزي ودعا إلى الجلوس، ثم بدأت تتوافد إلى الغرفة حاشيته: ياسر عبد ربه، ونبيل شعث، اكرم هنية، وأبو علاء. وقد صافحونا ببرود، في حين امتنع أبو علاء عن التحديق نحونا وجعل أعيننا تلتقي.

ضغط عرفات على زر خاص، فجاء حارس وحيا عرفات، الذي طلب منه أن يقدم واجب الاحترام للضيوف، فخرج وعاد محملا بالبقلاوة والفواكه والكعك والشاي والقهوة، وقد أهاب بنا عرفات، كي نأكل ونشرب. بل وقدم قطعة بقلاوة مغرقة بالعسل إلى ديان الذي رفضها، بيد انه سرعان ما لاحظ الأزمة الدبلوماسية التي قد يحدثها، فقال: "سيدي الرئيس أنا أحترمك جدا، بيد أن خوفي

من زوجتي اكبر". وقد ابتسمنا جميعــا، لأول مــرة، خــلال هــذه الزيــارة، بيــد أنــها كانت آخر ابتسامة أيضـــا.

أعربنا عن تعازينا في مذبحـــة الخليــل، ثــم أضفــت قــائلا: "الوضــع كــدر للغاية، وإســرائيل أيضــا غارقــة فــي صدمـــة عنيفـــة، والطرفـــان يفقــدان إيمانــهما بالمسيرة السلمية. ومهمتنا سيدي الرئيس تتمثل في العثور علــــى طريقـــة لإعـــادة هــذا الإيمان، لان المســيرة الســلمية هــي الطريــق الوحيــد الممكــن. ورئيــس الحكومــة ووزير الخارجية، يريدان منك أن تقول لنا كيف تــرى الأســابيع القادمـــة".

وأضفت: "أمس، ولأول مرة في تـــاريخ إســرائيل، أخرجــت الحكومـــة عــن القانون مجموعات متطرفة يهودية تســـعى إلـــى إحبــاط المســيرة الســلمية، بأســاليب العنف، وقد طلب مني رابين أن أؤكد لـــك، أننــا ســنحارب المتطرفيــن بــلا هــوادة. وبيرس ورابين، يرغبان أن تسرع المفاوضات - بعيــدا عــن أعيــن وســائل الإعــلام، من اجل إحلال تغيير حاسم علـــى ارض الواقــع".

استهل عرفات كلمته بالقول: اسمحوا لـــي بــادئ ذي بــدء أن ارحــب بكــم، لقد اهتممت بكم طيلة الليلة بينما ذهب زملائي للاســـتراحة، والشـــخص الوحيــد الــذي بقي ساهرا طيلة الليل، هو رئيس منظمـــة التحريــر، وعلـــي أن أشــير هنـــا، إلـــى أن لدينا هرما مقلوبا، أنا اعمل وهم يخلدون إلـــى النـــوم".

توقف عرفات هنيهة، ثم عاد إلـــى صلــب الموضـــوع فقــال:"حقــا الوضــع خطير للغاية. وعندما اتصل بـــي رابيــن كـــي يعلمنـــي بقدومكــم كنــت أتحــدث مــع زملائي على الخط الآخر في الخليل، وقــد قــالوا لــي: أن الجيــش الإســرائيلي أطلــق النار هناك على الجماهير التي ثارت ثورة مــبررة ومفهومـــة، علــى أرضيـــة المذبحـــة وقتل عددا من الناس. أنا لا أســـتطيع أن افــهم منطقكــم، لقــد قتلتــم تســـعة وثلاثيــن فلسطينيا، منذ الخـــامس والعشــرين مـــن شــباط، وأصبتــم أربعمائـــة شـــخص آخــر بجراح، وفي نفس الوقت، تعمدون إلـــى فــرض نظــام حظــر التجــول علــى الضفـــة الغربية!!؟؟ إنكم تعاقبون الضحايا، هل شاهدتم المظاهرات فـــي الربـــاط، فـــي عمـــان، القاهرة، إندونيسيا، إيران، طشقند، تونس، وفـــي كــل مكـــان؟؟".

أصبح صوت عرفات حزينا وهو يضيف: " في الأردن ولبنان وسورية يتهمونني بالخيانة، أنا خائن سادتي. أبناء شعبي غارقون في الخوف خشية وقوع مذبحة أخرى. ويجب عليكم أن تتخذوا خطوات لكسب ثقتنا وإلا فإن مسيرة السلام ستموت، بدلا من أن تفعلوا ذلك، يقوم جيشكم بإطلاق النار على شعبي".

قلت بصوت ناعم: "سيدي الرئيس، عامل الزمن يعمل ضدنا جميعا، والوضع لم يتحسن طيلة السبعة عشر يوما الماضية، وقد جئنا نفتش عن أسلوب للخروج من هذا الوضع وليس كي نقترح حلولا جمالية".

وقال ديان: "أنا أسمع نغمة الحزن في صوتك سيدي الرئيس، هذا لقاء حزين، ولديك من الأسباب ما يجعلك تحزن، وأنا نفسي حزين وخجل جراء ارتداء القاتل الملابس العسكرية، وقد تم تشكيل لجنة لفحص الخطوات التي قام بها الجيش، ونحن نتحمل مسئولية ما حدث، فنحن لم نحل دون وقوع المذبحة. وسنبذل قصارى جهدنا، كي لا يتكرر مثل هذا الحادث. بيد أننا سمعنا أن هناك مخططات فلسطينية للانتقام، الفلسطينيون غاضبون وجنودنا شديدو التوتر، ولهذا السبب، قررنا فرض حظر التجول، وسوف نلغيه بصورة تدريجية، ورجالنا على اتصال دائم بالزعماء في الخليل".

سأل عرفات (وهنية) عن أوساط اليمين المتطرف في إسرائيل، وعن المستوطنين العاملين في الاحتياط في الضفة الغربية. وعاد عرفات لتكرار نظريته القائلة بقيام ضباط إسرائيليين بالتآمر ضد قادة الجيش، والتعاون مع متطرفين فلسطينيين.

ولست أدري، فيما إذا كان عرفات قد قال ما قال وهو يؤمن به حقا، نظرا لعيشه في أجواء تآمرية أم أنه قاله لأسباب تكتيكية، بيد أن (عوزي) رد على هذه الأقوال بشدة، فقال: "الجيش الإسرائيلي يعمل وفقا لأوامر الحكومة فقط، والجيش يتحمل مسئولية فرض الأمن، بيد أن القرارات نفسها بأيدي الحكومة. إننا نتحمل مسئولية الفلسطينيين والإسرائيليين، ويجب علينا أن نعمل على إعادة الأمل إلى السكان في المناطق، فهم في أمس الحاجة له الآن". قال عرفات: أنا لا زلت

متمسكا بإعلان المبادئ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكننا أن نعيد الثقة المتبادلة؟؟ وكيف تعود للإحساس بالمشاعر التي كنا نشعر بها معا في واشنطن، في الثالث عشر من أيلول؟ تخيلوا ما الذي كان سيحدث، لو أنني كنت وقت المذبحة في أريحا؟؟ يجب علينا أن نضمن الأمن الفلسطيني".

كان عرفات يبدو مرهقا، اكثر من أي وقت مضى ومتوترا، وقد واصل طيلة الوقت قرع قدمه بالأرض، ولاحظت أن يديه ترتعدان. وتساءل قائلا: " من الذي يستطيع الآن ضمان أمن المواطنين الفلسطينيين في الخليل؟؟ ربما ستوافقون على وجود قوة دولية؟؟ هل بالإمكان إبعاد المستوطنين من الخليل؟؟ فجميع المستوطنين في الخليل لا يتعدون اثنتين وأربعين عائلة ومائة وأربعين طالبا دينيا لماذا لا تنقلونهم إلى كريات أربع؟؟ وضعهم هناك سيكون أكثر أمنا. إن جماهيرنا في الخليل هي جماهير ذات سمات خاصة، وهي اكثر تدينا. ويوجد في أوساطهم أيضا متطرفون. إن الخليل تثير القلق، ربما نستطيع إرسال قسم من قواتنا إلى هناك، بالتعاون مع جيشكم، أو مع قوة دولية؟؟".

واضاف بصوت ضعيف "يجب عليكم أن تتفهموني أنا شديد الاهتمام بالتقدم، بيد أنني بحاجة إلى ثقة شعبي. لديكم حكومة منتخبة، وبرلمان وقوانين واضحة. والثقة ليست هي الشيء الوحيد بين الإسرائيليين وزعمائهم، بيد أن الثقة هي العامل الوحيد القائم بيني وبين شعبي".

انفجر عبد ربه قائلا: "انتم تضعفون الرئيس انتم تخدعونه، ولا اعتقد أن شيئا قد تغير".

قررنا عدم تصعيد الجدل، والعودة إلى الفندق. وفي هيلتون، أفاد الصحفيون أن مساعدي عرفات ليسوا معنيين بتطبيق إعلان المبادئ فورا. فالكثيرون منهم لم يرغبوا في التخلي عن الحياة المريحة في تونس، وخوض الصعوبات في الحياة التي سيلاقونها في غزة، وعلى وجه الخصوص في إطار اتفاقية مرحلية.

اجتمعنا بعد الظهر بروس ومستشاريه، كما قمت أنا ونيريا بإعلام رابين بما حدث، وبدا لنا بوضوح أننا لا نحرز تقدماً، وان علينا العودة إلى إسرائيل للتشاور. وعندما أعلمت عرفات بقرارنا، طلب مني أن نعود لتونس بعد عدة أيام، وحينها قد نستطيع مناقشة إمكانية ترتيب لقاء بيني وبين بيرس.

لاحظت خلال وجودي تغيب أبو علاء، وقد فهم عرفات ذلك، فقال: "أرسلت أبو علاء إلى الأردن، لإجراء حوار مع رجال أعمال فلسطينيين مهمين".

قرر دنيس روس ممارسة ضغط على أبو عمار في المساء، عبر الإلماح له بان الولايات المتحدة ستتخذ حق النقض الفيتو ضد أي قرار شجب يتخذه مجلس الأمن الدولي ضد إسرائيل على خلفية المذبحة، إذا لم تعد منظمة التحرير إلى طاولة المفاوضات. وقد أثارت الإلماحة غضب عرفات. وهكذا باءت مهمتنا بالفشل.

غادر نيريا تونس بصحبة الوفد الأميركي إلى واشنطن التي كانت تنتظر قدوم رابين إليها، فيما عدت أنا وعوزي ديان إلى قاعدة سلاح الجو الأميركي في سيسيليا، ومن هناك إلى تل أبيب، في حين بقي لاريسون في تونس مصراً على تقديم يد المساعدة لاستئناف المفاوضات. وأجرى محادثات مع أبو مازن، كما كان يجري اتصالات هاتفية معي بصورة دائمة، وفي النهاية تمكن هو وأبو مازن من إعداد ورشة عمل تنص على نقل المستوطنين إلى كريات أربع مثلما يطالب الفلسطينيون، بيد أنني أوضحت له أن هذا المطلب مستحيل التنفيذ، لأسباب سياسية، وقرأت عليه صيغة الحل التي اقترحناها، والتي تنص على قبول قوة دولية محدودة في الخليل، إلى جانب شرطة فلسطينية غير مسلحة. وهكذا اصبح بحوزة لاريسون وثيقتان: الأولى لاريسون -١ وهي مطالب الفلسطينيين، ولاريسون -٢ وهي موقفنا.

عمد دنيس روس، في تلك الآونة، إلى تخطيط مسيرة افتتاحية جديدة، تضم الرئيس السوري حافظ الأسد إلى المسيرة السياسية. وقد اتصل الرئيس الأميركي بالأسد، واتفق معه على عودة سورية إلى طاولة المفاوضات، مقابل

عدم فرض الولايات المتحدة حق النقض الفيتو على قرار مجلس الأمن الدول
وهكذا حصل عرفات على الشجب المطلوب لإسرائيل، بيد انه فقد القدرة ع
تجميد المسيرة السلمية، حتى تفي إسرائيل بمطالبه.

قرر رابين في العشرين من آذار إرسال وفد آخر إلى تونس يضم ج
نيريا وأمنون شاحك ويوآل زينجر وأنا. وقبيل خروجنا، أعلمنا رئيس شد
الاستخبارات العسكرية اوري ساجي، عن تقديره بأن عرفات قرر إرجاء است
المحادثات حول اتفاقية غزة وأريحا لمدة ثلاثة أسابيع، حتى استكمال المفاوض
حول الخليل.

وقد أعرب نائب وزير الدفاع، مردخاي جور، ورئيس الأركان أه
براك، عن شكهما في ضرورة سفر الوفد إلى تونس. بيد أن رابين وبيرس ك
مصرين على مواصلة إبقاء الصلة مع عرفات، ولم تكن سوى قلة قليلة على عل
بان رابين وبيرس اتفقا في الليلة الماضية، على إخلاء قسم من مستوطني الخلي
ومن ضمنهم طلبة المدارس الدينية، من اجل تخفيف حدة التوتر، وكان م
المفروض أن يتم تحديد موعد الإخلاء، بالتشاور مع الجهات الأمنية.

توجهنا إلى تونس أيضا عبر سيسيليا في طائرة تابعة لوزارة الخارج
الأميركية، وقد توجه روس أيضا إلى هناك. وجاء لاريسون المرهق جدا إل
غرفتي، فطلبت منه أن يكف عن أي عمل من أعمال الوساطة. لقد عارضنا م
اليوم الأول لمحادثات أوسلو، تدخلا من طرف ثالث في الجانب الجوهري م
المفاوضات. رغم أننا رحبنا بأي تدخلات تؤدي إلى تهيئة أجواء صح
للتفاوض، وفي إقناع الأطراف لإبداء المرونة اللازمة. فقد كنا نعتقد انه يتوج
على الطرفين التوصل بقوتهما الذاتية إلى الصيغ الحقيقية للاتفاق. وهكذا تخل
لاريسون – الذي كان دائما يحترم إرادة الأطراف – عن فكرة إعداد وثيق
لاريسون –٣.

عندما التقينا عرفات بعد الظهر، استهل الحوار بلهجة عدوانية، وقا
"لا نستطيع استئناف المفاوضات قبل أن تخلوا المستوطنين من الخليل، وقبل

تسمحوا لنا بإرسال رجال شرطة فلسطينية مع القـــوة الدوليـة. إن البنـد الـذي يحتـل رأس جدول الأعمـــال الآن، ليـس اتفاقيـة غـزة وأريحـا، بـل قضيـة الخليـل. ولا نستطيع العودة إلى طاولة المفاوضات، قبـل معالجـة هـذا البنـد. ورئيـس الحكومـة رابين يفهم ذلك، وقد قال لـي بالـهاتف، أنكـم قدمتـم إلـى هنـا بنـاء علـى وثيقـة لاريسون، ثم لوح بورقة كانت في يـده بتـأثر.

تساءلت بيني وبين نفسي، فيمـا إذا كـان عرفـات علـى علـم بردنـا علـى وثيقة لاريســون-٢؟؟.

شعرنا بالضيق جـراء سـوء التفـاهم الـذي حـدث علـى أرضيـة وثيقـة لاريسون، وحاولت فورا حل هذه المشكلة، فقلـت لعرفـات : " عندمـا تحـدث معـك رابين حول وثيقة لاريســون، كـان بحوزتـه وثيقـة أخـرى، وبمقـدورك أن تسـأل لاريسون فهو غير بعيد عن هنـا.

تشاور عرفات بعض الوقت، مع عبد ربه، ثـم قـال: دعونـا نضـع الأوراق جانبا، ونرى كيف يمكـن حـل المشـكلة، مـا الـذي تقترحونـه؟؟ ومـا صلاحيـاتكم بـالضبط؟؟.

إبان تشاور عرفات وعبد ربه سألت شـاحك: عـن طبيعـة التواجـد الدولـي في الخليل؟؟ فقال لي: يوجد هناك الصليــب الأحمـر. ووفقـا لذلـك قلـت: بمقدورنـا التحدث عن نوع معين من التواجد الدولـي فـي الخليـل، ونـوع مـن أنـواع تواجـد رجال الشرطة الفلســطينية".

* شاحك : بيد أنه يجب عليك أن تتذكر، أن مسئولية الأمن سـتبقى فـي أيدينـا.

*عرفات: أنتم تدفعون بي إلى الزاوية، وماذا بشأن المســتوطنين فـي الخليـل؟؟

* شاحك: هذا قرار سياسي ، بمقدور رابيـن وحـده اتخـاذه، ولا أعتقـد أن هنـاك أي فرصة لنقل المستوطنين من الخليل نتيجـة للتفـاوض معكـم، أنـا جـنرال ولا أتدخـل في مثل هذه الأمـور.

*عرفات: ما هو نوع التواجد الدولي الذي تتحدثــون عنـه؟؟

*أنا: "اعتقد أن رابين قد يوافق علـــى زيـادة حجـم وحـدة الصليـب الأحمـر". وقـد اتضح أن ما قلته كان خطأ قد ارتكبتـــه.

حملق عرفات بي بدهشـــة، ثـم اقـترب مـن الطاولـة بجسـمه، وقـال: أي وحـدات؟

*أنا : الصليب الأحمر، إن وحداته قادرة على التـأثير وتهدئـة الأمـور.

لم نكن على استعداد لمواجهـة مـا حـدث بعـد ذلـك، فقـد ارتفـع صـوت عرفات حد الصراخ، وهو يوجه الحديث إلى عبد ربه: "هل سـمعت مـا قـال؟؟ ربمـا لم أسمع ما قال جيدا، سبير يقترح الصليـب الأحمـر".

ثم توجه إلـي، وأعطـاني محـاضرة مجانيـة "الصليـب الأحمـر، الصليـب الأحمر" -قال وهو يرغي ويزبد "ما الـذي تريـد أن تفعلـه؟؟ هـل تريـد أن تحضـر ممرضات لإعطاء حقن مهدئة لسكان الخليل؟؟ لا أسـتطيع القـول بـأنني سـمعت مـا قلته جيدا، تريد جلب ممرضات إلى الخليـل مـن الصليـب الأحمـر لإعطـاء الحقـن المهدئـة؟؟ إنـهم يحرقـون صـوري فـي الخليـل، والإسـرائيليون يتحدثـون عـن ممرضات. لماذا لا نحضر أخي فتحي عرفات ومعـه الـهلال الأحمـر الفلسـطيني. لا اصدق، أنت تمعن في إهـانتي".

قرر شاحك انه لم يعد هناك معنى لمواصلـة الحـوار، لـذا نـهضنا وتوجـهنا نحو فندقنا، ولم نقل للصحفيين المنتظرين شيئا، ممـا أعطـاهم انطباعـا بـان المسـيرة السلمية أصبحت في حالة النزع الأخيرة، وقد عقـب أحدهـم قـائلا: "عرفـات سـيبقى هنـا".

قابلت في الفندق المبعوث الروسي فيكتور بسـيفاليوك، والـذي بـدا متشـائما بنفس القدر، وقال: "ليـس بمقـدور عرفـات الآن اسـتئناف المفاوضـات،لأن مكانتـه في الضفة والقطاع باتت متدنية إلى أدنـى درجـة. لقـد رأيتـه لتـوي، وأسـتطيع أن أقول لك، انه يشعر بحالة إحباط شديدة وتشـاؤم بسـبب موقفكـم".

وفي المساء، تناولنا طعام العشاء مع دنيس روس، والذي بدا، هو الآخر، شديد التشاؤم ولا يرى أي أمل في الأفق. وقد أصر خلال لقائه مع روس على أن يقبل الإسرائيليون شروطه.

اتفقنا، أنا وشاحك، على أن المسيرة السلمية في حالة خطرة جدا، وخصوصا بعد أن علم شاحك بأن رابين لا يعتزم إخلاء المستوطنين، خشية حدوث مالا تحمد عقباه على أرضية الاستعدادات التي بدأ اليمين يعد لها للتظاهر. لذا قررنا أن نقول الحقيقة ببساطة لعرفات: إن رابين غير مؤهل للاستجابة لمطالبه، وانه سيكون قادرا على تخفيف حدة أزمته، بيد أن الامر سيحتاج بعض الوقت. وتمكنا من إعداد صيغة لتواجد دولي في الخليل ولقوة شرطة فلسطينية بلدية. بيد أن المفتاح كان بيد عرفات وقدرته على قيادة أبناء شعبه، وكان عليه اتخاذ قرار صعب. واقترحت على شاحك، أن يتحدث معه على انفراد كجنرال لجنرال – مثلما كان عرفات يحب تقديم نفسه.

في صبيحة اليوم التالي، توجهنا في الساعة العاشرة إلى منزل ضيافة منظمة التحرير، وطلب شاحك الحديث مع عرفات، فتوجها نحو المطبخ، وتحدثا لمدة عشرين دقيقة. ويقول شاحك أنهما جلسا إلى طاولة المطبخ، وحينها قال لعرفات انه لا يجب أن يتوقع المستحيل، فرابين سيتخذ قرارات أخذت بعين الاعتبار مكانته السياسية هو، وهذه القرارات، لن تكون قابلة للتفاوض مع منظمة التحرير، وان من واجب عرفات أن يكون زعيم شعبه، وان يعده لاستئناف المفاوضات.

لقد جلس أمام شاحك، عرفات مختلف عن عرفات الذي تعرفه، كان متكدرا جدا، ومنطويا على نفسه، وسارحا في القرار الصعب، الذي كان عليه اتخاذه، ثم قال : "قل لرابين إنني أتفهم الصعوبات التي يواجهها، وأتوقع منه أن يفعل ما يجب أن يفعله، حينما يصبح الوقت ملائما".

قال شاحك: "بمقدورنا التقدم على صعيد قضايا أخرى، بمقدورنا تشكيل لجنة لمعالجة مشكلة الخليل، وفي نفس الوقت تواصل الحوار حول اتفاقية غزة وأريحا".

استمع عرفات لأقوال شاحك، ولم يعقب عليها، وطلب من شاحك أن يعلم رابين بأنه علم من مصادره، أن رابين يتعرض للخطر من قبل ضباط إسرائيليين رفيعي المستوى، وبمقدورهم تدبير انقلاب. ومن الجدير بالذكر، أننا جميعا، كنا ندرك أن عرفات كان احيانا يجيد التحليق بين الواقع (والميلودراما).

أرجو أن تعود إلى الغرفة للانضمام إلى زملائك، وبعد قليل سأعلمكم بقراري.

عاد شاحك، وجلس إلى جواري متوترا، وكان واضحا للفلسطينيين في الغرفة، أننا قدمنا اقتراحا ما لعرفات. وبعد لحظات عاد عرفات إلى الغرفة وجلس في مقعده، وقال: بعد أن تحدثت مع الجنرال شاحك، قررت العودة إلى المفاوضات. رئيس الحكومة رابين، أيضا، واقع تحت الضغط، وأنا أثق باتخاذه القرار الصحيح بشأن المستوطنين، في الوقت المناسب.

أما فيما يتعلق بالتواجد الدولي والشرطة الفلسطينية في الخليل، فسيتم تعيين لجنة لبحث ذلك، واقترح أن يمثلنا في هذه اللجنة نبيل شعث، وياسر عبد ربه.

وقد أعلن شاحك فورا أنني وزينجر، سنمثل إسرائيل في هذه اللجنة.

استطرد عرفات قائلا: "يجب على أعضاء اللجنة أن يتوصلوا إلى قرار بهذا الشأن الليلة وغدا، وفي نفس الوقت، ستستأنف المفاوضات حول اتفاقية غزة وأريحا. هذا هو واجبي في هذه اللحظات الصعبة، وبمقدور مفاوضينا العودة إلى القاهرة، وأنا آمل وأتوقع أن يجد رابين الأسلوب الذي يجعله قادرا على الرد على مطالبنا، وسوف أعلم الأميركيين والمصريين والنرويجيين".

أصيب الفلسطينيون في الغرفة بذهول تام، فقد اتخذ عرفات قرارا لا يحظى بالشعبية أبدا، فالفلسطينيون في الضفة الغربية وأوساط مختلفة في العالم الإسلامي، طالبوا بطرد المستوطنين من الخليل كشرط لا يمكن التنازل عنه

لاستئناف المفاوضات وإذا لم يحدث ذلك، فسوف يبدو أن الفلسطينيين عادوا لممارسة الحياة كالمألوف، رغم المذبحة التي نفذها اليهود في أحد أقدس الأماكن الإسلامية.

كان عرفات يأمل أن يتمكن في نهاية المطاف، من تحقيق هذا الهدف، بيد أن شاحك أوضح له أن إرجاء المفاوضات حول غزة واريحا حتى يتحقق هذا الهدف، لن يكون مجديا.

لقد شهدنا عرفات في غضون اربع وعشرين ساعة وهو يشع ضعفا ويأسا

أصبحت مشكلة الخليل منتهية، وأثبت عرفات في وقت الأزمة، أنه شريك حقيقي لنا في مسيرة السلام، وانه الرجل الوحيد في منظمة التحرير المؤهل لاتخاذ القرارات الصعبة. لقد أدت هذه المزايا إلى تعزيز علاقاته مع الشخصيات الوحيدة في الجانب الإسرائيلي، القادرة على فعل ذلك.

وهكذا، بدا أن بالإمكان تطبيق اتفاقيات المبادئ، رغم المشاكل الجدية التي كانت لا تزال تقف في الطريق أمامنا.

في تلك الليلة بلورنا الجانب الأكبر من التفاهم الخاص بتواجد دولي في الخليل، واتفقنا على بلورة الوثيقة النهائية في القاهرة، إضافة إلى تواصل المفاوضات حول غزة وأريحا. كما قررنا مطالبة النرويجيين بالمشاركة في القوة الدولية. وقام يوآل زينجر ونبيل شعث، بإعداد مسودة اتفاق.

وهكذا، عندما التقى دنيس روس مع عرفات في نفس الليلة، وجده مصرا على مواصلة التفاوض حول غزة وأريحا.

وعندما عدنا إلى إسرائيل، وقدمت تقريري إلى بيرس ورابين، سألت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اوري ساجي : عن الأسباب التي حدت بعرفات لتغيير رأيه؟ فرد علي ساجي قائلا: " انه يسير باتجاه معاكس لقراره الأول". ومن الجدير بالذكر، أن هذه، ليست هي المرة الأولى التي يجد فيها

رؤساء أذرع استخبارية صعوبة في حـــل ألغـاز ديناميكيـة مسـار اتخـاذ القـرارات للزعماء. خلال الفترات الانتقالية بين الحــرب والسـلام.

وفي نفس الأسبوع حصلنا على تذكـــار جديـد لمـدى الصعوبـات المحتملـة التي تواجه الانتقال إلى السـلام.

ففي الوقت الذي جمعنا فيه العديـــد مـن المعلومـات حـول الخليـل توطئـة لخوض المفاوضات، وفيما قام شـاحك بإعطـاء التوجيـهات الأخـيرة لطاقمـه بشـأن المرحلة الأخيرة في محادثات غزة – أريحـا. علمنـا أن خمسـة مسـلحين فلسـطينيين قتلوا في غزة في صدام مع جنودنا. وفي صبيحة اليـوم التـالي، ونحـن فـي طريقنـا في الطائرة من تل أبيب إلى القاهرة، أوضح لنا شاحك مـدى خطـورة الحـادث. كـان الخمسة من حركة فتح، وقد اوهم محمد دحـلان رئيس جـهاز الأمـن الوقـائي فـي القطاع بالعمل على تمهيد الأرضية، توطئة للانسـحاب الإسـرائيلي مـن غـزة، وقـد كانوا عائدين من أحد الأفراح، وأطلقوا النـار فـي الـهواء. ورغـم أن إطـلاق النـار كان دلالة على الفرح، إلا أنه اعتبر بمثابة انتـهاك للاتفاقيـات المبرمـة معنـا، والتـي تنص على عدم استخدام البنادق التـي بحـوزة الفلسـطينيين فـي أيـة مناسـبة. وقـد خشي شاحك من أن يؤدي هذا الحادث إلى ردود فعل سـيئة لـدى الفلسـطينيين.

نقلنا في القاهرة إلى مكان سري، وبعـد قليـل وصـل الفلسـطينيون مقطبـي الجبيـن، وفورا طلب شاحك التحدث مع دحلان وشـعث علـى انفـراد، بيـد أن دحـلان شـعر بوعكة، وعاد إلى فندقـه.

لقد كان من الصعب تخيل حـدوث تقلبـات جذريـة أكـثر مـن القفـز مـن مرحلة التنازع إلى مرحلة التعـاون، ثـم مذبحـة الخليـل، وقـرار عرفـات اسـتئناف المفاوضات، والصدام القاتل بين رجال دحـلان والجنـود الإسـرائيليين، ثـم اسـتئناف المفاوضات "والتي كان يجب على دحـلان وشـاحك أن يناقشـا قضيـة التعـاون فيمـا بينهما. وأنا اعتقد، أن دحلان، حينما شاهد شاحك، لم يكـن يعـرف فيمـا إذا كـان قـد جاء للتحاور مع نظير فـي المفاوضـات، أم مـع عـدو يعتـبر مسـئولا عـن مقتـل رجاله؟؟ ويخيل إلي انه رأى فيه الأمريـن معـا.

أوضح شاحك لنبيل شعث ما حدث ليلة الأمس، ثـم توجـه الوفـد الفلسـطيني إلى الفندق لعيادة زميلهم المريـض. وفـي المـاء تحـدث شـاحك ودحـلان بـهدوء، وعلى انفراد، وانتهى حوارهما بمصافحة حارة، واسـتئناف الحـوار. وقـد تـم الاتفـاق على أن تكون للنرويج وإيطاليا والسويد تواجد دولي مؤقـت فـي الخليـل، مـن اجـل تهدئة الأوضاع في المدينـة.

قاد شاحك طاقم مفاوضاته بصورة ممتازة، في حيـن أشـرف عـوزي ديـان على التفاصيل الأمنية، وفي نهايـة الحـوار، حصلـت إسـرائيل علـى مبتغاهـا فيمـا يتعلق بالترتيبـات الأمنيـة. لقـد بقيـت فـي أيدينـا صلاحيـات ذات أهميـة كبـيرة: المسئولية عن الأمن الخارجي، الجـانب الأمنـي للمعـابر مـن والـى الحكـم الذاتـي، والسيطرة على الطرق العرضية الثلاثة في قطاع غـزة، وفـي المنـاطق التـي تضـم المستوطنات. بيد أن غالبيـة أراضـي غـزة، وضواحيـها، والمسـئولية عمـا يحـدث داخلها، نقلت إلى الفلسطينيين. كما أسهم الاتفاق فـي خلـق إطـار التعـاون. فقـد تـم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة عليا إسرائيلية فلسـطينية للتنسـيق الأمنـي والتعـاون، وثلاثـة مكاتب تنسيق إقليمية (DCO) والتي يجب أن تعمـل أربعـا وعشـرين سـاعة يوميـا، ودوريات مشتركة، ووحدات متحركة مشتركة للإشراف علـى الوضـع مـن الحركـة، والتوجه إلى المناطق اللازمة عنـد الضـرورة.

وهكذا، وبعد أقل من سنة من اللقـاء الرسـمي الأول، بيـن ممثلـي إسـرائيل ومنظمة التحرير، تمكن الأعـداء السـابقون مـن إنشـاء جـهاز معقـد للتعـاون فـي المجالات الأمنية. ولا شك أن الاتفاق هـز الإيمـان الإسـرائيلي المتحـذر، والقـائل أن بمقدورنا الاعتماد فقط على أنفسنا. لقد كانت هناك أهميـة كبـيرة لتحررنـا مـن هـذا الإيمان، فلو لم نفعل ذلك، فلسوف يكون مـن الصعـب التحـرر مـن السـيطرة علـى الفلسـطينيين.

بيد أن استيعاب هـذا التغيـير وهضمـه كانـا مـن الصعوبـة بمكـان فـي المجتمع الإسرائيلي، وخصوصا العسكريين، وذلك بعـد أن كـان مـن البديـهي القـول أن الاعتماد على أنفسنا هو حجر الأساس في قدرة الدولة علـى البقـاء والنجـاة.

لقد اصبح "إرهـــابيو الأمـــس" شــركاءنا فـــي محاربـــة الإرهـــاب: أعضـــاء حركة فتح والقوة –١٧ الذين تورطوا في أعمال القتل ضـــد الإســـرائيليين. لقـــد اعتقـــد الكثيرون: أن هذا التحول كبـــير جـــدا، وقـــد اتضـــح حينمـــا آن أوان ذلـــك أن تجســـيد المهمة ليس صعبـــا.

كـــانت المشـــكلة الرئيســـية التـــي يتوجـــب علينـــا مواجهتـــها هـــي الرمـــوز الوطنية، ورموز السيادة، التي طالب الفلسطينيون بها. وقد اعتقد بـــيرس انـــه لـــم يعـــد من المجدي، آنذاك شن حرب أو خوض معركة على هـــذا الصعيـــد. فقـــد كـــان يقـــدر اكثر من أي شخص آخـــر معنـــى منـــح الشـــرعية لمنظمـــة التحريـــر وللفلســـطينيين. واعتقد أيضا، انه إذا كنا نصر على قضايـــا معينـــة كالمســـئولية الأمنيـــة مثـــلا، فـــان علينا أن نكون أسخياء في جوانب أخرى، لان الاتفاق من وجهـــة نظرنـــا كـــان بمثابـــة وسيلة لتحقيق هدف مشترك، وليس مجـــرد وثيقـــة.

طالب الفلسطينيون بجوازات سفر لسكان الحكـــم الذاتـــي. وقـــد أصررنـــا فـــي البداية، على عدم منحـــهم جـــوازات لان صـــرف الجـــوازات يعنـــي أن هنـــاك دولـــة، وأصررنا علـــى أن يكتفـــوا ببطاقـــة (Laisses Passes). واقنـــع بـــيرس رابيـــن بضرورة أن تتم طباعة هاتين الكلمتين علـــى جـــواز الســـفر الفلســـطيني، إلـــى جـــانب كلمة (جواز). ورغم ذلك، كان هنـــــاك مـــن وجـــد أن مـــن الصعـــب اســـتيعاب هـــذا التغير، وطالبوا بان يتـــم طباعـــة كلمـــة (Laisses Passes) بـــأحرف اكـــبر مـــن كلمة (جواز). وهكذا لاول مـــرة اصبـــح للفلســـطينيين جـــوازات ســـفر خاصـــة بـــهم. ومن الجدير بالذكر، أن الأردن ومصر لم توافق علـــى ذلـــك، عندمـــا كانتـــا تســـيطران على الضفة وغزة. لكن بـــيرس اعـــترف بـــه كحـــق لبنـــي البشـــر الذيـــن يســـتحقون الاعتراف بهويتـــهم.

لقد مكنتنا اتفاقية غزة – أريحا من الإشـــراف والرقابـــة علـــى المداخـــل إلـــى إسرائيل لاعتبارات أمنية، وكذلك على مداخل الحكم الذاتي، وهـــو الامـــر الـــذي خلـــق تناقضا، حسب رأي أولئك الذين كـــان يفـــترض أن يحظـــوا بالحريـــة، ويعـــبروا عـــن

هويتهم الوطنية لكن حركتهم العملية قيــدت وحــددت، لقـد إلتحمـت الحريـة وتقييـد الحركة معا، في إطار هذه البنية المعقدة للحكم الذاتـي الفلسـطيني الجديـد.

وقد تم أيضا في هذه المرحلة النهائية إحداث تغيـير شـديد الأهميـة : حيـث تم التأكد على أن تنقل منظمة التحرير ورئيسـها مقرهمـا إلـى منطقـة الحكـم الذاتـي كي يتمكنا من قيادة شعبهما عن قرب. كان مـن المفـروض أن ينقـل ياسـر عرفـات، الذي يعتبر رمزا لنضال الفلسطينيين ضد إسرائيل، مقـره، إلـى غـزة أو أريحـا، وقـد حرصنا على أن ينتقـل كرئيـس لمنظمـة التحريـر أو السـلطة الفلسـطينية، وليـس كرئيس لدولة فلسطين، وقد استجاب الفلسـطينيون لـهذا الطلـب.

وتم التأكيد أيضا، على إنشاء مجلس مؤلـف مـن أربعـة وعشـرين عضـوا لمساعدة عرفات في إدارة الأمور حتى يتـم إجـراء انتخابـات حـرة - فـي أعقـاب التوصل إلى اتفاق التسوية المرحلة للضفة الغربية - كما وافقنـا علـى إطـلاق سـراح خمسة آلاف معتقل، شريطة الا يكونوا قد قتلـوا إسـرائيليين.

صادقت إسرائيل على دخول زعامة منظمـة التحريـر إلـى الحكـم الذاتـي، بمن فيهم أولئك الذين كانت تعتبرهم مطلوبين - وفقـا للقائمـة التـي سـلمتها الجـهات الأمنية الفلسطينية لإسـرائيل.

لقد أسفر هذا الاتفاق في حقيقـة الامـر، علـى الصعيـد العملـي، عـن ولادة حكومة فلسطينية - رغم الاسـم المختلـف الـذي أطلـق عليـها - وحصلـت علـى صلاحية إدارة شئون الفلسطينيين ومواصلة المفاوضـات مـع إسـرائيل.

ومن الجديـر بـالذكر، أن هـذه الخطـوة، كـانت أحـد أهـم التعـابير ذات المغزى في التغيير الجذري الذي أسفر عنه اتفـاق أوسـلو.

وكانت هذه الخطوة تعني أن إسـرائيل سـتتفاوض مـع نظـام فلسـطيني ذي صلاحيات. ومنذ ذلك الحين، بدأ يقترب ذلك اليوم، الـذي سـتوقع فيـه دولتـان علـى اتفاقية التسوية الدائمة، ولم يبق سوى بناء شروط العلاقـات الجديـدة بيـن الطرفيـن.

هذا ولم يكن الطرفان يدركان كم يخبـئ الغيـب لـهما مـن أعمـال عنـف، ستقع بين التوقيع على الاتفاق المبدئي وبين إنجـاز الاتفـاق النـهائي.

نصت الإتفاقية أيضا، على تاريخ محدد لإنجاز اتفاقية التسوية الدائمة – خمس سنوات منذ التوقيع على اتفاقية غزة وأريحا. ونظرا لتوقيع اتفاقية غزة واريحا في الرابع من أيار ١٩٩٤، فان من المفروض ألا يتجاوز توقيع اتفاقية التسوية النهائية الرابع من أيار ١٩٩٩ لقد بدأ العد العكسي باتجاه السلام الكامل.

وقبل وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاقية، عقد اجتماع حاسم بين القادة أنفسهم. ففي الثالث من أيار، اجتمع عرفات مع رابين في قصر الرئيس مبارك وبوجوده، وبحضور وارن كريستوفر وبيرس ودنيس روس ورؤساء الوفود، وقد كانت الجلسة عاصفة، وتواصل النقاش خلالها خمس ساعات. وقد أهاب الرئيس مبارك بالمجتمعين التوصل إلى اتفاق حول القضايا التي لا زالت عالقة. وقد عاد عرفات إلى طرح ثلاثة مطالب معروفة : زيادة مساحة أريحا زيادة كبيرة، المسئولية المدنية عن القسم الجنوبي من ساحل غزة، وضع شرطي فلسطيني على جسر اللنبي. وطالب رابين بالحصول على قائمة بأسماء الأعضاء الأربعة والعشرين في المجلس الذي سيشكله عرفات، والتي كان من المفروض أن تضم إلى الاتفاقية كملحق. وعندما أعرب عرفات عن احتجاجه نظرا لانه يسمع هذا الطلب لاول مرة – رغم انه طرح أمامه سابقا– ابتسمت أنا وشاحك.

وحينها قال عرفات: أنا اعرف أنني أبدو أمامكم كمهرج، وإذا كان الامر كذلك، واصلوا الابتسام".

–رابين: سيدي الرئيس، نحن نتعامل معك باحترام كبير جدا، بيد انه يتوجب عليك احترام التفاهم الذي نتوصل إليه.

–عرفات: "لقد وعدتموني بتقديم رد بشأن الشرطي على جسر اللنبي، وعدتموني برد على مساحة أريحا، وها انتم تهينونني باقتراح كيلومتر هنا وكيلومتر هناك، انتم الأقوى، وانتم الذين تقررون".

وفي نهاية الجلسة، وافق رابين على توسيع مساحة أريحا بستة كيلومترات أخرى؛ ومنح السيطرة المدنية لعرفات على خمسة كيلومترات أخرى من القسم الجنوبي لساحل غزة رغم قرب المنطقة من المستوطنات بيد انه لم يكن

على استعداد بأي حال من الأحوال، للموافقة على وضع شرطي على جسر اللنبي، رغم الاتفاق على استئناف المفاوضات بهذا الصدد وهكذا اختتم هذا الاجتماع في حوالي الساعة الثانية ليلا، وقام الطرفان بإعداد الاتفاقية النهائية.

في الرابع من أيار، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرا، بدأت مراسيم التوقيع على الاتفاقية في القاهرة. وبعد إلقاء عدة خطابات وقع عرفات ورابين على اتفاقية الحكم الذاتي في غزة واريحا.

وخلال التوقيع لاحظ رابين أن عرفات لم يوقع على الخرائط المرفقة، فنهض من مكانه وتوجه إليه، واشار إلى مكان التوقيع وطلب منه التوقيع فورا، بيد أن عرفات رفض ذلك.

وكما يبدو، فانه اعتقد أن التفاهم الذي تم إنجازه قبل عدة ساعات حول إعادة النظر في قضية الشرطي على جسر اللنبي، ستعكس نفسها في الخرائط، بيد انه اخطأ وقد أدرك ممثلوه في المفاوضات ذلك. سارع شعث وشاحك للوقوف وراء الزعيمين على المنصة، وهناك انطلقت عاصفة عاتية وتم تسجيلها بالكامل بكاميرات الفيديو في نقل حي ومباشر إلى جميع أنحاء العالم.

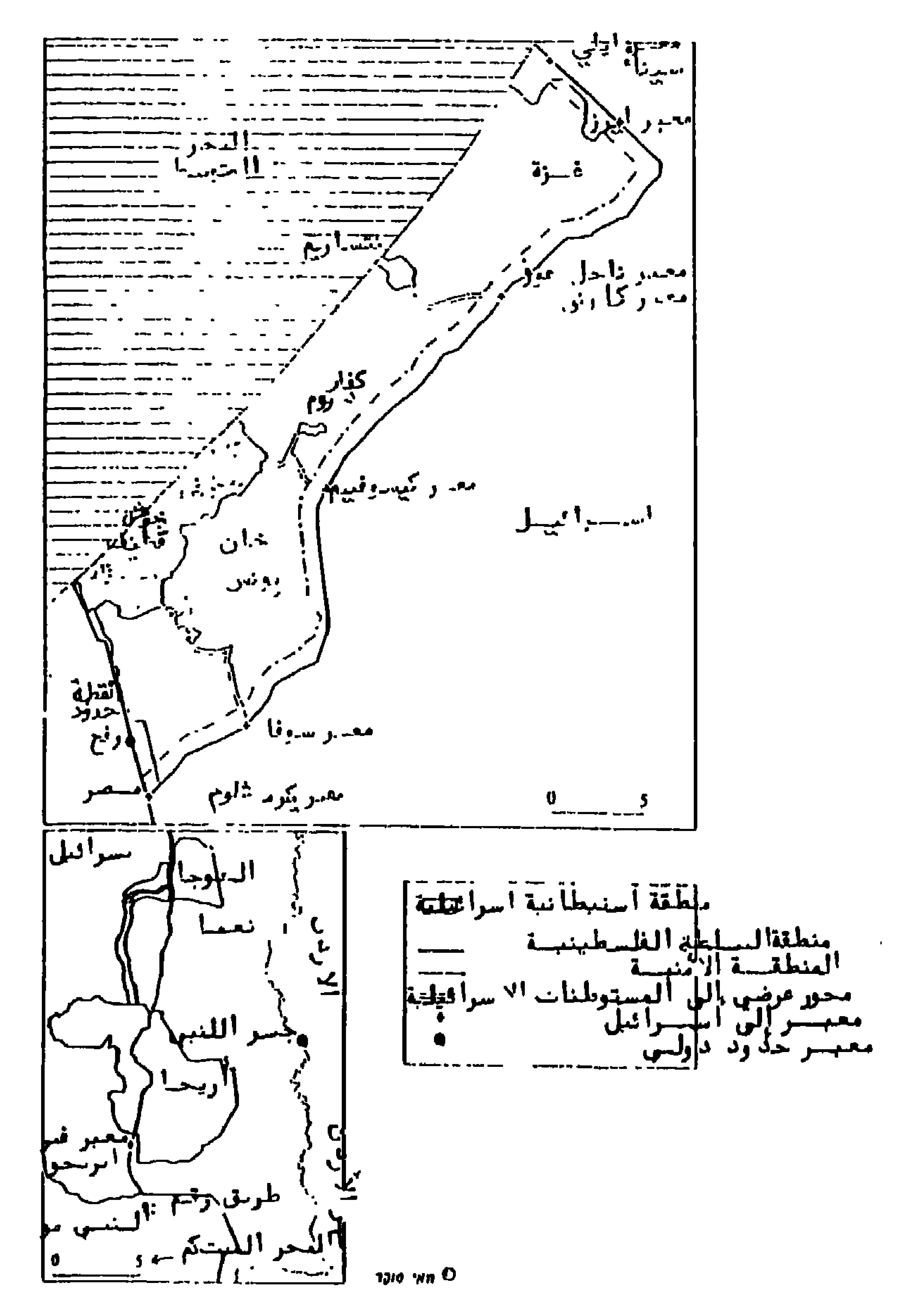
كان جميع الحاضرين يتوسلون إلى عرفات كي يوقع، بل وكادوا يهاجمونه جسديا لإرغامه على التوقيع، بيد انه أصر على موقفه، وفي النهاية تغلبت عليه ضغوط مبارك الذي طلب منه، بلغة حادة الا يحرج مصر المضيفة. ولم يوقع عرفات على الخرائط، قبل أن يستخلص من رابين وعدا بإرسال رسالة إليه تتضمن المشاكل التي لا زالت تحتاج إلى إجراء مفاوضات حولها، وعلى وجه الخصوص قضية الشرطي على الجسر.

تركت المسرحية التي نفذها عرفات على المنصة في أفواهنا مرارة شديدة. فالأمر يتعلق برجل أحرز لشعبه إنجازا لم يسبق له مثيل. وفي نفس الوقت، تصرف بصورة جعلت الأعراف المعمول بها في العلاقات بين الزعماء الوطنيين والعلاقات الدولية بأكملها – تبدو أضحوكة.

بيد أن تقديرات عرفات كانت مختلفــة. فقــد شــعر انـــه وقــع علـــى اتفاقيـــة ستجعل الكثـــير مـــن الفلســـطينيين ينظـــرون إليـــه بعيـــن الاحتقـــار، نظـــرا لســـماحه لإسرائيل بالإمساك بين يديها بقدرة تأثير حاسمة علـــى شـــؤون حياتـــهم. فـــهذه الوثيقـــة التي تم التوقيع عليها تؤكـــد ســـيطرة إســـرائيل علـــى المعـــابر، وحـــق الفيتـــو علـــى التشريع الفلسطيني، وقبول أو رفض اسم أي شـــرطي مـــن المفـــروض أن يدخـــل إلـــى الحكم الذاتي. وبالتالي اراد عرفات أن يـــرى أبنـــاء شـــعبه، انـــه ينـــاضل مـــن اجـــل مصالحهم رغم الضغوط الدولية الشديدة، ولهذا الســـبب كـــان علـــى اســـتعداد لإحـــراج شركائه في المسيرة الســـلمية.



٦- حول طاولة المفاوضات في طابا، أيلول ١٩٩٥ من اليســـار الـــى اليميـــن : ياســـر عرفات، أبو علاء، أوري سبير، أيلان بيران، شمعون بيرس، شمطوف ساميه.



خارطة ٢ : اتفاق غزة أريحا ٤/٥/١٩٩٤

انسحب الجيش الإسرائيلي من غزة واريحا في الخامس والعشرين من أيار ١٩٩٤- أي بعد ثلاثة أسابيع من مراسيم التوقيع على المراسيم العاصفة في القاهرة، وفي الأول من تموز ١٩٩٤ دخل ياسر عرفات إلى قطاع غزة بعد أن استقبله ضابط إسرائيلي في معبر حدود رفح وفي ميدان غزة كان بانتظاره مائة ألف فلسطيني وعندما ألقى كلمته فيهم، أصغى إليه الكثيرون في إسرائيل والعالم كله.

ولدهشة الجميع فان قلة قليلة من الإسرائيليين هي التي خرجت عن طورها بسبب قدومه إلى غزة فقد استقبل خروج الجيش الإسرائيلي من القطاع لدى الإسرائيليين كبركة لدى الجميع.

وقد استقبل الإسرائيليون بحر الإعلام الذي بدا في الميدان، والخطاب الهادئ الذي ألقاه عرفات، بتفهم صامت ..

لقد أثمرت الفكرة التي طرحها شمعون بيرس عام ١٩٩٢، وبدت ثمارها ناضجة عام ١٩٩٤ واصبح عرفات زعيما في مكانه، وعليه أن يبني مجتمعا واقتصادا، وقد تعهد بزيادة المعايير الأمنية، إضافة إلى تعهده بالتعاون والتفاوض مع جارته الجديدة – إسرائيل.

الصلة الهاتفية مع أبو علاء تواصلت في أعقاب مراسيم التوقيع. وكان قد وقع على الاتفاقية الاقتصادية في باريس في التاسع والعشرين من نيسان. وقد أصبحت هذه الاتفاقية جزءا من اتفاقية غزة واريحا على أن يتم إخضاعه وفقا للاتفاق بين عرفات ورابين- للقسم الأمني من الاتفاقية، إذا ما برزت هناك خلافات بين الجانبين.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الوضع مس مساسا خطيرا جدا فيما بعد، بالاقتصاد الفلسطيني إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترات الطويلة من الإغلاق الذي فرض على مناطق الحكم الذاتي، في أعقاب العمليات الإرهابية، التي وقعت في إسرائيل.

وبعد عدة اشهر– وفي أوج المفاوضات توفي والد أبـــو عـــلاء فـاتصلت بــه وعزيته، وكان آنذاك فـــي بـــاريس، وعرضـــت عليـــه أن يــأتي لحضـــور الجنـــازة – رغم انه ســــيضطر للقدوم ســـــــرا – فقال لـــي: انـــه اختـــار أن يفـــي بـــإجراءات الحداد على والده في تونـــــــس. فهو لم يكن يرغب في العـــــودة إلـــى أبـــو ديـــــــس طالما لم يتم توقيع الاتفاقية، وطالما لم يكن قـــادرا علـــى العـــودة، علنـــا، كعضـــو فـــي زعامة منظمة التحريـــر.

وفي منتصف شهر تمـــوز، دق جـــرس الـــهاتف، وكـــان أبـــو عـــلاء علـــى الطرف الآخر من الخط. وقال لي: "أنا اتصل بك من أبـــو ديـــس، لقـــد عـــادت العائلـــة كلها، أم علاء والأولاد إلى منزل والدي، ونحن نرغب باشـــــراكم فـــي فرحتنـــا.

قلت له: أهلا وسهلا أبو علاء، نحـــن ســـعداء بعودتكـــم، هـــانحن فـــي نهايـــة المطاف قد أصبحنا جـــيران.

كان صوت الفرح باديا تماما في صوته، ولم اكن أتخيـــل طيلـــة حيـــاتي، بـــل وحتى سنة واحدة مضـــت– أننـــي سأســـعد إذا مـــا علمـــت أن أحـــد زعمـــاء منظمـــة التحرير سيسكن على بعد عدة كيلومترات مـــــن بيتـــي.

حددنا فورا موعدا للاجتماع في تـــل أبيـــب لتنـــاول طعـــام الغـــداء، ودعونـــا لاريسون معنا، وقد تحدثنا ساعات طويلة، حول التعاون فيمـــــا بيننـــا، وخصوصـــا فـــي الشئون الاقتصادية، ثم سرنا باتجاه يافا القديمة، فقال أبـــو عـــلاء: لا أكـــاد اصـــدق انـــه آن الأوان الذي نستطيع فيه الالتقاء في تل أبيب. ســـنحتاج وقتـــا طويـــلا حتـــى نتمكـــن من عمل ذلك، بيد انه كلي أمل، في حدوث ذلك. وهـــذا هـــو تفســـير الاتفـــاق بالنســـبة لي شخصيا. هناك الكثير من المشاكل التـــي لا زالـــت بانتظارنـــا علـــى الطريـــق، بيـــد أن هناك مسألة واضحة تماما، وهي أننا لن نتجه إلـــى الـــوراء أبـــدا".

الفصل السادس

أوسلو فتحت أبواب الشرق الأوسط أمام إسرائيل
إسرائيل انطلقت عبر أوسلو إلى الأردن

دخل عرفات وزملاؤه إلى غزة من اجل قيادة شعبهم، وهو الامر الذي كان بمثابة سابقة في تاريخ الشعب الفلسطيني. وفي البداية ارتكبوا جميع الأخطاء والعثرات جراء الافتقار إلى التجربة والخبرة لدى منظمة التحرير في إدارة المجتمع والاقتصاد.

كانت إسرائيل قد احتلت غزة قبل سبع وعشرين سنة من أيدي المصريين خلال حرب ١٩٦٧. وعندما حان الأوان، كي تغادر إسرائيل غزة، تركت خلفها مستوطنين وتركت جنودا إسرائيليين لحمايتهم، إضافة إلى التأثير الاقتصادي، بيد أن غزة أصبحت الان فلسطينية، بعد مئات السنوات من الحكم الأجنبي: العثماني، والبريطاني، والمصري، الإسرائيلي، اصبح الفلسطينيون أنفسهم مسئولين عن المنطقة.

كانت غزة – فلسطين، التي سلمت إلى عرفات بائسة للغاية، رغم الإصلاحات النسبية التي دخلتها، مقارنة بوضعها عندما احتلتها إسرائيل عام ١٩٩٧.

كانت المدينة وضواحيها مصابة بعدة أمراض عضال: الانفجار السكاني، البطالة الرهيبة، انعدام البنية الاقتصادية. أضف إلى ذلك، أن الوضع الاقتصادي تدهور بصورة أسوأ، قبل قدوم عرفات بسنة، بسبب الإغلاق الذي كانت إسرائيل تفرضه بين الفينة والأخرى، على المناطق. وقد أدى ذلك، إلى خفض الناتج الوطني الخام في غزة، بنسبة ٢٥% وازدياد معايير البطالة بنسبة ٥٠% كانت مخيمات اللاجئين تفيض بشرا، ونسبة الزيادة الطبيعية من أعلى النسب في العالم. وإضافة إلى كل هذه المشاكل، كانت غزة والقرى والمدن

الأخرى في القطاع، تفتقر إلـــى شــبكات المجـــاري، وشــبكات الكـــهرباء، والطـــرق، وحتى مياه الشـــرب.

وقد أدت المقارنــة بيــن هــذا الوضـــع المـــزري والازدهـــار الـــذي تعيشـــه إسرائيل، على بعد خطوات معدودة إلى زيـــادة حـــدة اليـــأس فـــي نفـــوس المواطنيـــن هناك. ولا شك أن هذا اليأس، كان الأرض الخصبة التـــي نمـــت فيـــها حركتـــا حمـــاس والجهاد الإسلامي. وقد انضم إلى صفـــوف هـــاتين الحركتيـــن عشـــرات آلاف الشـــبان الفلسطينيين الباحثين عن عالم افضـــل فـــي الإيمـــان الأصولـــي. وقـــد فـــهمت هاتـــان الحركتان اتفاقية أوسلو، ككابوس تســـوية مهنيـــة مـــع عـــدو ابـــدي، وكتـــهديد علـــى الحركات الدينية والاجتماعية التي حاولت التمترس ضـــد أي تـــأثيرات خارجيـــة.

استهل عرفات عمله كرئيس للســـلطة الفلســـطينية باســـتخدام نفـــس الأســـاليب التي سبق أن خدمته في الماضي : محاولة تثبـــت قوتـــه عـــبر انتـــهاج أســـلوب "فـــرق تسد". وكان أول الأهداف التي سعى إليها، تشكيل جـــهاز شـــرطة فـــي غـــزة واريحـــا، من رجاله المخلصين، وبأعضـــاء جيـــش التحريـــر الفلســـطيني، الذيـــن وصلـــوا مـــن الخارج. وقد تم دمجهم مع مؤيديه المحليين، ونظمهم في عشـــرة أجـــهزة أمنيـــة، منـــها أجهزة لا لزوم لها أصـــلا.

لقد عمل عرفات على إنشاء هـــذه الشـــبكة مـــن الأجـــهزة الأمنيـــة، بصـــورة رئيسية، كركيزة لســـلطته.

كان العالم- الذي واصل العمل علـــى مـــد يـــد المســـاعدة للرئيـــس- مطالبـــا بتزويده بالتمويل من اجل تمكينه مـــن إقامـــة نظامـــه، والمتمثـــل فـــي : قـــوة شـــرطة قوية، ونظام بيروقراطي مدني لتنفيذ الصلاحيات الجديـــدة. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن قضية تخصيص مبالغ ماليـــة لتوظيفـــها فـــي دفـــع إحـــدى الـــدول نفقاتـــها الشـــاملة، تتعارض مع سياســـية المســـاعدات التـــي تنتهجـــها غالبيـــة الدولـــة المانحـــة. بيـــد أن القواعد والأسس آنفة الذكر، لم تتغير نظرا لان تلك الـــدول، كـــانت تعلـــم، أن عرفـــات يعمل على بناء أسس سلطته. فالسلطة الفلسطينية لم تكـــن تمتلـــك ولـــو جـــهازا لجبايـــة الضرائـــب.

اقترح بيرس – الذي كـــان يــدرك حقيقـــة، ووضــــع الســلطة الفلســطينية – إنشاء صندوق دولي خـــاص باســم وزيـــر الخارجيـــة الــنرويجي هولســـت، علـــى أن تستغل أمواله للإنفاق على المناحي الخاصة بكلفة إنشـــاء الســلطة الفلســطينية. وتولـــى النرويجيون عملية إقامة الصندوق باســـم هولســت، فـــي حيـــن عمـــل البنـــك الدولـــي كسكرتير للإشراف على المشروعات المختلفة، وصندوق النقـــد الدولـــي قـــدم التوجيـــه والرعاية النقديـــة.

أشـــرفت الولايـــات المتحـــدة علـــى كـــل هـــذه الجـــهود، ذات المؤسســـــات المتعددة، مستعينة بالخدمـــــات التـــي قدمـــها دنيـــس روس، وتونـــي فســـتندبخ الممثـــل الأميركي الديناميكي لمؤتمر الدول المانحة. والتي انضمت إلـــــى طـــاقم الســـلام، الـــذي شكلته وزارة الخارجية الأميركيـــــة.

وتعهدت الولايـــات المتحـــدة، أيضـــا، بمنـــح الفلســـطينيين خمســـمائة مليـــون دولار – أي اكثر من أي دولة أخرى مانحـــة–. بيـــد أن خيبـــة الأمـــل الكبـــيرة تبـــدت بأجلى معانيها في الدول العربية، والتـــــي رفعـــت النضـــال الفلســـطيني إبـــان محاربـــة منظمة التحرير لإسرائيل، إلى مســـتوى المعجـــزة ودعمـــت الاخـــوة الفلســـطينيين فـــي أوقات الحرب، بيد انـــهم تجـــاهلوهم عندمـــا آن الأوان، كـــي يبنـــوا وطنـــهم القومـــي. وتحت وطأة ضغط الأميركيين أسهمت الســـعودية بمبلـــغ مائـــة مليـــون دولار ســـنويا، بيد أن الضغوط الأميركية لم تجـــد نفعـــا فـــي دفـــع دول الخليـــج الأخـــرى، لمـــد يـــد المساعدة لـــهم.

لم يستطع عرفـــات الصمـــود إزاء "كشـــوف الحســـاب" التـــي بـــدأت الـــدول المانحة تعرضها عليه، لان هذه المصطلحات كانت غريبـــة عليـــه تمامـــا، فقـــد تعـــامل مع التعويضات كأموال مستحقة لشعبه بصـــــورة طبيعيـــة، بســـبب الظلـــم الـــذي وقـــع عليه طيلة تاريخه، وخصوصا تحت وطأة نـــير الاحتـــلال الإســـرائيلي.

اخذ الفلسطينيون، في هذه الآونة، يعملون علـــــى تطويـــر مؤسســـات سياســـية قوية، وليست مؤسسات اقتصادية. وخـــلال مؤتمـــر الـــدول المانحـــة الـــذي عقـــد فـــي باريس خلال الفترة الواقعة بين ٧–٩ أيلـــول ١٩٩٤، طـــالب نبيـــل شـــعث بتخصيـــص

أموال المانحين للمؤسسات الفلسطينية في القدس، بيد أنني قلت للاريسون – رئيس المؤتمر – أن الوفد الإسرائيلي لن يدخل إلى المؤتمر، إذا لم يتراجع الفلسطينيون عن طلبهم انف الذكر، وفي أعقاب النقاش الطويل الذي أجريناه، وافق شعث على إزالة هذا المطلب، عن جدول أعمال المؤتمر، بيد أن عرفات طلب منه الا يفعل ذلك وبناءً عليه، قررت تخريب المؤتمر، فقد شعرت بالغضب الشديد لاستغلال الفلسطينيين للوسيلة التي ساعدناهم نحن، في الحصول عليها، من اجل مصلحتهم.

وهكذا، عدنا جميعا إلى منازلنا، بعد أن طلبنا من النرويجيين أن يستدعوا ممثلي الطرفين إلى أوسلو في الثالث عشر من أيلول من اجل إحياء الذكرى الأولى لتوقيع اتفاقية المبادئ، والعمل للعثور على حل للمشكلة. اتفق بيرس وعرفات، في أوسلو، على استبعاد جميع القضايا موضع الخلاف بينهما من قاعات مؤتمر الدول المانحة. وكي نؤكد ذلك، وقعنا معا على "بيان أوسلو" رسميا، وشاهدنا العرض الذي قدمته جوقات من الأولاد الإسرائيليين والفلسطينيين أمام النرويجيين المصفقين. وهنا، توجه عرفات إلى بيرس بمناداته "يابن عمي". وقد خرج بيرس بانطباع من هذا اللقاء، يفيد أن عرفات معني بتثبيت مكانته السياسية والذاتية، اكثر مما هو معني ببناء اقتصاد أو مؤسسات حيوية أخرى لمجتمع مدني.

لقد اتضح لنا، في غضون الأسابيع الأولى للحكم الذاتي الفلسطيني بغزة –وبصورة لا تقبل الجدل– أن عرفات لا يستغل قوته الجديدة من اجل نزع سلاح حماس ومنظمات المعارضة العنيفة الأخرى بصورة منهجية. وقد طالب رابين، خلال اللقاء الذي عقده مع عرفات، في العاشر من آب، بان تعزز السلطة الفلسطينية جهودها من اجل كبح هذه الجهات والمنظمات، وقال لعرفات بصوت مهدد: "هذا هو اختبارك".

وحال سماع عرفات لهذا المطلب، قال : أن عليه أولا أن يبني دعما فلسطينيا قويا له، قبل أن يشرع في مثل هذه الخطوة بكامل جهده وقد حرص

الكثير من مقربيه، على أن يوضحوا لنا، أن أساليب عرفات، تختلف عن أساليبنا في العمل.

وفي تعقيبه على هذا المطلب، قال لي حسن عصفور، حينما تقابلنا في غزة: "لقد حاربتم الإرهاب بالقوة، وفشلتم، بيد أن عرفات يستخدم استراتيجية مختلفة، وسينجح فيها، اعتمدوا عليه وادعموه، وسترون. إننا نجري حوارا مع حماس، والكثيرون من رجال حماس ينتقلون إلى جانبنا".

كان الجهاز الأمني، يمارس ضغوطا على عرفات لإرسال قواته من بيت إلى بيت لمصادرة أسلحة حماس، بيد أن قادة الجهاز كانوا يدركون أن هذه الحركة تحظى بتأييد شعبي واسع، وانه يتوجب علينا أن نمنح عرفات فرصة معالجتها بالدمج بين القوة والحوار.

وفي منتصف عام ١٩٩٤، قال لي: أن هناك اتفاقا آخذا في التبلور بين حماس وحركة فتح يتضمن حظر استخدام العنف، واعتراف الطرفين بصلاحية مركزية، يمكنها أن تمنح الشرعية للتعددية السياسية.

لقد أمل عرفات، في أن ينجح إنجازه الذي لم يسبق له مثيل في السيطرة على قطاع غزة، في جذب مؤيدي حماس نحوه. وكانت جميع الدلائل تشير إلى انه محق في اعتقاده.

ويقول لاريسون – الذي عين في حزيران ١٩٩٤ نائب سكرتير الأمم المتحدة لتنسيق المساعدات للفلسطينيين. كما عينت زوجته مونه، نائبا للسفير النرويجي في إسرائيل – إن اكبر تغيير طرأ على مدينة غزة، تمثل في حياة الليل على شاطئ البحر. ففي أعقاب كل ذلك الأمن الطويل من حظر التجول الليلي، تمكن السكان من السهر ليلا أو نهارا، على شاطئ البحر، والاستفادة من شبكة الفنادق التي أقيمت هناك.

وبدأت أيضا تختفي الأغطية عن رؤوس النساء، وقصرت الفساتين من الجزء الأسفل، وهو الامر الذي استقبله لاريسون بالترحاب، معتبرا إياه اتجاها نحو التطبيع مع الغرب.

بيد أن حركة حماس، خشيت من أن تـؤدي هـذه البـادرة الصغـيرة، باتجـاه إسرائيل والغرب، إلى جانب تعـاون ياسـر عرفـات مـع إسـرائيل والغـرب – إلـى تصفية حركة حمـاس.

وهكذا، وبينمـا السـلطة الفلسـطينية تجـري مفاوضاتـها، اسـتكمل رجـال حماس – وبتشجيع من جهات مختلفة فـي إيـران وسـورية والأردن، نشـاطاتهم فـي مخيمات اللاجئين واعدت العدة للشروع بعمليات إرهابيـة، مـن اجـل "كشـف أخطـار السلام المزيـف".

قتل المسلحون الفلسـطينيون فـي غضـون الأشـهر السـتة الأولـى لتولـي السلطة الفلسطينية شئون غزة، خمسة عشـر إسـرائيليا – ثمانيـة منـهم بـالقرب مـن غزة وقد جاء رد رابين شديدا جـدا.

لقد حرص رابين حقا على التفريق بيـن حمـاس وفتـح، واوضـح للجمـاهير الإسرائيلية، إن حركة فتح تعمل ضد الإرهاب، الا انـه اعلـم عرفـات، بـان عليـه أن يعزز جهوده الخاصة بالقضاء على المتطرفين الأصوليين وقمعـهم. وكـي يزيـل أي شكوك عن مدى الخطـورة التـي ينظـر بـها إلـى هـذه العمليـات، اغلـق الضفـة والقطاع، في تشرين الأول ١٩٩٤، وقطعهما نـهائيا عـن إسـرائيل. وقـال: إذا كـانت السلطة الفلسطينية لا تستطيع منـع الإرهـاب، وطالمـا كـان الجيـش الإسـرائيلي لا يستطيع العمل في المناطق الواقعة تحـت سـيطرة السـلطة الفلسـطينية، فـلا منـاص من منع الفلسطينيين من دخول إسرائيل أو العمـل فيـها.

الخطأ يجر الخطأ. لقد فشـل عرفـات منـذ البدايـة فـي تجذيـر صلاحياتـه بشكل كامل، ولم ينجح في قمع القوى التي تميل إلى اسـتخدام العنـف، ثـم قمنـا نحـن بسياسة الإغلاق ليس بمعاقبـة المسـلحين والقـوى العنيفـة، بـل عاقبنـا الفلسـطينيين كلهم. وقد تعاملت الجماهير الإسرائيلية مـع الإغـلاق كحـاجز فـي وجـه الإرهـاب، في حين لم يكن الجهاز الأمني يعتبر الإغلاق وسيلة فعالـة لـهذا الغـرض. بـل ربمـا كان الامر على العكس تماما، فالإغلاق طويل الأمـد كـان يسـهم فـي تعزيـز قـوى الإرهاب، ليس فقط لانه أتاح لـها الفرصـة لوصـف اتفاقيـة غـزة واريحـا كاتفاقيـة

لاستمرارية الاحتلال بأساليب أخرى. بل لانـــه كلمـــا تدنــت مســتويات الحيـــاة، كلمـــا ازداد الدعم والتأييد للتطرف والعنف وازدهر فـــي أوســاط الفلســطينيين.

وفي خريف عام ١٩٩٤، تلقـــت مســيرة الســـلام ضربـــات موجعـــة للغايـــة. مما جعل جهات فلسطينية وإسرائيلية تتســـاءل: "هـــل هـــذا هـــو الســـلام". وبـــدأ كـــل جانب يكيل التهم للآخر، واخذ الوضع يتدهـــور مـــن الوعـــود والآمـــال الكبـــيرة إلـــى الصعوبات الاقتصادية، إلى العنـــف والإرهـــاب، والتصريحـــات المعاديـــة حتـــى آلـــت في نهاية المطاف، إلى طريق سياســـي مســـدود.

ويتذكر الكثـــيرون، يـــوم الرابـــع عشـــر مـــن تشـــرين الأول ١٩٩٤، كيـــوم التعارضات الحادة بين الوعود التـــي حملـــها إعـــلان المبـــادئ التـــاريخي، وبيـــن الآلام المرتبطة بتحويله إلى واقـــع. فقبـــل خمســـة أيـــام تـــم اختطـــاف الجنـــدي الإســـرائيلي (نحشون فاكسمان) من قلب إســـرائيل، وكـــادت الدولـــة كلـــها توقـــف أنفاســـها عندمـــا شرع الجيش بالبحث عنه وأجرى رابين اتصالات مكثفة جـــدا مـــع عرفـــات، بوســـاطة الدكتور احمد الطيبي، حول هذه القضية بـــل وجـــرى الحديـــث عـــن إمكانيـــة إطـــلاق سراح الشيخ احمد ياسين، زعيـــم حركـــة حمـــاس مـــن المعتقـــل الإســـرائيلي، مقـــابل إطلاق سراح فاكســـمان.

وفيما كان أعضاء كنيست عرب يقومـــون بأعمـــال الوســـاطة بيـــن عرفـــات والحركات الإسلامية، اتضح للجيـــش الإســـرائيلي، أن فاكســـمان ليـــس محتجـــزا فـــي غزة – مثلما اعتقد اسحق رابين في البداية- بل في (بـــير نبـــال) القريبـــة مـــن رام الله والواقعة تحت السيطرة الإســـرائيلية.

وإضافة إلى الاتصالات المكثفة مع عرفات في غـــزة، بـــدأ رابيـــن ومســـئولو قوات الأمن بدراسة إمكانية القيـــام بعمليـــة إنقـــاذ ســـريعة لفاكســـمان، واعلـــم رابيـــن بيرس بما يحدث، بيد أن جميع هـــذه الاتصـــالات دارت مـــن وراء الكواليـــس. وبعـــد أسبوع من انتظار تطورات جديدة، ساد إســـرائيل توتـــر لا يطـــاق.

وشاءت المفاوضات، أن تعلن لجنة جائزة نوبـــل للســـلام، فـــي الرابـــع عشـــر من تشرين الأول – أي في نفس الفترة- عن قرارهـــا منـــح الجـــائزة لرابيـــن وبـــيرس

وعرفات. ولم يعرف بيرس بهذا القرار، الا قبل ساعة واحدة من إعلانه، لقد كنت طيلة النهار معه، وحينما علم بالقرار بدا أن تقاطيع وجهه لم تتغير، بيد أنني تعلمت خلال سني العمل مع هذا الرجل، الذي لا يترك لمشاعره فرصة للإفصاح عن نفسها، أن المح بما يشعر به. وقد أدركت أن القرار اثر فيه إلى ابعد الحدود.

تواصلت الجهود الرامية لتحرير فاكسمان طيلة ساعات ما بعد الظهر. وعندما بدا فشل فرص نجاح أعمال الوساطة، قرر رابين القيام بعملية إنقاذ عسكرية لفاكسمان.

في ساعات المساء المبكرة، اتصل بي رئيس شعبة العمليات في وزارة الخارجية (رون بروشاور) وقال لي: "قتل فاكسمان إبان محاولة قوة إسرائيلية اقتحام المنزل الذي كان محتجزا فيه، كما قتل ضابط إسرائيلي يدعى "نير بوراز".

باتت الدولة كلها، تلك الليلة، تحت وطأة الصدمة، لقد نجح إرهاب حماس في تحقيق هدفه، ولا شك أن المناظر التي تبدت حينما تم إعلام عائلة فاكسمان بمقتله، ونداءات الغضب التي أطلقت في أعقاب ذلك، تغلبت على إدراك حقيقة أن المسيرة السلمية جاءت لتخليص الأجيال القادمة من حالات الرعب والموت، التي كنا نشهدها انذاك.

كانت تلك الليلة، بمثابة ليلة اختبار لزعامة رابين. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، بدا عابسا، مقطب الجبين، وشرح بشجاعة بالغة، الجهود التي بذلت من اجل إنقاذ فاكسمان، وأكد انه يفرق بين (القتلة) من رجال حماس، وبين شركائه الفلسطينيين، في محاربة الإرهاب.

وفي صبيحة اليوم التالي، قلت لبيرس: إذا ما وصفنا الإرهاب بأنه المشكلة الرئيسية التي نواجهها، فسوف نسهم في تعزيز قوة القتلة ومعارضي السلام من الداخل والخارج، لانهم سيدركون مدى حجم القوة الهائلة الموجودة بين أيديهم لمحاربة المسيرة السلمية. لذا، علينا أن نحاربهم، في نفس الوقت الذي يجب أن نكون اكثر برودا من (البريطانيين)، وان نعض على نواجذنا، ونقول

للجماهير الحقيقة البسـيطة: "الإرهـاب سـيتواصل حتـى ننجـز السـلام الكـامل، ولا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نخضع أو نسـتكين لـه".

ورغم أن بيرس وافق على ما قلتـه، الا انـه بـدا متشـككا بـالصورة التـي اقترحتها عليه، وهو يرى المنافسة والتحدي القائمين بيـن الخـوف والأمـل.

كان بيرس محقا في اعتقاده فبعد خمسة أيـام مـن إطـلاق أعضـاء حمـاس النار على فاكسمان، قام انتحاري بتفجير نفسه فـي الحافلـة (رقـم -٥) إبـان سـيرها في شارع ديزنجوف في تل أبيب، مما أسفر عن مقتل واحـد وعشـرين شـخصا.

هز الإرهاب إسرائيل، وافقدها صوابها، وانطلقـت جمـاهير المعارضـة فـي مظاهرات صاخبة ضد سياسة (أوسلو) واتهمت الحكومـة علنـا بالإسـهام فـي مقتـل الإسـرائيليين.

وفي المظاهرة التي نظمـت فـي الثـاني والعشـرين مـن تشـرين الثـاني - والتي شارك فيها بنيامين نتنياهو ورفائيل ايتـان وزبولـون هـامر، أطلقـت شـعارات مثل : "هذا السلام يقتلنا" ، "رابيـن قـاتل".

ورغم هذه المظاهرات والنداءات، فان ياسـر عرفـات لـم ينجـح فـي إدراك عمق الخطر الناجم عن الإرهاب، ولم يجند جميع الوسـائل التـي يمتلكـها كـي يبـدو كشريك حقيقي في وقف أعمال العنف ضدنا. لقـد اخـذ تخطيطـه الاسـتراتيجي بعيـن الاعتبار وضـع المجتمـع الفلسـطيني، وقـام علـى أسـاس الافـتراض القـائل: أن بالإمكان هزيمة الأصولية، بعمل تدريجي اقل عدوانية، انـه لـم يـر التعـارض القـائم بين هذه الاستراتيجية وبين التزامه بالعمل مـع إسـرائيل.

وهكذا، شاءت الأقدار أن تتحمل المسـيرة السـلمية مصـاعب جمـة، ورغـم ذلك بدا واضحا إن المسيرة ستواصل انطلاقتـها إلـى الأمـام اسـتنادا إلـى الإصـرار وتفهم إمكانية القضاء على الإرهاب، عـبر الحـل السياسـي بصـورة أساسـية، إلـى جانب النشاطات الشديدة، على ارض الواقع، والضغـط علـى عرفـات لدفعـه للعمـل بصورة اكثر حزما وحـدة.

واجه النصف الثاني من عام ١٩٩٤ مفارقة أخرى كان المسار الفلسطيني الإسرائيلي في أمس الحاجة حقا إلى تعديل، بيد أن إسرائيل كانت قد بدأت تتمتع بثمار السلام التي نمت بصورة مباشرة على أغصان الانفراج الحادث مع الفلسطينيين. لقد بدأت اتفاقيات أوسلو تفضي إلى التطورات الإقليمية التي أملنا فيها. ففي تشرين الأول والثاني، فتحت أبواب أمامنا في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

ففي أعقاب شهور طويلة من التفاوض السري مع المملكة الهاشمية – والتي اشرف عليها بصورة أساسية، مساعدو رابين إليكيم روبنشتاين ورجل الموساد افرايم هليفي وايتان هابر– وقعت إسرائيل والأردن في الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٩٤ على اتفاقية سلام رسمية بينهما.

لعبت الولايات المتحدة دورا مهما في ضمان هذا السلام، وتحقيقه. وقد تمكن رابين وبيرس من إقناع الرئيس الأميركي بمحو ديون أردنية لأميركا بقيمة ستة مليارات دولار، والتعاون مع الدولتين في مجال إنشاء مشاريع اقتصادية مشتركة. ترأست أنا وروبنشتاين الوفد الإسرائيلي للمحادثات الثلاثية التي بادر إلى طرحها بيرس، والتي أسفرت عن مخططات ومشروعات واعدة بشكل خاص لغور الأردن على جانبي النهر. وهكذا، حظي الأردن بخطوط حدودية ثانية، بعد أن حظي بخطوط حدودية أولى مع مصر وتعهدنا للأردن، بحل مشكلة المياه التي يواجهها. ورغم استياء الفلسطينيين الكبير، فقد حظي الأردن بمكانة خاصة في الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس. وتطورت علاقات وطيدة بين رئيس الحكومة رابين والملك الحسين والتي انبثقت من خلال التفاهم الشخصي، والتطلعات الاستراتيجية المشتركة بشأن ضرورة ضمان استقرار النظام الهاشمي– والتعاون عند اللزوم ضد التهديدات الخارجية–.

ضمن السلام مع الأردن، السلام، دون مشكلة (التدريج)، فقد ولد مباشرة من قلبي زعيمي الدولتين، واللذين أعربا عن ذلك بصورة دائمة وواسعة.

كان الحسين، الزعيم العربي الذي احب الإسرائيليون أن يحبوه، فهو سيد دولة منظمة تميل إلى الغرب، وبالإمكان الوصول إليها، أضف إلى ذلك أن إسرائيل التي كانت تتوق إلى القفز من العداء إلى المحبة، عثرت في الأردن على الشريك النموذجي. ولا شك أن مراسيم التوقيع على الاتفاقية في السابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤، في المعبر الحدودي الجديد بين العقبة وايلات، ابرز هذه المشاعر. فالجنرالات الذين قاتل، أحدهم ضد الآخر، تصافحوا، وتبادلوا الهدايا. وقدم الرئيس كلينتون، ووزير الخارجية الروسي كوزيريف للمشاركة في المراسيم، بل إن أوساط اليمين الإسرائيلي تبنت الاتفاقية مع الأردن بحماس، تلك الاتفاقية التي لم تكن تهدد أهدافهم الأيدلوجية الإقليمية.

أثنى رابين والحسين أحدهما على الآخر، بمحبة متبادلة وحقيقية. وتحدث الحسين بحرارة عن السلام الصادق، وليس الاتفاق القائم فقط كحبر على ورق. ولم توجه الدعوة إلى عرفات للمشاركة في هذه المراسيم، بسبب تحفظ الحسين منه، ذلك التحفظ الذي لم يكن في تلك الأيام غريبا أيضا على رابين، على الرغم من انه كان واضحا، أن السلام مع الأردن، ما كان لينجز لولا انفراج أوسلو، ولولا هذا الانفراج أيضا، ما انفتحت أمام إسرائيل قنوات أخرى إلى العالم العربي.

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩٩٤- أي بعد سنة من طرح شمعون بيرس فكرة المؤتمر الدولي الاقتصادي، وقع حدث تاريخي آخر في كازبلانكا. فقد تدافع زعماء العالم، وبصحبتهم الالاف من رجال الأعمال من جميع أنحاء العالم نحو المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولأول مرة، منذ قيام إسرائيل، اصبح بمقدور إسرائيليين وعرب، الاجتماع في حدث دولي مفتوح ومناقشة صفقات تجارية، بل والاتفاق على صفقات أولية. لقد انهارت جدران الكراهية، وأصبحت المقاطعة العربية مجرد تاريخ قديم.

وفي الخيمة الخاصة التي وضعها الملك الحسن الثاني ملك المغرب، تحت تصرفنا، اجتمع شمعون بيرس مع زعماء ووزراء خارجية خمس عشرة

دولة عربية، وامتزجت الكوفيات والجلابيات والأزياء والملابس والبذلات في منظر سريالي، نظرا لإغراق إسرائيل في إطار، بدا حتى ذلك الحين، انه عربي خالص.

وفي أعقاب استقبال الملك الحسن لنا، بدأنا بيرس وأنا حوارا مع ياسر عرفات، تحت أسماع وأبصار الكثيرين المندهشين، كانت الصورة مذهلة حقا، لقد أتاح التعاون الإسرائيلي الفلسطيني، إمكانية مزاوجات جديدة في المنطقة.

وفي الوقت الذي جلس فيه الزعماء واصغوا إلى عدة خطابات قصيرة، جلست أنا في الصف الثاني مع دنيس روس. وفي حقيقة الامر، فان مؤتمر كازابلانكا جذب قوى كبيرة وقوية على الصعيد الاقتصادي في المنطقة، بدءا بالإصلاحات على صعيد الاقتصاد العربي، ونمو نخبة اقتصادية جديدة ومثقفة، وتعاون بين رجال أعمال إسرائيليين وعرب، والعمل على إنشاء مؤسسات إقليمية، وانتهاء بإنشاء بنك تطوير إقليمي.

لقد عملت بالتنسيق مع شخصيات فلسطينية – أبو علاء – ومصرية وأردنية، من اجل إقامة مؤسسة إقليمية كهذه.

وبعد بضعة أسابيع، من مؤتمر كازابلانكا مثلنا -نحن ممثلي الأطراف الأربعة- أمام مسئولي وزارتي المالية والخارجية، الأميركيتين -كوفد شرق أوسطي، وطالبنا باسم المنطقة، بإنشاء جهاز مالي لتمويل المشروعات. وبعد أن تمكن بيرس من إقناع الرئيس كلينتون بمدى أهمية البنك الإقليمي، بدأت مراسيم إنشائه. وانطلق الشرق الأوسط الجديد في طريقه.

اقتصرت مشاركة رابين في المؤتمر على عدة ساعات فقط. وقد تطرقت كلمته -تماما ككلمة عرفات- إلى قضية القدس. وقبل عودتنا، عقد اجتماع بين رابين وبيرس وأعضاء وفدنا المفاوض، وبين عرفات ووفده المفاوض في إحدى الفيلل الفاخرة في كازابلانكا. وقد استهل رابين الحديث بلهجة شديدة قائلا: "سيدي الرئيس: يجب علينا مواصلة محاربة الإرهاب، لانه لا

توجد قضايا ذات أبعاد وانعكاسات اخطر من الأبعاد التي يمكن للإرهاب أن يعكسها على الطرفين".

وقد رد عرفات على ذلك قائلا: "نعم، علينا أن نحارب المتعصبين الذين يملكون كما هائلا من المال، لكن وبدلا من أن تعاقبوهم، فإنكم تعاقبوننا بصورة غير مباشرة. ففي غزة يوزعون منشورا ضد كلينتون، بيد ان مصدر هذا المنشور هو دمشق. أرجوك كفوا عن العقوبات الجماعية. أنا أدرك انه لم يكن من السهل عليك أن تعلن في أعقاب المأساة التي وقعت في تل أبيب التزامك بالمسيرة السلمية. وأنا أشكرك على ذلك، بيد أنني اعتقد أن إطلاق سراح الشيخ ياسين سيكون مجديا، فهو سيؤثر على المتطرفين، أنا اعرفه، وسيدعو لوضع حد لأعمال العنف".

فقال رابين: "لقد فحصنا هذه النقطة، وهو ليس على استعداد لعمل ذلك. وعلى أية حال، فان من الحيوي أن تواصل أنت محاربة الإرهاب، هذا هو أهم نضال، إن الرأي العام الإسرائيلي تأثر، وهناك نداءات في إسرائيل لقتلي".

عرفات : "وأيضا أنا، في الرأي العام الفلسطيني".

رابين : "إذا كان الامرعلى هذا النحو، فنحن في نفس القارب".

لقد كان هذا اللقاء، هو الوحيد الذي حضرته لرابين، وسمعته يتطرق فيه ليس فقط إلى مشاعر الجماهير الإسرائيلية الغاضبة، بل أيضا إلى الدعوة لقتله. لقد قال ذلك بالضبط قبل سنة ويومين من قيام شاب متعصب بإخراج هذه النداءات إلى حيز التنفيذ.

وتواصلت موجة الإرهاب، ووقعت عمليتان في تشرين الثاني بالقرب من المستوطنات في قطاع غزة، مما أسفر عن مقتل عشرة إسرائيليين منهم سبعة جنود.

وجد رابين وبيرس نفسيهما أمام مأزق، فهما لم يكونا ليشكا للحظة في مصداقية طريقهما أو إيمانهما بان المسيرة السلمية ستعزز، على المدى البعيد، أمننا الوطني: كما انهما كانا يعتقدان اعتقادا جازما، بان إيقافهما لمسيرة أوسلو،

سيؤدي إلى تعزيز قوة حركـــــة حمـاس، وســيقوض جميـــع المزايـــا التـــي كســبتهما إسرائيل من الاتفاقية. هذا من ناحية، أما مـــن الناحيـــة الأخـــرى، فقــد بــدأت شــكوك الجماهير الإسرائيلية- وليست فقط أوساط اليمين- تـــتزايد تجـاه قــدرة عرفــات، بــل ومدى رغبته في السيطرة على (المخربين)، وهكذا بدا هـــامش المنــاورة يتضــاءل.

وعلى أرضية هذا الوضع، طرح بـــيرس فكــرة جديــدة. فقــد اقــترح علـــى عرفات خلال لقائهما في غزة، فـــي الثـامن والعشــرين مــن تشــرين الثــاني تغيــير جــدول العمــل المحـــدد فـــي إعـــلان المبــادئ بحيــث تجــري الانتخابــات للســلطة الفلسطينية، قبل إعادة الانتشار الإسرائيلي فـــي الضفــة الغربيـــة مـــع الحــرص علـــى تقليص تواجد الجيش الإسرائيلي – يوم إجراء الانتخابات- إلـــى حــد كبــير جــدا، فـــي المناطق الفلسطينية، وقال بيرس: فـــي أعقـــاب الانتخابــات ســتقوم إســرائيل بتوســيع الحكم الذاتي تدريجيا، وستبدأ من جنين. وقد تحدث بـــيرس مـــع عرفــات عــن خطتـــه تلك، على أن لا يتم الإفصاح عنها ونشرها. ولم يرفـــض عرفــات الفكــرة بــل طلــب منحه مهلة زمنية للتفكير والتشاور مـــع مقربيـــه.

أمل بيرس فـــي قبـــول عرفــات للفكـــرة فـــي نهايـــة المطـــاف، نظـــرا لان الانتخابات كانت ذات أهمية كبيرة جـــدا، لـــدى عرفـــات، كوســيلة لاضفــاء الشـــرعية على حكمـــه.

اعترضت على هذا التوجه، وقلـــت لبـــيرس لا اعتقـــد أن هنـــاك أي فرصـــة لموافقة عرفات على إحداث أي تغيير في اتفاقية إعـــلان المبـــادئ، أضـــف إلـــى ذلـــك، انه لا يستطيع إجراء الانتخابـــات فـــي ظـــل الاحتـــلال. وأضفـــت : لقـــد أتيحـــت لنـــا الفرصة، في نهاية المطاف، للتخلص من السيطرة على شـــعب آخـــر. وطالمـــا لـــم يتـــم وضع حد للاحتلال، فسوف تكون هزيمة الإرهـــاب مســـتحيلة. فالإرهـــاب ســـينهار إذا ما دمرت القاعدة الشعبية التي يتغذى منها. ولا شك أن هـــذه العمليـــة طويلـــة بيـــد انـــه لا بديل لـــها.

ومن الجدير بالذكر، أن أعمال العنف الأصوليـــــة لـــم تكـــن نتاجـــا لســيطرتنا على المناطق فقط، بل كانت أيضـــا نتاجـــا للصـــراع العنيـــف الدائـــر بيـــن المنظمـــات

الأصولية، وبينها وبين عرفات، ولا شك أن الإرهاب حظي بتأييد واسع في أوساط الجماهير الفلسطينية نظرا لان تلك الجماهير كانت مسلوبة الحرية.

وافق بيرس على الأهداف التي أشرت إليها، بيد انه لم يكن مقتنعا بإمكانية إنجازها. إزاء التأثير الكبير للعمليات الإرهابية على الرأي العام في إسرائيل.

طلبت من بيرس بان يسمح لي بمواصلة الحوار مع الفلسطينيين، حول اتفاقية التسوية المرحلية، شريطة أن يعملوا معنا لتعزيز حربهم ضد الإرهاب. وبعد نقاش مطول، قرر رابين وبيرس دراسة هذه الإمكانية مع الفلسطينيين والشروع بمحادثات التسوية المرحلية.

شارك في هذه المحادثات التي عقدت في القاهرة عوزي ديان - والعميد جادي زوهر رئيس الإدارة المدنية في الضفة الغربية، ويوآل زينجر، وأنا. وقد طلب منا رابين أن نعمل أولا على تحديد القضايا بالتعاون مع الفلسطينيين، وكان علينا أن نطالب بمواصلة السلطة الفلسطينية العمل بحزم ضد الإرهاب. وعندما جمعنا أوراقنا استعدادا للتوجه إلى المطار، سأل عوزي ديان :"من الذي يترأس الوفد؟؟ "فأجاب رابين :"اوري سبير".

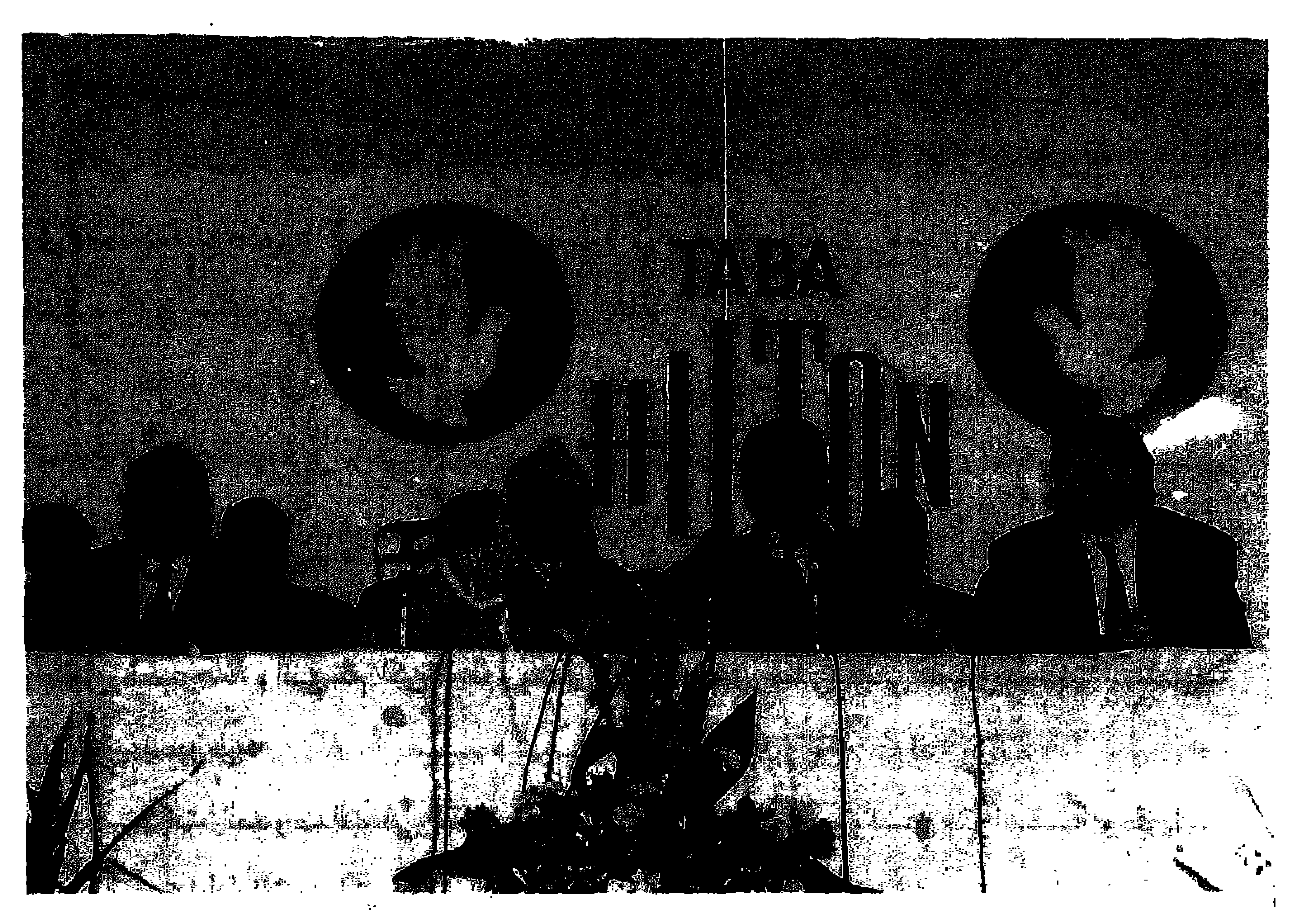
كنت اعلم أن بيرس أوصى بان يتم تعييني رئيسا لوفد مفاوضات التسوية المرحلية، بيد أن رابين تردد في ذلك. وقد اخبرني امنون شاحك- الذي كان انذاك قد حل محل أهود براك، في رئاسة الأركان انه أيضا أوصى بتعييني رئيسا للوفد، وأكد أهمية تعيين مدني رئيسا، بيد أنني لم اكن اعرف ذلك، لذا فوجئنا، خصوصا وأنني لم اكن اعلم، بمدى ثقة رابين بي في المفاوضات، بسبب قربي من بيرس.

كانت المفاوضات في القاهرة مع نبيل شعث ووفده متواصلة وطويلة ومضنية، وتبادلنا الاتهامات حول الجهة المسئولة عن الإرهاب.

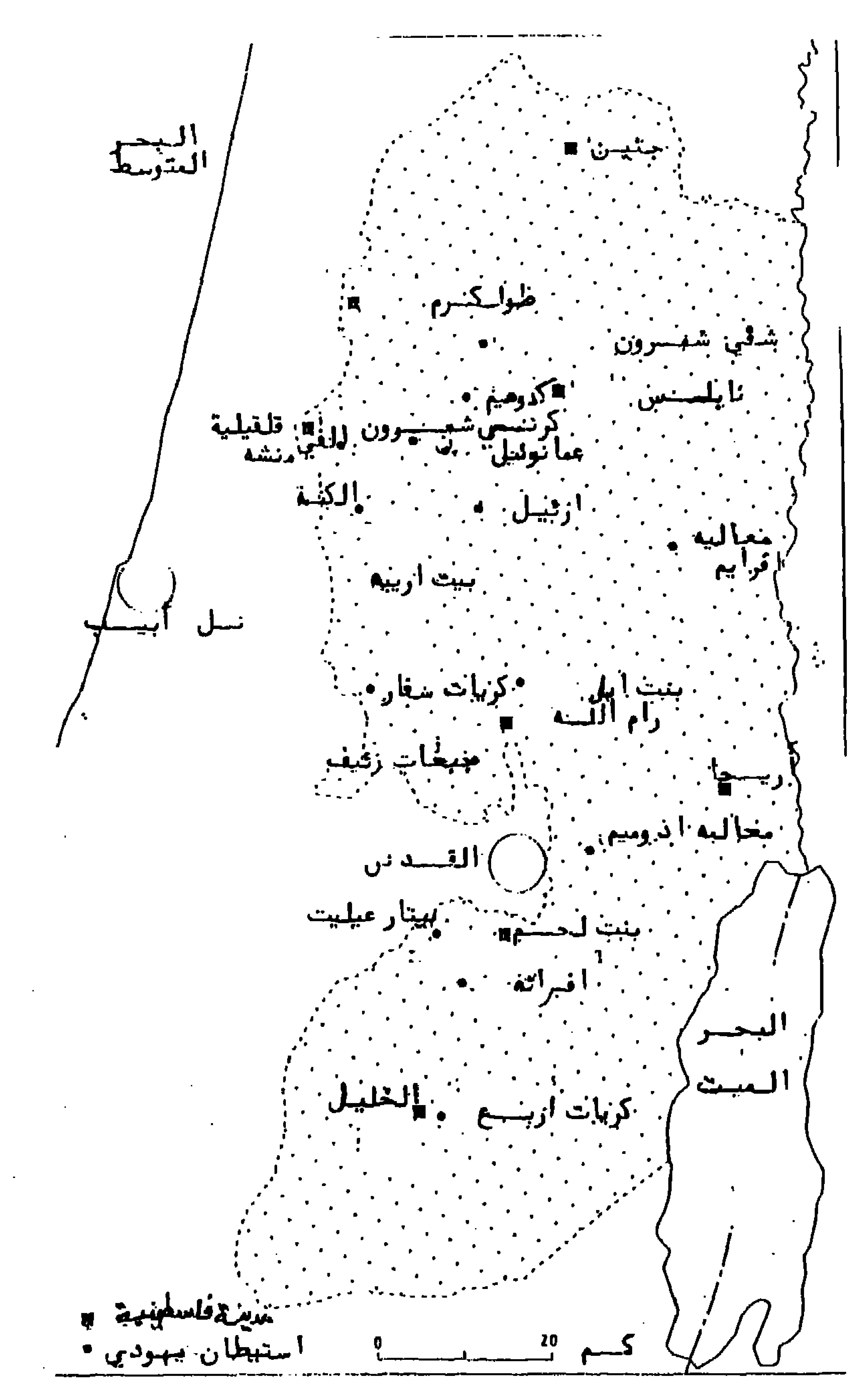
وحال عودتنا من القاهرة، إنضممت إلى الحاشية المصاحبة لبيرس، التي توجهت لحضور حفل تسليمه ورابين وعرفات جائزة نوبل للسلام، في أوسلو.

وعندما اجتمع الوفدان في أوسلو، إثر تسلم الجوائز لإجراء مفاوضات بحضور المضيفين النرويجيين، ألقى رابين محاضرة على عرفات بشأن الإرهاب، وعرض عليه أحد احتمالين : "لا اعتزم تغيير التزامي الخاص باتفاقية المبادئ. ونحن على استعداد – إذا رغبتم في ذلك- لإجراء مفاوضات حول جميع مركبات الخارطة الأمنية في الضفة الغربية في أعقاب الانتشار الإسرائيلي، وتنفيذها فيما بعد. بيد أنني أخشى أن مثل هذا الاجراء، سيتطلب زمنا طويلا جدا، هذا في الوقت الذي يواصل فيه معارضو السلام، تنفيذ أعمال عنف".

أما الاحتمال الثاني، فيتمثل في التقدم تدريجيا، مثلما عرض عليك بيرس، أي أن تجري الانتخابات للسلطة الفلسطينية، وتترك للمجلس المنتخب إمكانية إجراء المفاوضات حول إعادة الانتشار".



٧- التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية التسوية المرحلية في طابا ١٩٩٥/٩/٢٣.



الخارطة الثالثة - الضفة الغربية

لم يتح بيرس ورابين الفرصة لعرفات للتفكير وحاول الاثنـــان إقناعــه بجــدوى الخيار الثاني. وفي النهاية، قال عرفات انه سيفكر فـــي القضيـــة ، واقـــترح أن نواصـــل التفاوض.

عمل النرويجيون الذين شاركوا في الحـــوار إلـــى دفـــع الطرفيـــن إلـــى عـــدم الانشغال فقط بالمشاكل، بل العمل على دفع المســـيرة إلـــى الأمـــام.

وحال عودتنا من أوسلو، عرفت انه قد ألقيــت علـــى عـــاتقي مهمـــة جســـيمة، ومنحت فرصة كبيرة للمساعدة في تجسيد السياسة التي كنـــت أؤمـــن بـــها. لقـــد كنـــت أؤمن بان حـــل الـــنزاع يكمـــن فـــي تخلينـــا عـــن الســـيطرة علـــى الفلســـطينيين. وإن بالإمكان التغلب على الإرهاب وأخطار الحرب عـــبر المشـــاركة فـــي ائتـــلاف إقليمـــي يتناسب مع احتياجات الأمن الإسرائيلية، الناجمـــة عـــن الخطـــر الحقيقـــي الكـــامن فـــي الأصولية. وكان مفتاح كـــل ذلـــك، حســـب اعتقـــادي، يكمـــن فـــي احـــترام الطرفيـــن لاتفاقيات أوســـلو.

بيد أنني لم اكن لأجد في تلك الأونة شريكا لي فـــي إيمـــاني بإمكانيـــة إجـــراء مفاوضات وتجسيد اتفاقية التسوية المرحلية في الضفة الغربيـــة. فيوســـي بيليـــن مثـــلا، كان يعتقد أن هذه التوقعات لم يعد لـــها وجـــود. علـــى ارض الواقـــع، لـــذا، فـــان مـــن الأفضل لنا أن نواصل المفاوضات مباشـــرة، باتجـــاه التســـوية الدائمـــة وكـــان يجـــري هو هيرشفيلد وفوندك محادثات سرية حول ذلك، مع أبو مازن ووفـــد مرافـــق لـــه فـــي ستوكهولم. ورغم انه تم إحراز تقدم مثير الا أن هـــذا التقـــدم لـــم يصـــل إلـــى مرحلـــة الاتفـــاق.

وعندما اعلم بيلين بيرس بتلـــك المفاوضـــات طلـــب منـــه بـــيرس أن يوقفـــها فورا، واعلم عرفات بان المحادثات لم تجر تلبيـــة لرغبتـــه.

وإزاء الهوة الواسعة جدا والقائمـــة فـــي مواقـــف الطرفيـــن، لـــم اصـــدق أنـــا وبيرس احتمالات وجود طرق قصيرة ولا شـــك أن عمليـــات جـــس النبـــض، ســـتمكن الفلسطينيين من دراسة مدى المرونة الإسرائيلية، وكـــان الفلســـطينيون ســـيعمدون إلـــى

فرض جمود سياسي دائم، دون أن يكون هناك مقابل عميق ومرغوب في الضفة الغربية.

شرعت وسائل الإعلام في تلك الآونة برثاء اتفاقيات أوسلو، والاستعداد لتشييع جثمانها، واعتقد الكثير من الفلسطينيين أنها كانت بمثابة خطأ جسيم ومأساوي. وان إسرائيل لن تتقدم بعد ذلك إلى الأمام أبدا، لانها حققت مبتغاها، ودفعت بعرفات إلى ما كانوا يسمونه "معتقل غزة".

كان أبو علاء يشاطرني الرأي في أن التمسك بقوة بالاتفاقيات، هو وحده الكفيل بإتاحة الفرصة للطرفين للازدهار من جديد. وحال عودتنا من مراسيم تسلم جائزة نوبل، اجتمعت به في فندق الملك داوود بالقدس للتحاور. وقد استهل حديثه بالقول :"أوري، يجب علينا العمل بغية إنقاذ المسيرة وجل ما أخشاه هو أن ينجح أعداء السلام في تحقيق أهدافهم، واشعر بالقلق الشديد جراء احتمال انهيار الشراكة بين شعبينا، والتي هي مفتاح النجاح. لقد كان مؤتمر كازابلانكا حدثا تاريخيا، بيد انه ما كان ليعقد لولا اتفاقيات أوسلو".

ثم قال لي: في أعقاب لقائي بعرفات في تونس ونحن في طريق العودة من أوسلو، اقترح أبو مازن أن أدير أنا المفاوضات في المستقبل.

واضاف: عرفات يشك في أنكم لا ترغبون في استئناف المسيرة السلمية، ونخشى من أن تتجول "غزة أولا"، إلى غزة أولا وأخيرا. واسمح لي أن أقول لك: إن فكرة بيرس واقتراح رابين القائل بان يختار عرفات بين التجسيد الكامل الذي يحتاج إلى وقت أو خوض الانتخابات فورا، تعزز هذه الشكوك لديه".

وتحدث أبو علاء عن ضرورة استخلاص العبر المناسبة من الخبرة التي تم اكتسابها في غزة، وحول بذل جهد فعال واكثر منهجية ضد الإرهاب، كمصلحة فلسطينية وليس كخدمة نؤديها من اجل إسرائيل.

وأكد ضرورة الحفاظ على التقدم، وتوفير الأمل لشعبه في مستقبل اقتصادي وسياسي افضل. ثم طرح نظرية جديدة، لبلورة اتفاقية التسوية المرحلية، حيث تحدث عن إنشاء ثلاث مناطق أمنية في الضفة الغربية : الأولى

تحت السيطرة الفلسطينية والثاني تحت السيطرة الإسرائيلية، والثالثة يديرها الطرفان بالتعاون.

واضاف أبو علاء: "إسرائيل ستعد خارطتها الأمنية وفقا لاحتياجاتها، ومع التمسك الكامل بإعلان المبادئ، وعلى أن يتم تجسيد هذه الخارطة على مراحل داخل المناطق الثلاث آنفة الذكر وعبد الرزاق اليحيى يؤيد هذا الفهم، وقد ناقشه مع عرفات".

اقترح أبو علاء، أن نعود لفتح مسار سري لمناقشة القضايا شديدة الحساسية، وبصورة خاصة القضايا ذات العلاقة بالأمن، لا يمكننا أن نجري مفاوضات، وكأنها مؤتمر صحفي.



٨- رؤساء اللجنة الثلاثية الإسرائيلية الأمريكية الفلسطينية، من اليسار الى اليمين : أوري سبير، دنيس روس، أبو علاء خلال لقاء في فندق (لاروم) في القدس.

مسار سري جديد

أبو عمار مع متطلبات إسرائيل الأمنية مقابل
إعادة انتشار تدريجية

وعدت أبو عـــــلاء أن اعــرض اقتراحاتـــه علـــى المســـئولين عنـــي وان أرد عليه بشأن قضية فتح مسار سري جديـــــد. وعندمـــا أعلمـــت بـــيرس بفحـــوى مـــا دار بيني وبين أبو علاء، وافق على إحياء مسار على غـــرار مســـار أوســـلو، إلـــى جـــانب المحادثـــات العلنيـــة فـــي القـــاهرة، بيـــن يـــوآل زينجـــر وصـــائب عريقـــات، بشـــأن الانتخابات الفلســـطينية.

وقام بيرس بمناقشة هذه القضيـــة مـــع رابيـــن والـــذي أعـــرب عـــن تـــأييده، واقترح على بيرس أن يستغل مقابلته القادمة مع عرفـــات، للاتفـــاق معـــه علـــى مســـار ســـري.

قام لاريسون – الذي كان يتمتع بثقة الطرفيـــــن بـــالإعداد للقـــاء بيـــن بـــيرس وعرفات في غزة في الحادي والعشرين مـــن كـــانون الأول. وقـــد دار معظـــم الحـــوار بينهما، على انفراد، ثم انضم إلى مساعدوهما في الغرفـــــة التـــي.جعـــل عرفـــات منـــها مكتبه، وأعلـــن بـــيرس، انـــه اتفـــق مـــع عرفـــات علـــى مواصلـــة التفـــاوض حـــول الانتخابات ببنيتها القائمـــــة وعلـــى أن يتـــم إجـــراء لقـــاءات دوليـــة مســـتقبلا لتســـوية القضايا التي لا زالت محل خـــــلاف.

غمزت بعيني لأبو علاء، لكن بيرس لاحظ ذلـــك بوضـــوح، فتنـــاول ورقـــة (مروســـة) بشعار النسر الفلسطيني وبالكلمـــــات "منظمـــة التحريـــر الفلســـطينية" الســـلطة الوطنيـــة الفلسطينية–مكتب الرئيس"، وكتب عليـــــها عـــدة كلمـــات وناولـــها لـــي، فوجـــدت انـــه كتب: "مثلما ترى اتفقنا على مسار سري، والكادر الرفيـــع هـــو للتغطيـــة".

PALESTINE LIBERATION ORGANIZATION
Palestinian National Authority
Office of the President



منظمة التحرير الفلسطينية
السلطة الوطنية الفلسطينية
مكتب الرئيس

الرقم ________
التاريخ: ________

٣

مثلما ترى وافقنا على مسار مصري والكادر الرفيع هو مجرد تغطية

كانت تلك استهلالة اكثر المراحل تعقيدا في المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين. فقد كنا نرمي للتوصل إلى اتفاق لتطبيق اتفاقية المبادئ في أوسلو على الضفة الغربية. وكان مغزى هذه الاتفاقية المرحلية واضحا لنا جميعا ، والذي يعني: تحديد مصير اكثر المناطق موضع الخلاف بين إسرائيل والفلسطينيين، أضف إلى ذلك أننا كنا سنخوض اكثر مشاحنات الجدل مرارة في تاريخ الحركة الصهيونية، ذلك الجدل الدائر بين الصهيونية الإصلاحية، وحزب العمل. ففي حين أصرت الأولى على التمسك الكامل بأرض آبائنا التاريخية على أسس أيديولوجية دينية وطنية، فان الحركة الثانية عارضت السيطرة على مليوني فلسطيني بما تعكسه هذه السيطرة من آثار مدمرة على المجتمع الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن كل حركة من الحركتين كانت تشعر أن الحركة الأخرى تعرض وجود إسرائيل وحياة سكانها للخطر.

كان يجب على المفاوضات أن تقدم ردودا شافية للقضايا التالية بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني:

* مدى المسئولية الفلسطينية عن الأمن – على أرضية تجربة غزة واريحا–.

*المدن والمناطق التي ستنفذ فيها إسرائيل إعادة الانتشار في المرحلة الأولى من اجل إتاحة فرصة إجراء الانتخابات الحرة والديموقراطية لمجلس السلطة الفلسطينية.

*الإجراءات الخاصة بانتخابات المجلس الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة، والصلاحيات ومجالات المسؤولين لهذا المجلس.

*نقل الصلاحيات المدينة إلى المجلس الفلسطيني،مع إبقاء صلاحيات جزئية معينة بأيدي إسرائيل، كالصلاحيات الخاصة بالبنى التحتية ذات الاستخدام المشترك – المياه– الطرق، الكهرباء وغير ذلك.

*الوضع القضائي للسلطة الفلسطينية وعلاقتها مع إسرائيل.

*إعادة الانتشار، والعمل بصورة تدريجيـــة فـــي المســـتقبل، والتـــي ســـتتيح الفرصـــة لانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى أماكن أمنيـــة محـــددة، المســـتوطنات- والتـــي ســـتبقى على ما هي عليـــه الان".

* العلاقات الاقتصادية بين السلطة الفلســـطينية وإســـرائيل، والتعـــاون فـــي المجـــالات الأخـرى.

وبناء على إعلان المبادئ، فقد تم التأكيد على الشـــروع فـــي مفاوضـــات فـــي الرابع من أيار ١٩٩٦ حول التسوية الدائمة، والتـــي ستســـلط الأضـــواء علـــى قضايـــا كالقدس والمستوطنات واللاجئيـــن والحـــدود والمنـــاطق الأمنيـــة، وهـــذا القســـم مـــن المفاوضات سيقود إلى اتفاقية ومصالحة تاريخية بين الشعبين حتـــى الرابـــع مـــن أيـــار ١٩٩٩.

وإذا ما أخذنا بعيـــن الاعتبـــار، حجـــم التحديـــات علـــى ارض الواقـــع، فـــان مفاوضات التسوية المرحلية قد تستمر ســـنوات. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن الكثـــيرين أعربوا عن اعتقادهم انه حتى لو تم ذلك، فلن يكون بالإمكان التوصـــــل إلـــى اتفـــاق. فقد زعم نقيض البديهيات (مـــيرون بنبنســـتي)، أن المســـتوطنات فـــي الضفـــة الغربيـــة خلقت وضعا سياسيا غير قـــابل للتغيـــير. واقـــترحت جـــهات أخـــرى حلـــولا ســـريعة والتي تراوحت بيـــن (الفصـــل) الفـــوري- وفقـــا لاقـــتراح وزيـــر الشـــرطة موشـــيه شاحل- وبين القفز عن التسوية المرحلية، والشـــروع فـــورا بالتفـــاوض حـــول التســـوية الدائمة- مثلما اقترح يوسي بيليـــن .

اعتقد أبو علاء وأنـــا، أن المحادثـــات المبكـــرة بيننـــا ســـتكون حرجـــة، وان اتفاقنا على العبر التي يجب استقاؤها من اتفاقية غـــزة واريحـــا وعلـــى اتجـــاه مناســـب بشأن الضفة الغربية، هو وحده الكفيل بخلـــق الفرصـــة للتوصـــل إلـــى اتفاقيـــة تســـوية مرحلية في غضون هامش زمنـــي معقـــول.

وعلى غرار ما كان الوضع في أوســـلو، مكنـــا لأنفســـنا، هـــذه المـــرة أيضـــا البداية: أن الالتزام بالشراكة الحقيقية هو الذي ســـيمكننا مـــن العمـــل بفعاليـــة وجـــدوى.

وأدركنا أيضا، أن أي محاولة للقيام منذ البداية بمعالجة قضايا شديدة الحساسية مثل إعادة الانتشار والسيطرة على المياه، ستوصلنا إلى طريق مغلق خطر.

واتفقنا على أن أي نقاش في القضايا ذات العلاقة بالتسوية الدائمة، كالقدس والمستوطنات وما شابه ذلك هو دلالة على الكارثة المؤكدة القادمة. لقد كنا ندرك بوضوح تام حجم التحديات التي وجدنا أنفسنا في خضمها.

وإذا ما نجحنا في مهمتنا، فسوف تبدأ مسيرة تتسم بالتحرير التدريجي للجماهير الفلسطينية من السيطرة الإسرائيلية، ويتم إنجاز الفرصة الحقيقية لامن إسرائيل، وسيتم دفع المسيرة السلمية في المنطقة كلها إلى الأمام.

أما إذا فشلنا، فان مسيرة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين- وإمكانية توسيعها بحيث تشمل المنطقة كلها- ستنهار. لقد منحتنا المصلحة المشتركة العميقة، والتجربة المتراكمة لدينا، أملا بان بالإمكان حقا الوصول إلى اتفاق.

كانت السرية التامة هي أحد الشروط الأساسية للنجاح وكان طاقم أوسلو يجيد الحفاظ عليها. وكنا في حاجة إلى مسار علني كي نبعد الأنظار عن مسارنا السري، والدفاع عن مسارنا السري.

وقررنا أن يكون المسار العلني في القاهرة بين يوآل زينجر وصائب عريقات حول الانتخابات وبين العميد جادي زوهر – وبعده اللواء اورن شاحور منسق أعمال الحكومة في الضفة والقطاع، والذي حل محل اللواء داني رونشيلد- وجميل الطريفي بشأن نقل الصلاحيات المدنية.

كان يجب أن تتمحور المحادثات السرية حول القضايا الأمنية. ومنذ اللحظة التي ستتوصل فيها إلى اتفاقيات على هذا الصعيد سيصبح بمقدورنا السير باتجاه مفاوضات مفتوحة وتتناول قضايا اكثر.

كان الحفاظ على السرية اصعب بكثير مما كان عليه إبان محادثات أوسلو، فقد كانت وسائل الإعلام تدري أن المسيرة بدأت، وبذلت محاولات لا تكل، لمعرفة ما إذا كانت المحادثات العلنية في القاهرة تخفي خلفها محادثات

سرية في مكان ما؟؟ أضف إلى ذلك أن عـــدد المشـــاركين هـــذه المـــرة، فـــي الإعـــداد والتحضير والتفاوض كان اكبر بكثير مما كان عليه في عـــهد اتفاقيـــات أوســـلو.

عثر موظفو مكتبي، وســـكرتيرتي النشـــطة ســـتيلا شـــو ســـتك علـــى مكـــان مناسب لحوارنا، في فندق (يميت) الواقع علـــى (كورنيـــش) تـــل أبيـــب – رغـــم أننـــا تنقلنا بين العديد من الفنادق الأخـــرى – كفنـــدق الملـــك داود، وهيـــات، وموريـــه فـــي القدس.

أعلمت ستيلا مسئولي الفندق، أنها ستســـتضيف بيـــن الفينـــة والأخـــرى فـــي الفنـــدق، رجال أعمال من البحرين، وان عليهم الحفاظ على ذلـــك ســـرا. وكـــانت ســـتيلا تـــأتي قبل أي لقاء بساعتين إلى الفندق، وتعمل بالتعاون مـــع الرائـــد عـــبري رئيـــس مكتـــب عوزي ديان، على تحويل الغرفة إلـــى غرفـــة جلســـات. وحـــال اقـــتراب الفلســـطينيين من الفندق، كانوا يعمدون إلى اســـتدعاء ســـائقي عوديـــد عنـــابيم، كـــي يقودهـــم إلـــى الباب الخلفي والذي كان بالإمكـــان الوصـــول منـــه مباشـــرة إلـــى الغـــرف المناســـبة، حيث نكون بانتظارهم في أعقاب اللقاءات التحضيرية التـــي كنـــا نجريـــها مســـبقا مـــع رئيس الحكومة رابين ووزير الخارجية بيرس. ثم كنـــا ننتقـــل إلـــى غرفـــة الجلســـات: أبو علاء وعبد الرزاق اليحيى وحســـن عصفـــور، وحســـن أبـــو لبـــدة – وهـــو شـــاب لامع، كان يترأس مكتب الإحصـــاءات الفلســـطيني، واللـــواء عـــوزي ديـــان والعميـــد جادي زوهر، ويوآل زينجر وأنا. وكانت جلساتنا تطـــول حتـــى تغطـــي احيانـــا نهايـــة الأسبوع كلـــه.

بدأ المسار السري بالعمل في الرابع مـــن كـــانون الثـــاني ١٩٩٥، ولـــم تعلـــم وسائل الصحف أي شيء عنه طيلة اشهر. وفي نهاية كـــل جولـــة حـــوار، كنـــت اســـلم بيرس ورابين تقريرا مكتوبا، حيث استخدماه كأساس للتشـــاور التـــالي مـــع المجموعـــة المؤلفة من رئيس الأركان امنون شاحك ورئيـــس شـــعبة الاســـتخبارات اوري ســـاجي، ورئيس جهاز الأمن العام كرمي جيلـــون، وســـكرتير رابيـــن العســـكري اللـــواء دانـــي يتوم، وطاقم المفاوضات. ومن الجديـــر بـــالذكر أن رابيـــن كـــان يســـمي هـــذا الطـــاقم

باسم (طاقم سبير) وقد انضم إليـــه فيمـــا بعـــد، مستشـــاره رئيـس الحكومـــة للشـــئون القضائية، عليزة جـــورن.

وفي نفس الوقت كان اللواء عوزي ديان يستخدم طاقمـــا أمنيـــا كبـيرا، ويـــوآل زينجـــر عمل مع مستشارين قضائيين للعديد من الـــوزارات الحكوميـــة، وقـــام زوهـــر- وبعـــده شاحور – بعقد جلسات لإعداد عمل الطـــاقم توطئـــة لنقـــل الصلاحيـــات المدنيـــة إلـــى الفلســـطينيين وكانت لجنة التوجيه تلتقي مرتيـــن أســـبوعيا فـــي وزارة الخارجيـــة أو في مكتب عوزي ديـــان. بيـــد أن الشـــــخصين الوحيديـــن اللذيـــن كانـــا يتخـــذان القرارات الحاســـمة، هما رابيـــن وبـــيرس، وتمكنـــا بمـــرور الزمـــن، مـــن تطويـــر شـــراكة رائعة ومفاجئـــة.

وكانت هناك لجنة وزاريـــة أيضـــا ذات علاقـــة بالمفاوضـــات، مؤلفـــة مـــن موشيه شاحك ويوسي ســـريد – وفيمـــا بعـــد،اهـــود بـــراك، حينمـــا تـــم ضمـــه إلـــى الحكومة. كان نظراؤنا الفلســـــطينيون يكتفـــون بالتشـــاور مـــع أنفســـــهم، ومـــع ياسر عرفات، وكان أبـــو عـــلاء يتوجـــه إلـــى تونـــــس، كـــل عـــدة أســـــابيع، لإعـــلام أبو مازن بما يجـــري.

العبر الأمنية لاتفاقية غزة – أريحـــا:

خصصت الجلسات الأولى فـــي فنـــدق (يميـــت) لاســـتعراض العـــبر الأمنيـــة التي تم استقاؤها من تجربة غزة – أريحا. وقـــد طـــرح عـــوزي ديـــان النتـــائج التـــي خلصت إليها بوضوح وحده على النحـــو التـــالي: "انتـــم تفتقـــرون إلـــى سياســـة أمـــن منطقية ومترابطة، انتم تعالجون قضايـــا محاربـــة الإرهـــاب علـــى أســـس فرديـــة، ولا توجد لديكم بهذا الصدد سياسة شاملة، مثلما ينص عليه لاتفـــاق. وإذا لـــم يطـــرأ تغيـــير فوري على الوضع الســـاري فـــي غـــزة، فـــإنني- وبوصفـــي مســـئولا عـــن معالجـــة القضايا الأمنية- لا أستطيع أن انصح رابين بالشـــروع فـــي مفاوضـــات مفصلـــة حـــول التسوية المرحلية، أو ببســـاطة يســـتحيل أن نســـمح بـــان يكـــون الأمـــن فـــي الضفـــة الغربية مهلـــهلا.

ويجب عليكم أن تثبتوا تحسنا كبيرا جدا على صعيد السياسة والإصرار والفعالية، فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب، أنا لست سياسيا، لذا، فإنني أتحدث إليكم من وجهة نظر عسكرية بحتة، بيد أنني أؤكد لكم أن الكادر السياسي لدينا، يأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العسكرية ويولي توصياتنا أهمية كبيرة جدا.

واضاف عوزي ديان: كما يجب أن نتطرق إلى الجماهير الإسرائيلية التي ستطرح على رئيس الأركان سؤالا بسيطا: "هل ستوفر لنا التسوية الجديدة الأمن أم لا؟؟".

رد أبو علاء على إجمال ديان بالقول: "أوافقك الرأي فيما يتعلق بأهمية القضية الأمنية، وهي شديدة الأهمية، أيضا بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهودا كبيرة على صعيدها ونحرز نجاحات لا تستطيعون إحراز اكثر منها. وأنا اعتقد أن علينا أن نطور سياسات اكثر شمولية، بيد انه يجب عليكم أن تدركوا، أنكم حولتم الحكم الذاتي إلى معتقل، وتحولتم من محتلين إلى حراس سجون تراقبون تحركاتنا. وهذا الوضع يضعف السلطة الفلسطينية وقدرتها على معالجة الفلسطينيين الذين يحرزون فوائد من الأزمتين الشخصية والاقتصادية للجماهير. هناك خيبة أمل كبيرة في جانبنا أيضا من الاتفاقية، ويجب أن نرى لجماهيرنا بصيصا من الأمل. ولسنا هنا بصدد التحدث عن أسلوب (خذ وهات)، بل عن ميزان علاقات جديدة انتم فيه الأقوى".

رد عوزي ديان على ذلك بالقول: "لا توجد لدينا أي نية في تنغيص حياتكم، بيد انه إذا ما رغبتم في إحداث تغيير في طبيعة علاقتنا معكم، يجب عليكم اتخاذ خطوات حاسمة: أولا يجب أن توضحوا أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الوحيدة التي تتمتع بالصلاحيات العسكرية، وثانيا يجب أن تصادروا جميع الأسلحة غير المرخصة وثالثا: من واجبكم وقف عمليات التحريض على العنف وهناك أهمية أيضا للعامل النفسي والإعلامي، كما يجب عليكم أن تستنكروا تماما لعمليات قتل الإسرائيليين".

قال أبو علاء محتجا: "نحـــن نفعـل ذلـك، فغالبيــة الجمـاهير الفلسـطينية – وليس حسب رأيي، بل أيضـــا حسـبما تفيـد اسـتطلاعات الـرأي العـام – تعـارض العنف، ولا شك أن هذا التغيير هو كبير جدا. لقد كـــانت أعمـــال قتـل الإسـرائيليين – بسبب الاحتلال– أعمال بطولية مشروعه، بيد انـــه يجـب علـى الجمـاهير، أن تؤمـن بمصداقية نواياكم وإذا ما رأوا المسيرة السلمية وقد آلـــت إلـى طريـق مسـدود، ورأوا أنفسهم يعانون من البطالـــة فممـا لا شـك فيـه أن هـذا الوضـع سيسـهم فـي قتـل حوافزهم، لان هذين العاملين يسيران جنبا إلى جنب. وانتـم لـم تحـترموا الكثـير مـن البنود في اتفاقية غزة واريحا مثل فتح ممر آمن بيـن غـزة واريحـا".

وهكذا، تواصل الجدل، لقد كان لدى الطرفيـــن مصـالح مشـتركة ومتناقضـة أيضا وقد آن الأوان لتشريح أخطائنا وهي المهمة التي يبدو أنها لـــم تكـن سـهلة. بيـد أن حقيقة التطرق إلى هذه الأخطاء بصورة مشـــتركة، إعادتنـا إلـى روحيـة أوسـلو، والى الشراكة في حل المشـــاكل.

وفي إحدى اللقاءات السرية، فتـــح عـوزي ديـان خارطـة رام الله، محـاولا أن يؤكد مدى تعقيد الوضع الأمني في الضفـــة الغربيـــة، وقـد أكـدت رام الله مـا اراد التأكيد عليه، واستهل حديثه قـــائلا:

دعونا نطبق الوضع السائد فـي غـزة حاليـا علـى رام الله بصـورة نظريـة في أعقاب الانسحاب. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبـــار الخطـوات التـي تتخذونـها حاليـا ضد الإرهاب واذا ما انسحبنا من رام الله والواقعة على بعـــد عـدة دقـائق سـفر مـن القدس، فلا اعتقد أن هناك أي فرص في صـــد تيـار الإرهـاب، الـذي سـيتدفق مـن هذه المدينة. فغزة محاطـــة بسـياج، وليـس كالضفـة الغربيـة، إن انطـلاق إرهـاب مجنون من مكان مثل رام الله سيؤدي إلى تدمير الاتفـاق فـورا. واشـار عـوزي بعـد ذلك، إلى المستوطنات، والتي تطـــل إحداهـا علـى المدينـة مباشـرة، وتحـدث عـن الاحتكاكات المعقدة، التي تندلع عندما يسكن شـــعبان مختلفـان بصـورة متقاربـة إلـى هذا الحد فـي منطقـة واحـدة: كـانت فكـرة إخـراج جنودنـا مـن رام الله بالنسـبة لإسرائيل تبدو مســتحيلة.

بدأ أبو عـــلاء مـــن جانبـــه يرســـم علـــى ظـــهر ورقـــة مـــن أوراق وزارة الخارجية الإسرائيلية، خارطة تقسيم المسئوليات فـــي المنطقـــة، فـــي محاولـــة لإثبـــات أن بالإمكان السيطرة على الوضع علـــى ارض الواقـــع.

وفـــي إحـــدى الجلســـات أوضـــح عبـــد الـــرازق اليحيـــى النظريـــة الأمنيـــة الفلسطينية، فقال: "لقد أثبتت نظريتكـــم الأمنيـــة فشـــلا وليـــس نظريتنـــا نحـــن، وانتـــم ترغبون في فرض نظريتكم الأمنية علينا من خلال رؤية ضيقـــة لمغـــزى الأمـــن، بيـــد انه يتوجب عليكم أن تدركوا أن الحل يكمـــن فـــي تغيـــير الأجـــواء النفســـية، وإذا مـــا أرغمتمونا على عمل شيء ما، فان عرفـــات لـــن يكـــون قـــادرا علـــى الصمـــود فيـــه طويلا. وإذا ما عينتـــم أنفســـكم قضـــاة لتحديـــد مـــا هـــو صحيـــح أو غـــير صحيـــح ستدمرون النوايا الحسنة القائمة بيننا وبيـــن شـــعبنا ان الطريـــق المـــؤدي إلـــى إحـــداث تغيير راديكالي في الأجواء بصورة تخدم في نهايـــة المطـــاف، الطرفيـــن، يتمثـــل فـــي خلق شراكة أمنيـــة".



٩- مايا سبير ومنى قريع – ابنة أبو علاء – في حفل زفـــاف مايـــا / كـــانون الثـــاني ١٩٩٨.

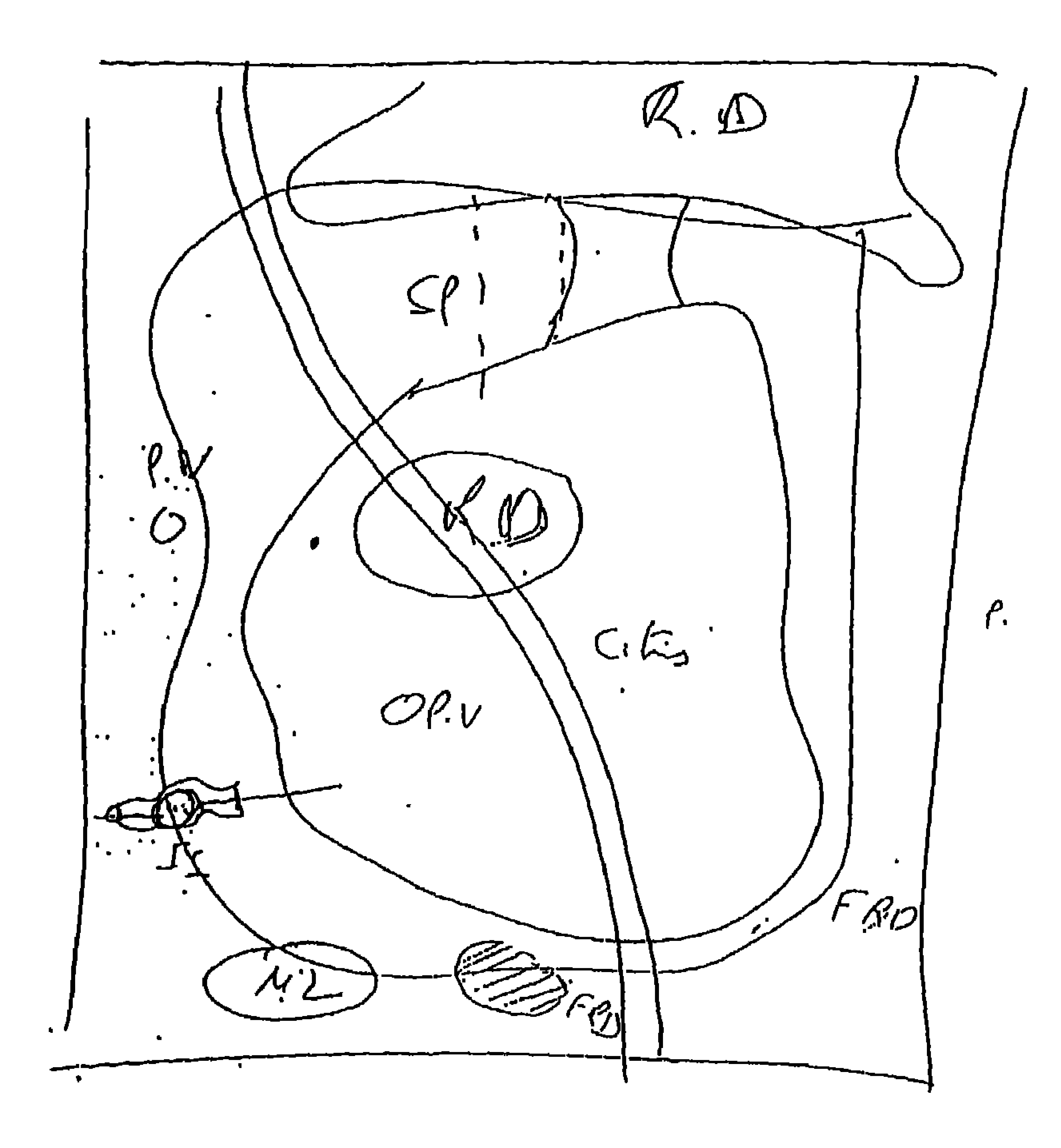


CONFERENCE OF HEADS OF MINISTRIES FOR FOREIGN AFFAIRS

DIPLOMACY IN TRANSITION

Jerusalem, Israel, 29-31 March 1995

Notes



رسم كاريكاتوري لتوزيع الصلاحيات الأمنية، رسمه أبو علاء على ورقة

وزارة الخارجية الاسرائيلية خلال مفاوضات يامييت/شباط ١٩٩٥

وفاجأنا هذا الجنرال المحنـــك بـالقول : أننـا نقـترح تشكيل قـوة شـرطة إسرائيلية – فلسطينية مشتركة للقيام بأعمال الدوريـــة فـي الضفـة الغربيـة، ولا شـك أن جهدا مشتركا من هذا القبيـل، سيسـهم فـي إحـداث تحـول كبـير فـي المفـاهيم وسيؤدي إلى هدوء في المنطقـــة".

عقب أبو علاء قائلا :"نعم، التعاون هو مفتـــاح النجـاح. بيـد أنكـم لا زلتـم تتصرفون وكأنكم أسيادنا، ويخيـل الـي أن كثـيرا مـن جنودكـم لا يدركـون طبيعـة الشراكة المنبثقة من الاتفاقية ففي كل مـــرة، يجـب أن نجتـاز أحـد حواجـز جيشـكم وهي كثيرة فان جنودكم هنـــا يمسـون بكرامتنـا مسـا خطـيرا، عندمـا يضطروننـا للانتظار ساعات طويلة، أو بإلقاء بطاقات هوياتنا علـــى الأرض، كـي نركـع أمامـهم علنا. وأنا لا ابدي تذمرا تجاهكم انتم، فنحن نجلـس هنـا متسـاويين، بيـد أن جنودكـم يتعاملون خارج هذه الغرفة وكأن شـيئا لـم يتغـير. إن غالبيتنـا يصلـون إلـى هـذه المقابلات بعد أن يكون الجنود الإسـرائيليون قـد أهـانوهم بصـورة أو أخـرى، نحـن أناس ذوو مكانة في مجتمعنا، وحتى نحـن نحمـل بطاقـات "شـخصية مهمـة"، يقـوم جنودكم بإهانتنا أمام العديد من الفلسـطينيين الآخريـن، فكيـف سـيكون الامـر حينمـا يتعلق بفلسطيني عـــادي؟؟".

رددت على ذلك قـائلا : أوافقـك الـرأي علـى ضـرورة أن نـأمر جنودنـا بالتعامل بصورة مناسبة، بيد أن علي أن أؤكـد أن هـذا الوضـع نـاجم عـن أسـباب أمنية، فجنودنا شديدو التوتر دائما خشية أن يمر أمامهم فلسـطيني يحمـل قنبلـة".

– أبو علاء: "أنا أدرك أن التغيـير يتطلـب زمنـا، ولربمـا نسـتطيع الصـبر علـى الإهانات، لكن كيف يمكن أن نفسر الطريـق المسـدود الـذي آلـت إليـه المفاوضـات السلمية؟؟".

–عوزي ديان: "كي يمكن فتح هـذا الطريـق عليكـم أن تـبرهنوا لنـا أنكـم غـيرتم توجهاتكم على الصعيد الأمني فـي غـزة".

إضافة إلى الحوارات التي كنا نجريـها فـي فنـدق يميـت، كنـت أنـا وأبـو علاء نعقد العديد من الجلســـات المنفـردة فـي محاولـة لإعـداد النظريـة الأساسـية

للتسوية المرحلية. وقد تمحورت النقاشات التي جرت في واشنطن والقدس وتل أبيب، حول الأمور التي يجب أن ننجزها معا، وبالتالي، كانت كلمة السر هي "التعاون". وقد أكد أبو علاء، أن هذا العامل الحيوي للغاية، والذي برز بصورة واضحة جدا في إعلان المبادئ، ثم تمييعه في اتفاقية غزة أريحا. وهكذا حاولنا بناء منظومة اكثر شمولية من التعاون في إطار العلاقات الأمنية والاقتصادية، والمدنية المستقبلية، واتفقنا على أن تكون هذه المنظومة بمثابة البنية التحتية لجوهر الاتفاقية المرحلية ولتجسيدها.

قال لي أبو علاء في إحدى اللقاءات الليلية التي عقدناها في واشنطن في تلك المرحلة: "سنوافق على التأقلم مع مطالبكم الأمنية، بيد انه سيتوجب عليكم إقناعنا بان قضيتكم هي حقا قضية أمنية، إن ما يهمنا هو أن تتركوا بين أيدينا غالبية السيطرة، مثلما هو وارد في إعلان المبادئ مما يعني أن تسلمونا غالبية الصلاحيات في الضفة الغربية. وإذا ما جرى الامر على هذا النحو، فلن نعارض التسويات الأمنية. فالأرض هي القضية المهمة بالنسبة لنا، وانتشار المستوطنات يرمي لسد الخيارات في وجوهنا نحو المستقبل، وهو ما لن نوافق عليه بأي حال من الأحوال. لقد قامت مفاوضات أوسلو على قرار حكومتكم بتجميد المستوطنات، وإذا لم تحترموا هذا الجانب، ولم تتفهموه فلن يكون هناك أي اتفاق في المستقبل".

قلت له: إذا أردت أن تعرف ما يحدث في المستوطنات، فيكفي أن تصغي لتصريحات المستوطنين، الذين وصفوا -ولهم الحق من وجهة نظرهم- كأعدائهم الأيديولوجيين، أما فيما يتعلق بالتعاون بين السيطرة والأمن، فان الامر مفتوح للنقاش.

وقد انتهزت هذه الفرصة كي أوضح لأبو علاء أنني وعوزي ديان وبيرس ورابين متفقون في الرأي تماما على الصعيد الأمني.

ومن الجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا يعتقدون أن الكلمة الأخيرة في المفاوضات معهم هي للجيش. والحقيقة هي أننا لم نكن لنتقدم دون تدخل الجيش

وباقي الأجهزة الأمنية، والتي كانت ذات تأثير كبير جدا. بيد أن الضباط لم يتدخلوا ولو مرة واحدة طيلة المسيرة، في اتخاذ القرارات السياسية.

كانت اللقاءات بين يوآل زينجر وصائب عريقات في القاهرة، والمتعلقة بالإجراءات الانتخابية تدور على نار هادئة. وقد أوصى زينجر في مرحلة معينة بان يتم إجراء هذه المحادثات أيضا في مكان قريب كتل أبيب مثلا. وكان عريقات نفسه يستعين خلال هذه المفاوضات بموظفين تابعين للاتحاد الأوروبي، والذين وافقوا على مد يد المساعدة في إعداد الفلسطينيين للانتخابات. وفي نهاية آذار تمكن عريقات وزينجر من صياغة مسودة رائعة، تقلصت الخلافات فيها بين الطرفين إلى الدرجة التي اقتصرت فيها فقط على إدارة عملية التصويت في القدس الشرقية.

كان الكثير من الإسرائيليين يتعاملون باستخفاف مع الانتخابات الفلسطينية، وقد تبدى هذا الوضع حتى خلال النقاشات التي جرت في مكتب رابين، والذي أعرب عن اعتقاده بان ليس من مهمتنا أن نفرض على الفلسطينيين صورة ديموقراطية كصيغة (جفرسون). بيد أن يوآل زينجر، والذي قدم تقارير حول الخلافات القائمة في أوساط الزعامة الفلسطينية حول التعددية السياسية، أقنعنا بالتعامل مع الانتخابات بجدية.

وفي الوقت الذي كان فيه الكثير من الفلسطينيين يتابعون النمط الإسرائيلي، رغب البعض الاخر في الإبقاء على الصيغة المركزية.

إن لقاءات القمة التي جرت منذ هذا الوقت وما تلاه بوتيرة سريعة ومكثفة، أصبحت إحدى أهم فصول المحادثات، فقد اجتمع رابين وبيرس مع عرفات على انفراد، مرات عديدة، خلال شتاء ٩٤-١٩٩٥، وكانت هذه اللقاءات ترمي لإقناع عرفات باستحالة التوصل إلى اتفاقية التسوية المرحلية، إذا لم تحسن السلطة الفلسطينية أداءها وأداء قوات أمنها، على صعيد مكافحة الإرهاب".

وفي إطار هذه اللقاءات العلنية، انضم إلى المفاوضات مبعوث سري، كان يتنقل بين عرفات ورابين، وكان رابين قد طلب من يوسي جينوسار – أحد

كبار مسئولي جهاز الأمن العام، في مطلـــع عـــام ١٩٩٤، أن يعمـــل كمبعـــوث ســـري بينه وبين عرفات، وكانت الرســـائل التـــي يحملـــها جينوســـار، تتعلـــق بقضايـــا أمنيـــة محددة : تحذيرات، مطالب واقتراحات تعاون بيـــن الأطـــراف. وكـــان جينوســـار علـــى اتصال مع الأجهزة الأمنية، عبر السكرتير العسكري لرئيـــس الحكومـــة، اللـــواء دانـــي يتوم، وقد ضم إليه في بعض الاحيان بعض مســـئولي هـــذه الأجـــهزة.

أدت مكوكيـــة جينوســـار آنفـــة الذكـــر، إلـــى ولادة عـــامل مفيـــد للغايـــــة. فالاستلطاف بين عرفات ورابيـــن لـــم يكـــن كبـــيرا، بيـــد أن جينوســـار قـــام بترجمـــة شخصية كل واحد منهما للآخر، مما أدى إلى نمو تفـــاهم افضـــل بينـــهما.

ونجح جينوسار في بناء صـــورة واضحـــة للمشـــاكل الداخليـــة التـــي تواجـــه كلا من الطرفين، وساعد بذلك في بنـــاء نـــوع معيـــن مـــن الثقـــة التدريجيـــة بينـــهما. وهكذا بدأ عرفات في اتخاذ خطوات تؤدي إلى تعزيـــز الثقـــة بيـــن الطرفيـــن، وعلـــى رأسها اعتقال المشـــبوهين.

لم تكن لقاءات بيرس مع عرفات لطيفـــة، بيـــد أن بـــيرس كـــان قـــادرا علـــى موازنة نضاله مـــن اجـــل المواقـــف الإســـرائيلية مـــع التقديـــر العميـــق للاحتياجـــات الفلســـطينية.

وتعتبر أهم القرارات التـــي اتخذهـــا بـــيرس وعرفـــات هـــي تلـــك القـــرارات التي تم اتخاذها في تلك الأشهر . فمنذ اللحظة التـــي اقتنـــع فيـــها بـــيرس أن بالإمكـــان إنجاز تسوية مرحلية كاملة، تحول إلى القـــوة المحركـــة والدافعـــة للمســـيرة السياســـية. لقد كان مطلعا علـــى أدق تفـــاصيل مفاوضـــات "يميـــت"، وقضـــى وقتـــا طويـــلا فـــي التحاور والتنسيق مع رابين على انفراد، واجتمـــع فـــي بعـــض الاحيـــان مـــع عرفـــات بغية اتخاذ القرارات التي أصبحت بمثابة نقطة تحـــول فـــي المســـيرة السياســـية. وقـــد تم دق أحد الحجارة الأساسية في التاســـع مـــن آذار ١٩٩٥، أي بعـــد أســـبوع ونصـــف الأسبوع. من انتهاء لقـــاءات جـــس النبـــض فـــي فنـــدق يُميـــت. لقـــد أجملـــت تلـــك المحادثات في رسالة شخصية لبيرس، وضمنـــت تلـــك الرســـالة اقتراحـــا لعقـــد صفقـــة شاملة تنص على : انه إذا ما انتهج الفلسطينيون حقـــا سياســـة أمنيـــة شـــاملة، وابـــدوا

إصرارهم على محاربة الإرهاب، فسوف نكـــون علـــى اســتعداد لتشـــريع المفاوضــــات بغية استكمالها حتى الأول من تمـــوز ١٩٩٥. والاتفـــاق ســـيتطلب تعاونـــا فـــي جميـــع المجالات – على أن يتصدر الأمن هذه المجالات– ويتـــم تطبيقـــه تدريجيـــا.

وتحدثت في اقـــتراحي أيضـــا، عـــن إعـــادة الانتشـــار للقـــوات الإســـرائيلية خارج مدن الضفة الغربيـــة – المنـــاطق المكتظـــة بالســـكان– وعـــن تســـويات أمنيـــة خاصة يتم تجسيدها في الخليل كمرحلة أولـــى علـــى صعيـــد تســـليم المنـــاطق للســـلطة الفلسطينية. وأضفت إلى اقتراحي استمرارا لـــهذا المســـار: يـــأتي دور إعـــادة انتشـــار آخر إضافي في المناطق غير المأهولـــة. والتـــي ســـتنفذ علـــى مراحـــل علـــى مـــدى سنتين – نصف مرحلة التسوية المرحلية، بما يتـــلاءم واحتياجـــات إســـرائيل الأمنيـــة.

كان اللقاء الذي أجراه بيرس مع عرفات فـــي التاســـع مـــن آذار جيـــدا، وقـــام على أساس نتائج جميع مناحي محادثات يميت. وفـــي أعقـــاب انتـــهاء هـــذه المحادثـــات أعلن عرفات عن سياســـة الســـلطة الفلســـطينية الأمنيـــة الشـــاملة. وقـــد تضمـــن هـــذا الإعلان: أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الأمنيـــة الوحيـــدة ذات الصلاحيـــات للعمـــل فـــي المنـــاطق، ولتحديـــد السياســـات المنهجيـــة لإحبـــاط الإرهـــاب وصـــور العنـــف الأخرى. ويحظر علـــى المواطنيـــن الفلســـطينيين حمـــل الأســـلحة دون تصريـــح مـــن السلطة الفلسطينية، و الالتزام بتعزيز التعـــاون الأمنـــي مـــع إســـرائيل. أعلـــن بـــيرس بهذه المناسبة عن أن الطرفين سيبذلان قصـــارى جـــهدهما مـــن اجـــل التوصـــل إلـــى التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية فـــي الأول مـــن تمـــوز ١٩٩٥.

ومن الجدير بالذكر، أن اسحق رابين صادق علـــى هـــذا التـــاريخ، بعـــد تـــردد لبعض الوقت على الرغم من انه لم يكف عن تـــرداد مقولتـــه بأنـــه لا توجـــد تواريـــخ مقدسـة.

وأنا في حقيقة الامر أؤيد تحديـــد تـــاريخ هـــدف، لان تحديـــد التـــاريخ يجعـــل الطرفين يتجاوزان الجدل الذي لا ضرورة له، ويتجـــهان مباشـــرة إلـــى الـــهدف، علـــى أمل إنجاز الاتفاق في التاريخ المحـــدد.

لقد دفع اللقاء- في التاسع من آذار- المفاوضات من مرحلة الحوارات المبدئية إلى المرحلة البراغماتية، وفي نهاية هذا اللقاء، طرح عرفات مطالبه الثلاثة التي تظهر في كل لقاء، دون أن تحظى برد يريح باله: إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، إزالة الإغلاق عن غزة والضفة الغربية، والتجميد التام للبناء في المستوطنات.

كانت كل نقطة من هذه النقاط شديدة الأهمية للجماهير الفلسطينية، بيد أننا لم نتعامل معها بجدية، نظرا لأننا اعتبرنا توقيع اتفاقية التسوية المرحلية، بمثابة انفراج تاريخي، ولهذا السبب ركزنا جهودنا على المفاوضات في الكثير من الاحيان اكثر مما ركزنا هذه الجهود في معالجة قضايا الواقع. بل لقد أبدينا إستخفافا، إلى حد ما، بمطالب الفلسطينيين على هذا الصعيد. وحينما انظر إلى الوراء الان، أدرك أننا أخطأنا، لان حلنا لهذه المشاكل، في حينه، كان سيؤدي إلى خلق نوايا حسنة بصورة افضل، مما سيساعدنا في مناقشة جوانب أخرى، وفي شبكة العلاقات مع الفلسطينيين بصورة عامة.

تقسيم الضفة الغربية إلى مناطق:

تمحورت لقاءاتنا في الأشهر التالية حول قضيتين رئيسيتين :

* المتابعة الشاملة لتنفيذ السياسات الأمنية التي أعلنها عرفات في التاسع من آذار.

*دراسة المبادئ القائمة خلف التسوية الأمنية، والتي سيتم تطبيقها في الضفة الغربية مستقبليا.

وفي السادس عشر من نيسان – وعندما تأكدنا من أن هناك تقدما على صعيد تنفيذ السلطة الفلسطينية لالتزاماتها الأمنية- طرح عوزي ديان موقفنا الأمني الأساسي وفقا للفروق القائمة بين الضفة الغربية وقطاع غزة سواء ما كان منها على ارض الواقع، أو في اتفاقية إعلان المبادئ.

وقد تمت الإشارة، في هذه النظرة، إلى النقل التدريجي للصلاحيات في مجال الأمن الداخلي للسلطة الفلسطينية، ومواصلة سيطرة إسرائيل على المناحي التالية:

* الأمن الخارجي – بما فيه نهر الأردن.

*المستوطنات ، والمستوطنات المحيطة بها، والطرقات التي تستخدمها لحركة الإسرائيليين، بما فيها الطرق الالتفافية التي تم شقها لاستخدام المستوطنين.

* الدفاع عن إسرائيل على طول الخط الأخضر.

كان يفترض أن ينتشر الجيش الإسرائيلي على مراحل خارج جميع المناطق المحتلة باستثناء مناطق ذات أهمية أمنية، وإسرائيل هي التي ستقرر مساحة هذه المناطق.

وكان يفترض، أن يتم تنفيذ المرحلة الأولى من الانسحاب -الانسحاب خارج المناطق المأهولة بالسكان – عشية الانتخابات الفلسطينية وكان من المتوقع أن تتم انسحابات أخرى فيما بعد.

طرح الفلسطينيون نظرية أمنية مختلفة تماما. وقام عبد الرزاق اليحيى بوصفها في التاسع عشر من أيار في نقاش آخر جرى في تل أبيب. وقد استهل طرحه بالقول: "اسمحوا لي أن أقول: إن نظريتكم الأمنية تفتقر إلى المعيار السياسي. فالأمن سيتحقق مع التحسن الذي سيطرأ في العلاقات بين الطرفين. والنظرية التي طرحتموها، توفر لكم حقا بسيطرة اكبر على المناطق، بيد أنها ستؤدي إلى هز العلاقات، مما سيؤدي بالنتيجة النهائية إلى الانتقاص من الأمن.

"ونحن نقترح تقسيم المناطق إلى ثلاثة أنواع من المناطق: إحداها تقع تحت سيطرتنا، والثانية تقع تحت سيطرتكم – مثلما جاء في اتفاقية إعلان المبادئ–، والثالثة– واسعة–والتي ستوضع تحت إدارة قوة أمنية مشتركة .

ونحن نصر على حرية الحركة للفلسطينيين على الطرقات وإذا كان عليهم التنقل بين حاجز لآخر، فسوف تقومون بإهانتهم وإذلالهم، وتسميم الأجواء".

ويجب عليكم أن تتذكروا، أن نوعية الحياة اليومية للمواطنين هي التي ستحدد كل شيء؟؟

بدا عوزي ديان شديد الضيق من التهمة التي وجهت إلى إسرائيل بأنها تسمم الأجواء، لذا رد قائلا: "نحن لا نبدأ من الصفر، إن طبيعة مسلكيتكم في غزة واريحا، غير مريحة أو مرضية، ولم يطرأ تحسين على هذه المسلكية والتنفيذ الا في الآونة الأخيرة، ونحن تحت وطأة الضغوط التي مارسناها عليكم".

-أبو علاء: "لقد ارتكبنا جميعنا أخطاء، بيد انه يتوجب علينا أن نستقي العبر اللازمة من اجل الاتفاق القادم. وإذا ما قطعتم الضفة الغربية طولا وعرضا، لن يكون هناك أي أمن".

-سبير : "نحن نتحدث عن مسار تدريجي، مثلما أكدنا على ذلك في أوسلو. لقد احتجتم إلى تسعة اشهر من اجل معالجة المشاكل الأمنية في غزة، أما في الضفة الغربية، فسوف يتوجب عليكم السيطرة على الوضع الأمني منذ اليوم الأول. وإذا لم تفعلوا ذلك، فان الاتفاقية ستنهار. لذا، فان الأهمية لا تعزى فقط إلى الاتفاق، بل أيضا لنظرية التنفيذ للاتفاق من وجهة نظر الأطراف".

" وما دمنا قد وصلنا إلى مرحلة إعادة الانتشار وتطبيقه، ربما يكون قد آن الأوان لإجراء نقاش هادئ بعيدا عن هنا".

-أبو علاء: "نحن نؤيد هذا الاقتراح، وسوف نناقش هذه القضية الليلة مع الرئيس عرفات".

كانت هذه النقاشات هي أول النقاشات التي عرفت، فيما بعد، في مجموعتنا باسم " عملية طورينو" : جولتان من المحادثات السرية الشاملة في إيطاليا حول نظرية إعادة الانتشار وحول الملحق الأمني للتسوية المرحلية.

قام الطاقم في باقي الأيام من شهر أيار وحزيران بالتشاور مع رابين وبيرس وكبار رجال الجهاز الأمني، حول تفاصيل موقفنا الأمني، وحول إعادة الانتشار. لقد افتتحت هذه النقاشات -بصورة عامة- باستعراضي العام لوضع

المفاوضـــات، واســـتعراض عـــوزي ديـــان ويـــوآل زينجـــر واورن شـــاحور، حـــول مجالات أعمالـــهم.

هناك احتكاك في كل مفاوضات بيـــن هيئـــة الإشـــراف والطـــاقم المعـــالج للمفاوضـــات على ارض الواقع، والـــذي يتوجـــب عليـــه أن يتحمـــل صعوبـــات المفاوضـــات مـــع الطرف الآخر. لـــذا، لـــم يكـــن مـــن العجيـــب أن تتســـم النقاشـــات بحـــالات غضـــب وانفعال. ولهذا السبب طورت لدى الطاقم فهما عميقـــا، بـــأن يتفـــاوض حـــول القضايـــا المصيرية للأمن القومي دون خوف من مواجهة المسئولين عنـــــهم، فـــي الوقـــت الـــذي أتاح لنا رابين وبيرس وشاحك فرصة التعبير عن مواقفنـــا وآرائنـــا المختلفـــة.

كان هناك خيط رفيع يفصل بين القضايـــا السياســـية والعســـكرية خـــلال تلـــك الجلسات. لقد كانت أوسلو أساســـا، قـــرارا سياســـيا، بيـــد أن تطبيقـــها تطلـــب حلـــولا أمنية، ووفقا لذلك شجع اسحق رابيـــن -بوجـــود رجـــال الأمـــن – التفكـــير العســـكري حول المصالح الأمنية الإسرائيلية بعيدة المدى، في إطار التقـــدم باتجـــاه حـــل سياســـي.

وفي نهاية كل لقاء، اعتاد بيرس وضعنا واطلاعنـــا علـــى الصـــورة الأوســـع للقضايا المطروحة، ثم كان رابين يقوم بإجمال النقاش بكاملـــه وكثـــيرا ماكـــان الاثنـــان يتطلعان إلى الصورة من نفس الزاوية، ويريـــان نفـــس الأشـــياء، كمـــا أصـــر الاثنـــان على حماية المصالح الإسرائيلية الأساسية، مثلما تراها الجـــهات الأمنيـــة، رغـــم انـــهما كانا يدركان مدى ضرورة تطوير علاقات سياســـية مـــع شـــركائنا الفلســـطينيين. وكانـــا يدركان أيضا، أن الاتفاق الذي سيميل إلى جانب أحـــد الأطـــراف اكـــثر ممـــا ينبغـــي، محكوم عليه بالفشـــل.

واعتاد بيرس أن يدعو لإضافة زائدة وســـخية علـــى الصعيـــد القيمـــي، مثـــل حرية الحركة للفلسطينيين مثلا، أما رابين، فكان يميـــل إلـــى الخـــط البراغمـــاتي، مـــع تقدير قدرة عرفـــات، والقـــوة المطلوبـــة منـــه لقبـــول مطالبنـــا ورغـــم ذلـــك، كـــانت استنتاجاتهم التي يخلصون إليها متماثلة بصورة تامـــة تقريبـــا.

وفي أوقات الأزمات، كان بيرس هـــو الـــذي يشـــجعنا، ويعـــرب عـــن ثقتـــه التامة في أننا نسير بالاتجاه الصحيح. وكـــان يصـــل إلـــى القـــرارات بســـرعة كبـــيرة

نظرا لانه يرى المفاوضات كمعالجة لمشاكل الماضي، في حين يرى أن التحدي الحقيقي يتمثل في بناء ائتلاف إقليمي لمواجهة أخطار المستقبل وفرصه.

أما رابين، فتمثلت قوته في التفاصيل، وبرؤية التقدم التدريجي، وبعملية القرارات.

إن الشراكة بين الرجلين اللذين يستطيع أولهما رؤية الغابة كلها، في حين يرى الآخر الأشجار، كانت المصدر الأساسي لقوة اتخاذ القرارات المتميزة. وبدا أن هذه الشراكة تتطور تطورا متميزا جدا، إبان الجدل حول التسوية المرحلية. فبينما كان رابين ينحو في بداية المفاوضات، نحو تجاوز بيرس، بل والعمل على إبعاده من الصورة، كلما كان ذلك ممكنا. فقد عمد الاثنان – خلال المفاوضات– إلى إبداء التقدير والاحترام العميق أحدهما للآخر. وكانا يتبادلان المذكرات بينهما، ويلتقيان على انفراد قبل وبعد الجلسات التي نعقدها.

طلبنا – كطاقم – أن يوضح الكادر السياسي الأهداف التي يسعى إليها، وقلت لرابين : "ستجد الأسلوب الذي يوصلنا إلى أهدافنا، بيد أن من الأفضل إعلامنا بطبيعة ونوع التسوية التي تسعى إليها". وقد علمنا شيئا ما عن هذه التسوية خلال الجلسة التي عقدت في حزيران، عندما وضع عوزي ديان على طاولة النقاش الخارطة الأمينة التي أعدها الجيش للتسوية المرحلية. فقد تم تكوين اربع مدن من المدن الفلسطينية السبع في الضفة الغربية، باللون البني، وهي: جنين ونابلس وطولكرم وقلقيلية. كمناطق سيتم تسليمها للسلطة الفلسطينية تسليما كاملا قبل الانتخابات الفلسطينية.

ولونت مدينتا رام الله وبيت لحم أيضا باللون البني على أن يتم إخلاؤها من الجيش فيما بعد، عندما يتم شق الطرق الالتفافية التي ستمكن المستوطنين من التحرك داخلها أو الالتفاف حولها بأمان.

أما مدينة الخليل والتي لونت باللون الأبيض، فقد كانت حالة خاصة، وتم اتخاذ قرار بإبقائها تحت السيطرة الإسرائيلية العسكرية الكاملة.

لقد كانت المدن الست الملونة باللون البني بمثابة جزر صغيرة وسط بحر من المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل. وكان يفترض أن يتم تغيير هذا المنظر بصورة تدريجية، مع بدء إعادة الانتشار القادم، ومع توسع مجال الصلاحيات الفلسطينية.

وفي أعقاب هذا العرض، تطور نقاش جدي شاركت فيه جميع الأطراف. وعندما سأل رابين شاحك عن رأيه، قال : إن الخارطة تعكس الأسلوب الذي سيمكن الجيش الإسرائيلي من طرح افضل الحلول الأمنية مع الأخذ بعين الاعتبار، بقاء جميع المستوطنات في مكانها. الجيش الإسرائيلي يتحمل مسئولية أمن المستوطنين، وعليه أن يقول لهم بثقة الآن:

"إن أمنكم سيبقى في أيدينا، ونحن المسئولون عنه".



١٠- الملك الحسين والملكة نور وأوري سبير إبان مفاوضات الاتفاقية الأردنية – الإسرائيلية.

"بريستيج فلسطيني ومكاسب إسرائيلية"

رابين حرص على عدم الحديث عن حجم الانتشار الإضافي

المستوطنات فرضت إيقاع التسويات الأمنية وعرفات وافق

لقد تطرق قسم كبير من التسويات الأمنية التي تـــم التخطيــط لـــها ومناقشــتها في المفاوضات إلى المستوطنات، وكانت ذات علاقة بــــها وغالبيـــة المـــوارد التــي تــم استثمارها في الأمن كانت هي الأخرى ذات علاقــــة بــأمن المســتوطنين.

وعندما جاء دوري للحديث، قلـــت أننـــي اقبــل النظريـــة الأمنيـــة الأساســية، بيد أنني أخشى ألا يكون مكان للحديث عن التميـــيز بيـــن المـــدن الفلســطينية وحـــذرت من أن عرفات لا يستطيع التوجـــه لخـــوض الانتخابـــات إذا لـــم تحـــظ جميـــع المـــدن الفلسطينية بتعامل متشابه. وتطرقت بصورة رئيسية إلى إرجـــاء إعــادة الانتشـــار فـــي رام الله وبيت لحم، بيد أنني تطرقت أيضا إلـــى مكانـــة الخليـــل.

هب رابين قائلا: "إذا خرجنا مــــن الخليـــل ســيحدث هنـــاك انفجـــار، فـــهناك يعيش أسوأ المتطرفين من الطرفيـــــن".

وبدا بيرس أيضا. متشددا، حيث انطلق قـــائلا: "مـــا الـــذي يُريـــده عرفـــات؟؟ هل يريد تفجير كل شيء؟؟ إن ما يأخذه منا لم يسبق لأي جهـــــة أن أعطتـــه لـــه".

قلت في تعقيبي: إنني اعتقد أن عرفات سيســـتجيب لمطالبنـــا الأمنيـــة، وانـــه يجـــب أن تركز الأمور حول هذه النقطة. بيد انـــه لـــن يســتطيع إقنـــاع مؤيديـــه بقبـــول التميـــيز القائم بين المدن الفلسطينية. إن إجراء الانتخابات فـــي ثـــلاث مـــدن مـــن بيـــن المـــدن الفلسطينية هو غير مقبول وليس عمليـــا. أن الانطلاقـــة المتطرفـــة فـــي المفاوضـــات، لا تؤدي دائما إلى إحراز المبتغـــى".

طلبت أيضا مناقشة المطلـــب الفلســطيني المفـــاجئ والخـــاص بتشـــكيل قـــوة مشتركة، بيد أن هذه المسألة لاقت معارضة شديدة لـــدى الحـــاضرين، وقيـــل لـــي: "إن المسئولية الأمنية غير قابلة للتقاســـم. وأعـــرب اللـــواء ايـــلان بـــيران – قـــائد القطـــاع

الأوسط عن تحفظه من إعادة انتشار آخر في رام الله وبيت لحم، في المرحلة الأولى.

وقال: "ستكون السلطة الفلسطينية، على بعد خمس دقائق سفر من القدس، لذا فإنني أوافق على الاكتفاء بإعادة، انتشار في أربع مدن فلسطينية قبل الانتخابات".

وفجأة اخذ رابين زمام الأمور بصورة مفاجئة وقال: "على أية حال، يجب علينا أن نبدأ التفكير بإعادة، انتشار الجيش الإسرائيلي خارج قواعده الثابتة في شوارع القرى بالضفة الغربية والتي تشكل ٦٥% من مجموع الجماهير الفلسطينية. وإذا كان بالإمكان التوصل إلى نظرية ثالثة، تسمح بتسليم الفلسطينيين الصلاحيات المدنية في المناطق القروية، وعلى أن نتسلم نحن المسئولية الأمنية، فلا شك في أن اقتراحنا سيكون اكثر معقولية، وسيتساوق مع إعلان المبادئ".

طلب رابين من ديان وزينجر أن يدرسا قضية المنطقة الثالثة. أما فيما يتعلق ببيت لحم ورام الله، فقد طلب من نائب رئيس الأركان متان فلنائي أن يدرس كم من الوقت نحتاج لشق الطرق الالتفافية بالقرب من هذه المدن. وفيما يتعلق بالخليل، قال رابين: سنصر على تنفيذ إعادة الانتشار التي اقترحتها وزارة الدفاع الإسرائيلية، والتي تنص على إبقاء الجيش الإسرائيلي في مكانه بيد أننا سنوافق على اتخاذ إجراءات معينة يوم إجراء الانتخابات.

وأعرب رابين عن تحفظه من تشكيل قوة مشتركة، لكنه أيد فكرة إنشاء أطر مقلصة للتعاون الأمني.

اجمل زينجر قرار رئيس الحكومة في وثيقة خاصة، أعلن فيها عن وجود منطقة ثالثة وهكذا، تضمنت خارطتنا المقترحة منطقة بنية اللون هي المنطقة (A) وتقع تحت السيطرة الفلسطينية على الصعيدين العسكري والمدني، ومنطقة ذات لون اصفر (B) وتقع تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية والسيطرة المدنية الفلسطينية، ومنطقة ذات لون ابيض، وهي المنطقة (c) وتقع تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة على الصعيدين العسكري والمدني.

وعندما شاهد رابين الوثيقة والخارطة المرافقة لها، طلب أن نعمل على توسيع المناطق ذات اللون الأصفر على أن نأخذ بعين الاعتبار الأراضي المملوكة للفلسطينيين، والعديد من المناحي المتعلقة بالصلة بين القرى، وفي نفس الوقت، طلب أن نخرج من هذه المنطقة، الطرق التي تخدم الإسرائيليين في تحركاتهم. وإزاء الحديث عن الانسحاب الأول جرى الحديث عن انسحاب بنسبة ٢،٥% من الضفة الغربية على اعتبار أن هذه النسبة، هي المنطقة (A)، و٢٥% على اعتبارها المنطقة (B) مع بقاء ٧٢،٥% من المنطقة ضمن إطار (c) – أي أنها ستبقى كلها في أيدينا.

أصبحنا على أهبة الاستعداد لخوض المعركة حول إعادة الانتشار. وكان قد تم الاتفاق سابقا، على إجراء المفاوضات في إيطاليا. ولهذا السبب، استدعي بيرس سفيرنا في روما (آفي برنر)، وطلب منه أن يعثر على مكان مناسب لإجراء المفاوضات، وكان عليه أن يعمل بسرية بالغة، وان يكون على صلة بهذا الصدد مع وزيرة الخارجية الإيطالية سوزانه انيلي، التي كانت علاقاتها مع بيرس وطيدة.

سافرنا والوفد الفلسطيني في طائرة تابعة لشركة فيات حتى روما، وهناك تم نقلنا إلى مركز الندوات التابع للشركة في سيارات منفردة. والمبنى المذكور هو مبنى كبير من أربعة طوابق.

وفي ساعات ما بعد الظهر، تجمعنا في إحدى غرف المحاضرات في الطابق الأرضي، وفورا قدمنا إلى الفلسطينيين نسخا من اقتراحنا للملحق العسكري لاتفاقية التسوية المرحلية.

عمد الفلسطينيون إلى مراجعة المسودة، والخارطة، وتسجيل ملاحظاتهم على هامش الصفحات. كان الملحق الذي يتضمن تسع فقرات، يؤكد على سياسة محاربة الإرهاب التي ستنتهجها السلطة الفلسطينية. كما تطرق إلى قيام السلطة الفلسطينية بمصادرة الأسلحة غير المشروعة، في كل مدينة يتم تسليمها لها. وتقديم الإرهابيين إلى المحاكمات، واتخاذ أساليب منهجية أخرى، لمنع الإرهاب

والتحريض على العنف. وتضمن الملحق أيضا تفصيلا واضحا لمسئولية إسرائيل عن ضمان الأمن في الضفة الغربية كلها، باستثناء المدن التي كانت ستسلم للفلسطينيين. وتطرق الملحق إلى اقتراح إقامة منطقة ثالثة-المنقطة القروية- والتي ستتحمل فيها إسرائيل المسئولية الأمنية، ويتحمل الفلسطينيون المسئولية المدنية ونص الملحق أيضا، على تنفيذ عمليات إعادة الانتشار الرامية إلى توسيع المنطقة الخاضعة للسيطرة الفلسطينية الكاملة، بصورة تدريجية، وبالتناسب مع الوضع الأمني.

وفي صبيحة اليوم التالي رد أبو علاء على وثيقتنا باعتدال -كأسلوبه دائماً في المرحلة الأولى، كي يرينا أنه يتطرق إلى مواقفنا بجدية- وطلب بعض التوضيحات. وقد دار الجدل حول مساحة المنطقة (B) بيد أننا رفضنا مناقشة مسألة المساحة، وقلنا أننا سنقدم إليهم خارطة مفصلة بعد أن يتم الاتفاق على مبادئ النظرية الأمنية.

وخلال التشاورات التي أجريناها فيما بيننا، اقترحت ألا يتم كشف الخارطة للفلسطينيين حتى نهاية المفاوضات كي لا نطرح قضية تؤدي إلى تدني مستوى التفاهم، فقد كنت أدرك أن التطلعات الفلسطينية، أكبر بكثير مما قررنا اقتراحه عليهم.

ثم انتقلنا إلى غرفة مجاورة، وأخذنا نجمل النظريات الأساسية للمناطق، على ورقة بيضاء دون أن نكشف مساحتها، مما أثار ثائرة الفلسطينيين، وخصوصاً حسن عصفور، الذي استهل حديثه قائلا:" وفقا لاتفاقيات أوسلو يجب أن نتسلم جميع الصلاحيات الأمنية والمدنية عشية الانتخابات.كفوا عن مضايقتنا بهذه المصطلحات القضائية، يجب عليكم أن تسلمونا غالبية الضفة الغربية".

رد عليه يوآل زينجر بإسهاب، حول نظرية تسليم الصلاحيات الأمنية بالتدريج، بيد أن رأي الفلسطينيين بقي على ما هو عليه. لذا، اقترحنا عليهم أن يعودوا إلينا وهم يحملون ردا لملاحظاتنا على الملحق الأمني، واتفقنا خلال محادثات (تورينو) على مزج اتفاقية غزة أريحا في اتفاقية التسوية المرحلية.

وفي ساعة متأخرة، طلبت، أنا وزينجر، من أبو علاء أن يقوم بجولة معنا في الحديقة. وأوضحنا له خلال النزهة، استحالة أن نحصل على موافقة رابين على المنطقة (B)، الا إذا تحملت إسرائيل المسئولية الأمنية.

قال أبو علاء:" أنا أتفهم ضرورة الأمن، بيد أن من المستحيل أن نوافق على أن تعيش غالبية جماهير الضفة الغربية تحت نير السيطرة الإسرائيلية الكاملة" وعاد أبو علاء لطرح فكرة التعاون الشامل في هذا المجال، واشار إلى أن إعلان المبادئ وعد الفلسطينيين بالسيطرة الكاملة على مصير شعبهم.

طرحنا، أنا وزينجر، فكرة إمكانية اندلاع مواجهات بين المستوطنين والفلسطينيين وقلنا له: إذا حدث ذلك، فإن الجيش الإسرائيلي وحده هو الذي سيكون قادرا على معالجة هذا الوضع.

وأضفت:"بمرور الزمن سيعتاد الطرفان هذا الوضع، وحينها_مثلما جاء في صيغتنا- سنستطيع توسيع مسئوليتكم الأمنية".

-أبو علاء:" سأتحدث مع زملائي ومع الرئيس أبو عمار، حينما أعود، وعندما تصل الأمور إلى الشئون الأمنية، فإننا على استعداد للاستجابة لاحتياجاتكم. لكن لا تنسوا أن كل ذلك سيكون رهنا بأن نقتنع بأن هدفكم هو حقا الحفاظ على الأمن، وليس أن تسرقوا منا أرضنا".

أدركنا في أعقاب هذا الحديث، أن المفاوضات ستكون شديدة جدا، بيد أننا كنا نتمتع على الأقل، بميزة أننا قدمنا وثيقة إسرائيلية مفصلة وحددنا معايير التسوية المرحلية بوجود السيطرة العسكرية الإسرائيلية في المرحلة الأولى على غالبية الضفة الغربية دون الانتقاص من قدرة الفلسطينيين على توسيع المناطق الواقعة تحت سيطرتهم تدريجيا.

كانت نواة التسوية المرحلية على النحو التالي: كان الفلسطينيون على استعداد للتنازل عن صلاحيات أمنية بصورة اسهل من التنازل عن مناطق، أو بمعنى آخر كان أمن المستوطنات مسألة مقبولة لديهم، كمصلحة يجب أن يأخذوها بعين الاعتبار لكنهم ليسوا على استعداد للقبول بتوسيعها.

كانت صيغة الحل، تقوم على خلق منطقة سيطرة مشتركة خلال مرحلة التسوية المرحلية، والنقل التدريجي لمناطق أخرى إليهم. ولم يبق الان سوى التفاوض حول مركبات هذه الصيغة.

حدد رابين الأول من حزيران، كبداية لإجراء المشاورات. كان راضيا عن محادثات تورينو ووقف بحزم خلف التكتيك الذي اتبعه الوفد الإسرائيلي. واتخذ قرارا بضم اورن شاحور إلى طاقم المفاوضات، وأمر بطرح مسألة نقل الصلاحيات على جدول الأعمال.

عدنا في نفس اليوم إلى تورينو وقدم الفلسطينيون، وهم يحملون ملاحظات مكتوبة، حول صيغة الملحق الأمني، كانت الخلافات بين الطرفين عميقة للغاية فقد أصر الفلسطينيون على المسئولية الأمنية المشتركة في المنطقة(B)، وطالبوا بأن تشمل المنطقة(A) المدن الفلسطينية كلها، وجميع القرى البلدية في الضفة الغربية. كما طالب الفلسطينيون بأن يتم وصف إعادة الانتشار كإجراء غير قابل للتغيير.

وقدم الفلسطينيون لنا مدخلا جديدا للملحق الأمني. وأكد أبو علاء أنه إذا ما قبلنا هذه الصيغة فسوف يبدي الفلسطينيون مرونة في كل ما يتعلق بباقي الصيغة.

أكد المدخل المذكور على حرية الحركة للفلسطينيين داخل الضفة الغربية"والمعبر الآمن". بين الضفة الغربية وغزة.

وقال أبو علاء:" لن نسمح لكم بالسيطرة على حرية حركتنا، ولن نوافق على وجود أي حواجز عسكرية للجيش الإسرائيلي داخل الضفة الغربية".

كان الفلسطينيون يرغبون أيضا، في ضمان تسليمهم الصلاحيات المدنية بوتيرة سريعة في غالبية مناطق الضفة الغربية. وقد حاول أبو علاء القيام بمناورة ذكية، حيث اكتفى برد شفهي على وثيقتنا المفصلة دون الالتزام بموقف دقيق، وفي بلورة غالبية المصالح الفلسطينية في مدخل الملحق الأمني.

حاولنا، أنا وزينجر خلق مزاوجة بين صيغتي الطرفين، وقد تم استخدام هذه الصيغة كأساس للمفاوضات المستقبلية، هو المبادئ الأمنية. وقد تم الإشارة إلى الملاحظات والتعليقات العامة الفلسطينية في صيغة الملحق الأمني. ولم تتقدم الا بعد أن وافق الفلسطينيون على المناطق الثلاث في الضفة الغربية ومنطقة فلسطينية(A) ومنطقة إسرائيلية (c)، ومنطقة تحت السيطرة المشتركة (B) على أن يتم تحديد ذلك خلال المفاوضات. وهكذا، اصبح بأيدينا بداية وثيقة مشتركة.

عدنا إلى إسرائيل، ونحن نشعر أننا أحرزنا تقدما حقيقيا. وفي الطرق سلينا أنفسنا أنا وأبو علاء، بتقليد حوار بيرس وعرفات لقد كنا بحاجة إلى قسط من الراحة، بعد كل هذا التوتر الكبير.

وحال عودتنا اتفق رابين وبيرس، على أنه آن الأوان كي نكشف للفلسطينيين النقاب عن المدن التي نعتزم الانسحاب منها، وأن يكشفوا لهم أيضا المطلب الإسرائيلي القائل، بضم جميع المناطق القروية الفلسطينية، في المنطقة (B) وليس (A) مثلما أراد الفلسطينيون.

تمحورت الخلافات، حتى تلك اللحظة، في مواقفنا، حول مسئولية كل طرف في كل منطقة من المناطق الثلاث في الضفة الغربية، وهكذا بدأ النزاع يدور حول مساحة كل منطقة.

قدمت مونه لنقلنا -ديان وزينجر والعميد شلومو بروم نائب ديان-وأنا- إلى منزل الملحق النرويجي، حيث كان الفلسطينيون بانتظارنا هناك. واتفقنا على أن يبيت الفلسطينيون هناك، على أن نعود نحن إلى منازلنا.

بدأت الحوار بالقول: أن الجيش الإسرائيلي سيعيد انتشاره الأول، عشية الانتخابات الفلسطينية، خارج الحدود القضائية للمدن: جنين وطولكرم وقلقيلية ونابلس، والتي سيطلق عليها المنطقة(A). على أن يتم فيما بعد -وفي أعقاب استكمال شق الطرق الالتفافية لتحركات الإسرائيليين- تنفيذ إعادة انتشار جديد في منطقتي بيت لحم ورام الله. أما الخليل فسوف تعتبر حالة خاصة، نظرا لوجود مستوطنين داخلها، واقترحت أن يتم تشكيل لجنة توكل إليها مهمة إعداد ترتيبات

خاصة للانتخابات الحرة في هذه المدينة. أما المناطق القروية ٠(B)، فتتم إدارتها بالتعاون بين الجهتين، على أن تتحمل إسرائيل المسئولية الأمنية، وتتحمل السلطة الفلسطينية مسئولية الشئون الإدارية. أما المناطق غير المأهولة، وكذلك المناطق التي توجد فيها المستوطنات، فسوف تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة، بوصفها المنطقة(C).

وفي أعقاب إجراء الانتخابات، تقوم إسرائيل بتسليم السلطة الفلسطينية- وفقا لتقديرات إسرائيل- صلاحيات أمنية في المنطقة (B)، وفي المناطق غير المأهولة من المنطقة (C). والتي لا أهمية أمنية لها. ولا ينطبق ذلك بحال على أي منطقة من مناطق المستوطنات.

سجل الفلسطينيون ملاحظات على أقوالي، ثم طلبوا وقف المفاوضات لبعض الوقت. وسمعنا أصوات نقاشهم الغاضب وهو ينبعث من غرفة المفاوضات.

أدركنا هذه المرة، أن الأزمة قادمة لا محالة، ولم نعرف مدى تأثير هذه الأزمة على الطرفين بيد أننا اعتقدنا أن التاريخ الهدف-الأول من تموز- سيضغط على الفلسطينيين لدفعهم إلى التقدم.

عدنا إلى طاولة المفاوضات، وقال الفلسطينيون أنهم على استعداد للرد على اقتراحاتنا، واستهل أبو علاء الحديث بلهجة شديدة قائلا:

"نحن على استعداد لتطبيق اتفاقية إعلان المبادئ معكم، بيد أن ما تطرحونه بعيد كل البعد عما وقعنا عليه. فأنتم تريدون تقريبا ٩٠% من المناطق، و١٠٠% من المسئولية الأمنية ولا تبدون أي التزام، فيما يتعلق بما ستفعلونه في المستقبل، إضافة إلى أنكم تحدون من حركتنا وهذا ما لا نقبله، وبصورة خاصة محاولتكم إضفاء الشرعية على الوضع الراهن، مع تغييرات طفيفة على أرض الواقع. الان أنتم تسيطرون كمحتلين، وبمقدورنا مقاومتكم تحت هذا الوصف، ولن تحصلوا أبدا على موافقتنا لتخليد الوضع على ما هو عليه بوسائل أخرى ونحن نطالب بإحداث تغيير حقيقي، مثلما هو وارد في اتفاقية إعلان المبادئ.

وأضاف ... نحن على استعداد للتعاون في مجال محاربة الإرهاب، بيد أنه يجب توسيع مساحة المدن، بحيث تشمل سلسلة من القرى، ولن نوافق بأي حال على التمييز بين مدينة وأخرى. وبمقدوركم الحفاظ على مسئولية إسرائيل الأمنية، في جميع المناطق المأهولة الأخرى(B) بيد أنه يجب أن نتسلم صلاحيات كاملة، بما فيها الصلاحيات الأمنية على الفلسطينيين، ونحن على استعداد لوضع شرطة فلسطينية هناك، على أن تقدم لكم تقارير حول نشاطاتها، بيد أنها لن تكون خاضعة لكم، ولن نوافق على إهانة رجال شرطتنا بوضعهم تحت سيطرتكم.

وأضاف ... وفيما يتعلق بالمستقبل، فإننا نطالب بجدول زمني دقيق، وخارطة مفصلة على مواصلة تسليمنا المناطق في أعقاب الانتخابات الفلسطينية. ولا نعتزم أبدا، إرجاء نقل أي قضايا تتعلق بالتسوية المرحلية، حتى بدء مفاوضات التسوية الدائمة.

واضاف... إذا ما قبلنا توجهكم القاضي بإبقاء غالبية المناطق والصلاحيات الأمنية في أيديكم، فسوف تتحول الضفة الغربية إلى منطقة خصومات وعداء، وليس هذا هو هدفنا، يجب أن تصبح فترة التسوية المرحلية جسرا للتعاون نحو التسوية الدائمة.

أدركت بعد أن أنهى أبو علاء أقواله أن علينا أن نعلن عن رفضنا القاطع لمطالبهم. بيد أنني اكتفيت بالقول: أننا سمعنا أقوال أبو علاء وعرفنا ماهية التطلعات الفلسطينية، وسنقدم تقريرا عن ذلك لرابين وبيرس.

وجدنا أنفسنا وقد وصلنا إلى طريق مسدود، لأن الخلافات القائمة كانت هائلة إلى الدرجة التي لا نستطيع معها أن نبدأ المفاوضات طلبت أن أتحدث مع أبو علاء على حدة، وتوجهنا سويا إلى غرفة جانبية، وجلسنا، أحدنا في مواجهة الآخر. وقلت له:" اقتراحاتكم لن تكون معقولة، لن نمنحكم مسئولية إلى هذا الحد الكبير على الصعيد الأمني فنحن ببساطة، لا زلنا لا نثق بكم. إن اقتراحاتكم ستخرب المفاوضات، وإذا ما قبلناها، ستتفجر الضفة الغربية كلها".

وقد رد أبو علاء على أقوالي بعدوانيـــة غـــير مألوفـــة:" أنتـــم ترغبـــون فـــي ضمان الأمن، وأنا أتفهم ذلك، بيد أننا لن نقبل سيطرتكم علــــى أراضينـــا تحـــت شـــعار الأمن، وعلى وجه الخصوص فـــي ظـــل غيـــاب عـــدم الـــتزام باســـتمرارية المســـيرة. وعدم الثقة هي مسألة متبادلة وبمقدوركـــم أن تحـــاولوا فـــرض وجهـــة نظركـــم علـــى عرفات. وإذا ما مارستم اشد الضغوط مـــن أجـــل دفعـــه إلـــى الزاويـــة، فقـــد لا يجـــد أمامه خيارا سوء قبول وجهة نظركم. لكن يجب عليكم أن تتذكـــروا أنـــه إذا مـــا فعلتـــم ذلك، فسوف تعزلونه، فالاتفاق من جانب واحد لن يصمـــد لـــذا يجـــب عليكـــم التفتيـــش عن وسائل لضمان أمنكم وفي نفس الوقـــت يـــوازن الاتفاقيـــة. وإذا كـــان الأمـــن هـــو حقا، مصلحتكم الوحيدة، فنحن لن نتنازل عـــن أي أراضـــي".

رددت على أبو علاء بغضـــب:" إذا كنـــت تتـــهمني بمحاولـــة الوصـــول إلـــى اتفاق من جانب واحد، يجـــب عليـــك البحـــث لـــك عـــن شـــريك جديـــد. إن مطـــالبك ستقودنا إلى طريق دون مخرج، وأنتـــم ســـتكونون الخاســـرين والعـــبء ملقـــى عليـــك أنت، لذا اقترح عليك أن تعود لي وأنت تحمـــل أفكـــارا أخـــرى".

نهض أبو علاء دون أن ينبـــس ببنـــت شـــفة، واســـتدعى ســـائقه، وتصافحنـــا ببرود، وانطلقنا كل واحد وجهتـــــه.

وفي تقريرنـــا لرابيـــن وبـــيرس نصحنـــا بـــأن يتـــم الانتظـــار حتـــى يقـــوم الفلسطينيون بخطوة من جانبـــهم، فقـــد كـــان مســـتقبل النظريـــة الأمنيـــة فـــي الضفـــة الغربية معلقا في كفة المـــيزان.

في الثامن والعشرين من حزيـــران، اجتمعـــت أنـــا وأبـــو عـــلاء فـــي فنـــدق (دان) في تل أبيب. كان غضبنا قد انطفـــأ واقـــترح أبـــو عـــلاء أن نرجـــئ المحادثـــات حول معايير كل منطقة من المناطق الثـــلاث فـــي الضفـــة الغربيـــة. وكـــان يجـــب أن نحدد مزايا المنطقة(B) وإمكانية مواصلة إعادة الانتشار وقلـــت لـــه: أنـــه وفـــي ضـــوء توقع الجماهير توقيع الاتفاقية فـــي الأول مـــن تمـــوز، فـــإن مـــن الأفضـــل أن يلتقـــي بيرس وعرفات ويعلنا أنه تم التوصل إلى اتفاق. ومن الجديـــر بـــالذكر، أنـــه لـــم يكـــن قد تم الإعلان حتى ذلك الحين، عن وجود حـــوار حـــول هـــذه القضايـــا- لـــم يتســـرب

أي نبأ حول المفاوضات التي استغرقت شهورا في فندق يميت ومحادثات(تورينو). وعلى أية حال، يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نتفق حول خطوط الاتفاق، بيد أن الأمر لن يكون ممكنا الا إذا توصلنا إلى تفاهم حول طبيعة المنطقة(B).

قبل أبو علاء بفكرة عقد اللقاء بين بيرس وعرفات، ثم اقترح أن تكون السلطة الفلسطينية مسؤولة عن النظام العام في المنطقة(B)، في حين تكون إسرائيل مسئولة عن مكافحة الإرهاب وأمن الإسرائيليين الذين يعبرون هذه المنطقة.

سألته: ما الذي سيحدث إذا ما اصطدمت عملياتنا مع الفلسطينيين ؟ فقال: بالإمكان تنسيق هذه العمليات عبر مكتب ارتباط في كل منطقة.

قلت:" نحن نعتقد أن بالإمكان تقسيم العمل بين قواتي الأمن، لكن ليس لتقسيم المسئولية. يجب على إسرائيل أن تمسك بين أيديها بزمام المسئولية الأمنية بصورة حاسمة- كان هذا هو الموقف الذي بلورته وزارة الدفاع- وإذا ما استطعنا الاتفاق حول هذا الشرط، وعلى هذا المبدأ، يمكننا مواصلة نقاش جميع التفاصيل". بيد أن أبو علاء رفض الرد على اقتراحي وفضل ترك القرار لبيرس وعرفات.

اتصل بي رابين في أعقاب اللقاء. وقد كان يخشى من أنه إذا لم نتوصل إلى قرار حتى الأول من تموز، أن نضطر لمواجهة مظاهرات وغليان في الضفة الغربية. فقلت له: إن الأمور لا زالت تراوح مكانها دون تقدم. وهكذا ألقي على عاتق بيرس، كسر الجمود من جديد.

اجتمع بيرس وعرفات مساء السبت الموافق الأول من تموز، على الجانب الإسرائيلي من حاجز ايرز. كانت وسائل الإعلام احتشدت وجاء عرفات محاطا بعدد من حراسه الشخصيين. وقد جرت المقابلة في غرفة صغيرة في مبنى الإدارة المدنية ولم يشارك في الجلسة الافتتاحية مع بيرس وعرفات، سوى أنا وأبو علاء، في حين انتظر أعضاء الحاشيتين الآخرون في غرفة مجاورة.

وفي أعقاب مراسيم الاستقبال والمجاملات، ومنح وسائل الإعلام فرصة تصوير اللقاء، أعرب بيرس عن تقديره للعمل السري للجنة الأمنية وللشراكة الخاصة بين (يوآل زينجر) وصائب عريقات، بشأن الانتخابات وقال: بمقدور أورن شاحور وجميل الطريفي مواصلة نقاش عملية نقل الصلاحيات. وقد رد عرفات بنفس الأسلوب الذي يرد فيه، كل مرة تطرح فيه، قضية الصلاحيات المدنية على جدول الأعمال- رد بأقوال تتعلق بالمال، فقال:" عليكم أن تمنحونا أيضا صلاحية جبي الضرائب غير المباشرة، نحن بحاجة إلى المال، والمبالغ الممنوحة لنا من الدول المانحة غير كافية، ورجال الشرطة الفلسطينية لا يتسلمون رواتبهم".

وفي الحقيقة، كنا قد قررنا تسليم الفلسطينيين صلاحية جبي الضرائب غير المباشرة في نهاية المسيرة، وذلك من أجل استخدامها كمحفز لتسريع المفاوضات. وقد حدا ذلك ببيرس لتغيير موضوع الحديث، فوصف لعرفات الضيق الشديد الذي يعم أوساط الجماهير الإسرائيلية، جراء عدم توقف الأعمال الإرهابية، وقال:" حقا، إن أداءكم تحسن كثيرا على الصعيد الأمني، بيد أن العمليات لا زالت متواصلة، إننا نقترب لتجسيد خطوة شديدة الأهمية، وأنا أؤيد هذا التجسيد. وأنت تعلم، سيدي الرئيس أنني أعارض أن يسيطر اليهود على مصير شعب آخر، بيد أنه علينا أن نقنع شعبنا بذلك، وأن نتقدم على الطريق بحذر. ولا يجب بأي حال من الأحوال، أن نخلف احتكاكات بين شعبين، لان هناك متطرفين في الجانبين، كما عليكم أن تفكروا في الانتخابات التي ستجرونها لاول مرة، في تاريخ الشعب الفلسطيني، وتذكر أن أي أمة أخرى لم تعرض عليكم ما نعرضه عليكم نحن. لقد قلت لي قبل عدة اشهر، أنهم أنزلوك إلى مستوى رئيس بلدية غزة، وهانحن الآن نتقدم باتجاه التفاوض حول المدن الست الكبرى في الضفة الغربية. ولا شك أن هذا تطور تاريخي، لكن يجب عليكم أن تأخذوا بعين الإعتبار، اعتباراتنا الأمنية.

سجل أبو علاء أقوالي، وأرسل باتجاهي ضحكة صفراء، وبدا أنه يعتقد أن بيرس يقود عرفات خلال النقاشات بالاتجاه المرغوب لإسرائيل. وفي الوقت الذي واصل فيه بيرس إيضاح مطالبنا. بالمسئولية الأمنية الحاسمة في منطقة(B) بيد أن عرفات حاول التهرب من النقاش، حينما ذكر بيرس مصطلح السيطرة باللغة الإنجليزية (overiding) وقال:" إذا كان الأمر يتعلق بمصطلح إنجليزي فإنني سأتركه لأبو علاء".

رسم بيرس ابتسامة واسعة، وقال:" أبو علاء:" متشدد جدا، افصله من المفاوضات، إنه وسبير يتمتعان بإدارة مفاوضات دون التوصل إلى أي نتائج، إفصله وسأفصل أنا أوري.

ضحك عرفات، بيد أنه امتنع عن التطرق إلى المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة(B).

طلب بيرس من ديان أن يشارك في الجلسة، وأن يستعرض الوضع الأمني، وقد خرجت من الغرفة، فيما بقي ديان حوالي ساعتين وعندما خرج، قال أنه مارس هو وبيرس ضغوطا شديدة على عرفات، بيد أن عرفات لم يتنازل أبدا.

تم استدعاء زينجر لدراسة الحلول التي بدأ أبو علاء يقترحها. وقد قال للفلسطينيين أن هناك العديد من المصطلحات في إطار الممكن، أما مصطلح المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة(B)، فيجب أن يظهر في الوثيقة.

وعندما استدعيت بعد ست ساعات للعودة إلى غرفة الحوار بين بيرس وعرفات سمعت بيرس يقول بلهجة غاضبة:" لن نصل إلى أي اتفاقيات إذا لم يعلم جنودنا أنهم المسؤولون عن المنطقة(B) وإذا لم تسر الأمور على هذا النحو، ستحدث صدامات في المنطقة، هل توافق؟؟ هل توافق؟؟ إذا لم توافق، فإن رابين وأنا لن نستطيع التقدم نحو الاتفاق أبدا".

كان عرفات يحملق في فضاء الغرفة تارة، ثم تعوذ عيناه للحملقة في الورقة الموضوعة أمامه على الطاولة، والتي كتب فيها بيرس بخط يده مسألة

"المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقـــة(B). وبـــدا بوضـــوح أنـــه يعـــاني مـــن أزمـــة حقيقية فقد أدرك أن بيرس لن يستجيب له. ورغم ذلـــك يبـــدو أنـــه شـــعر أن إســـرائيل تعتزم إحداث تغيير واسع في الضفة الغربية من خـــلال صلاحياتـــها الأمنيـــة.
لقد جلس عرفات حوالي ساعة في الغرفـــة دون أن يتفـــوه بكلمـــة، فيمـــا كـــان بـــيرس يقوم، بين الفينة والأخرى ليقطع الغرفة جيئة وذهابا وهـــو نـــافذ الصـــبر.

Israel will have the
overriding responsibility for
internal security in order
to protect Israelis and fight
against terrorism
Consequently movement
on the roads of Palestinians
armed police, or its activities in
villages that don't have permanent
stations, will ~~be carried~~ be
confirmed ~~through~~ by the
DCO

وثيقة بخط يد بيرس قدمها إلى الرئيس الفلسطيني
عرفات إبان المفاوضات حول تحديد المسئوليات
الأمنية الاسرائيلية في المنطقة (بي) ١-٧-١٩٩٥

في نهاية المطاف، قال عرفات: أنه يحتاج للتشاور مع مقربيه، واقترح أن نحدد موعدا لمواصلة الحوار، بدا بيرس غير راض، بيد أنه قبل بذلك، وتم الاتفاق على إعلام وسائل الإعلام بأنه تم إحراز تقدم عام. وأن الاتصالات ستتواصل بين الزعماء في غضون الأيام القليلة القادمة.

استؤنف الاجتماع بعد ثلاثة أيام. وكان أبو علاء يرسل لي فاكسات تحمل حلولا تتضمن مصطلح"المسئولية الحاسمة" لقد أدرك الفلسطينيون، أنه لم يبق أمامهم سوى محاولة الحصول على أكبر ثمن ممكن مقابل موافقتهم على ما تريده إسرائيل.

وفي رسالة الفاكس، التي بعث بها أبو علاء إلي ليلة الثاني/ الثالث من أيلول، والتي كتبها على ورق مروس بشعار مكتب الرئيس، وصل إلى حالة توازن في اقتراحاته حيث قال: تحصل إسرائيل على مسئولية حاسمة على المنطقة (B)، في حين تخول السلطة الفلسطينية مسئولية الحفاظ على النظام العام من خلال سلسلة من مراكز الشرطة. كما أكد على ضرورة نقل مناطق أخرى إلى السلطة الفلسطينية، مع تحديد جدول زمني محدد وملزم، ونقل أراض دولة إلى الفلسطينيين.

تلبية لطلب من رئيس الأركان، قمت أنا وزينجر ويتوم، بإعداد ردودنا. وفي اليوم التالي الموافق الرابع من تموز، التقينا رابين قبل التوجه إلى حاجز ايرز، بيد أن اقتراحات أبو علاء أثارت ثائرته، وقال:" هل يود أن نبدأ تسليمه الضفة الغربية بصورة تدريجية؟؟ فلننس هذه القضية".

ومن الجدير بالذكر، أن رابين كان يعمد في كل مرة يغضبه فيها الموقف الفلسطيني، إلى التحذير من التنازل بشأن القضية المطروحة.

اقترحت أن نتوصل مع الفلسطينيين إلى اتفاق ينص على أن يكون منتصف عام ١٩٩٧ هو التاريخ الذي سننقل إليهم مسئولية المناطق التي لا نعزو إليها أهمية أمنية -الانسحاب الإضافي- فقال رابين إن منتصف عام ١٩٩٧، هو

تاريخ مقبول لديه، بيد أنه لا يجب أن نفصح للفلسطينيين عن مساحة الأراضي التي سنسلمها إليهم. ولا شك أننا سنضطر في يوم من الأيام لفتح خارطة إعادة الانتشار الإضافي، لكن بالتأكيد ليس الآن".

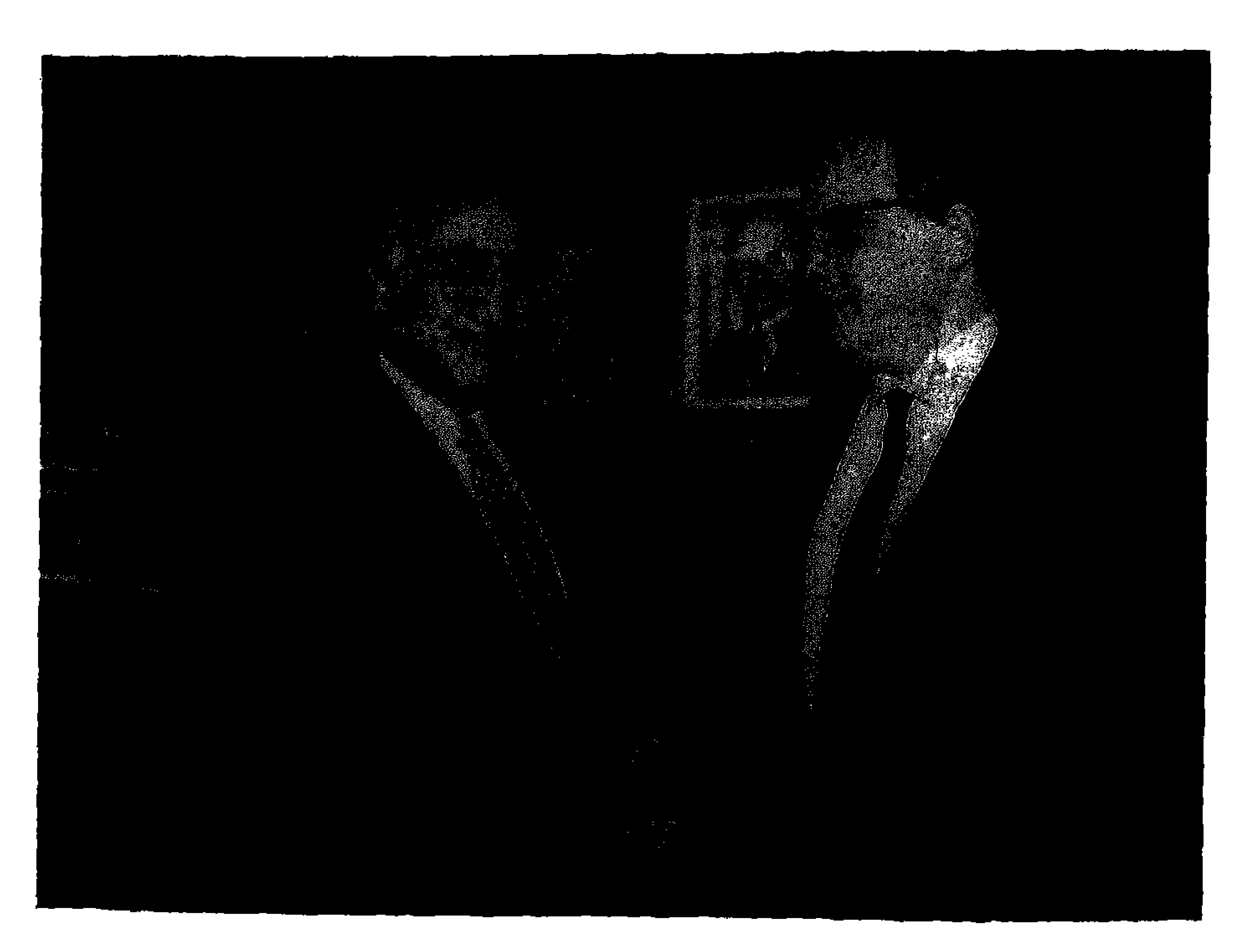
بدا أن بيرس غير مرتاح للهجة رابين، ويعتقد أنه لم يقدر بصورة جيدة الجهد الذي بذله والصلابة التي أبداها في الحوار مع عرفات. وخيل اليّ أن رابين كان يريد أن يقول للمحيطين به أنه حقا لا يدير المفاوضات، بيد انه يسيطر على الوضع.

وعلى أية حال، فإن توجيهات رابين ورسالة أبو علاء، كانت كافية لتحويل لقاء الرابع من تموز إلى قاعدة مريحة للاتفاق. وقد بدأ اللقاء بجلسة بين عرفات وبيرس على انفراد، ثم استدعيت أنا وأبو علاء للانضمام إليهما. وقد جاء في صيغة الاتفاق:

١. في المنطقة(A)-المدن- تحتفظ السلطة الفلسطينية بجميع الصلاحيات الأمنية والمدنية.
٢. في المنطقة(B)-القرى الفلسطينية- تكون لإسرائيل مسئولية حاسمة للأمن، من أجل الدفاع عن الإسرائيليين ومحاربة الإرهاب، في حين ستتسلم السلطة الفلسطينية الصلاحيات المدنية، وتكون مسئولة عن النظام العام- للفلسطينيين-.
٣. يكون لإسرائيل في المنطقة(c) مسئولية أمنية ومدنية كاملتان.

اقترح بيرس، أن يتم حل القضايا العالقة الأخرى- كيف ستعمل الشرطة الفلسطينية في المنطقة(B) من أجل الحفاظ على النظام العام، وقضية الخليل بواسطة لجان خاصة تعمل في إطار مفاوضات واسعة. واقترح استكمال الانسحاب الإضافي حتى منتصف عام ١٩٩٧- طالب الفلسطينيون باستكمالها حتى شباط ١٩٩٧. وأن يبدأ رجال الشرطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي بتنسيق إعادة الانتشار.

وفي حديثهما إلى الصحفيين، لـــم يتطـــرق بـــيرس وعرفـــات إلـــى التفـــاصيل بيد أنهما أشارا إلى توجيههما أمرا لـــي ولأبـــو عـــلاء لاستكمال المفاوضـــات حتـــى الخامس والعشرين من تمـــوز.



١١- أوري سبير ووزير الخارجية الأردني جواد العنـــاني إبـــان الاتفاقيـــة الأردنيـــة - الإسرائيلية.

الفصل السابع

تفكيك الاحتلال

انسحابات دون تحديد مساحات

نقل الصلاحيات من "السادة" للعبيد خلق أزمة حسية لدى الإسرائيليين

أبو علاء اقترح: ٧٥٪ و٢٥٪ لكم فرفضنا

تفكيك الاحتــلال

بدأت المفاوضات- في أعقاب الموافقة المبدئية- لبلورة الاتفاق، وتحدثنا حول نقل الصلاحيات الأمنية والمدنية في الضفة الغربية إلى أيدي السلطة الفلسطينية، وتحديد أسس العمل للانتخابات الفلسطينية. لقد كان زينجر على حق، لقد بدأت الآن المرحلة الصعبة، وفتحت الطريق نحو المرحلة المعقدة والصعبة وشديدة التوتر في المفاوضات.

قررنا أن تعمل جميع اللجان في آن واحد. وتم تقسيمها إلى لجان تعمل في المجال الأمني -بما فيها لجنة فرعية لشئون الخليل- ولجان لنقل الصلاحيات، والانتخابات والملحق القضائي، وملحق التعاون، والاتفاقية نفسها.

لقد عكفنا خلال الفترة الواقعة بين لقاء الرابع من تموز في حاجز ايرز وبين بدء المفاوضات بصورة عملية على تشكيل اللجان، والبحث عن مكان للقاء.

ومرة أخرى، قررنا عقد اللقاءات في ايطاليا، حيث عرضت علينا الحكومة الإيطالية منشأة عسكرية وقام طاقم خاص بإجراء جميع الترتيبات الضرورية لكن عرفات غير رأيه، فقد أراد أن يبقى طاقم مفاوضاته قريبا منه- لذا وافقنا على عقد الاجتماعات في فندق (جني موريه) في (زخرون يعقوب).

إعادة الانتشار الإضافي(النبضـــات):

بدأنا المفاوضات في زخـــرون يعقــوب، فـــي الســادس عشــر مـــن تمــوز، وتواصلت المحادثات أسبوعا بيــد أن التقــدم الــذي تــم إحــرازه كــان طفيفــا. ومـــن الجدير بالذكر، أننا وجدنا صعوبة بالغة في تعود مثل هذا العـــدد الكبــير مـــن اللجــان، والتي تضم كل واحدة منها حوالـــي مائـــة عضـــو، مثلمــا يتطلــب الأمـــر للاســتعانة بالخبراء والجهات الضروريـــة. وقــد اســتغل أبــو عـــلاء هــذا الوضـــع لتقديـم أول عرض لصيغة بنية الاتفاقية، والتي أكـــد فيـها علـــى صلاحيــات الســيطرة والقضـــاء الفلسطيني على غالبية منـــاطق الضفــة الغربيـــة فـــي أعقـــاب الانســـحابات الإضافيـــة الإسرائيلية ومن الجدير بـــالذكر أن هــذه التغطيـــة أصبحـــت بمثابـــة حجـــر الأســـاس الرئيسي في المفاوضـــات.

لقد نصت اتفاقية إعلان المبـــادئ علـــى نقـــل الصلاحيـــات الأمنيـــة بصـــورة تدريجية إلى أيدي الفلسطينيين في إعادة الانســـحاب(النبضـــات) فـــي الضفـــة الغربيـــة، باستثناء المناطق الأمنية والمستوطنات. بيد أن هـــذه الاتفاقيـــة لـــم تتطـــرق بـــالتفصيل، إلى معايير المناطق الأمنية آنفة الذكر. وقــد أكدنـــا أن علـــى إســـرائيل وحدهـــا تحديـــد هذه المناطق، وفقا لتقديراتها ولا يجب تحديدهـــا مســـبقا.

تحدثنا مع رابين بهذا الصدد، نهاية الأسبوع، بيـــد أنـــه أعـــرب عـــن خشـــيته من أن يؤدي اطلاع الفلسطينيين على خارطة المنـــاطق الأمنيـــة المحـــددة. إلـــى خلـــق أزمة، وذلك نظرا لانهم توقعوا أن يحصلــــوا علـــى منـــاطق أوســـع مـــن تلـــك التـــي اعتزمنا نحن منحها لهم- جرى الحديـــث فـــي النقاشـــات الداخليـــة عـــن حوالـــي ٥٠% من مساحة الضفـــة الغربيـــة- فـــي أعقـــاب جميـــع الانســـحابات، ووفقـــا للتقديـــرات العسكرية على ما هو مطلوب للمناطق الأمنيـــة الحيويـــة، ومـــن أجـــل ضمـــان أمـــن المستوطنات- لذا قرر رابيـــن تـــأجيل المواجهـــة حـــول نسـبة المنطقـــة التـــي ســـيتم تسليمها إلى الفلسطينيين. بل وكان هناك في أوســـاطنا مـــن يخشـــى مـــن أن تحرمنـــا إعادة الانتشار الإضافية من أحد المؤثرات المهمـــة جـــدا التـــي ســـنحتاج إليـــها خـــلال فاوضات التسوية الدائمـــة.

وقد أوضح طاقم المفاوضات أن الانسحاب الإضافي هو بمثابة تحسين لاتفاقيات كامب ديفيد والتي التزمنا خلالها، بإعادة الانتشار إلى مناطق أمنية محددة في مرحلة واحدة، في حين عملنا في أوسلو على تقسيم هذه المرحلة الواحدة إلى عدة مراحل. على أية حال، كان علينا أن نبدأ بمفاوضات جدية حول التسوية الدائمة في الرابع من ايار ١٩٩٦-أي قبل آخر نشر للقوات بأربعة عشر شهرا.

أسهمت خارطة التسوية الدائمة-والتي كنا على استعداد لإبداء قدر كبير جدا من المرونة بالنسبة لها، مقارنة بإعادة الانتشار الإضافي- في تحييد أهمية الانسحاب الأخير، ومثلما قلت في نقاشات داخلية، اشك في تنفيذها أصلا. ولهذا السبب، ولاسباب تكتيكية قررنا إبطاء النزاع على إعادة الانتشار الإضافية ومحاولة إحراز تقدم في مناخ أخرى.

كانت المشكلة المركزية تتمثل في إقناع أبو علاء- هو تكتيكي متميز، فطن، ويجيد الدفاع عن مصالح أولئك الذين كلفوه. وحال عودتنا إلى زخرون يعقوب، وجدنا الفلسطينيين وقد شددوا مواقفهم في جميع القضايا المدنية التي كانت على جدول الأعمال. وكانت الرسالة واضحة تمام الوضوح:" قولوا لنا ما الذي يمكن أن نتوقعه من إعادة الانتشار الإضافي في المستقبل، ومقابل ذلك، ستكون على استعداد للتقدم في الحاضر". وهكذا آلت المفاوضات إلى طريق مسدود.

ضايقنا المستوطنون، وحلفاؤهم من اليمين إبان تواجدنا في زخرون يعقوب، بالمظاهرات والصراخ. ولم تكن صرخاتهم وشعاراتهم، فقط، تضايقنا، بل لقد حاولوا عرقلة دخولنا إلى الفندق والخروج منه. وأعرب الفلسطينيون عن تذمرهم جراء السباب الذي يلاقونه من المستوطنين واليمين، الذين أخذوا يدقون بقبضاتهم على سياراتهم. بل لقد كانت هناك ضرورة لتهريبي، ذات مرة، في حوالي الساعة الواحدة ليلا، من الفندق، في سيارة مصفحة فيما كان سائقي يشق طريقه وسط الجماهير الغاضبة، التي أمطرته بسيل من السباب واللعنات. ورغم

ذلك، لم نصطدم بمظاهرة واحدة مؤيدة للسلام، وهـو الأمـر الـذي حـز فـي نفوسـنا إلى حد كبير، لقد كان على دعاة السلام، أن يخرجـوا إلـى الشـوارع، للإعـراب عـن آرائهم في هذا المنعطف التاريخي الكبير، بيد أن هـذه المظـاهرات لـم تجـر، إلا فـي المرحلة الأخيرة من نفس العـام.

وفي إحدى وجبات العشـاء، فـي غرفـة الطعـام بـالفندق جلسـت بصحبـة عوزي ديان، وعبد الرزاق اليحي، والـذي كـان يحـدق فـي الشـمس، وهـي تغـرق خلف قرمزية الشمس الغاربة، واشـار بإصبعـه قـائلات :" هـل تـرون. تلـك هـي "الطنطورة" حيث ولـدت".

قلت بعدم ارتياح"صحيح" ؟؟ كـان الحديـث عـن مسـاقط الـرأس يذكرنـي دائما إلى أي حد يضرب هذا النزاع جـذوره فـي التـاريخ القديـم علـى نفـس هـذه البلاد، والى أي حد، من المهم العودة لتقسيمها مـرة والـى الأبـد.

ارتسمت ابتسامة غريبة على شفتي عبد الـرزاق اليحـي، وقـال:" انظـروا كـم كنـت غبيا، من الطنطورة انتقلت الى الأردن، ومـن الأردن إلـى سـورية ثـم إلـى جيـش التحرير الفلسطيني، إلى الخليج، إلى مصر، بيروت، تونـس، عمـان، ثـم إلـى الضفـة الغربية وهاأنا الان، اجلس فوق قمة هـذا الجبـل.

أكثر من خمس وأربعيـن سـنة مـن التجـوال والغربـة، فـي حيـن كـان بمقدوري، ببساطة، أن أذهب من الطنطـورة إلـى هنـا، كـي أجلـس معكـم لتنـاول وجبة عشـاء.

عقبت على حديثه بالقول:" نحن جميعا قطعنـا طريقـا طويـلا حتـى وصلنـا إلى هنـا".

في الحادي والعشـرين مـن الشـهر، عقـد بـيرس إجتماعـا مـع الرئيـس المصري تلبية لطلب مبارك، لإطلاعه على المستجدات، وقـد طلـب منـا- أنـا وأبـو علاء- الانضمام إليـهم.

جلسنا في غرفة كبيرة حول طاولة مستطيلة، كان الرئيس مبارك يجلس على رأسها، بينما جلس عرفات وبيرس على جانبيها، وقد كان إلى جوار الرئيس المصري مساعداه الرئيسان : وزير الخارجية عمرو موسى وأسامة الباز.

كان الباز من وجهة نظرنا مؤيدا للمسيرة الحالية، في حين كان عمرو موسى الدبلوماسي المحنك يتطلع إلى مسيرة سلمية تلعب فيها إسرائيل دورا هامشيا بالنسبة للزعامة الحقيقية للمنطقة التي تسعى إليها مصر.

كان الانسحاب الإضافي يحتل رأس جدول أعمال اللقاء، وطرح أبو علاء القضية أمام الرئيس مبارك، وقال : "مسألتا الانسحاب الإضافي والأمن هما جوهر القضية، وأساس أي تسوية ولا شك أن الخليل تعتبر مشكلة، نظرا لأن سكانها وأقاربهم موزعون في جميع أنحاء الضفة الغربية،)والإتفاقيات بشأن المنطقة ((B) تسير بصورة معقولة، بيد أن ما آمل في التوصل إليه هو الإتفاق حول إعادة الإنتشار الإضافي في المنطقة (C) .

استهل بيرس تعليقه موجها كلامه إلى عرفات : "أنظروا إلى أين وصلتم : قلقيلية على بعد تسعة كيلو مترات من البحر، ونصف كيلو متر من كفار سابا، وبيت لحم ورام الله على بعد بضعة كيلو مترات من القدس، لا أعتقد أن هناك دولة في العالم على إستعداد لعمل ما فعلناه، سيدي الرئيس.

ثم توجه بيرس إلى مبارك قائلا : "هل كنت ستوافق على أن تحكم سلطة أخرى على بعد بضعة كيلومترات من القاهرة؟؟ بالتأكيد أنك لن توافق، لقد اعتقد الفلسطينيون وغيرهم أن مصطلح غزة أولا، سيكون "غزة أخيرا"، لقد ظنوا أننا نحاول خداعهم، وها أنا ورابين نقول : اعتمدوا علينا أيضا في الانسحاب الإضافي، لا تجروا الآن أي مفاوضات حوله، لقد التزمنا باستكمال إعادة الانتشار حتى منتصف ١٩٩٧، وسنفي بهذا الالتزام، فعندما نعطي كلمتنا، فإننا نلتزم بذلك.

عرفات : "وما الذي سيحدث إذا ما حدث انقلاب في السلطة؟؟ ومن يضمن لنا أنه لن يقع مثل هذا الانقلاب".

بيرس " "سنفوز في الانتخابات القادمة رغم كل ما تسمعه سيدي الرئيس، هل ترى ما الذي نقترحه عليكم؟ : أي دولة كانت ستقبل بعمل ذلك؟؟. الليبيون؟؟ الصرب؟؟ الفرنسيون؟؟ العراقيون؟؟.

تدخل وزير الخارجية المصري عمرو موسى في محاولة لامتصاص التوتر القائم قائلاً : "أقترح أن تترك للطواقم التي تعكف على التفاوض حول الانسحاب الثاني والخليل، أن تواصل عملها لقد فهمت من سبير أن هناك اقتراحات مختلفة بهذا الصدد".

بيد أن بيرس واصل حديثه، لإطلاع الجميع على حجم التضحية الإسرائيلية، فقال : "نحن ننفق مليار شيكل على قواعد الجيش الجديدة، وعلى الطرق الإلتفافية للمستوطنين، نحن أناس جادون". وعندما شعر أنه استنفذ كل ما أراد قوله، إنتقل إلى مرحلة تأييده إقتراح عمرو موسى بشأن استمرارية عمل طواقم المفاوضات.

تمكنا في اجتماع الإسكندرية من إحراز تقدم معين في قضية مهمة، فقد اقترح المصريون – وكما يبدو بمبادرة من أبو علاء، أن تعقد الإنتخابات في القدس الشرقية في مكتب البريد.

كانت إسرائيل قد طالبت بأن يتم إرسال بطاقات الإنتخاب في البريد، في حين أراد الفلسطينيون وضع الصناديق الانتخابية في أماكن مقدسة، أو في مكاتب الأمم المتحدة، بيد أن بيرس رفض هذا المطلب رفضا تاما لذا، فإن إجراء الانتخاب في مكتب البريد كان سيتيح الفرصة لكل طرف كي يزعم من جانبه أنه انتصر.

وحينما انتقل النقاش إلى المعتقلات الفلسطينيات التسع والثلاثين في المعتقلات الإسرائيلية، قال بيرس للرئيس مبارك : إن قسما منهن أدين بالقتل، وبالتالي لا يمكن إطلاق سراحهن، ألا إذا قبل رئيس الدولة منحهن العفو، وحالا

تناول الرئيس مبارك سماعة الهاتف، وطلب من مســـاعده أن يتصـــل بصديقــه عــيزر وايزمن رئيس الدولـــة.

صاح الرئيس المصـــري فـــي الســماعة : "عــيزر كيــف حــالك؟؟ عرفــات وبيرس لدي الآن، وهما يرسلان إليك تحياتهما، والحقيقة أننـــي أريــد أن أتوجــه إليــك برجاء : نحن نريد موافقتك على إطلاق ســـراح المعتقـــلات الفلســطينيات".

لم نسمع ما قاله وايزمن من الطرف الآخر، بيـــد أن الرئيــس مبــارك انفجــر في ضحكة صاخبة، وأغلق السماعة، ثم قال لنـــا : "حســنا لقــد وافــق علـــى مــد يــد المسـاعدة.

أدت هذه المحادثة إلى إدراج أسماء جميع المعتقـــلات الفلســطينيات فـــي بنــد تحرير الأسرى التابع للاتفاقية، بيـــد أن بــيرس طلــب مــن الرئيــس مبــارك عــدم الإعلان عن ذلـــك الآن.

عندما عدنا في نفس الليلة، للالتقاء بطاقم أبــو عــلاء فـــي زخــرون يعقــوب، قلت : "لقد كان لقاء الإسكندرية مجديا، بيد أن أبــو عــلاء كــان يحمــل رأيــا مخالفــا، وقال : لم يتم اتخاذ أي قرار بشأن مهمة إعـــادة الانتشـــار الإضـــافي، ســيتوجب علينــا العمل على هذا الصعيـــد".

أعرب الفلسطينيون عن عـــدم رغبتـــهم فـــي البقـــاء فـــي زخـــرون يعقـــوب، واتفقنا على الانتقال إلى إيلات، وفـــي الطريـــق توقفنـــا فـــي البحـــر الميـــت، بيـــد أن المحادثات هناك لم تكن مجدية، وإبان تواجدنا هنـــاك علمنـــا بوقـــوع عمليـــة انتحاريـــة في حافلة رمات جان، مما أسفر عن مقتل ســـتة أشـــخاص.

ورغم أن أجهزتنا الأمنية تؤكـــد أن الســلطة الفلســطينية تحـــارب الإرهـــاب، بصورة جدية، بيد أنه لم يتم العثور علـــى أســلوب للقضـــاء علـــى الإرهـــاب بصـــورة قاطعة. وخلال اللقاءات التي جرت بيـــن الجـــهات الأمنيـــة مـــن الجـــانبين، تـــم اتخـــاذ قرار بتوطيد التعاون أولا ضد الإرهاب، وتصعيـــد العمـــل ضـــده.

وصلنا إلـــى إيـــلات فـــي الأول مـــن آب لإجـــراء المرحلـــة الأخـــيرة مـــن المحادثات، وكانت الحماية الخارجية قـــد أوكلـــت إلـــى شـــرطة إســـرائيل، أمـــا علـــى

الصعيد الداخلي فأوكلت مناصفة بين قوات الأمن الإسرائيلية وجهاز الأمن الفلسطيني، حيث قام كل طرف باحتلال أحد مدخلي فندق (باطيو) الذي كنا سنجري المفاوضات فيه.

وقد وجدنا حفنة من الصحفيين بانتظارنا في الخارج أما المتظاهرون فكما يبدو أن الحر الشديد في إيلات حال دون لحاقهم بنا من زخرون يعقوب.

الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي لم يكونا هذه المرة، على غرار وفدي أوسلو فقد عكس الوفدان- حوالي مائتي شخص- قطاعات واسعة وشرائح مختلفة من المجتمعين، وكان بالإمكان العثور في الوفدين، على جميع التطلعات السياسية المختلفة.

عقدت يوم الإثنين، إجتماعا لأعضاء الوفد الإسرائيلي لمناقشة الإستراتيجية، وتحليل القضايا التي سيتم طرحها للنقاش، وقد أعرب أعضاء طاقمنا، مرة أخرى، عن غضبهم تجاه الوفد الفلسطيني، وقالوا : "لقد غيروا رأيهم من جديد، ويقولون أنهم لا يملكون صلاحيات، وهم يتمسكون بمواقف متطرفة، ويحاولون كسب الوقت"، لقد كان الفلسطينيون لا يزالون في أعين الوفد "الأعداء" ولا شك أن أي مفاوضات تتسم بقدر من التوتر، بيد أن هذا التوتر برز بصورة أكبر الآن، نظرا لاضطرار أعضاء الوفد الإسرائيلي للتعامل مع الوفد الفلسطيني انطلاقا من مبدأ المساواة، لقد وجد بعض أعضاء وفدنا، صعوبة في ذلك، بعد سبع وعشرين سنة من الاحتلال، والكراهية الشديدة تجاه منظمة التحرير لقد إعتاد أبو علاء أن يقول لي خلال الليالي التي قضيناها في النقاش سوية، : إن أعضاء الوفد الفلسطيني تعاملوا بنفس المشاعر مع الوفد الإسرائيلي، وكانوا يقولون : "الإسرائيليون غير معنيين بالتوصل إلى إتفاق، وكل ما يرغبون فيه، هو مواصلة الاحتلال". وكان يؤكد لي، أن اتخاذ المواقف المتشددة، هو جزء من طبيعة المفاوضات، وليس من طبيعة المفاوضين.

إعتاد أعضاء الوفدين، خلال الأسـبوع الأول، أن يـأكلوا كـل علـى انفـراد، بعكس رؤساء الوفدين، ومسـئولي الجـهاز الأمنـي، الذيـن تعرفـوا علـى بعضـهم البعض في السـابق.

كانت اللجان المختلفة تستعين بمستشـارين قضـائيين، وقـد أشـرف زينجـر على لجاننا بكفاءة عالية جدا، وكانت اللجان المختلفـة تجتمـع فـي غـرف مخصصـة لها، حيث تجد على أحد الأبواب يافطة كتب عليـها مثـلا "الأراضـي"، وأخـرى كتـب عليها "الأمن"، وثالثة كتب عليها "اللجان الفرعية للخليـل"، ولا شـك أن كـل مـن كـان يسير في ممرات الفندق، كان يـرى أمـام ناظريـه المسـيرة السـلمية، موزعـة هنـا وهنـاك.

اعتاد طاقم التوجيه الاجتماع، خلال الليـل، فـي مجموعـات صغـيرة، وفـي ساعات الفجر، كنا نعقد أنا وأبو عـلاء اجتماعـا ثنائيـا، وكـانت أفكـار أبـو عـلاء مركزة في المرحلة الأولى، على إعادة الانتشـار الإضـافي بيـد أنني قلـت لـه، ذات مرة : حتى لو تفاوضنا ألـف سـنة، فـإن إسـرائيل لـن تكشـف خارطـة المرحلـة الأخيرة لإعادة الانتشار الإضـافي.

فرد أبو علاء : "هل تعتقد أننـا سـنؤيد الاتفـاق دون أن نعـرف مـا الـذي سيسفر عنه". هل تعتقد أننا سنقبل بترك جميع القـرارات المسـتقبلية بيـن "أيديكـم" إذا كان الأمر كذلك، وكانت الأمور رهنا بي أنا فلن يكـون هنـاك أي اتفـاق".

وهكذا توجهت إلى بيرس مجددا، وقلت له، إن عليـه أن يحـل المشـكلة مـع عرفات، فوافق على الإتصال به، وأن يعرب لـه عـن تذمـره مـن عـدم إحـراز أي تقدم في المفاوضات، وقال له : إن الأمريكييـن يشـاطرونه الـرأي فـي نفـاذ صـبره وصـبرهم.

إتصل بيرس بعرفـات خـلال تنـاول الوفديـن طعـام العشـاء بدعـوة مـن مارتن ايندك، ولارسون، اللذين كانا معنيين بترتيب لقـاء قمـة بيـن عرفـات وبـيرس في طابا، وقد استجاب عرفات لهذه الفكرة، رغـم معارضـة ونصـائح كبـار مسـئولي الوفد الفلسطيني، ووافق على اللقاء في العاشـر مـن آب.

ثارت ثائرة أبو علاء عندما علم بموافقة عرفات على اللقاء وقال لي :
"أنتم تعملون هنا مع وفد يمثل الشعب الفلسطيني، وإذا ما توصلتم معنا إلى اتفاق كمفاوضين متساويين فإن الاتفاقية ستصمد يجب أن ننقل إلى صانعي القرارات، فقط، الأسئلة والمشاكل التي لا ننجح معا في حلها، ويجب أن نفعل ذلك في النهاية".

تفهمت أسباب غضب أبو علاء، بيد أنني أدركت أيضا، أنه إذا لم تحل الآن قضية الانسحابات الإضافية، فسوف يكون من الصعب جدا إحراز أي تقدم في أي مجال آخر، ورغم الثقة السائدة بيني وبين أبو علاء، إلا أنه كان يشك في أن إسرائيل ترغب في دفع ثمن زهيد جدا، مقابل قبولها في المنطقة، مع استمرارها في إدارة حياة الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وإن كان بصورة أكثر اعتدالا وهكذا وقبل أن يصل عرفات إلى طابا، اقترح أبو علاء علي صفقة :
"أنتم تبقون في ٢٥% من الضفة الغربية، وهي مساحة المستوطنات والمناطق الأمنية المحددة وتسلموننا في الانسحاب الأخير ٧٥% فأنا أود أن آخذ بعين الاعتبار مصلحتكم الأمنية".؟ قلت له إننا لا نستطيع الموافقة على ذلك، لأننا لا نعرف ما الذي سيكون عليه الوضع الأمني في منتصف عام ١٩٩٧.

اجتمع بيرس وعرفات في طابا في العاشر من آب، بحضور عبد الرزاق اليحيى وياسر عبد ربه، وأبو علاء، وعوزي ديان وزينجر وأنا، قدم بيرس إلى الاجتماع بروحية عسكرية، فقد شعر أن أبو علاء بالغ، حينما طالب بأن تنسحب إسرائيل من غالبية الضفة الغربية، حتى منتصف عام ١٩٩٧، وشعر أن هذا المطلب سيصعب إمكانية تنفيذ الصفقة كلها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وجهة نظر الجماهير الإسرائيلية، لقد اعتقد أبو علاء أنه يجب عليه في هذه القضية المركزية، أن يتجاهل تقديرات مناورتنا بغية الدفاع عن مصالح شعبه في المستقبل.

بلورت أنا وزينجر قبل اجتماع القمة موقفنا بشأن الانسحاب الإضافي بحيث يتم الانسحاب مرة كل ستة أشهر، على مدى ثمانية عشر شهرا، ودون

تحديد مساحة كل انسحاب وقمنا خلال اجتماعات طابا بطرح هذا الموقف على عرفات الذي قبله أمام دهشة أعضاء الوفد الفلسطيني. وربما كان عرفات يفهم أكثر من أي شخص آخر ضرورة إستئناف الاتجاه نحو الحكم الذاتي الفلسطيني الكامل بسرعة، وبالتالي منطقة التسوية الدائمة، ولهذا السبب كان عرفات يعزو أهمية أقل للضمانات المتعلقة بالمستقبل، مما يعزوه لما يمكن إحرازه في الحاضر.

كان مصدر الاهتمام والقلق الوحيد لدى عرفات هو الرأي العام الفلسطيني، لذا قرر أن يخوض النزاع مع إسرائيل حول الخليل، بدلا من إثارته حول الانسحاب الإضافي.

طالب عرفات بأن نوافق على إقامة مركز شرطة فلسطيني في الخليل، وألمح إلى أنه إذا ما تنازل بيرس في هذا المطلب، فسوف يصبح بالإمكان معالجة جميع جوانب الاتفاق الأخرى بسرعة.

قرر بيرس الموافقة على الصفقة، وأن يتوجه إلى إسرائيل لمناقشة رابين ومسئولي جهاز الأمن الإسرائيلي حولها.

طلب رابين عقد اجتماع في مكتبه الساعة الحادية عشرة ليلا، فتوجهنا إلى هناك في طائرة عسكرية إسرائيلية، بيرس وديان، وزينجر وأنا وأورن شاحور، وحضر الاجتماع ضباط كبار من الجيش، وبعض مسئولي جهاز الأمن العام. والوزراء موشيه شاحل ويوسي سريد، وأهود براك، الذي عين قبل فترة وجيزة وزيرا للداخلية.

شرح بيرس التفاهم الذي تم التوصل إليه بشأن الانسحاب الإضافي، وأعرب رابين حال سماعه عن ارتياحه لذلك، ثم طلب من بيرس قصر النقاش على إمكانية إقامة الفلسطينيين مركزا للشرطة في الخليل نظرا لأنه كان يرغب في العودة إلى طابا، في نفس الليلة، ونقل رده إلى عرفات، وإنهاء الصفقة، ووصف بيرس كيف هاجم أعضاء الوفد الفلسطيني عرفات بسبب تنازله بشأن الانسحاب الإضافي، وقال لقد كان من المناسب التنازل لعرفات في قضية مهمة

بالنسبة للرأي العام الفلسطيني قضية إقامة مركز الشرطة الفلسطيني في الخليل مقابل مسألة أهم بكثير على الصعيد الإستراتيجي الانسحاب الإضافي.

عارض العسكريون إقامة مركز الشرطة في الخليل، وبرروا ذلك بأن وجود وجهتين أمنيتين في المنطقة سيحدث حالة فوضى، وأعربوا عن قلقهم من ردود فعل المستوطنين على وجود مركز شرطة فلسطيني في الخليل، ومن الجدير بالذكر، أن بيرس بدا مصرا على اتخاذ قرار إيجابي، في هذه القضية، مخالفا بذلك آراء العسكريين.

صرخ بيرس قائلا : "لقد ضجرت من خوفكم مما سيقوله المستوطنون، أية صلافة هذه، هل تريدون أن يبقى مائة وخمسون ألف مواطن فلسطيني في الخليل رهائن في أيدي أربعمائة يهودي؟؟ هناك حدود للمبالغة وهناك حدود للجبن، وأنا أقول لكم : إن بمقدورنا كسر عرفات، إذا كان هذا ما تريدونه، بيد أننا سنبقى، في هذه الحالة، مع حماس، والانتفاضة والإرهاب، نحن ملزمون باتخاذ قرار حول من الذي يحكم هذه الدولة؟ هل هي الحكومة أم حفنة من المستوطنين؟؟ وأن أقول لكم أنتم الجنرالات : يجب عليكم أن تدرسوا القضية برمتها من الزاوية الأمنية،وأن تكفوا عن مواصلة التهديد القائل : ما الذي ستكون عليه ردود فعل المستوطنين؟؟".

عندما أنهى بيرس حديثه ساد الصمت في المكتب، وكان وجهه شديد الاحمرار من الغضب، وتجاهل جميع التقديرات الخاصة بشعبيته، وكان واضحا تماما، وأن شخصا ما سيسرب نبأ قبل إنبلاج الفجر، "يفيد أن بيرس باع الخليل".

أدرك رابين أن النقاش سيتجه نحو قضايا سياسية، فطلب من جميع الحاضرين باستثناء الوزراء الخروج من الغرفة.

وقفنا في الخارج وسط توتر شديد، وبعد عشر دقائق خرج الوزراء، وخرج بيرس بسرعة، وقال : "نحن عائدون إلى طابا، لقد تم قبول اقتراحه بالإجماع".

وصلنا إلى طابا في حوالي الساعة الثانية ظهراً، وقد تحدث بيرس في البداية مع عرفات، حول القرار الوزاري فشكره عرفات، واقترح أن يتم الالتقاء صبيحة اليوم التالي، بيد أن الفلسطينيين أرجأوا المحادثات إلى ما بعد الظهر، وبدا لي بوضوح، أن أبو علاء يتهرب مني.

وعندما اجتمع عرفات ببيرس، قال له : عندما تم الإعلان في صوت إسرائيل أمس عن التوصل إلى إتفاق بشأن الخليل، قدم جماعة من وجهاء المدينة إلى طابا، وطلبوا الالتقاء به، وهددوه بمقاطعة الانتخابات، إذا لم ينسحب الإسرائيليون من الخليل مثل باقي المدن الفلسطينية وأن أهل الخليل هم جماعة خاصة، صعبة وعنيدة.

اقترح بيرس أن يقوم نفسه بشرح مزايا. الاتفاق لوجهاء الخليل، وعندما بدأ بيرس ذلك تجاهلوه تماماً، وتجاهلوا حديثه حول المصالح الأمنية الإسرائيلية، وحول ضرورة التعايش المستقر.

تلقينا في تلك الآونة تقارير تفيد بأن هناك توتراً حقيقياً في الخليل، وأنه لا يجب أن نعتبره مناورة من عرفات، بقصد خدمة المفاوضات، لذا قرر بيرس إرجاء اتخاذ قرار بشأن هذه المدينة، وقد اكتفى البيان الذي تم إصداره في نفس اليوم بالقول، إن الطرفين ناقشا القضية.

واتفقنا في أعقاب الاتصالات مع دنيس روس، على تشكيل لجنة ثلاثية، إسرائيلية فلسطينية أمريكية لمناقشة القضايا الاقتصادية والرأي العام والسياسات.. أما باقي الصفقة بما فيها التفاهم حول إعادة الانتشار الإضافي على مراحل، والتي ستنفذ على مدى ثمانية عشر شهراً، وتقسيم الصلاحيات في المنطقة (B). مثلما تم الاتفاق عليه في الرابع مع تموز، فقد تم الاتفاق عليها في وثيقة مكتوبة.. وقد اقترح بيرس التوقيع على هذه الوثيقة، في مراسيم رسمية، نظراً لأنه سيطرحها أمام الحكومة فوافق عرفات على ذلك، فعقب أبو علاء على ذلك متذمرا وقال : إن هذه الوثيقة ليست اتفاقا، بل هي جزء من إتفاق، فلماذا يجب التوقيع عليها؟ بيد أن عرفات أمره بالتوقيع، فقال أبو علاء : حسنا، لكن ليست أمام كاميرات

التصوير، وهكذا وللمرة الثالثة في أعقاب أوسلو والقاهرة، جلسنا أنا وأبو علاء للتوقيع على وثيقة بالأحرف الأولى.

وفي الثانية ليلاً عقد بيرس وعرفات مؤتمرا صحفيا تلياه فيه التفاهم الذي تطرق بصورة رئيسية إلى الانسحابات الثلاثة دون اتخاذ قرار حول مساحة الانسحاب.

قدم بيرس الاتفاق إلى الحكومة، وقمت أنا وزينجر بتوضيحه، وقد احتج أهود براك على وتيرة الانسحابات الإضافية، وقال : "إذا لم نحافظ على وسائل الضغط التي بحوزتنا إلى موعد متأخر، فكيف يمكننا التأكد من أننا لن نضطر للانسحاب إلى مناطق مقلصة نسبيا من الضفة الغربية، في منتصف عام ١٩٩٧، وقبل أن يتم اتخاذ القرارات المصيرية حول التسوية الدائمة.

أوضحت له، أنا وديان وزينجر : أنه عندما حصلنا على ثلاثة إنسحابات، فإننا حصلنا على وسيلة ضغط جديدة عدا عن أننا لم نحدد مساحة كل انسحاب.

وقد حاول رابين إقناع براك بالقول :" إننا نتحدث عن إنجاز حقيقي، فلا تر فيه تنازلا" قرر براك الامتناع عن التصويت، بيد أن الحكومة صادقت على الاتفاق.

أدركنا أننا حققنا الفوز في هذه الجولة من المفاوضات، نظرا لأن تفاهم طابا ترك المستقبل مفتوحا أمام اختبارات الواقع، وأمام ديناميكية التعاون في مجال تطبيق اتفاقية التسوية المرحلية، عدنا إلى إيلات، ونحن ندرك أن قدرا كبيرا من العمل الصعب لا زال أمامنا وكنا ندرك كذلك أن أعضاء الوفد غاضبون بسبب توجهنا المباشر إلى عرفات.

عملت طيلة المفاوضات على إطلاع روس بصورة دائمة على ما يجري، الذي عمل على تشجيع الوفدين، وأعرب عن تقديره العميق نظرا لأننا نحل مشاكلنا بأنفسنا، دون تدخل الولايات المتحدة.

شعرت، في منتصف آب، أن هناك ضرورة لإشراك الأمريكيين في المفاوضات، وكنا آنذاك أنا وأبو علاء نجري اتصالات دائمة مع دنيس روس، بل كنا أحيانا نتحدث معه واحدا وراء الآخر من نفس الهاتف المتحرك.

واصل الأمريكيون، في تلك الآونة، حث الدول المانحة على الوفاء بالتزاماتها بالتنسيق مع النرويج والاتحاد الأوروبي، وحرص ممثلو الحكومة الأمريكية على تجنيد تأييد الكونغرس فيما كان الليكود في تلك الآونة يدير معركة شديدة في أوساط الكونغرس، ضد المساعدات المقدمة إلى السلطة الفلسطينية، وذلك عبر ممارسة ضغوط على الحزب الجمهوري واللوبي اليهودي.

وخيل إلينا أن سفارتنا في واشنطن لا تعمل بالشكل المطلوب لمواجهة حملة الليكود، مما حدا برابين إرسال رسالة يحثها فيها على بذل قصارى جهودها بهذا الصدد، ويقول : إن تقديم المساعدات للسلطة الفلسطينية هو جزء لا يتجزأ من محاربة الإرهاب.

<u>نقل الصلاحيات المدنية وحل الإدارة المدنية :</u>

إنشغلت وسائل الإعلام التي غطت المحادثات بصورة أساسية بالأمن الإسرائيلي، وبالرموز الخارجية للحكم الذاتي الفلسطيني، بيد أن نواة التسوية المرحلية، تمثلت في نقل الصلاحيات المدنية، وقد ألقيت هذه المهمة على عاتق اللواء أورن شاحور والذي تم تعيينه في شباط، منسقا لأعمال الحكومة في المناطق المحتلة، وذلك على عكس توصيات أعضاء وفد المفاوضات، الذي خشي من افتقار شاحور إلى التجربة، في كل ما يتعلق بالمناطق وسرعان ما اتضح، أن هذا الافتقار إلى التجربة هو أهم مزايا شاحور، فقد سهل عليه ذلك إجراء محادثات مثمرة، حول حل الإدارة المدنية في المناطق وخلق واقع جديد، أضف إلى ذلك أنه لم يكن لدى شاحور أي ميل للبيروقراطية التي سيطرت على حياة الفلسطينيين، وكان متحررا من تقاليد السيطرة التي ميزت غالبية الأشخاص الذين ترعرعوا في الحكم الذاتي، كما أنه كان يتحدث بحدة مع الفلسطينيين

والإسرائيليين على حد سواء ورغم أنه ضم إلى هيئة الأركان ، إلا أنه لم يكن متساوقا مع ضباطها.

إن نظير شاحور في هذه المفاوضات جميل الطريفي، وهو رجل أعمال من البيرة، ثري، وهو أيضا شخصية متميزة في طبيعتها وغريب عن الزعامة الفلسطينية، بيد أنه كان يحظى بثقة عرفات، نظرا للنشاطات والعلاقات الاقتصادية المتشعبة التي طورها. وفي البداية، شكل شاحور والطريفي منتدى خاصا بهما، بيد أنهما سرعان ما اندمجا في أعضاء طاقم المفاوضات.

طلبت من رابين أن يشجع شاحور على التقدم في مجال نقل الصلاحيات، لأنني اعتقدت أن غالبية العمل في إيلات، سيكرس لهذا الغرض وضمنت أن رجال شاحور سيساومون بمنتهى الشدة، على كل ذرة صلاحيات ترغب إسرائيل في الاحتفاظ بها وقد كنت محقا فيما يتعلق بحرص شاحور، بيد أنه تقدم بسرعة كبيرة ومنذ اللحظة التي بدأت فيها مفاوضات إيلات، أكثرت أنا وهو من الالتقاء مع رؤساء مجموعات العمل، لسماع تقاريرهم والإهابة بهم للتركيز فقط، على الشئون ذات الأهمية لإسرائيل، على المدى البعيد، والتحرر من مسألة السيطرة على حياة الفلسطينيين.

فتحت الحوارات حول الصلاحيات التي استخدمتها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧، أمامي عالما جديدا لقد طور العديد من الإسرائيليين بمرور السنين مفهوم أن الاحتلال الإسرائيلي حضاري ومتنور بيد أنني عرفت خلال الحوارات التي دارت أن هذين المصطلحين هما الشيء ونقيضه، ولم أكن أعرف إلى أي حد تعمقنا في حياة الفلسطينيين، لقد عملنا على تمييع هذه الحقيقة، لأننا ربما كنا أول محتلين في التاريخ، يشعرون أن الاحتلال واقع عليهم هم، إن تفكيرنا في ذاتنا كمجتمع إنساني وكضحية أبدية للتاريخ، إضافة إلى النفور الشديد من العرب، أعمى أبصارنا عن رؤية ما يحدث في الضفة الغربية.

لقد علمت خلال محادثات إيلات أن الفلسطينيين في الضفة الغربية لا يستطيعون العمل أو البناء، أو الدراسة، أو شراء أرض، أو العمل في الزراعة أو

فتح محل عمل، أو الخروج في نزهة ليلية، أو الدخول لإسرائيل، أو السفر إلى الخارج، أو زيارة عائلته في الأردن أو في غزة دون تصريح منا، لقد كان جهاز الإدارة هائلا حقا.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض هذه القيود كان له ما يبرره حقا، بيد أن القسم الأعظم منها، كان نتاجا لنمط بيروقراطي فظيع يتنامى شيئا فشيئا، ويتغذى من ميزانية لا تنتهي.

وخلال سني الاحتلال السبع والعشرين، قضى واحد من ثلاثة فلسطينيين وقتا من حياته في السجن أو التوقيف، كما أن الجماهير الفلسطينية كلها عانت من إهانات وإذلال، بل ربما كان بعض جروح هذه المرحلة، لنا قابلا للشفاء إلى الأبد.

والآن أصبح على المحتلين أن ينقلوا صلاحياتهم إلى (عبيدهم) وهو الأمر الذي تسبب لهم في أزمة حسية وعملية.

لقد تمكنا في إيلات من تفكيك الاحتلال مسمار إثر الآخر، بيد أنه كان من بين رجالنا، من صعب عليه جدا أن يتغير.

لقد وجد بعض أعضاء الإدارة المدنية أن الجلوس مع (مواطنيهم) السابقين في إيلات أكثر بكثير مما يستطيعون تحمله.

أرسلت لشمعون بيرس رسالة شخصية، خلال فترة المفاوضات، لوصف المناظر الكامنة، خلف طاولات المفاوضات، في معرض تطرقي إلى الشئون المدنية، قلت له فيها:" يخيل الي أن طواقم المفاوضات المدنية مركبة من أناس يسكنون في المستوطنات، ومن محامين، وأن الكثيرين منهم لا يرغبون في حل الإدارة المدنية.

سمعت من الفلسطينيين أن أحد أكثر المتسلطين الذين يتحكمون في حياتهم، هو ضابط في الإدارة المدنية، يدعى موسكوفيتش، فإذا صادق موسكوفيتش سيصبح بالإمكان البناء، وإذا لم يوافق فلن يصبح بالإمكان البناء، وقد يضطرون للانتظار سنوات طويلة حتى يوافق، لقد أصبح موسكوفيتش

مؤسسة كاملة، وعندما قابلت موسكوفيتش في نهاية المطاف، وجدته شخصا ضعيف الجسم متدينا ولطيف، ولم يثر في نفسي أي انطباع بأنه طاغية، وقد قال أحد المسئولين عنه : موسكوفيتش شخص جيد، وهذا هو انطباعي أنا أيضا وهذه هي المشكلة، شخص طيب في وضع مستحيل لأنه وفي ظل ظروف كالتي يعيشها، لا مكان لعمل النوايا الحسنة، والاستقامة.

تدخلت كثيرا في مراحل معينة من المفاوضات، أولا كي أثبت وجودي، وثانيا كي أتعرف على الأوضاع عن كثب، كي يصبح بمقدوري تقديم توصياتي لرابين وبيرس، حول ما يمكن وما لا يمكن التساهل حياله، وقد اتفقت مع شاحور حول عدم إمكانية التساهل بشأن المصالح ذات العلاقة بالأمن أو التسوية الدائمة. مثلا، في كل ما يتعلق بشئون المياه، والكهرباء، بيد أنه لم يكن لدي أي شك في ضرورة تصفية سيطرتنا على الصلاحيات الكثيرة المطلوبة لنا فقط بحكم العادة.

وفي مفاوضاتنا مع جميل الطريفي، والتي مثلنا فيها بداية، اللواء روتشيلد، ثم شاحور، تم الاتفاق على نقل إحدى عشرة صلاحية إلى الفلسطينيين وطرح تسع وعشرين صلاحية أخرى على طاولة المفاوضات في إيلات للنقاش.

وفي إحدى ليالي المفاوضات الأولى حول نقل الصلاحيات، قررت الانضمام إلى المفاوضين للتفاوض حول المحميات الموجودة في المنطقتين (A) و (B) والتي تقوم إسرائيل بتطويرها منذ عام ١٩٦٧، ووجدت نفسي في خضم جدل عاصف جدا، وصراخ، وقد سارع نظرائي لإيضاح سبب الصراخ، طالب الإسرائيليون أن يحافظ الفلسطينيون على المحميات مثلما هي الآن، في حين رفض الفلسطينيون منح أي التزام حول المحميات باعتبارها، أصبحت منذ الآن من صلاحياتهم هم ووجدت عددا من شعبة المحميات الطبيعية الإسرائيلية مذهولين تماما، من توجهات الفلسطينيين.

تسلمت مكان رئيس اللجنة وبدأت التفاوض مع الفلسطينيين حول القضية:

أنا : هل تودون تدمير المحمية الطبيعية؟؟

رئيس الوفد الفلسطيني : هذا ليس مـــن شـــأنكم عليكـــم أن تسـلمونا المنطقـــة، ونحـــن سنفعل بها ما يحلو لنا، لا نفكر للحظة أن الطبيعـــة ليســت مهمـــة بالنســبة لنـــا، لكننـــا لن نخضع لكم في هذا الصــــدد.

وفجأة قدم أبو علاء، الذي تم استدعاؤه كي يكـــون ثقـــلا موازيـــا لـــي، وبعـــد أن سمع تقريرا قصيرا بالعربية من رئيس الوفد الفلســـطيني، إلتفـــت إلـــي فقلـــت لـــه : أبو علاء، من حقكم عمل ما يحلو لكم في المحميات، بيد أننـــا معنيـــون بـــأن تحـــافظوا عليها. ولربما أنكم تعتقدون أنه ما كان علينـــا ومنـــذ البدايـــة أن نطورهـــا، بيـــد أننـــي أختلف معك في ذلك، وأقول : إننا سنعيد لكم شيئا قيمـــا ومثلمـــا يحظـــر عليكـــم تدمـــير المواقع الأثرية يحظر عليكم أيضا تدمير الطبيعـــة أو المســـاس بالحيوانـــات النـــادرة".

أبو علاء : لا شك أنكم تجيدون التعامل مـــع الحيوانـــات، وحقيقـــة، فإننـــا كفلســـطينيين معنيون بالحفاظ على البيئة، بيد أننا سنفعل ذلـــك بأســـلوبنا، أضـــف إلـــى ذلـــك، فـــإنني أكره الأرانب، وسأحرص على أن يتم القضـــاء عليـــها حتـــى آخـــر أرنـــب فيـــها" بـــدا وجهه وهو يتحدث، جديا للغايـــــة.

لم يدرك مسئول المحميات الطبيعية الذي وقـــف إلـــى جـــانبي أن أبـــو عـــلاء يمزح، فقال بغضب : "إذا كان الأمر على هذا النحو فلـــن تـــأخذوا المحميـــات."

ضحك أبو علاء، وقال : يا صديقـــي لا داعـــي لأن تخـــاف علـــى الأرانـــب، ولا حتى على الأرانب الفلسطينية ثم اقـــترح أن تتـــم حمايـــة المحميـــات بســـن قـــانون فلســطيني.

قلت : أنا مسرور لأن مثل هذا القـــانون موجـــود علـــى رأس ســـلم أولويـــاتك بيد أنني أعرف أنه لا وجود لمثل هـــذا القـــانون.

أبو علاء : لن تحددوا لنا أي معايير، هذه مســـألة مبدئيـــة.

أنا : "جميل دعنا نوزع بيانا على الصحفيين نقول فيـــه أنكـــم ترفضـــون الدفـــاع عـــن المحميات الطبيعيـــة، ولا شـــك أن مثـــل هـــذا البيـــان، ســـيمس بكـــم علـــى الصعيـــد الإعلامي في الخـــارج.

وما كدت أنهي كلمتي، حتى سمعت أصوات التأييد عن اليمين وعن اليسار إذا ما خضعنا لهم في هذه القضية سيفعلون كل ما يحلو لهم في مناخ أخرى.

شعرت أنه آن الأوان للتوصل إلى تسوية فقلت : لماذا لا نتفق على أن تحافظوا على المحميات الطبيعية وفقا للمواثيق الدولية.

أبو علاء : "هل هناك مواثيق من هذا القبيل؟ "

التفت نحو خبراتنا، بيد أن أيا منهم لم يتذكر أي مواثيق من هذا القبيل.

وفجأة قالت إحدى المحاميات المرافقة لأبو علاء، لماذا لا نكتب : "أننا سنحتفظ بالمحميات الطبيعية وفقا لمعايير علمية مدروسة"؟؟ وافقت، وأضفت أن من المهم التعاون في المجالات التي لا تعرف حدودا سياسية، وقد وافق أبو علاء على ذلك، وقال : يجب أن ينطبق هذا على محمياتنا ومحمياتكم فأعربت عن موافقتي. لقد دارت نقاشات مماثلة في جميع القضايا الأخرى ذات العلاقة بنقل الصلاحيات إلى الفلسطينيين بغية الدفاع عن مصالحنا بعيدة المدى، وقد ارتبطت المشاكل العويصة بالبنية التحتية.

وخلال المفاوضات حول الوضع الصحي، طلبنا من السلطة الفلسطينية أن تلتزم بإجراء سلسلة من المطاعيم، وتتحمل تكاليف المعالجات الطارئة للفلسطينيين في المستشفيات الإسرائيلية، وبعد جدل طويل، توصلنا إلى تسوية تنص على أن يدفع الفلسطينيون مقابلا كالذي يدفعه الإسرائيليون خلال تلقي العلاج في مستشفياتنا، أما المطاعيم فتعطى طبقا لتوصيات منظمة الصحة العالمية.

وافق رابين على تسليم الفلسطينيين أراضي دولة في المنطقتين (A) و (B) شريطة أن لا يتم المساس بحقوق اليهود أصحاب الأراضي في مناطق السلطة، بيد أن الفلسطينيين عارضوا ذلك بشدة، وقالوا أنهم يعتزمون تقديم استئناف إلى المحاكم بشأن مصادرات أراضيهم بصورة غير قانونية، وقد رد

مفاوضونا بالقول : انهم لا يستطيعون الوثوق بالمحـــاكم الفلســطينية، وأنــهم يفضلــون على أية حال، أن تترك هذه القضية حتى التســـوية النهائيــة.

حاولت التحدث مع أبو علاء على انفــراد بــهذا الخصــوص، بيــد أنــه كــان متصلبا جدا وذكرني بالأرض التي سلبتها إسرائيل مــن والــده، وكيــف تعــاملت معــه المحكمة باحتقار، عندما حاول تقديم الأوراق التي تثبــت ملكيتــه لــلأرض.

لقد ثارت عاصفة شديدة عندما قـــال الفلســطينيون أنــه إذا مــا ادعينــا أننــا نملك أرضا في الضفة الغربيـــة فســوف يــردون لنــا الصــاع صــاعين، وســيقدمون مطالبات لملكيتهم أراضي داخل إســـرائيل الســيادية، وقــد اتســمت النقاشــات بــالحدة الشديدة والصراخ، وفي نهاية المطاف توصلنا إلـــى حــل ينــص علــى تشــكيل لجنــة قضائية مشتركة بالمساواة مـــن ممثلـــي الطرفيـــن كــي تتخــذ قــرارات فــي قضايــا الاستئناف الخاصة بمصادرة الأراضي أو نقلها أو بيعــها، لقــد أدى هــذا الاتفــاق إلــى الحيلولة دون فتح مشاكل لا حصر لـــــها.

جاءت النقاشات حول صلاحيات التخطيط والبناء مـــبررا كافيــا جــدا لتبــادل الاتهامات الشديدة جدا فقد وضعنا قيودا على حق البنـــاء والتخطيــط فــي اتفاقيــة غــزة – أريحا في أماكن السكن القائمة بالتــأكيد علـــى أن أي عمليــة توســيع للبنــاء تحتــاج إلى موافقة لجنة مشتركة، ولا شك أننا نــدرك أن مــن الصعــب تطبيــق هــذا البنــد، أما في محادثات إيلات، فقد حاولنـــا أن نكــون أكــثر واقعيــة وحددنــا معــايير أكــثر تحديدا في مجال لبناء، وبشكل خاص فيما يتعلق بالقضايــا الأمنيــة مثــل حظــر البنــاء بالقرب من القواعد العسكرية– وأضفنا بندا يقــول : أنــه لا يجــب أن يمــس التخطيــط أو البناء بالمستوطنات أو ببناها التحتيـــة. كــانت هــذه خطــوة إيجابيــة تعكــس فــهم شاحور، وموافقة رابين وبيرس على ضرورة عـــدم مواصلتنــا قمــع عمليــة التطويــر الإقتصادي الفلسطيني من خلال القيود التي نفرضـــها علـــى البنـــاء.

وفي معـــرض تطـــرق الفلســـطينيين إلـــى الصلاحيـــات الخاصـــة للأراضـــي الواقعة في المنطقة (C) –الخاضعة لإســـرائيل خضوعـــا تامـــا طـــالبوا بالحفـــاظ علـــى الوضع الراهن فـــي جميـــع المنـــاحي، والنشـــاطات غـــير الأمنيـــة، فقـــد تـــم تجميـــد

الاستيطان، بقرار من حكومتكم أضف إلى ذلـــك أن غالبيـــة المنطقـــة (C) مؤلفـــة مـــن مناطق أمنية، فلماذا تواصلون تطويــــر مصـــانع وغابـــات وغـــير ذلـــك؟ وقـــد اعتقـــد رابين أن هذه الأقوال منطقية، لذا تم الاتفـــاق علـــى أن تمســـك إســـرائيل بالصلاحيـــات ذات العلاقة بالمناطق الصناعية والغابات المحميات الطبيعيـــة فـــي المنطقـــة (C) بيـــد أن عملية تطويرهـــا يجـــب أن تتـــم بالتنســـيق مـــع الســـلطة الفلســـطينية، أمـــا بـــاقي الأراضي في المنطقة (C) وحق البناء فيـــها فقـــد بقيـــت تحـــت الســـيطرة الإســـرائيلية وكان من المفروض أن يبقى في هذه المنطقـــة أربعـــون ألـــف فلســـطيني وقـــد نقلـــت الصلاحيات الخاصة بالتعليم والصحة ومـــا شـــابه ذلـــك إليـــهم لـــذا تـــم التـــأكيد فـــي الاتفاقية على أن السلطة الفلســـطينية ســـتكون مســـئولة عـــن جميـــع الفلســـطينيين فـــي الضفة الغربية وغـــزة.

تواصل النضال والنزاع حول ما يجب أن يتـــم نقلـــه إلـــى الفلســـطينيين مـــن الصلاحيات ليلا ونهارا كانت النقاشـــات تبـــدو فـــي صـــورة تعـــارض بيـــن وجـــهتي نظر، فالفلسطينيون يقولون إن ما هـــو مـــن حقـــهم يجـــب أن يكـــون مـــن حقـــهم، ولا يجب أن نقاسمهم فيه، باستثناء التعاون القـــائم علـــى التبادليـــة، فـــي حيـــن أن وجهـــة النظر الإسرائيلية كانت تقول : إن مـــن حقنـــا اتخـــاذ القـــرار حـــول أي الصلاحيـــات سنتنازل عنها- وفي الحقيقة عن أية أجزاء مـــن الصلاحيـــات- وشـــريطة أن لا يمـــس هذا التنازل بالمصالح الإسرائيلية بعيدة المدى، لقـــد تـــم العثـــور دائمـــا علـــى الحلـــول عبر التسويات، بيد أن الواقع كان أقـــوى مـــن النظريـــة، وتقســـيم الصلاحيـــات جـــرى بصورة عامة، وفقا لمصلحة الطرف الذي كان يســـيطر علـــى المنطقـــة.

كانت هناك قضيتان نـــدرك أنـــه لا منـــاص مـــن التعـــاون فـــي مجاليـــهما، وهما:

شبكة الكهرباء : رغم أن الاتفاق حولها هو الاتفـــاق الوحيـــد الـــذي تـــم إرجـــاؤه فـــي نهاية المطاف، لأننا أصرينا على وضع جميع خطوط الضغـــط العـــالي تحـــت ســـيطرة إسرائيل بغية الدفاع عن مصالحنا في المســـتوطنات ومعســـكرات الجيـــش وفـــي نفـــس الوقت كنا على استعداد للتعاون في خطـــوط الضغـــط المنخفـــض.

المياه : والذي نشب حولها نزاع شديد جـداء وشـارك فـي مفاوضاتنـا حولـها (نـوح كنرتي) صديق رابين ومستشاره لشـئون الاسـتيطان، ونبيـل الشـريف وهـو خبـير فلسطيني في شؤون المياه ، كان كـنرتي مفاوضـا متشـددا جـدا وقـد بـدا متشـككا تجاهي وتجاه بيرس ولم يتشاور الا مع رابين في البدايـة وعندمـا بـدأت المفاوضـات أهان الوفد الفلسطيني كله عندمـا قـال : إن المواطـن الفلسـطيني المتوسـط، يحتـاج إلى ربع كمية المياه التي يحتاجها الإسـرائيلي المتوسـط- ممـا يعنـي أن الإسـرائيلي أنظف من الفلسطيني، وقد حاول أبو علاء الا يمس كـنرتي بأقوالـه، وكـان فـي كـل جلسة يسأله، فيما إذا كان يسمح له بشرب المـاء؟؟ وكـان كـنرتي يـرد عليـه قـائلا: فقط بضع قطـرات.

وعندما اقترحت على كنرتي أن يختار أسلوبا أقـل حـدة خـلال المفاوضـات رد علي قائلا : دعني أفعل ذلك بأسلوبي وفـي نهايـة المطـاف سـنصل إلـى تفـاهم، فبدون اتفاقية حول المياه لن يكون هناك أي اتفاقيـة تسـوية مرحليـة.

وردا على هذا الأسلوب المتشدد قرر أبو عـلاء أن يعاملـه بـالمثل، وطـالب بأن تعترف إسـرائيل بـالحقوق المائيـة الفلسـطينية، ويتضـح مـن هـذا المصطلـح القضائي أن من حق الفلسطينيين الحصول على قسم هائل مـن الميـاة الجوفيـة وميـاه نهر الأردن، بيد أن كنرتي كان يتحـدث عـن الكميـة التـي خصصـت للفلسـطينيين على الصعيد العملي وإمكانية البحث عن مصادر ميـاه جديـدة، وإبـرام اتفاقيـة تحـول دون حفر آبار مياه جديدة بصورة غـير منظمـة.

وقد طرح بيرس هـذه القضيـة خـلال لقائـه بـالرئيس المصـري حسـني مبارك وعرفات في الإسكندرية حينما قـال : "عندمـا وصلـت الأمـور إلـى مناقشـة قضية المياه، اختار مفاوضوك سيدي الرئيـس، أن يعـودوا إلـى التـاريخ القديـم وأن يتحدثوا عن الحقوق المائيـة.

فرد عليه عرفات قائلا : "النبي موسى أهم مـن النبـي ابراهيـم، فموسـى لـم يشرب الماء من نهر النيل فقط، بل نجـا بفضلـه.

فقال بيرس:" ما دمت تتحدث عن موسى فلربما انك تستطيع أن تخرج الماء بضربة من نبوت في الصخر، أرجو أن لا تتردد في عمل ذلك."

انفجر الرئيس مبارك بالضحك، وقال:" فقط شمعون يستطيع أن يستخرج الماء من الصخر.

بيرس:" سنكون واقعين ولن نسلبكم أي قطرة ماء، وأنا أقترح أن تبقى المياه التي تملكونها حاليا ضمن صلاحياتكم وسنعمل نحن على مساعدتكم في العثور على مصادر مياه جديدة، هناك خطر تلوث المياه الجوفية من المجاري وخصوصا في قطاع غزة. واصل بيرس حديثه، واقترح أن تتم تحلية مياه البحر في غزة بمساعدة الدول المانحة وبمقدورنا تشكيل لجنة مشتركة لشئون تطهير المياه ونحاول زيادة كمية المياه في المخازن الجوفية الشرقية لنهر الأردن ونحن لن نخاطر بأي حال من الأحوال بالمياه الموجودة تحت أيدينا".

انضم إلى (كنرتي) في المرحلة الأخيرة من الحوار حول المياه، وزير الزراعة يعقوب تسور، واورن شاحور وقد تمكن أبو علاء من إقامة اتصال جيد معهما، في حين بدا كنرتي يقيم علاقات عمل جيدة مع نبيل الشريف لقد أدى سجننا في فندق (باطيو) إلى خلق شبكة علاقات مفاجئة جدا.

تم التوصل إلى حل مشكلة المياه بالتباحث بين بيرس وعرفات على جميع تفاصيل القضية : الكمية، والعثور على مصادر مياه جديدة، وتشكيل لجنة مياه مشتركة واعترفنا بأن قضية الحقوق الفلسطينية في المياه هي إحدى القضايا التي تطرح للنقاش خلال التسوية النهائية.

لقد خلصت من محادثات المياه إلى أن الآراء في هذه القضايا تتراوح بين الكيمائيين الذين يتنبؤون بمستقبل خطير لإسرائيل و بين العلماء الذين يؤمنون بأن التكنولوجيا ستجلب لنا حلولا وأن الحل يجب أن يكون إقليميا وعليه فان السلام هو أفضل مصادر المياه.

تغيير صفة الاحتلال.... ومراحل طابا

أدركنا إلحاحية قضيتين.. تحرير الإسرائيليين من فكرة المحتل والعمل بندية مع الفلسطينيين

بيرس تصرف كدب هائج لدفع المفاوضات.. كال المديح لعرفات وأهان مساعديه

نص إعلان المبادئ على حل الإدارة المدنية الإسرائيلية، ونقل الصلاحيات إلى أيدي الفلسطينيين، وقد أشار رابين إلى أن تقديم الخدمات للفلسطينيين في أعقاب التسوية المرحلية، يتطلب تحويل الإدارة المدنية إلى مركز ارتباط وتنسيق، يشرف على التعاون المذكور في الاتفاقية، بيد أنني خشيت من أن نجد في الارتباط والتنسيق إدارة مدنية جديدة، وإن كل ما في الأمر هو أننا غيرنا العنوان الذي تعمل تحته.

لذا فضلت أن يتم استيعاب غالبية العاملين وعمليات الإدارة المدنية القديمة في الوزارات الحكومية المختلفة، على أن يتعاونوا مع مؤسسات السلطة الفلسطينية، في حين تلعب وزارة الخارجية الإسرائيلية، دورا بارزاً في أعمال التنسيق مع الفلسطينيين، وقد أصبحت هذه الأفكار جزءا من الملحق الخاص للاتفاق الذي خصص للتعاون.

وخشيت أيضا من أن يؤدي تحويل مركز الإرتباط والتنسيق إلى الجهاز الأساسي للعلاقات مع السلطة إلى عدم الحصول على التعايش المطلوب لخلق نوع من العلاقات الثنائية التي لا يقوم أي سلام مستقر دونها.

إن الانتقال من مرحلة الاعتماد والاتكال الفلسطيني الكامل علينا، إلى مرحلة الاعتماد المتبادل، كان صعبا للغاية على المؤسسة الإسرائيلية، فقد أدركت أن تحرير إسرائيل من نير الإحتلال شيء، وتحرير الإسرائيليين من كماشة تفكير المحتل هو شيء مختلف تماما، ولم يكن الأمر يقتصر على الإسرائيليين فقط، بل كان من الصعب أيضا على الفلسطينيين أن يبدأوا التعاون معنا وفقا للأسس الجديدة بعد كل هذه السنوات الطويلة من الاحتلال.

كتبت لبيرس بـــهذا الصـــدد قـــائلا : "التســوية المرحليــة لــن تنجــح إلا إذا غيرنا توجهنا تجاه الفلسطينيين في جميع منـــاحي العمــل، بمـــا فيـــها الجيــش والإدارة المدنية والوزارات الحكومية". وقلت لـــه : كيــف تحولــت ســكرتيرتي (ســتيلا) إلــى ملجأ دائم لهم، يتوجهون إليها كلما أعاقهم الجيش علــى الحواجــز لعــدة ســاعات وهــم في طريقهم إلى المفاوضات، ورويت لـــه كيــف اتصــل بــها أبــو عــلاء الغــاضب، وروى لها أن الضابط المنـــاوب علــى حــاجز ايــرز، لا يســمح لــه بــالدخول إلــى إسرائيل في طريقه إلى المفاوضات، رغم أنه أطلعـــه علــى هويــة "شــخصية مهمــة" التي يحملها، نظرا لأن سائقه غير مزود بـــالأوراق اللازمــة.

وقد حاولت أنا وستيلا تسوية الأمر مـــع الضــابط المنــاوب، إلا أنــه أصــر على موقفه قائلا : "لا يهمني سواء كان هــذا الشــخص المــاثل أمــامي أبــو عــلاء أو غيره، هذه هي الأوامـــر".

اختطف أبو علاء سماعة الـــهاتف مــن يــد الضــابط، وقــال لــي غاضبــا : "عشرات الفلسطينيين يعبرون مـــن هنــا ويروننــا فــي هــذا الوضــع، أنتــم معنيــون بإهانتنا أمامهم، سوف أصاب في أحد الأيام بســكتة قلبيــة بســببكم".

لم أنجح في تهدئته، وفي نفس الوقت، تمكنــت ســتيلا مــن الاتصــال بمكتــب رئيس الأركان وبعد حوالي ساعة، تمكن أبـــو عــلاء مــن العبــور، بيــد أننــي كنــت محرجا جدا منه، وأكثر إحراجا بســبب تصرفنــا.

لا شك أن بالإمكـــان دائمـــا تــبرير المســلكيات المخزيــة ضــد الفلســطينيين بالخوف مـــن الإرهــاب ، ولا شــك أن لــهذا الخــوف مــا يــبرره، بيــد أن بعــض المسلكيات آنفة الذكر ينبـــع مـــن التداعـــي العميــق لأنمــاط الســلوك الإنســاني، لقــد أدركت قلة قليلة فقط ، أنه إذا لم تتعامل مع الفلسطينيين بتقديـــر ، ومثلمـــا نتعــامل مــع أنداد لنا في جميع مناحي العلاقات، فإن الأمور ســتنقلب علينــا فــي جميــع المجــالات التي سيكون التعامل فيها بيننا وبينهم يســير وفــق أســس متبادلــة، وبصــورة خاصــة في مجال الأمن، والذي سيتوسع رويدا رويــدا بمــرور الســنين.

وذات ليلة، ذهبت للسباحة في بركة الفندق، وهناك وجدت جبريل الرجوب ومحمد دحلان، وسفيان أبو زايدة وهشام عبد الرازق اللذين كانا يترأسان نادي الأسير السابق- مجموعة من الفلسطينيين الذين اجتازوا السجون الإسرائيلية-. وقد سبحنا بعض الوقت، ثم جلسنا نحن الخمسة على حافة البركة، كان الأربعة يتحدثون العبرية بصورة جيدة جدا، وبلهجة اليهود، من أبناء البلاد. وبعد حساب سريع، اتضح أن هؤلاء الأربعة - وهم جميعا في العقد الرابع، قضوا ستين سنة في سجوننا، وقد تحدثوا المرة تلو الأخرى عن زملائهم الذين نفذوا عمليات ضد إسرائيل بأوامر أولئك الذين نتفاوض معهم الآن، بمن فيهم ياسر عرفات، وقد حذروني من أنه طالما لم تعمد إسرائيل إلى إطلاق سراح المعتقلين بصورة جماعية- حتى ولو كان ذلك تدريجيا، فإنهم هم أنفسهم، لا يستطيعون تأييد الاتفاقية، ووعدوا بأن يعملوا على تجنيد معتقلي حركة فتح، إلى نادي الأسير السابق، ودفعهم باتجاه العمل من أجل السلام.

قلت لهم : إن مسألة إطلاق سراح المعتقلين تحتاج إلى قرار من الكادر السياسي. نظرا للمغزى الخاص لهذه القضية. وقد واصلنا حديثنا حتى ساعات الفجر.

وبعد وقت قصير، تحدثت مع ذوي ضحايا إرهاب كانوا قد قدموا إلى ايلات، وقد تحدثوا بمرارة شديدة، وطلبوا منا ألا نطلق سراح المعتقلين الذين قتلوا أبناءهم. وطلبوا أيضا، أن نشترط تنفيذ الاتفاقية، بقيام السلطة الفلسطينية بتسليم الفلسطينيين الذين قتلوا إسرائيليين، وقد هب وزير العدل (ديفيد ليبائي) لمد يد المساعدة لهم وتوجه إلى إيلات للتحدث مع أبو علاء في قضية تسليم الفلسطينيين إلى إسرائيل، وقد جاء رد أبو علاء قاطعا : "هذه المسألة غير واردة في الحسبان أبدا، وأنتم أيضا، لن توافقوا على تسليم القتلة الإسرائيليين لنا، وإذا وافقتم على التبادلية في هذا الصدد سنقبله، وأنا على استعداد للتعهد بأن نعمل من أجل إلقاء القبض على القتلة وتقديمهم للمحاكمات".

وفي نهاية المطاف، تم الأخذ برأي رابين الواقعي في الاتفاق، والذي ينص على أنه يتوجب على السلطة الفلسطينية أن تلقي القبض على القتلة، وتقدمهم للمحاكمة وإذا لم تفعل ذلك، يجب عليها تسليمهم إلى إسرائيل.

لم يستطع الفلسطينيون التأقلم بسهولة مع عادة إضفاء الشرعية على أعمال القتل التي تجري ضد إسرائيليين، فيما يسمونه الكفاح المسلح، ضد الاحتلال. لقد بدا واضحا، أن الإرهاب هو أخطر العوامل التي تهدد المسيرة السلمية، وكان الإرهابيون يدركون ذلك.

اتصلت بي سكرتيرتي ستيلا في الحادي والعشرين من آب، وفي أوج المفاوضات في ايلات، وقالت لي : "وقعت عملية في القدس، شاهد التلفزيون الإسرائيلي". لقد وقع انفجار في حافلة إسرائيلية مما أسفر عن خمسة قتلى، وقد جاء زينجر وديان إلى الغرفة، فقلت لهم اطلبا من الجميع أن يوقفوا المحادثات.

اتصلت بمكتب رابين، فرد علي بيرس الذي كان موجودا هناك، وقال لي : إنهما طلبا من السلطة الفلسطينية أن تبذل كل ما في وسعها ضد الإرهاب، وبدا أن الاثنين مصران على التمييز بين حماس والسلطة الفلسطينية، وعدم منح حماس فرصة استخدام حق "الفيتو" ضد المسيرة السلمية.

ثم قال لي بيرس : "علق المفاوضات إلى ما بعد الجنازة، كعلامة حداد، ولن نجعل الإرهابيين يحققون إنجاز وقف المسيرة". طلبت إذنا بإبقاء الوفد الإسرائيلي في الفندق، فوافق رابين.

بقي الفلسطينيون أيضا معتكفين في غرفهم، ووجدنا أن من الصعب علينا التحدث معهم، وكأن شيئا لم يحدث، ولم يكن أي منا يشك للحظة، في أن هؤلاء الأشخاص الذين نتحاور معهم يعارضون الإرهاب، ويدركون مدى الأضرار التي يلحقها بمصلحتهم، ذلك أن الإرهاب موجه أيضا ضدهم. وعلى أية حال، لم نستطع أن نتجاهل أن الفلسطينيين قتلوا في نفس اليوم إسرائيليين وقد أدى الشعور بالغضب والحداد من جانبنا، إلى إحراجهم وخلق جو خانق للغاية.

قدم بعد الظهر، أبو علاء وكبار أعضاء الوفد الفلسطيني إلى غرفتي للإعراب عن أسفهم وعزائهم، وجلس أبو علاء وعبد الرزاق اليحيى، وعصفور والطريفي مع ديان وزينجر وشاحور وأنا، وأعربوا عن أسفهم وقدموا بيانا رسميا بذلك، وقد وصفنا لهم العملية وتفاصيلها، ثم عادوا إلى غرفهم.

وفي ساعات المساء، جلسنا لمشاهدة الأخبار وطلبت من ستيلا أن تسأل أبو علاء وزملاءه فيما إذا كانوا يحبون الانضمام إلينا؟؟ وقد جاءوا، وشاهدنا سوية العملية، دون أن يتفوه أي منا بكلمة، ثم غادروا المكان.

استؤنفت المحادثات بعد ظهر اليوم التالي، في أعقاب انتهاء مراسيم دفن القتلى، وبعد يومين اتصل أبو علاء بي هاتفيا، وطلب مني أن آتي لمشاهدة نشرة الأخبار معه، وعلى شاشة التلفاز شاهدت جنازة طفلة في السابعة من عمرها قتلت برصاص الجنود الإسرائيليين، وقد سلط المصور العربي، جهاز التصوير على التابوت الصغير ثم سلط على أهل الصغيرة، ثم على الجماهير الغاضبة والحزينة، لقد كان الحزن لديهم عنيفا وغاضبا، تماما مثلما كان لدينا، لقد اعتاد شركاؤنا الفلسطينيون التأكيد على أن الألم والعذاب لا يمكن أن يكون حكرا على طرف واحد، وسألت نفسي : ترى هل سيكون إدراكنا المتزايد للمأساة المشتركة التي نعيشها بمثابة الخطوة الأولى على صعيد المصالحة؟؟ لقد كنا ندرك أنه لا يكفي إدخال الكادر السياسي والعسكري في المسيرة من أجل إحلال التغيير، بل يجب إدخال الشعوب وإشراكها.

كانت المفاوضات تجري تقريبا، طيلة الأربع وعشرين ساعة، وفي الغالب كنا نبدأها في العاشرة صباحا، ونتوقف لتناول الغذاء، ونواصل حتى الساعة السادسة مساء، فنتوقف لمدة ساعة، لتناول العشاء، ثم تبدأ الجلسات الليلية والتي كانت تمتد حتى بزوغ الفجر.

الانتخابات، تركيب وصلاحيات المجلس الفلسطيني :

واصل زينجر وعريقات إجراء مفاوضات مفصلة حول انتخابات المجلس الفلسطيني ومعاييره وتركيبته، لقد انضمت عملية تشكيل هيئة تشريعية

جديدة وتحديد صلاحياتها، وصياغة إجراءات الانتخابات لهذه الهيئة، إلى المهمة التي راقت جدا للفلسطينيين.

قررنا منذ البداية، أن نقصر مهمتنا على ضمان المعايير الانتخابية للمجلس كي لا تشذ أو تنحرف على إعلان المبادئ، بيد أن العلاقات الوطيدة جدا التي تطورت بين صائب عريقات وزينجر، جعلت تدخلنا في الانتخابات أوسع. بل لقد سافر الاثنان إلى أسكتلندة لمتابعة الانتخابات المحلية التي عقدت هناك، واستقاء ما يمكن استقاؤه من عبرها.

أوصينا، أنا وزينجر، بأن يوافق الكادر السياسي الإسرائيلي على مجلس تشريعي مؤلف من مائتي وخمسين عضوا، أي أكثر بكثير من المائة عضو الذين طالب بهم الفلسطينيون وكان هدفنا من ذلك، تعزيز ودعم مؤيدي السلام، وتشجيع التعددية بيد أن توصيتنا رفضت، وقرر رابين وبيرس أن يكون عدد أعضاء المجلس ثلاثة وثمانين شخصا ثم توسيعه فيما بعد إلى ثمانية وثمانين عضوا.

تطلع الفلسطينيون إلى الفصل بين صلاحيات المجلسين التنفيذي والتشريعي، وكانت توجهاتنا مرنة نسبيا، فقد رغبنا بادئ ذي بدء، في تشجيع الانفتاح والتعددية في مجتمع شديد التوتر بين مؤيدي النظام المركزي، وبين أولئك الذين رغبوا في تقليد النمط الإسرائيلي، وقد اتفقنا على ثلاثة أمور :

- تشكيل مجلس تنفيذي – حكومة من جميع الجوانب العملية.
- تشكيل مجلس أكبر، وذي صلاحيات تشريعية.
- إطلاق لقب (الرئيس) على عرفات، بصورة تمنح لكل طرف أن يفسره بالصورة التي يرتئيها.

طلب عريقات أن تتم الموافقة على وجود رئيس للمجلس التشريعي، وهذا أمر مخالف لما جاء في اتفاقية المبادئ، بيد أن بيرس وافق، ونجح في إقناع رابين بالموافقة على الوظيفة الجديدة، بغية تعزيز التعددية في أوساط الفلسطينيين.

دار الخلاف الأساسي في إطار المحادثات حول قضية إجراء الإنتخابات في القدس الشرقية، بيد أن صائب عريقات وزينجر تعاملا مع هذه القضية

الحساسة بذكاء وحكمة، وقد جاءت الحلـول التـي طرحاهـا فنيـة وبراغماتيـة. ومـن الجدير بالذكر، أن الإتفاقيات كانت تنص مثلمـا أوردنـا آنفـا علـى أن القـدس خـارج إطار الحكم الذاتي، بيد أن إتفاقية المبادئ، نصـت علـى أن الإنتخابـات لـن تتجـاوز سكان القدس الشـرقية.

وافق الطرفان على أن يصوت الفلسطينيون مـن سـكان القـدس فـي مكـاتب البريد، وأن يستخدموا نوعا معينـا مـن الصنـاديق الإنتخابيـة التـي تشـبه صندوقـا بريديا وآخر إنتخابيا، وتكون الشرطة الإسرائيلية مسـئولة عـن ضمـان الأمـن العـام، ويقوم مراقبون دوليون بنقل الصناديق إلى منطقة الحكـم الذاتـي لعـد الأصـوات، ولا يستطيع أي شخص من سكان القدس ترشـيح نفسـه للمجلـس التشـريعي إلا إذا كـان لديه عنوان آخر خارج القدس في الضفة الغربية مما يسـمح لإسـرائيل بالإدعـاء بـأن أيا من سكان المدينة لم يرشح نفسه، وبقي سـؤال واحـد : هـل يجـب وضـع طـابع بريد على المظروف مثلما طالبنا؟؟ ثم جاء الحـل لـهذه المشـكلة أيضـا فـي صـورة وضع خاتم البريد على المظـروف.

تم نقل المراقبيـن الدولييـن الذيـن قـام الاتحـاد الأوروبـي بتجنيدهـم إلـى ايلات لتلقي التوجيهات حول دورهـم.

لقد كان حل هذه القضية بمثابة إنجـاز كبـير لعريقـات وزينجـر، حيـث لـم يكن أسهل من تحويل كل ملابسة من ملابسات هذه القضية إلـى عقبـة تتحطـم عليـها المسيرة بأكملها، بيد أن الرغبة المشتركة والخـبرة الكبـيرة، والثقـة المتبادلـة، حـالت دون حدوث ذلـك.

المكانة القضائية الجديدة للسـلطة الفلسـطينية :

قـام قضـائيون مـن مكتـب الإدعـاء العسـكري الإسـرائيلي، والسـلطة الفلسطينية بدراسة وبحـث قضيـة المكانـة القضائيـة للسـلطة الفلسـطينية، وتمكـن الطرفان من بلـورة صيغـة متشـابكة ضمنـت صلاحيـة القضـاء الإسـرائيلي فـي الشئون الجنائية في المنطقة (B) ومكنتنا مـن اتخـاذ الخطـوات الضروريـة لنشـاطاتنا الأمنية في هذه المنطقة، بيد أنـها وضعـت فـي أيـدي الفلسـطينيين المسـئولية عـن

النظام العام، ولأول مرة، تم إخضـــاع الإســـرائيليين لقوانيـــن الضرائـــب الفلســـطينية إذا ما قاموا بأعمال المتاجرة فـــي المنطقـــة (A و B).

العلاقات الاقتصاديـــة :

واصلت وزارة الماليـــة، التـــي مثلـــها فـــي المفاوضـــات (ديفيـــد بـــرودت) – وهو شخص شديد ومحنك، الدفاع عن مصـــالح إســـرائيل الإقتصاديـــة، ومـــن الجديـــر بالذكر، أنه كان يؤمن بضرورة تطوير الإقتصاد الفلســـطيني، لـــذا بـــذل جـــهودا كبـــيرة في إقناع الدول المانحة لزيادة المبالغ المقدمة إلى السلطة الفلســـطينية هـــذا وكنـــت أنـــا (وبرودت) نترأس وفدنا في مؤتمر الـــدول المانحـــة.

كما قـــام مســـئولو الـــوزارة بنقـــل جميـــع المبـــالغ الضريبيـــة التـــي جبتـــها إسرائيل، باسم السلطة الفلســـطينية بأمانـــة.

بيد أنه سرعان ما اتضح، أنه كلما تعلـــق الأمـــر بقضيـــة تخطيـــط العلاقـــات الإقتصادية الرامية إلى زيادة الإزدهـــار الفلســـطيني، والتعـــاون الإقتصـــادي المســـتقبلي بيـــن إســـرائيل والفلســـطينيين والأردن، فـــإن سياســـــة وزارة الماليـــــة لا تفـــي بالاحتياجات المطلوبة، لقد أثرت علـــى قراراتنـــا مصـــالح إقتصاديـــة داخليـــة قصـــيرة الأمد، ويرجع ذلك أيضا، إلى أن صانعي القـــرارات لـــم يكونـــوا يعلمـــون بالتفـــاصيل الإقتصادية الفنية، أضف إلى ذلك، بـــروز مشـــكلة أخـــرى، تتعلـــق بقرارنـــا المبدئـــي القائل بإخضاع عبور البضائع والأشخاص للقيـــود الأمنيـــة.

ولم نعمد إلى التركيز على التفـــاهم الاقتصـــادي، لأننـــا اعتقدنـــا أن المشـــاكل الاقتصادية للسلطة الفلسطينية يمكن أن تحـــل، عـــبر زيـــادة حجـــم اســـتثمارات الـــدول المانحة ولا شك أن هذا التفكير كـــان خاطئـــا فنحـــن لـــم نـــر حقيقـــة إن عـــدم توفـــر إجراءات ونظم ثابتة لحركة البضائع والحيلولـــة دون حـــدوث تشـــويش وعرقلـــة فـــي هذه الحركة، جراء فرض الإغلاق سيجعل القطـــاع الخـــاص يحجـــم عـــن الإســـتثمار، في مناطق الحكم الذاتـــي ودون هـــذه الاســـتثمارات والضرائـــب الناجمـــة عنـــها فلـــن يكون هناك مناص من أن تعمل الدول المانحة علـــى حمايـــة الســـلطة الفلســـطينية مـــن الغـــرق.

وقد حذر من هذا الوضع (عوديد عيران) و(يوسي عمراني) موظفا وزارة الخارجية، وقد أعد عمراني مستندا فذاء حول أخطار استبدال الحكم العسكري بالسيطرة الاقتصادية، ونادى بأن تظهر إسرائيل كرما كبيرا جدا تجاه السلطة الفلسطينية، وقد وافقنا على وجهة نظره، بيد أننا لم نفعل شيئا أكثر من ذلك، لأن الآراء التي كانت سائدة آنذاك نادت بالحفاظ على المصالح الاقتصادية الإسرائيلية بدلا من الأخذ بعين الاعتبار مزايا الاستقرار والتعاون الاقتصادي من ناحيتنا وناحية الفلسطينيين في آن واحد، وقد دفع الطرفان فيما بعد ثمنا باهظا جراء قصر النظر آنف الذكر.

وتفاقمت حدة المشكلة إزاء نزوع الزعامة الفلسطينية نحو مركزية الاقتصاد، وتجاهلها لضرورة بناء مؤسسات إقتصادية عصرية، إضافة إلى ارتباط هذا الوضع بأعمال فساد في أوساط السلطة.

وعلى غرار ما حدث في المجال السياسي، فقد انقسم المجتمع الفلسطيني أيضا على الصعيد الاقتصادي إلى قطبين متنافرين : أولئك الذين عملوا على استنساخ نماذج وأنماط إقتصادية إقليمية، والذين تطلعوا إلى تطوير منظومة إقتصادية غربية، تقوم على اقتصاد السوق، بين الذين عملوا على تطوير احتكارات في قطاعات مختلفة، وبين الذين أيدوا نظريات المنافسة.

وهكذا تطور الحكم الذاتي، وأصبح خليطا متفردا من الأنماط التي يسود مستقبلها الضباب، وبدا أن هناك صورة كئيبة تنتظر السلطة الفلسطينية على المدى القصير.

أدرك لاريسون الوضع الاقتصادي الخطر الذي تعيشه السلطة الفلسطينية، فقد عمل ثلاث سنوات كنائب للسكرتير الاقتصادي للأمم المتحدة لشئون المناطق المحتلة، لذا حاول إقناع الدول المانحة باستثمار الأموال في مجال البنى التحتية، والخدمات الاجتماعية والرامية إلى دعم المحتاجين وتعزيز الاستقرار السياسي، وحاول كذلك إقناعنا بمدى خطورة سياسة الإغلاق، وقال المرة تلو الأخرى : أنتم تسهمون في خلق ضغط شديد وغليان في قطاع غزة،

وحاول تقديم يد المساعدة إلى الزعامة الفلسطينية في خلق وتأسيس مؤسسات إقتصادية، بيد أنها تجاهلته رغم العلاقات الوطيدة القائمة معه.

ومن الجائز أن السبب الرئيسي في تقديراتنا الخاطئة يرجع لاعتقادنا بأن المسيرة السياسية نفسها ستؤدي بصورة محتومة، في نهاية المطاف، إلى علاقات اقتصادية صحية لقد اعتقدنا جميعا بأنه إذا ما سارت التحليلات الأساسية بالصورة المطلوبة، فإن الشئون الإقتصادية ستتطور بصورة بديهية وتلقائية.

وهكذا، فإن الملحق الاقتصادي لم يشتمل بصورة أساسية سوى على توسيع (اتفاقية باريس) الموجودة، والتي كانت جزءا من اتفاقية غزة وأريحا.

وفي نفس الوقت الذي انشغلت فيه اللجنة الأمنية، برئاسة ديان وعبد الرزاق اليحيى، واللجان الفرعية الخاضعة لها، بدون كلل و ملل في قضايا مثل : كمية الأسلحة التي ستمنح للسلطة الفلسطينية، ودخول رجال الشرطة الفلسطينية إلى المنطقة، والإجراءات التي سيتم اتخاذها خلال فترة التماس، والمشكلة العويصة التي ولدت من رحم المطلب الإسرائيلي بحقها في (المطاردة الساخنة) داخل المنطقة (A).

كانت توجيهات رابين وبيرس لأعضاء هذه االلجنة واضحة تماما : محاربة الإرهاب هي قضية لا يمكن تجاوزها أو التهاون فيها، إضافة إلى ضرورة خلق إطار تعاون في مجالها، وعدم التجادل حول كل طريق وكل قمة جبل. في ضوء حقيقة قبول الفلسطينيين للنظرية الأمنية الإسرائيلية الأساسية.

أتاح لنا التقدم الثابت على جميع الأصعدة الأساسية للإتفاقية، إمكانية الوصول في نهاية آب، إلى المعركة الحاسمة التي دار رحاها في معظمه في طابا

وفي الأول من أيلول أعددت تقريرا مسهبا لرابين وبيرس، تطرقت فيه بالتفصيل إلى المشاكل التي لا زالت عالقة بيننا.

وعندما هبطنا في نفس اليوم في مطار تل أبيب، اعتبر التقرير آنف الذكر بمثابة ورقة العمل للنقاش الذي جرى في مكتب رئيس الأركان وخلال

اللقاء المذكور قدم قائد القطاع الأوسط (ايـلان بـيران) الخارطـة العسـكرية لاتفاقيـة التسوية المرحلية بيد أننا قررنا تركها حتى نهايـة المفاوضـات وفيمـا كـان (بـيران) يعرض الخيارات المختلفة للمرونة فـي المرحلـة النهائيـة، دخلـت سـكرتيرة رئيـس الأركان شاحك، وقدمت له ورقـة صغـيرة، كتـب عليـها : الدكتـورة هـورن تريـد التحدث معك هاتفيا، فخرجت وأنا أعتقد أن هنـاك نبـأ سيئا، وعندمـا تحدثـت معـها قالت لي : "آسفة للنبأ لكن أمك توفيت الليلـة"، فـاعتذرت (لشـاحك) وغـادرت المكـان إلى مـنزلي.

وفي نهاية الأسبوع، قدم أبـو عـلاء بعـد أن هـاتفني فـي مـنزلي معزيـا، وقبل أن يغادر البيت، تناولت نسخة من القرآن كـان والـدي يسـتخدمه إبـان دراسـته للغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٧- وقدمتـه إليـه.

قبل عودتي إلى ايـلات فـي العاشـر مـن أيلـول ، قيـل لـي أن الحراسـة عززت على منزلي، وإنني بعد الآن، لن انتقـل دون حراسـة، لان اسـمي ظـهر فـي القائمة السوداء التي أعدها المستوطنون المتطرفـون. صـاغ يـوآل زينجـر وصـائب عريقات، وثيقة بشأن الجدول الزمني لمواصلـة المباحثـات و أوصـي بتـاريخ هـدف، للانتهاء منها بين ١٧-١٨ أيلول كـي نسـتطيع التوقيـع علـى الاتفاقيـة قبـل عشـية راس السنة العبرية، الذي صادف الرابع والعشـرين مـن أيلـول.

تم تكليف الاثنين الإشـراف علـى صياغـة الاتفاقيـة كلـها، وقـامت جميـع اللجان بنقل المسودات التي تم الاتفاق عليها إليـهما، كمـا قـام الاثنـان بحـل سلسـلة طويلة من المشاكل وقضايا المصالح المتعارضـة والمتبادلـة للطرفيـن، وتمـيزا بدمـج موضوعات في أماكن مختلفة مـن الاتفاقيـة.

إضافة إلى ذلك اشرف زينجر علـى مجموعـة قضـائيين إسـرائيليين عملـت طيلة الأربع والعشرين سـاعة لفحـص كـل كلمـة، وجملـة، وأداة تشـكيل، وترقيـم المرة تلو الأخرى، والمسـودات المعدلـة.

ترك أبو علاء لدينا انطباعا، بأنه على استعداد لجر المفاوضات إلى الأبد، ووجدنا أنفسنا نخوض حرب أعصاب، فقد كان هو وزملاؤه غاضبين لأننا لوينا ذراع عرفات في اللقاء الذي تم في الحادي والعشرين من آب، بشأن الانسحاب الإضافي، وقد حاول أبو علاء مواجهة هذه القضية من خلال مطالبته بأن لا يتم توسيع أي مستوطنة لأكثر من خمسين مترا من أقصى منزل فيها.

ولجأ إلى ما سبق وأن قاله رابين لعرفات، في أحد لقاءاتهما قبل سنة تقريبا، حول بناء أسيجة حول المستوطنات، رغم أن رابين كان آنذاك، يتطرق إلى الضرورات الأمنية وليس إلى توسيع المستوطنات.

وصلنا خلال مفاوضات الخليل، إلى طريق مسدود، فقد واصل الفلسطينيون إصرارهم على مواقفهم بدءا من فتح مركز شرطة فلسطينية في المدينة، وحتى إبعاد المستوطنين منها، بل لقد حاول أبو علاء تقويض اتفاقية الصلاحيات الأمنية في المنطقة (B) عبر المطالبة بتوسيع صلاحيات الشرطة الفلسطينية في إطار الحفاظ على النظام العام، بيد أننا لم نتنازل بهذا الصدد أبدا، وفي نهاية الأسبوع الثاني من أيلول، أعدنا النظر في الستين سؤالا التي كانت بحاجة إلى إجابة، وقد طلب زينجر الذي كان يبدي دائما صبرا عجيبا فيما يتعلق بزمن المفاوضات – أن أعمل على تحديد موعد نهائي مع أبو علاء للتوقيع، لأنه إذا لم يحدث ذلك فقد نجد أنفسنا نحاور في ايلات إلى الأبد.

كنا في الحقيقة قد استنفذنا كل قدرتنا على المساومة والتفاوض، ولم يبق أمامنا سوى اتخاذ قرار بشأن بعض الموضوعات بغية إنجازها في إطار مساومة صفقة تبادل، ونقل قضايا أخرى إلى عرفات وبيرس لاتخاذ قرار بشأنها.

وفي نهاية الأسبوع، وصلتنا توجيهات فيما يتعلق بتوزيع القضايا بين المجموعتين آنفتي الذكر، فتم اتخاذ قرار بنقل كل ما يتعلق بالخليل وقبر راحيل إلى

بيرس وعرفات لحسمها، وبعد أن عرفت ذلـــك دعـوت أبـو عــلاء وقلــت لــه :" إن الوقت يمضي، واقترحت عليـــه أن نعلــم (دنيـس روس) بأننــا ســنوقع علــى اتفاقيــة التسوية المرحلية في الثاني والعشرين من أيلــول فــي واشــنطن".

اتصل أبو علاء بعرفات، وحصل علــى موافقتــه علــى عقـد المراســيم فــي واشنطن، ثم قمنا بإعلام دنيس روس بالاتفـــاق، واقــترح أبــو عــلاء أن نجتمــع فــي غرفته مساء الغد، في محاولة لحل غالبية القضايــا المتنــازع عليــها.

كان أبو علاء قد نجح، خلال فترة العمل مـــن توحيـد جميــع أعضـــاء طـــاقم المفاوضات الفلسطيني خلفه، ودفعهم للاعتراف بزعامتـــه أمـــا بالنســبة لـــي فقـد كـــان الوضع سهلا أيضا، فقد كان كل زميل من زملائي يديـــر المفاوضـــات التـــي يترأســـها بيد أننا كنا نعمل بتنسيق كامل وعلى أساس تكتيـــك موحـــد.

جلست في غرفة الجلسات التي اعتدنا عقد اجتماعاتنا فيـــها، حتـــى جـــاء أبـــو علاء وقد ارتسمت على وجهه نظرة جـادة وحـــال جلوســـه قـــال : "لقـــد" آن الأوان لأن ننهي الأمر". وقد استغرقت المفاوضات بيني وبينـــه طيلـــة الليلـــة، فـــي حيـــن اجتمـــع عوزي ديان على انفراد مع مسئولي جهاز الأمـــن الفلســطيني، واجتمــع شـــاحور مـــع الطريفي وزينجر مع صائب عريقـــات.

وفي صبيحة اليوم الثاني، اتضح أننا تمكنا مـــن حـــل نصـــف القضايـــا التـــي كانت مطروحة على جدول الأعمال ومن ضمنها اتخاذ قـــرار بـــأن ينتـــهي الانســحاب الإضافي في غضون ثمانية عشر شـــهرا منـــذ تـــاريخ إجتمـــاع المجلــس الفلســطيني، وأن يتم إقامة خمسة وعشرين مركز شرطة فلســـطينيا فـــي المنطقـــة (B).

وقد أصر أبو علاء علـــى وصـــف إعـــادة الانتشـــار، والاتفـــاق نفســـه بأنـــه "يستحيل تغييره" وقد وافقته الرأي، فنحن لم نكـــن نرغـــب فـــي الخـــروج مـــن المـــدن الفلسطينية كي نعود لنحتلها من جديد، لـــذا تـــم الاتفـــاق علـــى أن نكتـــب فـــي مدخـــل الاتفاق أن العلاقات الجديدة التي ســـيجري تجذيرهـــا بيـــن الطرفيـــن، ســـتكون "غـــير قابلة للتغيـــير".

عملنا خلال الأسبوع التالي. زينجـر وعريقـات وديـان واليحيـى وشـاحور والطريفي وأبو علاء وأنا بجدية وفي نهاية الأسـبوع، أصبـح بأيدينـا صيغـة مؤلفـة من ٤١٠ صفحـات لاتفاقيـة التسـوية المرحليـة، ورغـم ذلـك كـان علـى بـيرس وعرفات أن يستكملا عملا صعبا للغاية، كان عليهما ليس فقـط حـل القضايـا الثـلاث الأكثر صعوبة في الاتفاق : الخليل، وقـبر راحيـل، وخارطـة إعـادة الانتشـار، بـل كان عليهما أيضا، حل سلسلة طويلة من المشاكل شـديدة الحساسـية، والتـي تراكمـت إبان إعداد الصيغة النهائيـة.

وقد كتبت فـي الوثيقـة التـي بعثـت بـها إلـى بـيرس، والتـي ضمنتـها توصياتي توطئة للقائة بعرفات في طابا، أن هنـاك خمسـا وعشـرين قضيـة لا زالـت بحاجة إلى حل لذا من المتوقع أن تخوض مفاوضـات صعبـة للغايـة، خصوصـا وأن عرفات، سيحاول أن يبدو بصورة الرجل الذي ناضل بكل قوتـه، مـن أجـل مصلحـة شعبه حتى اللحظات الأخـيرة.

تمكن بيرس إبان الإعداد للاجتماع، مـن إقنـاع كبـار ضبـاط الجيـش بـأن المصلحة الأمنية الإسرائيلية، تتطلب العثور على تسـوية معقولـة فـي الخليـل، وبنـاء على ذلك، قام بيران وشاحك بإعداد خطـة لتقسـيم الصلاحيـات الأمنيـة فـي الخليـل بين الفلسطينيين – الذين كـان مـن المفـروض أن يتسـلموا السـيطرة علـى غالبيـة أجزاء المدينة والجيش الإسرائيلي الـذي كـان سـيتولى مسـئولية الأمـن فـي الحـي اليهودي، والمناطق المتاخمة له، وكان من المفروض أن يتـم تنفيـذ هـذه الخطـة فـي غضون تسعة أشهر، بصورة تتناسب مع خطة شـق الطريـق الالتفـافي حـول الخليـل وحلحول، وقد وافق رابين على هذه الخطة، في الخامس عشـر مـن أيلـول.

وتنص الخطة المذكورة علـى سـيطرة الجيـش الإسـرائيلي علـى الطريـق الالتفافي ، وكريات أربع، والحي اليهودي فـي الخليـل وضواحيـه القريبـة، والحـرم الإبراهيمي، والطريق الذي يربط بين الحي اليـهودي وكريـات أربـع، بطريـق تصـل إلى القسم الجنوبي من الطريـق الالتفـافي.

طلب رابين أن يجتمع بيرس وبيران مع عرفات في طابا، في بداية المفاوضات إضافة إلى عدة عناصر من الجهاز الأمني، وكانت مهمتهم تتمثل في التأكيد على العمل المكثف ضد الإرهاب كشرط لتنفيذ الاتفاقية.

بدأ أطول أسبوع في المفاوضات في السابع عشر من أيلول في فندق هلتون في طابا، وقد سكن وفدنا في الطابق الثامن، والفلسطينيون في الطابق التاسع، وكانت قاعة الاجتماعات في الطابق العاشر.

وفي أعقاب المحادثات الأولية، والتي جرى خلالها الحديث عن نشاطات السلطة الفلسطينية ضد الإرهاب، طلب بيرس من (بيران) أن يطرح الاقتراح الإسرائيلي الجديد حول الترتيبات الأمنية في الخليل، والتي وصفها هو نفسه كتسوية جيدة جدا.

استهل عرفات حديثه بالقول : لماذا يجب على العشرين ألف فلسطيني الذين يعيشون قريبا من الحي اليهودي في الخليل، أن يخضعوا للسيطرة العسكرية الإسرائيلية؟؟ فتوجه إليه بيران بكل الاحترام، وشرح له المبررات الإسرائيلية.

وعندما طلب الفلسطينيون تغيير خط الفصل المقترح في "المدينة، رفض بيرس هذا المطلب فورا.

قال عرفات : " لا نستطيع أن نسلم بالوضع الراهن المعمول به في الحرم الإبراهيمي- والذي تنص الخطة على إبقائه تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية فتقدم بيرس باقتراح عدة بدائل وصيغ تنتهي كلها بإبقاء السيطرة الإسرائيلية على الحرم، لكن عرفات رفضها جميعا، وفي نهاية المطاف أتخذ قرار بأن نعمل أنا وأبو علاء، على إعداد الصيغة المقبولة لهذه المشكلة، فانتقلنا أنا وهو إلى إحدى الزوايا وبدأنا نتناقش:

أنا : أنت تعرف بأننا لا نستطيع إبداء أي مرونة في هذه القضية.

أبو علاء : ربما تكون قد نسيت أن هذا المكان هو مكان مقدس للمسلمين، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن يهوديا قام بتنفيذ مذبحة في أوساط المسلمين هناك، فإننا نصر على تواجد أمني معين لنا على الأقل.

أنا : قلت "هذا مستحيل"، لقــد كنــت أدرك أن حساســية المكــان الشــديدة تحــول دون إمكانية توزيع المسئوليات الأمنيــة عليــه .

أبو علاء : "ونحن لن نوافق على الوضــــع الراهــن".

وفي نهاية المطاف ، اتفقنـــا علــى ألا نتفــق، وأن نقــول ذلــك فــي اتفاقيــة التسوية المرحلية، وعلى أن يتم تشــكيل لجنــة لدراســة الترتيبــات الأمنيــة علــى أن تقدم توصياتها المشتركة في غضون ثلاثة أشـــهر مــن إعــادة الانتشــار فــي الخليــل، وهكذا بقي الوضع الراهن على مـــا هـــو عليــه : دون أن يوافــق الفلســطينيون علــى ذلك.

وافق عرفات على الصيغة آنفة الذكر بيد أنه أعطـــاني ورقــة صغــيرة رســم عليها صورة لسيارتين، ثم طلب إيقاف النقاش لبرهـــة مـــن الزمـــن.

ولم يكن لدي أي فكرة عما سأفعله بالورقــــة التـــي أعطـــاني إياهـــا عرفـــات، لذا طويتها ووضعتها في جيبــــي.

نزلنا إلى (بار) الفندق وبعد حوالـــي ســـاعة عدنـــا إلـــى غرفـــة الاجتماعـــات وقد توقع بيرس أن يستهل عرفـــات المفاوضـــات بقـــول شـــيء مـــا بوصفـــه الطـــرف الذي طلب وقف الحوار للاســـتراحة، بيـــد أن عرفـــات لـــم يتفـــوه بكلمـــة لفـــترة مـــا، وحينها تناول بيرس ورقة وبدأ يكتب عليـــها، فـــي حيـــن أخـــذ عرفـــات يحملـــق فـــي الورقة وهو شديد التوتـــر.

ونظرا لأنني أجلس إلى جوار بيرس، فقــد وجــدا أنـــه يكتـــب قصيـــدة شـــعر مخصصة (لافي جيل) وجنونه (بـــالانترنيت) وقـــد شـــاهد آفـــي جيـــل مـــن الطـــرف الآخر ما يكتبه بيرس، ونجح بشكل ما في الحفاظ على تقـــاطيع وجهـــه جـــامدة.

وبعد حوالي نصف ساعة من الصمت، توجه بـــيرس إلـــى عرفـــات وســـأله : "سيدي الرئيس ما الذي تنتظـــــره"؟؟

عرفات : أريد أن أعرف فيما إذا كنت قد فكرت في الاقتراح الـــذي قدمتـــه لســـبير؟

شعرت بالدهشة الشديدة، بيـــد أننـــي ســـحبت الورقـــة المطويـــة مـــن جيبـــي وفتحتها، فرمقها بيرس بنظرة، وبدا بوضوح أنه لا يـــدرك مـــاذا يعنـــي عرفـــات بـــها،

فسارع عرفات للقول أن الرسم هو بمثابة دورية مشــتركة وأنــه يقــترح تفعيلــها فــي منطقة الدخـــول إلـــى الحـــرم الإبراهيمـــي، فـــأوضح لـــه بـــيرس أن قضيـــة الحـــرم الإبراهيمي قد أجملت، بيد أن عرفات كان يريـــد العـــودة لمناقشـــتها.

انفجر بيرس قائلا: قدمت إليك أفضل اقـــتراح يمكننـــا تقديمـــه، وكمـــا يبـــدو، أنه أفضل مما كنت أنـــت تتوقـــع، وإذا كنـــت معنيـــا بـــالحصول علـــى المزيـــد، فلـــن تحصل على ذلك مني، أنا سأغادر هـــذا المكـــان.

بدأ بيرس ينهض مـــن مقعـــده لمغـــادرة المكـــان، وحينـــها حـــاول عرفـــات تهدئته، مقترحا أن يعمل زينجر وعريقات على إعداد صيغة كاملـــة للتفـــاهم الـــذي تـــم إنجازه بشأن الحرم الإبراهيمي، لقد تـــم حـــل مشـــكلة الخليـــل، ولا شـــك أنـــه إذا لـــم يتوفر حسن النوايا بين المفاوضين، فإن أي خلافات قـــد تنفجـــر وتتحـــول إلـــى قضيـــة تثير أصداء واسعة، وهذه القضايا كان يمكنها أن تتحـــول بســـهولة إلـــى معركـــة بيـــن إسرائيل والفلسطينيين بين العالمين اليهودي والإســـلامي، والـــى أزمـــة دوليـــة يســـتحيل حلها، لقد أدى الالتزام بالشراكة إلى العثـــور علـــى حـــل، وتـــم نقـــل تفـــاصيل تجســـيد التسوية في الخليل إلى اللجنة الفرعية للشـــئون الأمنيـــة.

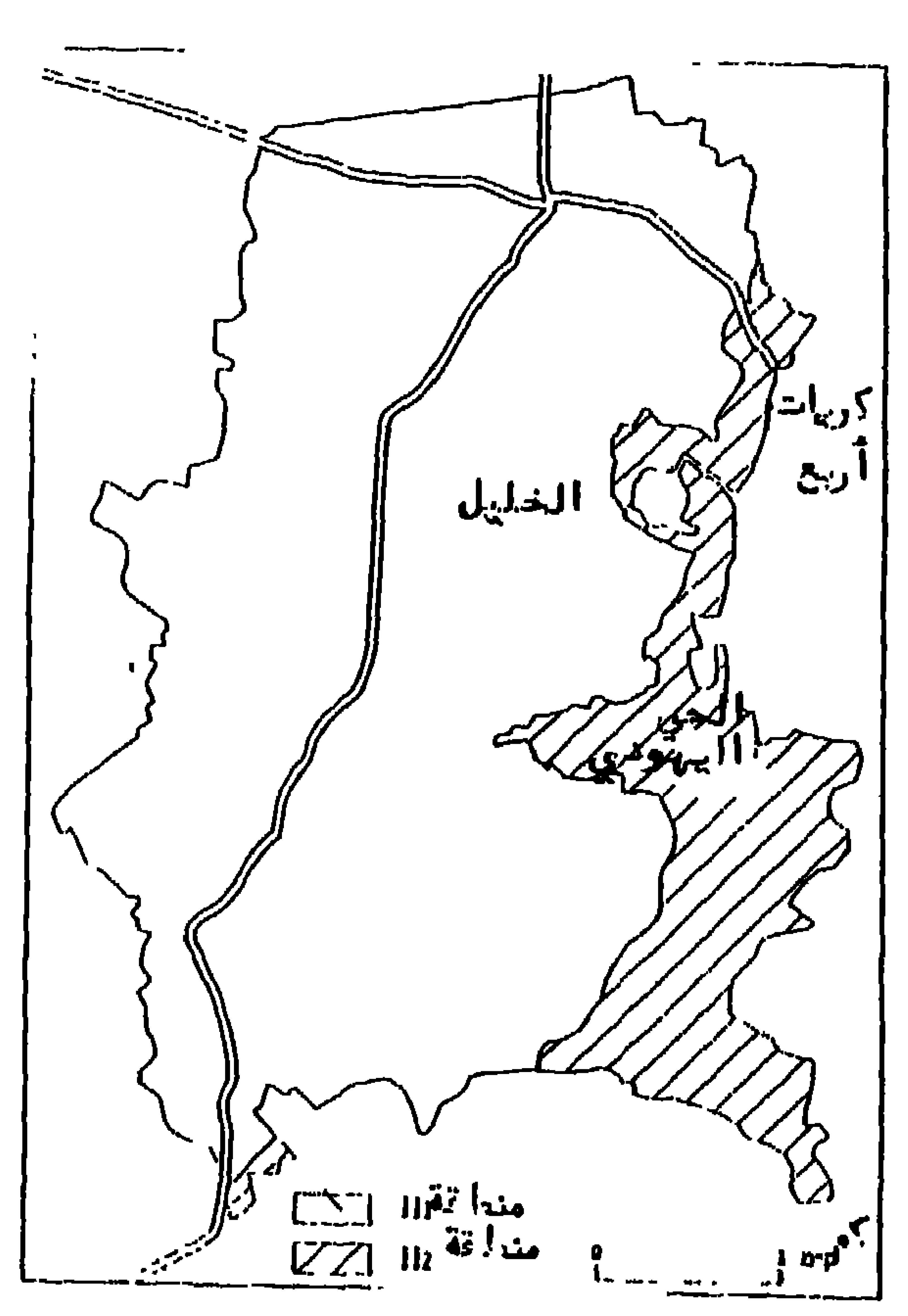
وطيلة الأيام والليالي التالية، طرحت القضايـــا الباقيـــة علـــى بســـاط البحـــث، وطرح الفلسطينيون قضية المعتقلين الفلســـطينيين بوجـــود ســـفيان أبـــو زايـــدة وهشـــام عبد الرزاق وقد تم الاتفاق على إطـــلاق ســـراح جميـــع المعتقليـــن، وكذلـــك المعتقليـــن الذين ينضوون تحت معايير محددة مثل المعتقلين الذيـــن قضـــوا ثلثـــي محكومياتـــهم أو الذين حكموا بالسجن لأقل من عشـــر ســـنوات.

اعتاد بيرس تـــأنيب مســـاعدي عرفـــات بوجـــوده، وكـــان يتعـــامل بجلافـــة خاصة مع صائب عريقات، فكلمـــا حـــاول عريقـــات التدخـــل فـــي النقـــاش، أو طـــرح مبرر قضائي أو غيره، يسارع بيرس للقول له : دعك مـــن هـــذا صـــائب، فـــهو ليـــس مسألة مهمـــة.

صائب:" أنتم لستم في حاجة إلى هـــذا".

وفي الوقت ذاته لم يتوان بيرس عن كيل المديح لعرفات، حيث كان يقول لأعضاء الوفد الفلسطيني : "من حسن حظكم أن لديكم مثل هذا الزعيم، انظروا ما الذي حققه لكم المفتي الحسيني بتوجهاته المتطرفة عام ١٩٤٨ "إنه لم يحقق شيئا".

تصرف بيرس طيلة الأيام الثلاثة كدب غاضب، فكان يقاتل ويتمتم، لذا لم يحظ بشعبية في أوساط أعضاء الوفد الفلسطيني، كان يهدد ويضرب المنضدة بقبضته، وفي إحدى المرات خرج من الغرفة هائجا، وطرق الباب خلفه، وسط ذهولنا جميعا، لقد وصل إلى قناعة تامة، بأنه لن يستطيع دفع المفاوضات إلى خط النهاية إلا بهذا الأسلوب.



في الليلة الثالثة عرض زينجر وصائب عريقات القائمة الطويلة للقضايا الفرعية نسبيا، التي لا زالت بانتظار الحل، وكانت الساعة قد شارفت على الرابعة صباحا

اقترح عرفات مواصلة النقاش حتى الصباح، بيد أن بيرس لم يكن على استعداد لقبول ذلك أبدا، فأخذ يقرأ القضايا واحدة وراء الأخرى، ويعد صيغة الحل بنفسه، بينما عرفات يجلس أمامه مرهقا وغير قادر على التركيز.

وفي صبيحة اليوم التالي، أعلم مروان كنفاني الناطق باسم عرفات الصحفيين : "أنه أقنع الرئيس الفلسطيني بالذهاب للنوم عدة ساعات كي لا يقع مغشيا عليه على طاولة المفاوضات.

حلت الساعة التي يثبت فيها عرفات قدرته كمفاوض من الدرجة الأولى، في المرحلة الأخيرة، كانت القضايا الباقية دون حل هي : قبر راحيل وعبور رجال الشرطة الفلسطينية من المنطقة (A) إلى المنطقة (B) وخارطة التسوية المرحلية. وقام بيران بشرح الاقتراح الإسرائيلي للترتيبات الأمنية في قبر راحيل، والذي جاء فيه : أن الجيش الإسرائيلي سيتحمل المسئولية الأمنية عن القبر نفسه، والطريق المؤدي إليه من حي جيلة في جنوبي القدس، ولأسطح بعض المنازل التي تطل عليه، ولموقف السيارات المتاخم للقبر وعلى أن تقوم دوريات مشتركة بالعمل خارج الإطار الذي تمت الإشارة إليه.

صرخ عرفات قائلا : سكان بيت لحم لن يوافقوا على ذلك بأي حال من الأحوال، وأنا لن أوافق على ذلك، فإلى جوار القبر توجد مقبرة إسلامية والمكان كله موجود في المنطقة (A) وأنا نفسي مثلما هو معروف لكم، من نسل راحيل.

ثم حاول عرفات أن يفتح النقاش مجددا حول الحرم الإبراهيمي، واصبح النقاش عاصفا مما جعلنا نفضل أرجاء النقاش حول قبر راحيل إلى اليوم التالي عدنا إلى الطابق العاشر، في أعقاب تناول طعام العشاء كي نكشف أمام الفلسطينيين– قبل الموعد المقترح لإنهاء النقاش.

خارطة التسوية المرحليـــة

قدم بيران خارطة المنطقتيـــن (A و B) واللتيـن تشـكلان مـا نسـبته ٢٢% من الضفة الغربية وقد احتلت المدن الفلسـطينية التـي شـكلت المنطقـة (A) ٣% مـن الضفة الغربية، حملق عرفات في الخارطة للخطة ثم قفز مــن مقعـده، وقـال إن هـذه الإهانة أكبر بكثير مما يستطيع أن يحتمل، هذه هي كانتونـــات هـل تريـدون أن اسـلم بكانتونات أنتم تريدون تدميري وغادر عرفـــات الغرفـة.

وبعد عـــدة دقـائق مـن وصولنـا إلـى الطـابق الثـامن، قـدم صحفيـون إسرائيليون، وقالوا إن مروان كنفـــاني أعلـن عـن انـهيار المفاوضـات وأن عرفـات سيغادر طابا، اقترح بيرس أن أحاول الوصول إلى عرفات قبـل مغادرتـه، فـي حيـن اتصل آفي جيل هاتفيا بدنيس روس لإعلامه بالأزمـــة الناشـبة وقبـل أن أصعـد إلـى الطابق التاسع، تحدثت مع أسامة الباز فــي القـاهرة، وطلبـت منـه أن يتحـدث مـع عرفات، كما تحدثت مع يوسي جينوسار في الشـــأن ذاتـه.

لقد أردنا أن نحـــول دون انـهيار المفاوضـات بسـبب الخارطـة، لأن هـذا الانهيار سيستمر أسابيع ولن يكون مجديا للمفاوضات، صعـــدت إلـى غرفـة عرفـات، فطلب من جميـع الموجوديـن الخـروج، فجلسـت قبالتـه وقلـت لـه : إن خارطتنـا ملائمة تماما لإعلان المبادئ فقال : إنـــه لا يسـتطيع الموافقـة علـى الكانتونـات، وأن هذا الوضع مستحيل، فـــاقترحت عليـه أن يقـوم هـو ومسـاعدوه بـإعداد التواصـل الجغرافي الذي يعتقدون أنه ضروري ونحن علـــى اسـتعداد لمناقشـته.

انضم إلينا ايلان بيران، وتحدث مع عرفات بروحيـة مماثلـة لمـا قلتـه أنـا فوافـق عرفـات علـى أن يعـود الوفـدان إلـى غرفـة الاجتماعـات لمناقشـــــة التعديلات المطلوبـة.

عاد عرفات إلـى الطـابق العاشـر وأحضـر معـه الخارطـة التـي أعدهـا الفلسطينيون في فندق باطيو والتي تشير إلـــى أن ٤٠% مـن مسـاحة الضفـة الغربيـة هي مناطق الحكم الذاتي، مع ضمان وصول إسرائيل إلـــى جميـع المسـتوطنات.

نظر بيرس إلى الخارطة، ورفض مجرد مناقشتها وطلب من اللواء (بيران) والعميد (يوم طوف ساميه) أن يفردا على الطاولة الخريطة الإسرائيلية.

سأل بيرس عرفات : في أية مناطق تريد أن يكون هناك تواصل جغرافي. فأشار عرفات إلى عدة أماكن على الخارطة فبذل بيران قصارى جهده لإرضاء عرفات، وعمل على توسيع المناطق الفلسطينية في عشرة أماكن تقريبا من أجل خلق معابر بين المنطقتين (A وB).

قال بيرس : (هذا هو) لا أستطيع بعد الآن إضافة أي شيء إلى الخارطة، وأرسلها لإعادة رسمها بالتعديلات الجديدة ولم يعارض عرفات ذلك.

لاشك أن موافقتنا على انسحاب الجيش الإسرائيلي من ٢٧% من الضفة الغربية في البداية كان يعتبر بالنسبة لنا موقفا منطقيا، إضافة إلى أننا حافظنا على مصالحنا الأمنية مثلما حدد الجيش الإسرائيلي، وقد استغرقت الجلسة كلها ثلاثين دقيقة.

في نهاية الجلسة، قال أبو علاء، أنه خارج إلى غرفة الهاتف، وتذكرت أنه لم يتفوه بحرف طيلة النقاش، وقد بدا الآن شاحب الوجه.

لقد بدا شديد الغضب جراء الضغوط التي مارسناها على عرفات، وتفرق الجميع للإعداد لليوم الأخير من المحادثات يوم الجمعة وللتوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق، وعكف زينجر وعريقات على صياغة التنازلات الأخيرة بسرعة كبيرة.

قدمت ستيلا فجأة وقالت : عرفات يطلب أن تذهب إلى غرفة أبو علاء فورا، لقد أغمي عليه، ركضت إلى غرفة أبو علاء فوجدته أصفر الوجه شاحبا كالأموات، ويرتعد ويفقد بين الفينة والأخرى وعيه، في حين جلس عرفات مذهولا إلى جانب السرير، وهو يمسك بيد أبو علاء همست في أذنه: أبو علاء كل شيء على ما يرام، وستكون على ما يرام.

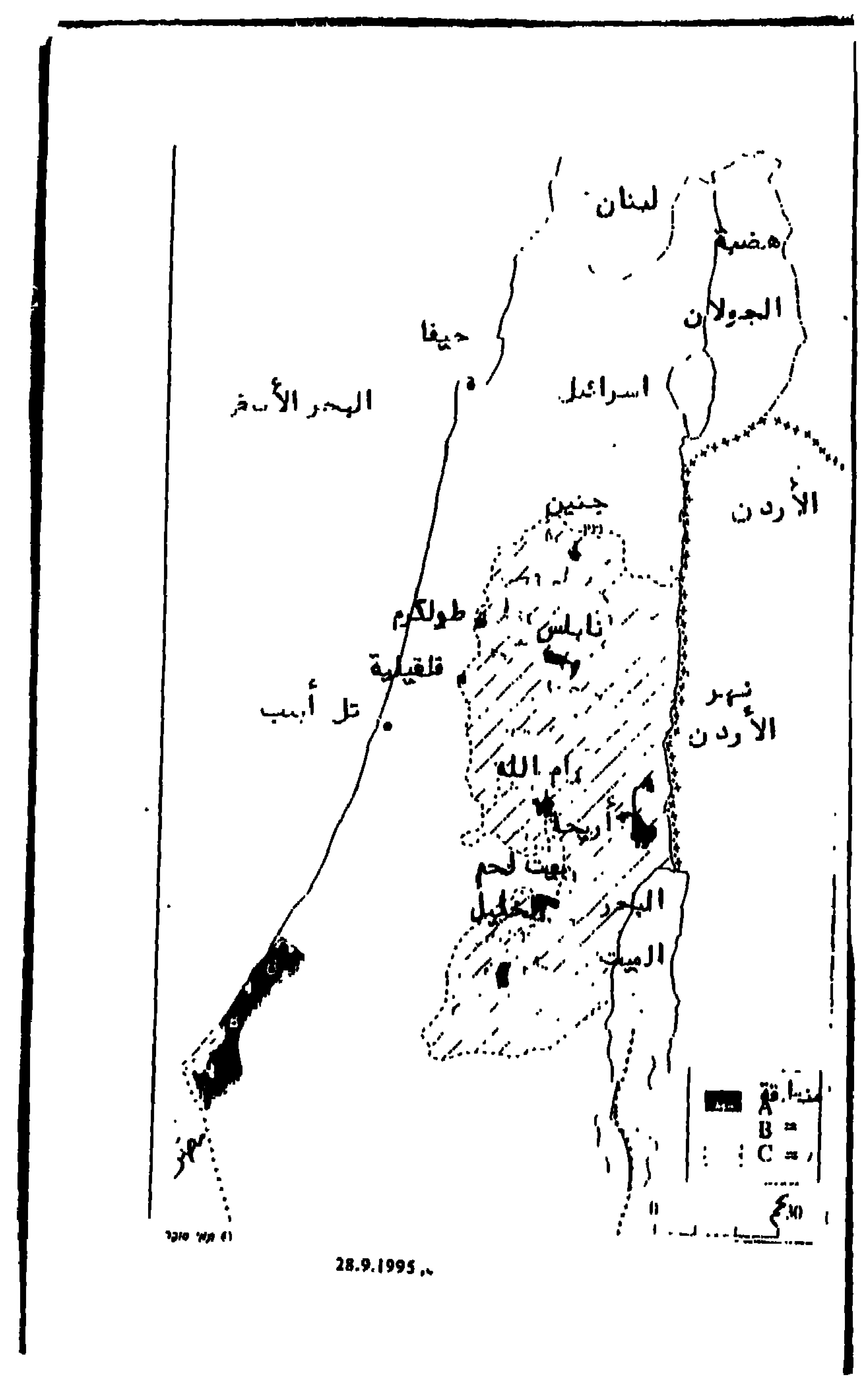
وقدم بيرس وجيل إلى الغرفة، في الوقت الذي كان فيه الطبيب يقيس نبض أبو علاء، فوجده غير مستقر، كنا واثقين من أنه أصيب بنوبة قلبية، واستدعينا سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى في ايلات.

عدت إلى الغرفة كي أرتاح قليلا عندما قدمت ستيلا وقالت لي لقد اتصل جيل من المستشفى وأفادت أن سقوط أبو علاء جاء جراء الإرهاق وليس بسبب الإصابة بنوبة قلبية، وأن وضعه بات مستقرا.

Paragraph 11: Each side explained its position regarding the Tomb of the Patriarchs. Since they were unable to reach an agreement about it, they have agreed to keep the present situation as is.

Paragraph 12: Six months after the redeployment, the high level committee on Hebron will begin to discuss the above mentioned arrangements in order to seek an agreement.

مسودة المفاوضات حول الحرم الابراهيمي مع ملاحظات ابو علاء - طابا - ايلول / ١٩٩٥.



الخارطة الخامسة : خارطة التسوية المرحلية

أبو علاء.. منطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية
اليسار الإسرائيلي قرأ الاتفاقية ولم يفهم مغزاها التاريخي
واليمين فسرها بفلسطنة الضفة

استأنفنا المحادثات في نفس الليلة، كي نستطيع التوقيع على الاتفاقيات في اليوم التالي. واقترحت على بيرس أن يوقع زينجر وعريقات هذه المرة على الاتفاق، لأنني لم أتخيل أن بمقدوري التوقيع على الاتفاق الذي عمل أبو علاء أكثر من أي إنسان آخر، من أجل إنجازه -ذلك الاتفاق- الذي بدا في نظر الكثيرين مستحيلا.

لقد قاد أبو علاء الجانب الخاص به في كل مرحلة من مراحل الاتفاق بدقة وبكامل طاقته، بيد أنه فعل ذلك دائما بمنطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية.

استهل عرفات المفاوضات بالمطالبة بتجميد الاستيطان، وفقا للوعد الذي قطعه له على نفسه -رابين- حسب قوله.

فقال له بيرس:" لن نجري معكم أي مفاوضات حول تجميد الاستيطان، هذا القرار هو قرار إسرائيلي، وقد اتخذته حكومتنا قبل إعلان المبادئ، بيد أنني على استعداد لإرسال نسخة من القرار إليك كرسالة مرفقة.

وأقنع بيرس عرفات بألا يتم تحديد مساحة كل مستوطنة على الخارطة للحيلولة دون نشوب جدل عديم الجدوى حول ما يمكن اعتباره استيطانا أم لا.

واصلت الطواقم العمل، واصبح الطابقان الثامن والتاسع، بمثابة مصنع للوثائق، وقام عشرات الأشخاص بحملها جيئة وذهابا من غرفة إلى أخرى، في حين عكفت الطواقم في إحدى الغرف على إحداث التغييرات في خرائط الضفة الغربية، واستكملت اللمسات الأخيرة المتعلقة بالتسويات الخاصة بالخليل.

بقيت صبيحة الجمعة، ثلاث قضايا، تحتاج لتدخل بيرس وعرفات: العبور من المنطقة (A) إلى المنطقة(B) من قبل الشرطة الفلسطينية تغيير مكانة مناطق من (B) إلى (A) والترتيبات الأمنية في قبر راحيل، إضافة إلى عدة

قضايا مدنية وقضائية فرعية تتطلب مفاوضات إضافيــــة، وتعديــل الخرائــط بصــورة نهائيـة.

وأعرب زينجر وعريقات عن اعتقادهمــــا بأنـــه لا توجــد أي وســيلة، تمكــن من إتمام ما هو مطلوب حتى مساء الجمعة، وبالتــــالي، كــان يتوجــب علينــا العمــل مساء السبت كي نصل إلى مرحلة التوقيــــع بــالأحرف الأولــى يــوم الأحــد، عشــية رأس الســنة.

قمنا، عريقات وزينجر وأنـــا، بــإعداد صيغــة مرضيــة لتحويــل قســم مــن المنطقة(B) إلى المنطقة(A) إلـــى جــانب الانســحاب الإضــافي- باســتثناء المنــاطق ذات العلاقة بالقضايا التي سيتم تحديدها خلال مفاوضــات التســوية الدائمــة.

أعطينا هــذه الصيغــة أهميــة كبــيرة، لأننــا كنــا قــادرين بفضلــها، علــى الاحتفاظ بالســـيطرة الأمنيــة فـــي قـــرى معينــة قـــرب الخــط الأخضـــر أو قـــرب المستوطنات حتى التســـوية النهائيــة، بيــد أننــا لــم نكــن نرغــب فــي أن يــدرك الفلسطينيون هذه الحقيقة، ولم نكن واثقين من ســـرية الــهواتف وأمانتــها فـــي طابــا. لذا بدت المحادثة التي أجراها بيرس مع رابين لاطلاعـــه علــى التغيــيرات التــي تــم إجراؤها، والصيغة التي تم إنجازها غريبة إلى حــد مــا، وقــد جــاء الاتصــال علــى النحو التــالي:

-بيرس:" اسحق، أنـــا بــيرس، لقــد توصلنــا إلــى اتفــاق حــول نقــل أقســام مــن المنطقة(B) إلى (A)" وتطرق بالتفصيل إلى الصيغة، ثـــم قــال:" الطــاقم يقــول أنــها ليست صيغة جيدة إلى حد كبير، بيد أننا نوصــــي بقبولــها".

-رابين:" لا افهم، إذا لم تكن جيدة إلى حد كبــير، فلمــاذا نقبلــها؟"

-بيرس:" اسحق أنا أتحدث من طابـــا".

-رابين:"أنا اعــرف"

-بيرس:" اسحق تذكر أنني أتحدث مــن طابــا"

-رابين: لقد قلت لي ذلك للتو، وأنا أعــرف ذلــك".

-بيرس:" لذا أوصي بقبول الصيغـــة"

-رابين:" آه"... ويبدو أنه أدرك لتوه سبب هذه التوصية الغريبة من بيرس، وأعطى موافقته.

عدنا للاجتماع، عشية رأس السنة العبرية، في غرفة الاجتماعات في الطابق العاشر، وقام بيران بإيضاح إجراءات تنقل رجال الشرطة الفلسطينية من المنطقة(A) إلى (B)- من المدن إلى القرى- وذكر بأنهم سيحتاجون إلى إذن منا، مثلما هو معمول به بين مراكز الشرطة.

-عرفات:" نعم، بالتأكيد، سوف ينسقون معكم".

-بيران:" لا، سيدي الرئيس، أنت تعرف الفارق، سيكونون بحاجة إلى طلب الإذن عبر مكتب التنسيق الإقليمي، وإلا فإنه سيحدث ارتباك مطلق بشأن حركة رجال الشرطة الفلسطينية وجنودنا".

-عرفات:" لذا، هناك حاجة للتنسيق بين الطرفين"

-بيرس:" التنسيق سيتم من خلال تصريح في مكتب التنسيق الإقليمي" ما هي المشكلة.؟"

قفز عرفات من مقعده وقال:" ماذا تفكرون؟" هل سيكون رجال الشرطة الفلسطينيون خاضعين لكم؟؟ هل يجب أن نطلب منكم تصريحا كي ندخل قرية فلسطينية في المنطقة(B) من أجل التحقيق في عملية سطو أو نزاع عائلي؟؟ هذا ليس اتفاقا، لن أوافق على أن تخجلوني، لست عبدا لكم، لست عبدا لكم". وخرج من الغرفة هائجا.

قال بعض رجالنا:" هذا يحدث دائما قبل نهاية المفاوضات" بيد أننا شاهدنا حقائب الفلسطينيين محمولة على درجات الفندق، مما جعلنا نتساءل عما إذا كنا قد وصلنا إلى أزمة حقيقية؟؟ توجه إلي كنفاني، وقال لي:" هذه المرة سيغادر المكان حقيقة" فقلت:" وبيرس أيضا سيغادر المكان، لقد ضجرنا من هذه الأزمات" فقال "دعنا الان من كل هذه الألاعيب، وتعال نلحقه علك تستطيع إقناعه".

سرت في أثر كنفاني إلـــى غرفــة عرفـــات، ودخلـــت إليـــها. كـــان غضبـــه شديدا بل اشد من الغضب الذي أبداه بشأن الخارطة قبل ثلاثة أيـــام. وقـــال:" لـــم أفكـــر أنكم ستسيرون في هذا الطريق، أنتم حقا تريدون إذلالـــي، ومـــا دام الامـــر علـــى هـــذا النحو، فإنني أفضل الا يكون اتفـــاق".

قلت:" أبو عمار، لقد اجتزت طريقـــا طويـــلا جـــدا، ومـــن المؤســـف حقـــا أن تحطم كل شيء الان، وأنا أؤكد لك، أنه لو تواصلت المفاوضـــات مائـــة ســـنة أخـــرى، فإن بيرس ورابين لن يغيرا موقفهما بهذا الصـــدد. إن مـــا ترغـــب فيـــه ســـيؤدي إلـــى هدم التوازن القائم في المنطقـــة.

بقي عرفات عدة دقائق دون أن يتفوه بكلمـــة، ثـــم نـــادى ياســـر عبـــد ربـــه، وتحدثا باللغة العربية ورغم أن عبد ربـــه لـــم يكـــن معروفـــا باعتدالـــه، الا أنـــه بـــدا بوضوح، وهو يحاول إقناع عرفات، بإبداء قدر أكـــبر مـــن المرونـــة.

قلت:" سيدي الرئيس، من خـــلال إدراكـــي لمـــدى صلاحيـــاتي فـــي التوصـــل إلى تسوية، أنا واثق أننا نستطيع التوصل إلـــى أســـاليب اقـــل عدوانيـــة لقـــول الأشـــياء التي نود قولها في مراسيم الاتفاق. وبعد ثلاثة اشهر، قـــد نســـتطيع إعـــادة النظـــر فـــي إماكنية إجراء تغيير في وضع حركة رجـــال شـــرطتكم".

عثر زينجر في هذه الاثنـــاء علـــى صيغـــة إنجليزيـــة أليـــن لأخـــذ تصريـــح للتنقل" Confirmation" بدلا من "Approved" ووافق بـــيران، أنـــه وفـــي نهايـــة الأشـــهر الثلاثة الأولى للسيطرة المشتركة على المنطقـــة(B)، ســـتكون هنـــاك حاجـــة لأخطـــار مسبق حول تحركات الشرطة في المناطق التي ســـيتم الاتفـــاق عليـــها بيـــن الطرفيـــن. وقد وافق عرفات على ذلك. لم يبق سوى مشكلة قبر راحيـــل. وعندمـــا عدنـــا وتقابلنـــا في الطابق العاشر، قال (بيران) لبيرس باللغـــة العبريـــة وبحمـــاس بـــالغ، أنـــه يصـــر على وضع جنود إسرائيليين على أسطح المنازل القريبة مـــن قـــبر راحيـــل:" فقـــال لـــه بيرس:" تحدث بالإنجليزيـــة".

توجه بيران إلى عرفات، وقال:" إذا ما نفذنا الأمـــور بأســـلوبكم، فلـــن أكـــون مؤهلا لضمان الأمن، لقد وافقتم، لقد بذلنا جـــهدا كبـــيرا مـــن أجـــل إرضـــائكم بشـــأن

إعادة الانتشار حول جميع المدن، وأيضا بشأن الخليل وأنـــا مضطــر لاشــتراط شــرط يعتبر الحد الأدنى في هذا المكـــان المقــدس".

كان بيران يغلي، ومـــرة أخـــرى فاجأنـــا عرفـــات، وكمـــا يبـــدو، أنـــه تـــأثر بحماس بيران، لذا توجه عرفات إلى بيران وصافحه، وقـــال:" أنـــا موافـــق"، ثـــم عـــانق اللواء المندهـــش.

أصبح اتفاق التسوية المرحلية جـــاهزا ومســـتكملا للتوقيـــع وبعـــد أن اتصـــل بيرس وعرفات بكريســـتوفر وروس لاطلاعـــهم علـــى الوضـــع، تـــم التقـــاط صـــور للوفدين معا للذكـــرى.

عاد أبو علاء قبل يوم من الاتفـــاق، وقـــد اســـتقبلناه بالترحـــاب فتوجـــه إلـــى بيرس وقال له:" أشكرك من أعماق قلبي علـــى مرافقتـــك لـــي إلـــى المستشـــفى". فقـــال له بيرس:" الامر المهم هو أنـــك معـــافى".

همس أبو علاء قائلا:" لقد أنقذ بيرس حياتي. لقـــد جلـــس إلـــى جـــواري فـــي سيارة الإسعاف، وقال لي: احمد- أبو علاء- نحـــن جميعـــا نريـــدك" وأنـــا لـــن أنســـى ذلك ما حييـــت".

جلسنا يوم الأحد، أنا وأبو علاء، أمـــام كـــاميرات التليفزيـــون، ووقعنـــا علـــى اتفاقية التسوية المرحلية بـــالأحرف الأولـــى -والـــذي اســـماه الجميـــع اتفاقيـــة أوســـلو الثانية"- ثم ألقى بيرس وعرفـــات كلمتيـــن قصـــيرتين هنـــأ خلالـــها عرفـــات الشـــعب اليهودي بالعبرية بعيد راس الســـنة.

وقد أثنى بيران على الاتفاقية أمام الصحفييـــن بـــالقول:" لـــم تكـــن هنـــاك أي إمكانية لإنجاز اتفاق افضل، ولم نستطع التعايش مع اقـــل مـــن ذلـــك".

وقعت الاتفاقية في (٤١٠) صفحات، وثمـــاني خرائـــط وكـــانت لغتـــها شـــديدة التعقيد، تماما مثل خطوطها الهيكلية ، ومثـــل الواقـــع الـــذي مـــن المحتمـــل أن يتغـــير، بيد أن المبادئ التي وضعت كأســـــاس لـــهذه الاتفاقيـــة، كـــانت واضحـــــة وهـــي على النحو التـــالي:

<u>في المرحلة الأولى (تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩٥)-</u>

١. الجيش الإسرائيلي سينسحب من ست مدن فلسطينية في الضفة الغربية، باستثناء الخليل وجميع الصلاحيات فيها مدنية وعسكرية، ستنتقل إلى الفلسطينيين.

٢. يقوم الجيش الإسرائيلي في نفس الوقت بالانسحاب من جميع قواعده في المنطقة القروية بيد أنه سيواصل تحمل المسئولية الأمنية الشاملة لمحاربة الإرهاب والدفاع عن الإسرائيليين في المنطقة التي تشمل تلك القرى.

٣. ستأخذ السلطة الفلسطينية على عاتقها في أعقاب إعادة الانتشار العسكري الإسرائيلي، المسئولية الأمنية، والمسئولية المدنية للمدن الفلسطينية -٣% من مساحة الضفة الغربية- وكذلك المسئولية المدنية ومسئولية النظام العام في القرى الفلسطينية -٢٤% من مساحة الضفة الغربية- ويجري تجسيد مسئولية النظام العام من خلال خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينيا مثلما هو وارد في الخرائط.

٤. تتحمل إسرائيل المسئولية المدنية والمسئولية الأمنية لـ٧٣%من مساحة الضفة الغربية-المناطق غير المأهولة- و١٠% تقريبا من مساحة قطاع غزة بصورة خاصة في مناطق الاستيطان مثلما تم تحديده قبلا، في اتفاقية غزة أريحا.

٥. تتحمل إسرائيل جميع المسئوليات الأمنية لتنقل الأشخاص والبضائع إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ومنهما إلى الخارج.

<u>في المرحلة الثانية (كانون الثاني -نيسان ١٩٩٦):-</u>

١. تجرى انتخابات ديموقراطية وحرة لمجلس فلسطيني مؤلف من ثمانية وثمانين عضوا، وكذلك لمنصب رئيس السلطة الفلسطينية بمشاركة جميع أصحاب حق الانتخاب في الضفة الغربية وغزة.

٢. بعد شهرين من الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني، يتخذ المجلس الوطني الفلسطيني- وهو الجهة الممثلة لجميع الفلسطينيين- قرارا، بأغلبية

ثلثي أعضائه على الأقل، للمصادقة على إلغاء جميع بنود الميثاق الوطني الفلسطيني الداعية لتدمير إسرائيل، والتي تتناقض، بأي شكل من الأشكال مع الاتفاقيات مع إسرائيل.

٣. بعد ستة اشهر من التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية، يخلي الجيش الإسرائيلي الخليل، ويتم نقل غالبية أجزاء المدينة للسيطرة الأمنية والمدنية الفلسطينية، ستواصل إسرائيل الاحتفاظ بالمسئولية الأمنية للمنطقة التي يسكنها المستوطنون في الخليل، والطرق التي يتحرك عليها هؤلاء المستوطنين والحرم الإبراهيمي، وعدة مناطق ملاصقة.

<u>المرحلة الثالثة:</u>

في الرابع من أيار ١٩٩٦، ستبدأ المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية حول التسوية الدائمة، والتي ستشمل قضايا، مثل المستوطنات، القدس، اللاجئين، الحدود والعلاقات مع الدول الأخرى. وستنتهي هذه المفاوضات في الرابع من أيار ١٩٩٩.

<u>المرحلة الرابعة:</u>

تخلي إسرائيل المنطقة غير المأهولة من الضفة الغربية باستثناء مناطق أمنية محددة- وفقا لتحديد إسرائيل على أن تفعل ذلك في غضون ثمانية عشر شهرا من تاريخ الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني. تنفذ الانسحابات الثلاثة الإضافية، على ثلاث مراحل بفارق زمني قدره ستة اشهر بين المرحلة والتي تليها.

وفي نفس الوقت تنقل إسرائيل إلى السلطة الفلسطينية صلاحيات أمنية في المناطق القروية الفلسطينية(المنطقة B) باستثناء المناطق ذات العلاقة بقضايا التسوية الدائمة.

تنطبق المسئولية الأمنية الإسرائيلية على الأمن الخارجي، وعلى الإسرائيليين الذين يعيشون في المستوطنات، وعلى حركة الإسرائيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويتحمل الفلسطينيون مسئولية تنفيذ نشاطات أمنية ترمي

لمحاربة الإرهاب. بما فيها مصادرة الأسلحة غير المشروعة، في المناطق الواقعة تحت مسئوليتهم الأمنية.

حدد الاتفاق أيضا الصلاحيات التشريعية المحددة للمجلس الفلسطيني، وألغى أي صلاحيات تعارضها حيث جاء فيها:" أن السلطة الفلسطينية لن تدير أي علاقات خارجية، باستثناء شئون محددة، كانت منظمة التحرير تعالجها- مثل المساعدات الدولية- كما أكد الاتفاق على أن السلطة الفلسطينية ستكون جزءا من الجهاز الجمركي الإسرائيلي.

وأكد الاتفاق على أن إسرائيل، والسلطة الفلسطينية، ستعمدان إلى إنشاء منظومة لجان للتعاون في مجال تطبيق الاتفاق، بما فيها لجنة رقابة ومتابعة عليا، والتي ستشرف على تنفيذ الاتفاق.

أضف إلى ذلك، أن هذا الاتفاق التاريخي وضع حدا للسيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، ووضع حدا لنظرية "أرض إسرائيل الكاملة " ووضع حجر الأساس لبداية تعاون بين الشعبين اللذين قررا اقتسام البلاد فيما بينهما من أجل الهدف المشترك: السلام والأمن والتطوير الاقتصادي.

عدنا إلى إسرائيل، عشية عيد رأس السنة، وبعد انتهاء العيد، توجه وفد كبير إلى واشنطن لحضور المراسيم الرسمية لتوقيع الاتفاقية.

قدم الوفد الفلسطيني عبر القاهرة وشمل أبو مازن، فقد قرر عرفات في اللحظات الأخيرة، أن يوقع أبو مازن وليس أبو علاء إلى جانبه على الاتفاق باسم الفلسطينيين. لقد مس هذا القرار بأبو علاء مسا شديدا، لان أبو مازن لم يلعب دورا في المفاوضات حول التسوية المرحلية، بل ولم ينتقل للسكن في مناطق، الحكم الذاتي، الا قبل شهرين من ذلك، أي بعد سنة من وصول عرفات ورجاله إلى الضفة الغربية وغزة، قادمين من تونس.

كان الانسجام بين عرفات ورابين يوم توقيع الاتفاقية، أكثر من عادي. وفي الكلمة التي ألقاها رابين في مراسيم الاستقبال التي أعدها الرئيس الأميركي

كلينتون في ساعات الظهر، قال رابين بين ضحك أعضاء الوفد الفلسطيني: أن عرفات قد اصبح يهوديا بسبب الخطابات الكثيرة التي يلقيها.

وقع رابين وبيرس وعرفات وأبو مازن على الاتفاقية في البيت الأبيض بحضور الرئيس الأميركي والرئيس المصري حسني مبارك، والملك الحسين.



١٢- أوري سبير ووزير الخارجة النرويجي هولست وأبو علاء خلال مفاوضات التسوية المرحلية والتوقيع بالأحرف الأولى عليها.

الباب الثالث

- النضال -

الفصل الثامن

سـلام وعنف

شارك ايجال عمـير- وهو طالب في كلية الحقوق، يناهز السابعة والعشرين من العمر، ويعتمر قبعة متدينيين سوداء- في المظاهرات التي اندلعت ضد الحكومة، تلك المظاهرات التي أطلقت خلالها شعارات تقول:" رابين قاتل، رابين قاتل". ومثله مثل الكثيرين الآخرين، اختزن عمير مشاعر الكراهية والحقد التي يختزنها اليمين الإسرائيلي، بيد أن المظاهرات والصيحات المجنونة التي أطلقها خلالها لم تكن كافية لإرواء نفسه المتعطشة لتدمير السلام، لذا عمد إلى التخطيط طيلة شهور ووضع خطة ذاتية قادرة على تدمير المسيرة.

سكن عمير في هرتسيليا، وقد عملت والدته مديرة لروضة أطفال، وكان والده روائيا، وعلى رف الكتب في منزله تم العثور على رواية "رئيس هدف لفوهة البندقية" وهي رواية مغامرات، يدور فيها سباق مجنون، بين قوات الأمن الفرنسية، ومحترف قتل مأجور، لقتل الرئيس (ديغول)، وقد تم اعتقال هذا القاتل في نفس اللحظة، التي كان يصوب فوهة البندقية إلى جسد الرئيس ديغول ويهم بإطلاق النار.

قرر ايجال العمل بصورة اكثر فعالية. وفي آذار ١٩٩٤ شارك في مظاهرة أعلن خلالها أن بيرس ورابين هما افعيان يجب قتلهما، ولا شك أن دولة إسرائيل ستنقذ من الدمار إذا ما قتلهما شخص ما، مما سيؤدي إلى إجراء انتخابات توصل نتنياهو إلى السلطة.

لقد شعر اليمين الإسرائيلي، أكثر بكثير مما شعر اليسار، بأن اتفاقيات أوسلو الثانية هي بمثابة تطور تاريخي سيجلب الكوارث على إسرائيل. لقد عكف غالبية أعضاء اليسار، آنذاك، على قراءة ما هو وارد في الاتفاقية، وتتبع مسار الخرائط الملحقة بها، دون أن يتعمقوا بمغزاها التاريخي.

أما اليمين الإسرائيلي فقد أدرك أن إعادة الانتشار وتسليم المدن إلى الفلسطينيين يعني (فلسطنة) الضفة الغربية، وأملوا في أن يتمكنوا من وقف هذه المسيرة بالمظاهرات العامة التي نظمتها المعارضة وجهات برلمانية وغير برلمانية.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٩٥ وعندما انعقدت الكنيست للموافقة على الاتفاقية، تجمهر عشرات الآلاف في ميدان صهيوني بالقدس، وألقى بنيامين نتنياهو- بوصفه رئيس المعارضة- خطابا فيهم، وصف خلالها الاتفاقية بأنها (عملية خنوع) ووصفها أيضا بأنها"خطر على وجود إسرائيل" وقد أكد نتنياهو ونظراؤه الآخرون من أعضاء اليمين، أن المصادقة على الاتفاقية في الكنيست ستتم بأغلبية أعضاء كنيست ليسو يهودا ذلك أن من بين الواحد والستين عضو كنيست- الذين كانوا على وشك الموافقة على الاتفاقية- خمسة أعضاء من العرب ودرزي واحد، وبالإعلان عن أن رابين يعتمد على "الحزب العربي المؤيد لمنظمة التحرير" اسهم أعضاء اليمين في سحب الشرعية من العرب في إسرائيل.

لقد استثمرت الفكرة التي طرحها نتنياهو والقائلة أن الاتفاقية لا تحظى بتأييد أغلبية يهودية في إسرائيل، في العديد من الأوساط اليهودية المتطرفة، وأوساط أولئك الذين شككوا دائما في مدى إخلاص العرب في إسرائيل للدولة.

وفي تعقيبه على هذا الوضع، قال (إليكم هعتسني)، أحد زعماء المستوطنين :"الحكومة هي عصابة، تمكنت من اختطاف الحكم بالاستعانة بمنظمة إرهابية" أي أن حكومة رابين كانت بالنسبة له حكومة غير شرعية ولا تمثل الشعب الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن (ايجال عمير) قال خلال محاكمته، في أعقاب اغتياله لاسحق رابين "لقد اختير رئيس الحكومة بأصوات العرب، ٢٠% من أولئك الذين صوتوا لصالحه هم من العرب، فهل ندع هؤلاء العرب، يقررون مصير بلادي؟

وخلال المظاهرة الصاخبة، آنفة الذكر، في السادس من تشرين الأول ١٩٩٥، وزعت صور رابين وهو يرتدي ملابس "الاس اس" الشرطة النازية وقالت الأنباء حينئذ أن الذي وزع هذه الصور هم جماعة منظمة (كهاناحي).

وفي نفس الليلة، هاجمت الغوغاء سيارة رابين- بيد أنه لم يكن فيها- وأخذت تدق بقبضاتها على السيارة، بل وقام بعضهم باقتلاع علامة (كاديلاك) من السيارة، وفاخروا قائلين: إذا كنا قادرين على الوصول إلى علاقة السيارة، فنحن قادرين على الوصول إلى رابين. راقبت رابين خلال الجلسات التي عقدت اثر المظاهرات آنفة الذكر، فرأيت أن رد فعله على تلك الهجمات اتسم بمزيج من الغضب والرفض. ولم يبد أنه يخشى اليمين، وأن يكن قد تصرف تجاهه بضبط نفس تام.

وفي نفس اليوم الذي كان يفترض أن تصوت فيه الكنيست على الاتفاقية عقد رابين اجتماعا شارك فيه شمعون بيرس، والكادر السياسي الأعلى، وأنا واستهل رابين الحديث بالقول :" في غضون الأسبوع القادم، سنشرع بإخلاء مكاتب الإدارة المدنية -على الأقل مكتبين في منطقة سلفيت- وآمل أن نتمكن من إخلاء أربعة مكاتب وستقرر هيئة الأركان أسلوب الإخلاء. وأنا أريد من شمعون بيرس، ومسئولي جهاز الأمن العام، أن يجتمعوا بعرفات، ويطالبوه بتحسين أدائه ضد الإرهاب وبالإمكان أيضا أن تقترحوا عليه اختيار تاريخ لإجراء الانتخابات، يقع بين العشرين من كانون الأول ١٩٩٦ ونيسان ١٩٩٦ إذا اراد الانتظار حتى استكمال إعادة الانتشار في منطقة الخليل.

بدا رابين مصرا على مواصلة تنفيذ الاتفاق، وأن الضجة وحوادث الشغب والمظاهرات في الشوارع لا تؤثر عليه أبدا. لقد كان على وشك تنفيذ عمل أمني شديد التعقيد: إخلاء الجيش الإسرائيلي من أماكن التجمعات السكنية الفلسطينية، وبالتعاون مع شريك لا يمكن وصفه بالنموذجي، بيد أن الطرفين يعملان من اجل هدف يؤمنان به.

اجتمع بيرس وقادة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، مساء اليوم التالي بعرفات، الذي جاء إلى حاجز ايرز وبصحبته مسئولو أجهزته الأمنية. وقد قال عدد من ضباطنا الكبار لعرفات، أنه يسمح لرجاله بالتأكيد اكثر من اللازم على المحادثات التي أجراها مع مسئولي حركة حماس في السودان بموافقتنا. وقالوا له. انه لا يكفي أن يعمل على إقناع حماس بالتحول إلى حزب سياسي غير عنيف، بل يجب عليه أيضا، أن يتخذ خطوات حاسمة ضد عناصر الإرهاب النشطة في المناطق.

أكد مسئولو الأجهزة الأمنية التابعة لعرفات أنهم يعملون ليلا ونهارا للحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، وأعربوا عن تذمرهم من طبيعة العلاقة القائمة بينهم وبين جهاز الأمن الإسرائيلي، والمتمثلة في المطالبة الدائمة من جانب واحد، وليس التعاون بين الطرفين كجهتين متساويتين.

وقد أكد بيرس ومرافقوه، أن الامر كله رهن بمدى التعاون الذي يبديه الجهاز الأمني الفلسطيني معهم في مجال مكافحة الإرهاب، وخصوصا في الضفة الغربية، بل أن أعضاء الجهاز الأمني الإسرائيلي، اشترطوا تنفيذ إعادة الانتشار بتعزيز التعاون الأمني بين الجهتين وقد وافق عرفات على جميع مطالبنا الشخصية بيد أنه بقي مصرا على أسلوب (فرق تسد) تجاه حركة حماس.

وقد تم الاتفاق، خلال هذا اللقاء، على جدول زمني للانسحاب الإسرائيلي من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية. وقد طالب الفلسطينيون أن يتم الانسحاب من منطقة جنين في أسرع وقت ممكن، وان يتواكب مع إطلاق سراح المعتقلات الفلسطينيات بمن فيهن المعتقلتان اللتان رفض رئيس الدولة منحهما العفو- رغم التزامنا بذلك في اتفاقية التسوية المرحلية- بسبب مشاركتهما في أعمال قتل إسرائيليين.

أطلقنا على عملية إعادة الانتشار اسم عملية (يومان)، وكنا على وشك إخراجها إلى حيز التنفيذ، وقرر رابين أن توكل عملية الرقابة على التنفيذ، إلى

لجنة متابعة وتوجيه عليا، يتم تشكيلها من طواقم المفاوضات برئاستي، وبرئاسة أبو علاء عن الجانب الفلسطيني.

قررنا عقد اجتماع لهذه اللجنة، مرة واحدة كل أسبوعين، وقد عقد اللقاء الأول في مكتب أبو علاء في (الرام) شمالي القدس، وقررنا خلاله، أن نستقي العبر من اتفاقية غزة – أريحا، وان نشرف على كل بند من بنود الاتفاق، ونضمن سير عمل عشرات اللجان الفرعية، التي تم تشكيلها وفقا لما هو وارد في الاتفاقية.

لقد علمتنا التجربة، أن نجاح تطبيق الاتفاقية رهن بالتعاون الكامل بين الطرفين في جميع المجالات. وأعرب الفلسطينيون عن تذمرهم من الإغلاق الذي يتم فرضه عليهم بين الفينة والأخرى، جراء تنفيذ العمليات الإرهابية. وعقب أبو علاء على ذلك قائلا: "انتم تمسون بالمسيرة السلمية، ولا شك أن هذا الوضع هو جزء من الأجواء التي تؤثر على الأمن".

ناقشنا خلال الحوار المذكور، قضية الرقابة على الانتخابات الفلسطينية، وقدوم عشرات المراقبين الدوليين من الخارج. لقد رغب الفلسطينيون منذ البداية، بوجود المراقبين الدوليين كضمانة لعدم تدخلنا في الانتخابات، بيد أن هؤلاء المراقبين، اصبحوا الان بمثابة ضمانة لصحة مسار الانتخابات.

اشرف بيران على إعادة الانتشار، وهي عملية معقدة لم يسبق للجيش الإسرائيلي أن اكتسب خبرة فيها: انسحاب إرادي مع منح الإمكانية لأولئك الذين كانوا خاضعين حتى الان، لسيطرة الجيش الإسرائيلي، لتسلم مسئولية أمنهم والتي – لاشك – ستؤثر على أمننا. ووفقا لذلك، كانت هناك ضرورة، ليس فقط للقيام بمجهود كبير جدا على الصعيد الميداني، بل أيضا إحداث تغيير عميق في نظريتنا القائلة: انه لا يجب أن نعتقمد في القضايا المتعلقة بأمننا الا على أنفسنا.

عقد بيران ندوة لضباط قطاعه، ودعا إليه طاقم أوسلو كي يوضح لهم الاتفاقية. وقد تمت خلال هذه الندوة، مناقشة ما يسمونه في الجيش "بتغيير الهوائي" – تغيير التوجه من السيطرة إلى التعاون. لقد أصبحت الأهداف جزءا

من المسيرة الآخذة في التطور، نظرا لان التسوية المرحلية، تطلبت تعاونا اكبر من التعاون الذي تتطلبه حتى مرحلة التسوية الدائمة. ولا يرجع ذلك فقط، لكبر حجم الأراضي التي ستمنح للفلسطينيين، بل لان أعداء السلام كانوا متطرفي الطرفين.

وفي السابع عشر من تشرين الأول ١٩٩٥-أي بعد ثمان وعشرين سنة وعدة اشهر، من احتلاله لها، خلال حرب عام ١٩٦٧، دخلت القوات الفلسطينية وهي في أبهى لباسها، ورفعت الأعلام الفلسطينية بين هتافات وصراخ الجماهير. ورغم أن القوات الإسرائيلية توخت ضبط النفس في خروجها، الا أن المواطنين الفلسطينيين رشقوها بالحجارة، وكان منظرا صعبا للغاية على الجماهير الإسرائيلية.

لم تكن الحرارة التي أبدتها الجماهير الفلسطينية مفاجئة لي، بيد أن لا مبالاة الزعامة الفلسطينية للرأي العام الإسرائيلي لا زالت تدهشني. لقد كان الإسرائيليون على استعداد للتسليم، بان يدير الفلسطينيون شئون حياتهم، بيد انهم لم يكونوا على استعداد للتسليم برشقهم بالحجارة، وقد حولت هذه الصورة، المسيرة السلمية، في أعين الكثيرين، إلى نوع جديد من أنواع المواجهات.

لم يدرك الرئيس الفلسطيني، مدى تأثير مثل هذه المناظر على الرأي العام الإسرائيلي، فقد انشغل تماما بمعالجة القضايا الداخلية، في حين لم نحاول نحن، الشروع بحوار مع الرأي العام الفلسطيني لاسباب تتعلق بالتقوقع الذاتي. لقد كان على عرفات، بوصفه الطرف الأضعف- أن يعترف بأهمية التحاور مع الرأي العام الإسرائيلي، مثلما فعل الرئيس المصري أنور السادات، والملك الحسين.

بدأنا نجني ثمار السلام، في مجالات أوسع. فقد خلق قرار إخلاء المدن الفلسطينية من الجيش الإسرائيلي. توجها جديدا تجاه إسرائيل في جميع أنحاء العالم العربي تقريبا، وكذلك في باقي أنحاء العالم.

وبوصفي مدير عام وزارة الخارجيـــة، شـعرت بالنتـائج الملموسـة للتحـول الجديد، فقد أصبحت لدينا علاقات دبلوماسية مع ١٦٢ دولــــة، وقـد أفـادت سـفاراتنا، التي طالبناها بالعمل على جني حصـــاد هـذه المسـيرة: بـان هنـاك اهتمامـا كبـيرا بالاقتصاد الإسرائيلي، ولم يكن يمضـي أسـبوع دون زيـارة ضيـف كبـير - رئيـس حكومة أو وزير خارجيـة، والاهـم مـن ذلـك، كـانت زيـارات رؤسـاء الشـركات الدولية.

لقد تخلت إسرائيل حقا عن المدن الفلسـطينية، لكـن الأهـم مـن ذلـك، هـو أنها تخلصت من الصحراء الدولية، التي دفعت إليـها قبـل اكـثر مـن عشـرين سـنة. وبدأت ممثلياتنا في الشرق الأوسط. فـي سـلطنة عمـان، وقطـر وتونـس نشـاطاتها الدبلوماسـية.

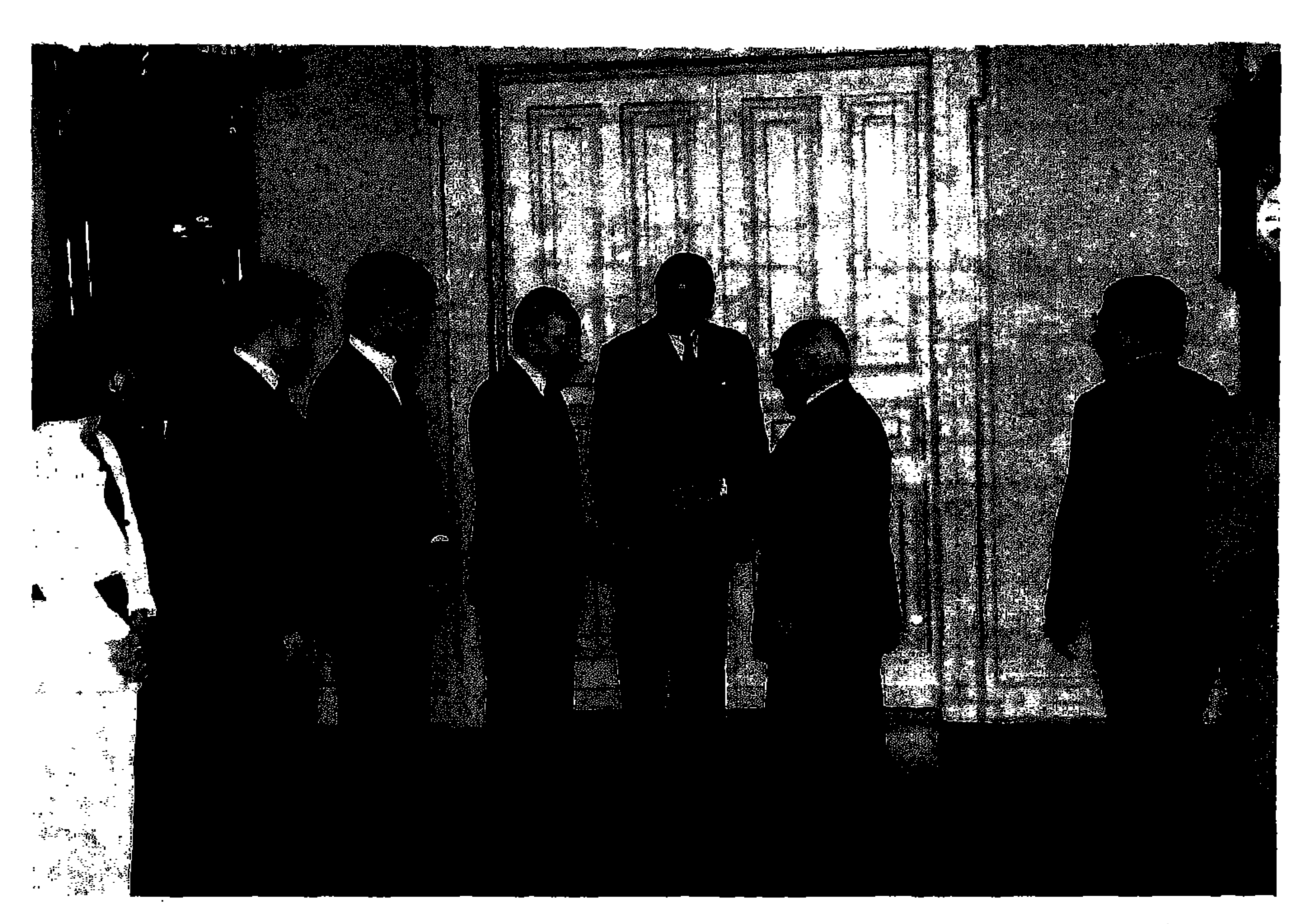
لقد تم إحراز نجاحات كبيرة جدا خلال المؤتمـر الاقتصـادي الدولـي، الـذي عقد في عمان، بعد سنة من مؤتمـر كازابلانكـا. وقـد تـم التركـيز خـلال مؤتمـر عمان، على مشروعات التطوير الإقليمـي، وخصوصـا المشـروعات المشـتركة مـع الأردن، مثل المطـار فـي منطقـة العقبـة - ايـلات، وريفـيرا سـياحية فـي نفـس المنطقة، ومشروعات مشتركة على ساحل البحـر الميـت.

وإذا كان مؤتمر كازابلانكا قد شكل السابقة، فـان مؤتمـر عمـان، أكـد علـى الديمومة، وقد اكثر القادمون إلى المؤتمر، مـن الحديـث حـول إنشـاء بنـك إقليمـي شرق أوسـطي، وهيئـة تخطيطيـة مشـتركة بيـن إسـرائيل والفلسـطينيين والأردن ومصر. علـى أن يعمـل مـن عمـان، وكنـا علـى وشـك تعييـن أول دبلوماسـي إسرائيلي، لشغل وظيفة في أول هيئة شـرق أوسـطية.

كان السياسيون الذين قدموا إلى مؤتمر عمان قلـة، وغالبيـة المشـاركين هـم من رجال الأعمال، ودار الحديث حول قضيـة مركزيـة، تتمثـل فـي تشـكيل شـرق أوسط جديد على الخارطة الاقتصادية العالمية، وخلـق عـهد مـن التعـاون والمنافسـة الاقتصادية لصالح كل سـكان المنطقـة. وتضمـن البيـان الختـامي للمؤتمـر، أقـوالا

صريحة، حول انتهاء المقاطعة العربيـــة، وتوجـــهت مجموعـــة مـــن رجـــال الأعمـــال العرب مباشرة إلى مؤتمر القـــدس.

لقد أدى السلام مع الفلسطينيين، وانفتاح العـــالم تجاهنـــا إلـــى تعزيـــز الوضـــع الراهن في القدس. لقد استندت استراتيجيتنا في القـــدس، علـــى خلـــق اســـتقرار يصـــب في مصلحة الحاكم والمسيطر على المدينة في الحـــاضر، وتؤثـــر علـــى نوعيـــة الحـــل الذي سيتم إحرازه في المفاوضات حول التســـوية الدائمـــة.



١٣- أبو علاء، ووزير الخارجية النرويجي هولست، ووزير الخارجية شمعون بـــيرس فـــي لقاء في النرويج.

إسرائيل: سلام بأسس فلسطينية وسقف سوري

الخطأ الإسرائيلي تجسد في نزعة التمسك بفهم السلام النفسي خارج إطار الوعي

كـان اسـحق رابيـن، وشـمعون بـيرس، ومضيفاهمـا الأردنيـان الملـك الحسين، والأمير الحسن – أبطـال المؤتمـر، وقـد اجتمعـوا مـع رؤسـاء حكومـات ورجال أعمال، واستقبلوا بحفاوة أينمـا توجـهوا. وهكـذا، وبعـد اشـهر طويلـة مـن المفاوضات، والقرارات الصعبـة، والنضـال ضـد معارضـة منفلتـة، شـعر رابيـن وبيرس بالارتياح التام. لقد أدركنا أن الطريـق إلـى عمـان، مـا كـانت لتفتـح علـى مصراعيها لولا أوسلو، ولولا حل المشكلة الفلسـطينية، لمـا تعـززت مكانـة إسـرائيل الإقليمية، والتي ستجلب معها استثمارات دوليـة، وأمـن إقليمـي.

لقد اصبح مؤتمر كازابلانكـا، وعمـان، واتفاقيـات أوسـلو، بمثابـة المفتـاح للدعم طويل الأمد للاقتصاد الإسرائيلي، والأمـن الإقليمـي.

وهكذا، بدأ يتبلور في المنطقـة، ائتـلاف سـلام، وتطويـر اقتصـادي، فـي مواجهة الائتلاف الأصولي المتطـرف.

وفي نهاية المؤتمـر فـي عمـان، قـام بـيرس، والسـفير الإسـرائيلي فـي عمـان – شمعون شامير. وأنا بجولة علـى الأقـدام فـي العاصمـة الأردنيـة. وقد استقبلت الجماهير – التي صادفتنـا – بـيرس بحـرارة، وصافحتـه، وهـو الامـر الذي لم نكن نحظى به في إسرائيل، حيث كان اليمين الإسـرائيلي لا يـألو جـهدا، فـي تأليب الجماهير موهما إياها، بأنـه يعمـل علـى سـد الطريـق بأجسـاد رجالـه فـي الخنوع الإسرائيلي الكبـير.

وفي تشرين الأول، قام أعضاء منظمـة (كـاخ)، بـإجراء المراسـيم الدينيـة "الضرب بسياط النار – قرب منزل رئيس الحكومة اسحق رابيـن فـي القـدس، والتـي دعوا فيها لملائكة السماء إنـزال لعناتـها علـى رابيـن. لقـد قـام بغالبيـة عمليـات التحريض، جماعة حركة (ماماتس) التي قادها المسـتوطنون ورجـال الليكـود.

مقدمات الاغتيــال:

وفي أيلول، ظهر عضو الكنيســت (تصحــي هنجفــي) بصــورة ســرية فــي مسيرة القدس، وصرخ قائلا: "رابين خائن". وقــد وصــف الصحفــي (نــاحوم برنيــاع) هذا الحادث، في جريدة يديعوت احرونوت بالقول: "تصحي هنجفـــي هــو اليــد اليمنــى لنتنياهو، وبكفاءاته الخاصة سيدفع بنتنيــاهو إمــا إلــى رئاســة الحكومــة، وإمــا إلــى (المجاري)، وربما يجره إلى الاثنتيــن معــا".

كان الشعار الأساسي الذي رفعــه اليميــن يتمثــل فــي: "أن الحكومــة تعمــل كطابور خامس، وأنها تعــرض الدولــة للخطــر بخضوعــها لأعــداء إســرائيل قتلــة اليـهود".

أعلن نتنيــاهو أن الحكومــة الحاليــة خطــر علــى إســرائيل، وبــدأ (إليكــم هعتسني) الاستعداد لمقاضاة الحكومة، مثلمــا فعــل الفرنســيون مــع (خــائن بيتــان) – رئيس حكومة فيشي، الذي حكم عليه بالإعدام، في أعقـــاب الحــرب العالميــة الثانيــة- . ووصف (موشيه بيجلين)، رئيس حركة "هذه أرضنـــا" "رابيــن القــاتل". الــذي بــاتت أيامه معــدودة".

وفي خضم هذه الدوامــة، وبينمــا انشــغلنا نحــن بالانســحاب مــن مدينتيــن أخريين – طولكرم قلقيلية – شرع (ايجال عمير) فــي وضــع اللمســات الأخــيرة علــى خطة اغتيال رابيــن.

وقالت الصحف آنذاك، أن رئيس جهاز الأمــن العــام، اجتمــع بقــادة أحــزاب المعارضة وعلى رأسهم نتنياهو، وحذرهــم مــن الارتبــاط بجــهات اليميــن المتطرفــة والمتدينة، بيد أن تلــك الأحــزاب رفضــت تحذيراتــه واعتبرتــها تدخــلا أمنيــا فــي الشئون السياســية.

شــعر رابيــن، وبــيرس بالغربــة التامــة وســط هــذه الأجــواء المعاديــة، خصوصا، وان اليسار امتنع عن المواجهات، وفضل، بدلا مــن ذلــك الاحتفــال بثمــار السلام، بل ولجأ قسم منـــه إلــى التذمــر مــن هــذا الجــانب، أو ذاك، مــن اتفاقيــات السلام، نظرا لكونها جسدت، أو لم تجســد، أو لســرعتها أو بطئــها.

إن الموقف السلبي، آنف الذكر، لليسار الإسرائيلي، هو الذي أتاح الفرصة لفوز اليمين في الانتخابات، في نهاية المطاف، تماماً في الوقت الذي كان فيه اليسار يعلن انتصاره الأيدلوجي.

اصبح الشارع ملكا للمعارضة، وكنت اشعر بالإحباط وخيبة لأمل الكبيرة، كلما سألني أحد معارفي: لماذا لا تبذلون جهدا اكبر في مجال العلاقات العامة، وتوضيح وجهة نظركم للجماهير؟؟ لم يعد الجدل بين الزعماء في إسرائيل بل بين الجماهير والجماهير.

عمل (جان فريدمان) – وهو مواطن فرنسي ورجل أعمال يناهز الستين واحد أصدقاء (شمعون بيرس) – على إقناع بيرس، بان يسمح له بالتعاون مع (شلومو لاهط) – رئيس بلدية تل أبيب– في تنظيم مهرجان سلام كبير لتأييد رابين والمسيرة السلمية، وللرد على العنف الذي يمارسه اليمين.

أهاب بيرس برابين، أن يوافق، بيد أن رابين أعرب عن شكه – في البداية– في إمكانية خروج الجماهير من منازلها ومشاركتها في المهرجان، لكنه وافق في النهاية على الفكرة.

<u>مؤتمر السلام واغتيال رابين:</u>

حال عودتهما من عمان، اكتشف رابين وبيرس، أن (فريدمان) و(لاهط) تعاملا مع المهمة بمنتهى الجدية، فقد غضت الصحف بالإعلانات عن مهرجان السلام المزمع عقده في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، الساعة السابعة مساء، في ساحة ملوك إسرائيل تحت شعار "نعم للسلام، لا، للعنف".

قرأ (ايجال عمير) ما نشر حول المهرجان، وقال لشقيقه: إن فرصته ستلوح، كما يبدو، ليلة السبت – الأحد، وفي ساعات المساء من يوم الرابع من تشرين الثاني، عبأ مسدسه بعيارات (فارغة)، واعده للإطلاق وصعد إلى الحافلة(٢٤٨) العاملة على الخط بين (هرتسليا) وشمال تل أبيب.

توجهت أنا وزوجتي وابنتي إلى ساحة ملوك إسرائيل، وكنت قلقا، واسأل نفسي فيما إذا كانت الجماهير ستؤم المهرجان؟؟ فقد كنت أدرك أن

الحضور الجماهيري هو اختبار التأييد لاتفاقيات أوسلو. ومن بعيد، شاهدنا ساحة ملوك إسرائيل تفيض بالجماهير التي ملأت كل مكان وجاءت من كل حدب وصوب، بينما رفرفت على نافذة بلدية تل أبيب يافطة كبيرة كتب عليها "نعم للسلام لا للعنف".

بدت الجماهير في حالة معنوية عالية، بيد أنها كانت تتصرف بهدوء. وشاهدت الكثيرين من معارفي، والذين اخذوا يشدون على يدي للدور الذي لعبته في المسيرة السلمية وشاهدت الابتسامات تعلو على الشفاه، وكأن تلك الجماهير جاءت على استحياء، ثم اكتشف كل واحد أن هناك الآلاف غيره، يؤيدون السلام مع الفلسطينيين.

اقتربنا من المنصة كي نصغي إلى أغاني المغنيين، وللكلمات التي ألقاها سفيرا مصر والأردن. ثم جاء دور رابين وبيرس، واللذين تحدثا من خلال إظهار تقديرهما.العميق أحدهما للآخر، وبدأ كل منهما يتحدث عن الآخر كشريك في صنع السلام. وكانت كلمات رابين لا تنسى: "وانتم هنا، بحضوركم لهذا المهرجان تثبتون مع الكثيرين من أمثالكم، ممن هم غير موجودين الان، إن الشعب يرغب حقا في السلام ويناهض العنف. إن العنف هو بمثابة تدمير الأسس الديموقراطية الإسرائيلية، لذا يجب شجبه، وإدانته وعزله، فالعنف ليس طريق دولة إسرائيل.

"السلام لا يأتي فقط بالصلاة، بيد أننا نصلي من اجله، وهو محط آمال وتطلعات الشعب اليهودي، الرغبة الحقة في السلام ...

"هناك أعداء للسلام يحاولون المساس بنا بغية تقويض السلام، وأنا أود أن أقول لكم دون لف أو دوران، إننا عثرنا على شريك للسلام أيضا بين الفلسطينيين، في منظمة التحرير التي كانت عدوا، وتوقفت عن ممارسة الإرهاب. ودون شركاء للسلام، لا وجود للسلام، وسوف تطالب المنظمة بالوفاء بدورها في السلام تماما، مثلما سنقوم نحن بدورنا في السلام، بغية إيجاد حل للعامل شديد التعقيد، والطويل، والمفعم بالأحاسيس اكثر من أي عامل آخر من عوامل النزاع العربي الإسرائيلي، وهو العامل الفلسطيني الإسرائيلي".

وفي نهايــة الخطابــات ظــهرت المغنيــة (مــيري الونــي) علــى المنصــة، وقدمت الميكرفون لرابين، وبيرس وقادتــهما والجمــاهير فــي غنــاء "أغنيــة الســلام". وقام رابين بمعانقة بيرس بين ذراعيه، ويــدا أن العلاقــات العاصفــة بينــهما، تحولــت، في نهاية المطاف لشراكة حقيقية، إذ لــم يكــن بمقدورهمــا تحمــل عــبء الحمــل الا معا. وانتهى المهرجان بنشيد الأمل، وبدأت الجماهير تتفــرق، الســاعة التاسـعة.

وصل (عمير) إلى منطقة الساحة، وأزال قبعــة المتدينيــن مــن فــوق رأســه، لقد اراد أن يبدو كسائق لإحــدى ســيارات الشــخصيات الإســرائيلية التــي حضــرت المهرجان، كان يرتدي (تــي شــيرت) ذا لــون ازرق. وقــد وقــف غالبيــة ســاعات المهرجان اسفل السلم بانتظار رابيــن وبــيرس. وعندمــا وصلنــا إلــى تلــك الســلالم، شاهدنا بيرس على بعد عشرة أمتار تقريبا، يتجه نحــو ســيارته، وفجــأة ســمعنا أناســا يصرخون "رابين، رابيــن".

شاهدته وهو يــنزل الدرجــات، وزوجتــه خلفــه، ورجــال الأمــن يفصلــون بينهما، وفجأة، ســمعت صــوت ثلاثــة انفجــارات قصــيرة. صرخــت ابنتــي مايــه: "ماهذا"؟؟ فقلت:" اعتقد انه صوت دراجــة ناريــة".

بدأت الجماهير تفر فــي كــل اتجــاه، صــاعدة الســلالم، وشــاهدت ســيارة إسعاف تنطلق من ناحية الشمال باتجاه الشارع، وحينها، أدركــت أن مــا ســمعته كــان أصوات عيارات ناريــة.

أغلقت الشرطة المكان، ولم نستطيع الوصــول إلــى الســلالم، لــذا، لــم يبــق أمامنا سوى المسارعة إلى البيت لمشاهدة الأخبــار. وعندمــا وصلنــا إلــى الســيارة، شاهدت الصحفي (اوري افنيري) جالسا فــي ســيارته، والراديــو مفتــوح، فقلــت لــه سمعنا صوت عيارات نارية. وفجأة ســمعنا صــوت المذيــع يقــول: كمــا يبــدو، انــه جرى محاولة لاغتيال اسحق رابيــن.

وصلنا إلى البيت فــي حوالــي الســاعة الحاديــة عشــرة، وبــدأ الأصدقــاء يتصلون بي، وتتراوح الشائعات لديهم إصابــة رابيــن، إصابــة طفيفــة وبيــن أصابتــه إصابة خطيرة، بدأت أفتش في محطــات التلفزيــون، وفــي حوالــي الســاعة الحاديــة

عشرة وخمس دقائق، قـــال مذيــع راديــو (SKY NEWS) أن اســحق رابيــن توفــي متأثرا بالجراح التي أصيب بها في محاولـــة الاغتيـال.

أدرت البث إلـــى التلفزيـــون الإســرائيلي، لعــل النبــأ الــذي ســمعته غــير صحيح، فشاهدت على الشاشـــة صـــورة اســحق رابيــن، وقــد كتــب تحتــها ١٩٢٢-١٩٩٥، وكان (ايتان هابر) يقرأ البيان الرسمي بشـــأن مقتــل رابيــن: "تعلــن حكومــة إسرائيل بذهول بالغ، وبحزن عميق، عـــن مـــوت رئيــس الحكومـــة، ووزيـــر الدفـــاع اسحق رابين الذي قتل الليلة بـــأيدي مغتـــال".

انفجر الأشخاص المحيطون بهابر بالبكـــاء، وكذلــك نحــن، وســمعنا صراخــا من كل مكان، وكأنه لا أحد يصدق ما ســـمعته أذنـــاه.

لست ادري حتى كتابة هذه السطور فيما إذا كـــان (ايجـــال عمـــير) قــد نجــح في اغتيال المسيرة السلمية عندما اغتـــال رابيـــن أم لا. بيــد أن أولئــك الذيــن انشـــدوا نشيد السلام على المنصة في تلـــك الليلـــة، يجلســـون الان فـــي صفـــوف المعارضـــة، فيما يجلس أولئك الذين هتفوا "رابين خائن" على ســـدة الحكـــم.

اتصل بي (لاريسون) من غزة، حيث كان في ضيافـــة عرفـــات، وقـــال لـــي: انه سمع إيان اجتماعه مـــع أبـــو مـــازن بنبـــأ اغتيـــال رابيـــن، فتوجـــه الاثنـــان إلـــى عرفات، واعلماه بمقتل الرجل الذي لقبه بشريكي، فبكـــى عرفـــات وأنـــا".

عقد بيرس اجتماعا عاجلا للحكومـــة فـــي مكتـــب وزارة الدفـــاع، حيـــث تـــم انتخابه رئيسا للحكومة خلفا لرابين، مثلما ينـــص القـــانون.

بعد مشاورات مـــع الجـــهات الأمنيـــة، قـــرر بـــيرس عـــدم دعـــوة عرفـــات لحضور الجنازة، وقد ترأس الوفد الفلسطيني أبو عـــلاء، وبصحبتـــه عـــدد مـــن كبـــار الشخصيات الفلسطينية، وقد توجه إلي أبـــو عـــلاء، وقـــال: "لقـــد كـــان قـــائدا حقيقيـــا للسلام، الخسارة تعم الشعب الفلســـطيني أيضـــا".

وبعد الجنازة، اجتمع الرئيس الأميركي كلينتون مـــع بـــيرس علـــى انفـــراد، وقـــد قـــام السفير الإسرائيلي في واشنطن، (ايتمـــار رابينوفيتـــش) بـــاطلاع بـــيرس علـــى فحـــوى القضيـــة التـــي ســـيتحدث كلينتـــون معـــه فيـــها: "القضيـــة هـــي ســـورية، ســـيطالب

الأميركيون بأن تفي بالوعد الذي قطعه رابين لهم. وهي قضية شديدة التعقيد. إن التزام رابين بانسحاب محتمل من هضبة الجولان كان مرتبطا بسلسلة من الشروط التي لم يف بها الرئيس الأسد حتى اليوم". "استغرق الاجتماع المنفرد بين بيرس وكلينتون ساعة ونصف الساعة، في حين جلست أنا ودنيس روس خارج غرفة الرئيس، وفهمت منه، أن الولايات المتحدة معنية جدا بالتقدم على المسار السوري. وفي نهاية المقابلة، نهض كلينتون وعانق بيرس، وقال له: "لقد فقدت شريكا يمكنك الاعتماد علي في أن أكون شريكك في كل ما يتعلق بالسلام".

وفي نفس الليلة، روى لي بيرس، ما حدث بينه وبين كلينتون، وبدا انه شديد الدهشة، فقد اعلمه الرئيس، أن رابين أعرب خلال حواره مع الأميركيين، عن موافقة مشروطة للانسحاب الكامل من هضبة الجولان، أما الشرط فيتمثل في أن يتلاءم السلام مع احتياجات إسرائيل بشأن التطبيع، وترتيبات أمنية، وتطبيق جدول زمني لذلك. وقال بيرس: انه ملزم بموقف اسحق رابين، وسيتمسك بالمسيرة السلمية بكل قوته.

انشغل بيرس بتشكيل حكومته، وأنجز هذه المهمة بسرعة، ومثلما فعل قبله رابين واشكول وبن غوريون، قرر الاحتفاظ بمنصب وزير الدفاع إلى جانب منصب رئيس الوزراء، وعين اهود براك وزيرا للخارجية، وحاييم رمون وزيرا للداخلية. عينني بيرس منسقا لأعمال المسيرة السلمية وقال لي: انه يعتزم ضمي إلى حكومته بعد الانتخابات القادمة.

كان أول قرارات بيرس، اثر توليه منصب رئيس الحكومة هو توجيه أمر للجيش بمواصلة اتفاقية التسوية المرحلية، كان يجب على المسيرة السلمية أن تتواصل. وفي نهاية ١٩٩٥، وفي التواريخ التي التزمت بها إسرائيل، انسحب الجيش من طولكرم وقلقيلية ونابلس ورام الله وبيت لحم.

لقد أصبحت إعادة الانتشار ممكنة في تلك الآونة، بسبب الصدمة التي بدت بوضوح على اليمين، وعلى وجه الخصوص في أوساط اليمين المتدين، فقد حاولت بعض هذه الأحزاب، إجراء حساب نفس، وتفحص المبادئ والقيم الوطنية

والدينية التي استخدموها في تثقيف الجيل الشاب. وقد قال (زبولون اورلوف) سكرتير عام المفدال: "الحقيقة هي أن أعضاء اليمين المتطرف هم من معتمري القبعات الدينية وخريجي مؤسسات التعليم الديني. إن معارضتنا للتصريحات التي اندلعت من المعسكر الديني القومي لم تكن قوية بما فيه الكفاية".

لقد فشل اليسار الإسرائيلي في تلك الآونة في توحيد صفوفه مع الجهات السياسية الدينية التي بدا أنها تعيد حساب النفس، وتشعر بتأنيب الضمير، حتى لو كان ذلك التأنيب مؤقتا.

كانت إسرائيل تشرب دما في تلك الآونة بسبب الرصاصات التي أطلقها (ايجال عمير)، بيد أن أفكار رابين وزملائه اتخذت طريقها إلى التنفيذ واحدة تلو الأخرى: إعادة الانسحاب، الانتخابات الفلسطينية، محاربة الإرهاب، المفاوضات مع السوريين، مفاوضات مع الفلسطينيين حول التسوية الدائمة، الآمال في شرق أوسط جديد، ومحاربة الأصولية والإرهاب.

الفصل التاسع

شرق أوسط قديم-جديد

لم يكن لمقتل رابين بيد يهودي متعصب يعمل بوحي التحريض الأصولي اليهودي – في البداية – أي تأثير على المسيرة السلمية، بيد أن الصدمة التي خلفها مقتل رابين، لم يسهم في جعل إصرار الأصوليين العرب محاربة (التهديد) المتزايد للسلام يضعف.

وسرعان ما اتضح أن المتطرفين –من الجانبين- لا زالا ملتزمين بتنمية الخوف بغية تعزيز أسوار الكراهية والبغضاء والشكوك القادرة على حماية مجتمعهم من التعاون مع "الاعداء الأبديين".

وبعد شهر من توزيع صور اسحق رابين في إحدى مظاهرات القدس، وهو يرتدي ملابس نازي، دعت حركة حماس –في بيان لها- الفلسطينيين للإعراب عن سرورهم بمقتله.

عكف صانعوا القرارات الأصوليون المسلمون في قياداتهم–في طهران– على تصدير العنف، مستعينين بحلفائهم المتعصبين في الشرق الأوسط المتمثلين في حماس والجهاد الإسلامي، وحزب الله اللبناني.

وفي مطلع عام ١٩٩٦، وزعت أوامر على هذه الجهات للشروع بجولة جديدة من العمليات بغية قتل اكبر عدد من الإسرائيليين، وبالتالي تدمير السلام الذي لا زال في مهده، مظهرة هذا السلام في صورة "الخنوع المخزي".

اعتقد هؤلاء الأشخاص أن مقتل عدد كبير من الإسرائيليين، سيسهم في دق إسفين بين إسرائيل والفلسطينيين والسوريين، وسيضعف، بل ربما يهدم الحكومة التي احتلت القدس.

ووجهت أوامر علنية وصريحة، إلى مقاتلي حزب الله للعمل على خلق حالة فوضى تامة، ومن الجدير بالذكر أن معسكرات حزب الله في لبنان كانت

مركزا لتدريب اللبنانيين والفلسطينيين، مع محاولة غرس العقيدة الإسلامية فيهم، وملء نفوسهم بأيديولوجية الحرب المقدسة، والثواب الذي سيحصلون إذا ما ضحوا بأنفسهم،واستشهدوا في سبيلها.

السلام مع سورية -الصفقة الشاملة:

عكفنا في تلك الآونة – ومن خلال إدراكنا للأخطار المحدقة بنا – على التخطيط لإمكانية إحداث انفراج جديد يعزز المسيرة السلمية واخذ بيرس يتوجه نحو تجسيد استراتيجية السلام الإقليمي. لقد كان هذا الاتجاه دون ادنى شك، أحد أهم الأسلحة ضد الأصوليين والمتطرفين.

وفي غضون شهري تشرين الثاني وكانون الأول، نسق بيرس مع الأميركيين استراتيجية سلام شاملة، تنص على العمل من اجل إحراز سلام مع سورية، في غضون اقل من عام. لقد كان السلام مع سورية بمثابة الخلقة المركزية في سلسلة السلام الشامل، والتي ستفضي، في نهاية المطاف، إلى إيصال النزاع العربي الإسرائيلي إلى نهايته.

تحدثت خطة السلام مع الفلسطينيين على التمسك التام بالتجسيد التدريجي والدقيق للتسوية المرحلية، بادئ ذي بدء، عبر نقل الصلاحيات بسهولة إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية، ثم إجراء الانتخابات الفلسطينية الحرة الأولى.

وكان على الطرفين، في أعقاب ذلك، الشروع بالتفاوض حول التسوية الدائمة، ومعالجة القضايا العويصة الباقية: القدس، المستوطنات، اللاجئون الفلسطينيون، والحدود النهائية. وكان يفترض أن تبدأ هذه المحادثات في الرابع من أيار ١٩٩٦، وتنتهي في موعد لا يتجاوز الرابع من أيار ١٩٩٩.

تسلمت في منتصف شهر كانون الأول مهام عملي رئيسا لطاقم المفاوضات مع سورية -بدلا من السفير الإسرائيلي في واشنطن، (ايتمار رابينوفيتش). وعندما درست المعطيات المتوفرة، وجدت أن من الضروري تغيير التصورات ووجهات النظر التي كانت لدي. لقد غرقت طيلة سنتين ونيف في حوار مكثف ومعقد مع ممثلي منظمة التحرير، وكان عليّ الان، أن ابدأ التفاوض

مع ممثلي دولة سيادية، وان اجتمع مع أناس ذوي خلفية سياسية ونمط تفكير مختلف جدا عن الفلسطينيين.

في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٩٥ قام وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر، بزيارة المنطقة لوضع الأساس للمباحثات القائمة على توجهات بيرس آنفة الذكر. وقد استقبل في دمشق بالترحاب وكان يحمل معه رسالة خطية وضعت في مغلف خاص من مغلفات مكتب رئيس الحكومة، يتصدرها رمز الدولة- من بيرس، يعرب فيها عن اهتمام إسرائيل بدفع المفاوضات مع سورية إلى الأمام بالطريقة التي يراها الأسد- سرا أو علنا، وعلى مستوى موظفين حكوميين، أو مستوى الزعماء. لقد كان بيرس معنيا بخلق مناخ إيجابي، يؤدي إلى تسريع المسيرة السلمية بيد انه أصر على أمر واحد، وهو طرح جميع المشاكل القائمة بين الطرفين للنقاش في آن واحد.

وقد رد الأسد على الرسالة شفويا، بصورة إيجابية. وبناء على ذلك اصبح بمقدور كريستوفر لدى عودته إلى إسرائيل الإعلان عن استئناف المفاوضات بصورة (تعزل) ثلاثة وفود: إسرائيلية وسورية وأميركية في أحد المواقع القريبة من واشنطن.

كان من المفروض أن نبدأ المفاوضات بناء على المحادثات السابقة التي كان يوجهها اسحق رابين، ويشرف عليها السفير (رابينوفيتش). وفي مناسبتين أجرى رئيس أركاننا -اهود بارك أولا، ثم امنون روبنشتاين، فيما بعد - محادثات مع رئيس الأركان السوري (حكمت الشهابي).

اشتملت اتفاقية السلام التي بناها الأميركيون تأسيسا على الاتصالات مع إسرائيل وسورية على: علاقات دبلوماسية، وتجارية، وسياحية، وترتيبات أمنية متبادلة، لكن ليس تساوقا على الصعيد الجغرافي في مناطق متفق عليها بين الطرفين، انسحاب إسرائيل كامل من هضبة الجولان، وجدول زمني تدريجي لتجسيد الأسس المختلفة في اتفاقية السلام من خلال الاتصالات والتبادل بينهما.

ورغم ذلك لم يكن هناك اتفــاق حــول أي مــن الموضوعــات آنفــة الذكــر. وكل ما في الامر، هو أن الطرفين وافقا على أن هنــاك علاقــة تبادليــة بيــن العوامــل الأربعة الأساسية: الانسحاب، والتطبيع، والترتيبات الأمنيــة، والجــدول الزمنــي.

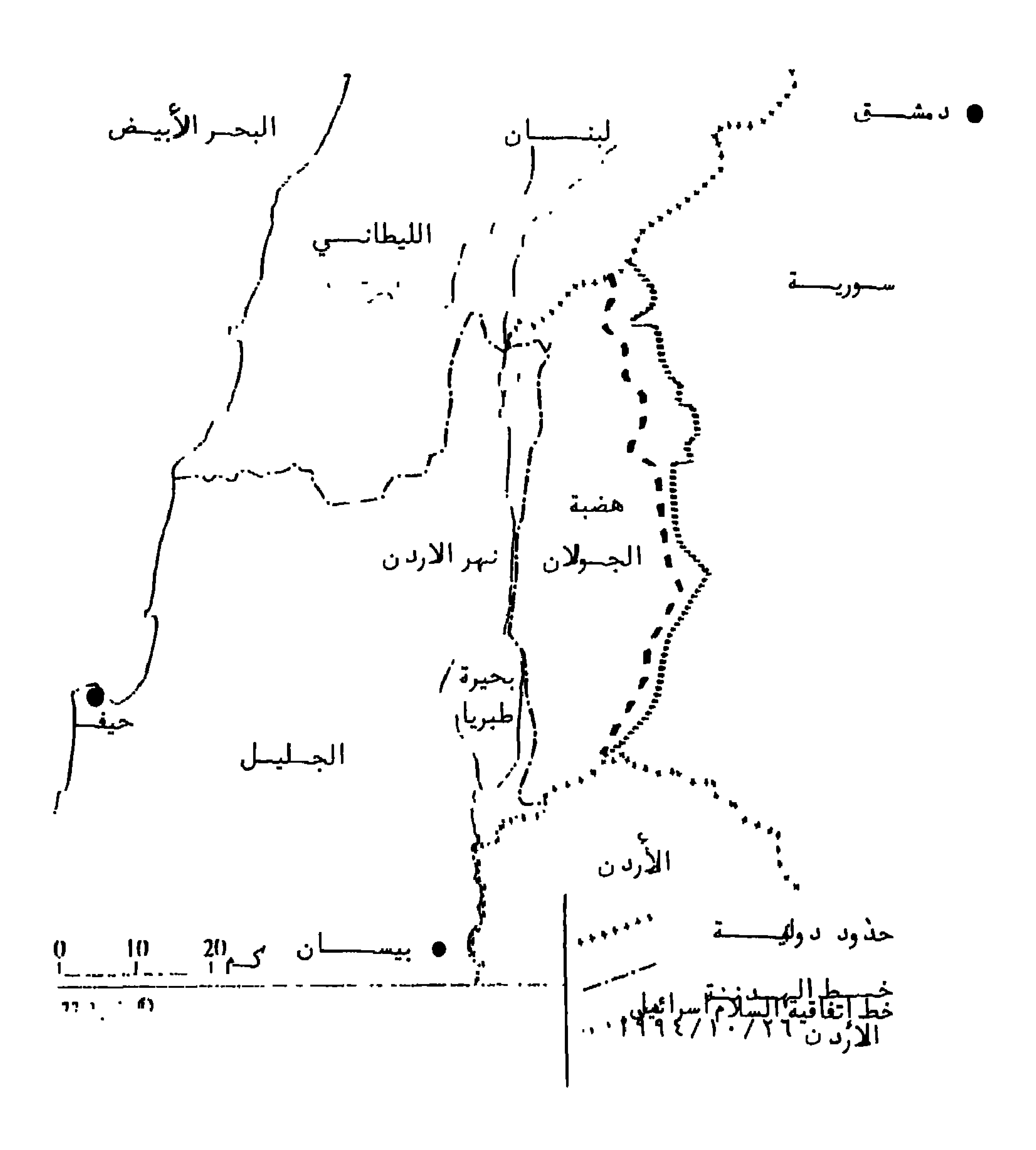
أما فيما يتعلق بقضيــة الحــدود، فقــد طــالب الســوريون بــان يتــم ترســيم الحدود الذي كــان معمــولا بــه فــي الرابــع مــن حزيــران ١٩٦٧. وفــي أعقــاب المحادثات التي أجراها كريســتوفر مــع رابيــن، فــي أيــار ١٩٩٤، اعلــم الســوريين "شفهيا أن الولايات المتحدة تفهم أن إسرائيل علــى اســتعداد لتنفيــذ "انســحاب كــامل"، شريطة أن تستجيب سورية لجميع احتياجاتها، وهذا يعنــي العــودة إلــى حــدود الرابــع من حزيران ١٩٦٧ومن الجدير بالذكر، أنه لا وجــود علــى الصعيــد الرســمي لخــط من هذا القبيل – بمفهوم حدود سارية المفعول- وان الامــر يتعلــق بمجموعــة معقــدة من الخطوط التي نجمت عن التوســع الســوري فــي أقســام مختلفــة مــن الأراضــي الإسرائيلية، قبل حرب عــام ١٩٦٧.

وبناء على أقوال كريســتوفر وروس، فــإن الشــيء الــذي كــان الســوريون يريدونه، خارج إطار الحدود الدولية – والتــي تمــر علــى بعــد عــدة أمتــار شــرقي خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧- كــانت بلــدة (الحمــة). لقــد جــرت جميــع تلــك الاتصالات حول "الصفقة الشاملة" شــفهيا، ولــم تكــن هنــاك أي تعــهدات إســرائيلية مباشرة تجاه سورية حول عمق الانسحاب مــن المنطقــة التــي احتلتــها عــام ١٩٦٧. بل إن السوريين لم يقبلوا في أي يوم من الأيام المطالب التــي طرحــها رابيــن، بشــأن مجموعة العوامــل الأخــرى لاتفاقيــة الســلام، وعلــى وجــه الخصــوص الترتيبــات الأمنية، التي كانت تعتبر بمثابة شرط لاستعداده للانســحاب مــن الهضبــة.

وهكذا، اتضح من مجمل ما أوردته أن علينا أن نبــدأ المحادثــات مــن نقطــة ضبابية.

وكان من مهمتنا إدخال سورية في توجه جديــد لســلام ثنــائي، يفضــي بنــا، مثلما كان بيرس يعتقد، إلى منظومة إقليمية من التعــاون والتطويــر الاقتصــادي. كنــا نسعى لان تكون بنية هذا الســلام ذات أســس فلســطينية، وســقف ســوري، وجــدران

قادرة على الانغلاق على اقتصـــاد إقليمـــي جديـــد. وكـــان يقـــترح أن تعمـــل الطـــرق والطاقة والتزود بالمياه، والتجارة والسياحة علـــى الوصـــل بيـــن دول الشـــرق الأوســـط الجديد. ومن المتوقع أن يؤدي الازدهار الاقتصادي لـــهذه الـــدول فـــي المســـتقبل إلـــى تقليص رغبتها ونزعتها للـــنزاع.



وفي إطار محاولتنا استيضاح هذا المفهوم مع السوريين، توجه وفدنا في السابع والعشرين من كانون الأول ١٩٦٥، إلى بيت الضيافة في (واي بلنتيشن) في الولايات المتحدة.

كانت غرف نوم وفدنا تقع في أحد الأجنحة في الطابق الأرضي، في حين نزل السوريون في طابق آخر، وصل الأميركيون بيننا. وكنت، أنا و(ايتمار رابينوفيتش) نقوم يوميا باطلاع بيرس ويراك وشاحك على التطورات خلال الحوار.

وحال وصولنا اجتمعت برئيس الوفد السوري السفير وليد معلم، والذي ظهر لي كمفاوض محنك ومتشدد، داعية سلام، يحاول تجسير الهوة القائمة بين عالمين شديدي الاختلاف، في واشنطن ودمشق.

لقد أكمل دراسته في سورية، وخدم في الجيش، واعد رسالة الدكتوراه حول التاريخ السوري، ثم التحق بوزارة الخارجية، ثم عين سفيرا لبلاده في واشنطن، واعتبر مسئولا عن المحادثات بوصفه كاتما لأسرار الرئيس السوري.

وبوصفه مفاوضا محنكا، فقد كان يدرك تماما، ما الذي تريده دمشق منه، بيد أنه كان أيضا واقعيا، ويجيد تفهم مواقف الطرف الآخر. لقد أضفى معلم على وفد بلاده كفاءة خلاقة إلى حد كبير جدا. وقد تمكنت، أنا وهو، من خلق لغة مشتركة، ودرجة معينة من الثقة المتبادلة.

أما العضوان الآخران في الوفد السوري للجولة الأولى، فكانا ميخائيل وهبه مدير مكتب وزير الخارجية السوري، والمستشار القضائي رائد داودي. وفي الجولات التالية شارك في المفاوضات جنرالان هما، ابراهيم عمر، رئيس المخابرات السورية، وحسن خليل، نائب رئيس الأمن الداخلي.

قاد معلم وفد بلاده بيد قوية، وكان في حقيقة الامر الناطق الوحيد باسمه، ورغم أن زملاءه كانوا مؤدبين وخلوقين الا أنهم لم يشذوا مرة واحدة، عن الخط الرسمي. رغم أنهم كانوا يبدون انفتاحا أكبر، في المحادثات الخاصة، ويحاولون إقناعنا بتطلعاتهم وتطلعات أبناء شعبهم الصادقة إلى السلام.

بدا الجنرالان السوريان متشددين جـــدا خـــلال المفاوضـــات الرسـمية، رغـم أنهما كانا يبديان ليونة أكـــثر فـــي الحـــوارات الخاصـــة مـــع نظيرهمـــا الإسـرائيليين، دون أن ينحرفا عن جديتهما وحرص على التحدث فقـــط باللغـــة العربيـــة شـــارك فـــي المحادثات المترجم المعروف للوفد الأميركي، جميـــل حـــلال*.

أما وفدنـــا، فقـد ضـم (رابينوفيتـش) و(زينجـر) وأنـا، ثـم انضـم إلينـا الجنرالات داني يتوم، و(عوزي ديان)، و(شـــاؤول موفـــاز).

وضـم الوفـد الأمـيركي (دنيـس روس)، و(مـارك بريـس) مـن البيـت الأبيـض، (اهـارون ميلـر)، و(تونـي فرسـتنبرج)، وفيمـا بعـد انضـم (الجـنرال كريسـتمان).

استغرقت المحادثات في (واي بلنتيشن) عشرة أسـابيع، فـي ثلاثـة جـولات. وخلال الفـترات الفاصلـة بيـن الجـولات، أجريـت عشـرات اللقـاءات بيـن روس و(معلم) وأنا، فيما يمكن تسـميته بالمسـار اللارسـمي مـن وراء الكواليـس، بموافقـة بيرس والأسـد.

لقد كانت اللهجة والجوهر في هـذه المحادثـات يختلفـان اختلافـا بينـا عمـا ألفناه في المحادثات مع الفلسطينيين. كان السـوريون يمثلـون دولـة سـيادية فخـورة، ترى في نفسها زعيما إقليميا. وبدا لاول وهلـة، أن أعضـاء الوفـد هـم رسـل نظـام منغلق على نفسه، يتولى شخص واحـد فقـط، إمـلاء مبادئـه وقيمـه، لقـد أحـاطت سورية نفسها بسور من الشكوكية، بيد أن رئيس هذه الدولـة وممثليـه كـانوا يدركـون أن العالم خارج هذا السور آخذ في التغير بصورة سـتؤثر عليـهم حتمـا.

وسرعان ما بدا لنا بوضوح أن السـوريين يرغبـون فـي الانطـلاق خـارج السور، وفي نفس الوقت إبقاؤه كاملا وسـليما. فقـد أرادوا مسـاعدات أميركيـة، بيـد انهم رغبوا في منع أي تغلغل أميركي في بلادهم. وارادوا إقامـة سـلام مـع إسـرائيل لكنهم خشـوا قوتـها الاقتصاديـة. أي أن الحـل الـذي كـانوا يرتأونـه، تمثـل فـي مساعدات بلا تأثير، وسـلام دون علاقـات.

كانت المفاوضات – من وجهة نظرنا– اصعب بكثير من المفاوضات مع الفلسطينيين، نظرا لانه كان يتوجب علينا أن نتأقلم مع نمط تفكير يختلف اختلافا بينا مع نمط تفكيرنا. ورغم ذلك كانت المفاوضات على المستوى الحسي، اسهل من المفاوضات مع الفلسطينيين. فلم يكن يثقل علينا الإحساس بالاشتغال بقضايا تتعلق بالوجود والتعايش في نفس البقعة من الأرض، أي أننا كنا نرى بقاء الوضع دون تسوية، ممكنا اكثر مما هو عليه مع الفلسطينيين.

لقد تحولت المفاوضات مع الفلسطينيين بمضي الزمن إلى رقص، حاول كل طرف أن يتفوق فيه على الآخر، وسرعان ما اكتشف انه مرتبط بالطرف الآخر، في حين بدت المفاوضات مع السوريين وكأنها لعبة شطرنج معقدة، يجب على اللاعبين أن ينهوها بتعادل مرض للطرفين. وكان على أن أتنقل بين الرقص الفلسطيني والشطرنج السوري دون توقف.

لقد حسب الرئيس الأسد خطواته بحذر بالغ ودقة، على أمل أن نحرك، نحن أحد أحجارنا في اتجاه ما، قبل أن يعطينا هو إلماحة حول الاتجاه الذي سيحرك فيه حجارته.

لقد بنيت فهمي لهذا الرجل، من خلال أحاديثي مع أعضاء الوفد السوري، لقد خشي الأسد من أن يؤدي السلام والتغييرات التي سيحملها معه، إلى وضع تحديات أمام نظامه العلوي – الذي يستند إلى طبقة سورية لا تتعدى ١٢% من مجموع الجماهير السورية– وفي نفس الوقت، كان يدرك، كما يبدو، انه لن يستطيع الامتناع عن إدخال تغييرات معينة، في نظامه المنغلق، في أعقاب إحلال السلام مع إسرائيل، وتحسين علاقات بلاده مع الولايات المتحدة، كانت تلك هي بسبب الأزمة السورية. كان الأسد يرغب في إحلال السلام، وفي نفس الوقت يخشاه، لذا اتخذ خطواته بحذر وبطء.

عمدت قبل المشاركة في المحادثات إلى قراءة عشرات الخطابات والمقابلات التي أجراها الأسد، وخلصت إلى استنتاج مفاده، أن انعدام المرونة السورية، يتطلب منا أن نتحدث مع السوريين باللغة (السورية) فإذا كنا نرغب في

توضيح مصالحنا، كـان علينـا أن نجيـد (لغتـهم) التـي تقـدس المصـالح والكرامـة الوطنيـة.

هذا في نفس الوقت، الذي كنا نحـن أيضـا نحمـل بعـض المسـاوئ الجديـة كشركاء في المفاوضات مع سورية. فرغم أنننـا طورنـا توجـهات واقعيـة ومتداخلـة للمحادثات، الا أننا نزعنا نحو التمسـك بفـهم السـلام، كتعبـير نفسـي خـارج إطـار الوعي للمودة -تقريبا- تجاهنا، وليـس كمنظومـة مصـالح متبادلـة وقائمـة. سـألت أعضاء الوفد الإسرائيلي: "بعد كل هذه السنوات مـن العـداء، هـل نرغـب حقـا فـي تطوير علاقات حميمة مع دمشق؟؟ ما الـذي يجـب أن نفعلـه إذا كـان السـوريون لا يرغبون في إقامة علاقات حميمة مـع أي جهـة؟؟

ومن الجدير بالذكر، إننا نواجـه خـلال المفاوضـات مـع جيراننـا العـرب، دائما، خطر أن تدفعنا رغبتنـا فـي القبـول لطـرح مطـالب مبتذلـة نحقـق خلالـها إنجازات رمزية، بدلا من التركـيز بصـورة منطقيـة علـى مصالحنـا الاسـتراتيجية بعيدة المدى. فعندما تصل الأمور إلى التحـاور حـول تطبيـع العلاقـات، فإننـا نتجـه نحو المبالغة في المطالبـة بالسـيناريو النموذجـي جـدا للعلاقـات الحميمـة. وعندمـا تطرح القضيـة الأمنيـة، فإننـا نتجـه نحـو الاهتمـام بجميـع التطـورات لأخطـر السيناريوهات المحتملة. ونحـن نولـي قضايانـا واحتياجاتنـا الأمنيـة اهتمامـا وثقـلا كبيرين جدا، على الرغم من أن المسيرة السلمية هي بطبيعتـها مسـألة سياسـية.

إننا نميل إلى الاستعداد لإحلال افضل سـلام مـع الدفـاع عـن أنفسـنا ضـد أخطار أسوأ الحروب -ولا شك أن هذا المزيـج يضـم فـي أعطافـه أبعـادا متناقضـة فيما يتعلق بطبيعة الاتفاقية المرغوب فيها- وذلك بدلا من أن نفتـش عـن حـل وسـط واقعي لخلق وتطوير المصـالح المشـتركة.

كان السوريون يعانون من وضع مماثل تمامـا؛ فقـد اعتـبروا السـلام شـيئا اقل من الحرب تقريبا، لـذا "عندمـا وصلـت الأمـور إلـى حـد تطبيـع العلاقـات، عرضوا علينا اقتراحات هامشية جـدا. وعندمـا ناقشـنا الأوضـاع الأمنيـة، تحدثـوا بلغة وعناوين متفائلة، بقولهم أن السـلام يلغـي جميـع احتمـالات الحـرب. وهكـذا،

كان عليهم هم أيضا، التحرك باتجاه حـل وسـط واقعـي، يمكننـا مـن خلـق مزيـج لمصالحنا معا. ورغـم ذلـك اسـتهل (معلـم) الحـوار بـالقول: إن هنـاك ضـرورة لضمان انسحابنا من كـل هضبـة الجـولان أولا. وقـال: "يجـب أن نضمـن إقـلاع مسيرتنا كالطائرة". فقلت: "ما الـذي تقصـده؟؟

–معلم : "يجب أن نعلم انه سيتم الاعتراف بحقوقنا علـى أرضنـا بكاملـها".

– أنا : "وعلينا أن نعرف أين ستهبط الطـائرة؟؟ ومـا الـذي سـتكون عليـه صـورة السلام بيننا، ودون أن نعرف المطار الذي سـتهبط فيـه الطـائرة، لا أجـد أي جـدوى في التحدث عن إقلاعـها.

– معلم: "يجب علينا أن نتحرك مـن جزيـرة الحـاضر إلـى جزيـرة المسـتقبل، وان نحدد ، خلال التحرك، الاثنيـن".

لقد تمكنا خلال الحـوار، وبمـرور الزمـن، مـن الاتفـاق المجـازي علـى التجسير بين الماضي والمستقبل. وكان الجـهد المشـترك لبنـاء هـذا الجسـر بكـامل أجزائه، هو الذي سيدفع بسورية وإسرائيل من دوامة الحرب إلـى واحـة السـلام فـي صورة مراحل متفق عليـها.

لقد أتاح هذا الفهم، والطبيعة الخلاقـة والمفتوحـة جـدا للمحادثـات، الفرصـة لنا لتحديد مصالح مشتركة والتقدم إلـى الأمـام علـى صعيـد عـدة قضايـا جوهريـة خلال الشهرين ونصف الشهر من لقاءاتنـا فـي (واي بلنتيشـن).

حدود السلام الإسرائيلية مع سورية

الأسد تهرب من قمة سورية-إسرائيلية فقرر بيرس إجراء انتخابات مبكرة

اتفاقيات مبدئية على قضايا جوهرية:

طابع السلام:

توصلنا خلال نقاشاتنا حول تطبيع العلاقات إلى وجهة نظر براغماتية توطئة لبناء علاقاتنا المستقبلية. اتفقنا أن لا نحشو أراشيفنا القضائية بعشرات الاتفاقيات حول التعاون، والتي لا تثير اهتمام أي منا، بل أن نكرس جهودنا حول الخطوات العملية التي تخدم مصالحنا المشتركة، وبشق طريق بين الدولتين، وليس بصياغة اتفاقية مواصلات كاملة.

وحددنا مجموعة من مجالات التطبيع، والتي صغناها في ثلاث منظومات رئيسية: سفارات، سياحة، وتجارة، بما فيها إنهاء المقاطعة واقامة اتصالات هاتفية وفاكس وبريد، وصلات قطارات، وعلاقات تجارية بحرية وما شابه ذلك.

العلاقات الاقتصادية:

اعتقدنا أن بناء السلام بعيد الأمد يتطلب منا العمل على الربط بين التطبيع والعلاقات الاقتصادية. بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بإقامة علاقات ثنائية مع إسرائيل خشية أن يسيطر الاقتصاد الإسرائيلي القوي جدا على نظيره السوري. لذا كان يتوجب علينا بناء جسر بين المصالح السورية في العلاقات مع الغرب وبين المصالح الإسرائيلية في العلاقات مع سورية ولبنان، كأسلوب لتعزيز وتعضيد السلام. سعينا نحو تطوير اقتصاد شرق أوسطي يرتبط أحده بالآخر-دون التأثير على الطابع الأيديولوجي لكل اقتصاد منها- ويرتبط بالعالم كله، وبالاستقرار. ولم يكن هناك ما هو أكثر من ذلك ضمانا للسلام. ولا أقوى تأثيرا على الأصولية.

ولهذا السبب، عمدنا إلى برامج اقتصادية لمعالجة قضية إلغاء الديون السورية للدول الاقتصادية العظمى- بلغ حجم الديون السورية سبعة مليارات دولار وتطوير الاقتصاد السوري بوتيرة سريعة، وخلق صلات اقتصادية بينها وبين إسرائيل- بصورة خاصة عبر بناء بنى تحتية في مجال الطاقة والمياه والطرق- خلق علاقات اقتصادية مُتعددة الأطراف مع دول أخرى في المنطقة، وتطوير هضبة الجولان، باستخدام استثمارات اجنبية دولية، وعلى وجه الخصوص في المجال السياحي.

وكانت الدول المرشحة للمشاركة في هذه المبادرة: الولايات المتحدة والدول الأوروبية، واليابان، إضافة إلى السعودية.

بدا أن السوريين شديدو الاهتمام بإشراك الأميركيين في الحوارات الثنائية حول الصفقات الاقتصادية الشاملة. بيد أن الولايات المتحدة لم تكن على استعداد لمثل هذه المشاركة، خشية معارضة الكونغرس.

قام طاقمنا الاقتصادي المؤلف من مدير عام وزارة المالية ديفيد برودت، ويوسي فردي، وعوديد عيران، وأنا-بإجراء محادثات موسعة حول صفقة اقتصادية شاملة مع دنيس روس وطاقمه. كما أجرينا مشاورات غير رسمية مع محافظ البنك الدولي-جيمس ولفسون، ومع نائب رئيس صندوق النقد الدولي ستانلي فيشر.

كان السوريون مهتمين بصورة أساسية، بمساعدات اقتصادية أميركية- على غرار النمط المصري- بيد أنهم أدركوا ضرورة تجنيد الجهود الخاصة على هذا الصعيد. وقد اقترحنا تشكيل شبكة غير رسمية من الأشخاص، من القطاع الخاص في الولايات المتحدة، وإسرائيل والسعودية وسورية – ومجموعات من الاتحاد الأوروبي واليابان على أن تنضم في موعد لاحق- كي تطور- بالاستعانة بالمجموعة الأميركية- برامج لمشروعات محتملة لعهد السلام. وقد طلب الأميركيين من (لستر بولك) من شركة(الأخوة ليزر)- وهو

رجل أعمال لامع ومحنك- ترؤس المجموعـة الأميركيـة، كما وافـق السـعوديون- عبر سفيرهم النشط في الولايات المتحدة الأمير بنـدر-علـى التعـاون.

لقد كان اللقاء الذي عقده وزير الخارجية الأميركيـة كريسـتوفر مـع رؤسـاء خمس شركات أميركية كبيرة في الثالث والعشرين مـن شـباط فـي مبنـى وزارة الخارجيـة الأميركية، بمثابة الخطوة الأولى على صعيد بناء هذه الشـبكة الجديـدة والواعـدة.

وافق الرئيس الأسد على تشكيل مجموعة الأعمال آنفة الذكـر فـي إطـار بنيـة غـير رسمية، بل واشار إلى جهات في القطاع السـوري الخـاص، ممـن كـان بمقدورهـم التعاون في هذا الجـهد.

*** **** ***

السلام الشـامل:

ربما تمثل الجانب الواعد فـي المحادثـات مـع السـوريين فـي (واي بلنتيشـن) فـي مجرد قدرتنا على التوصل إلى تفاهم مع السوريين، يفيـد بـان إبـرام السـلام الثنـائي بين إسـرائيل وسـورية-وإسـرائيل ولبنـان، سـيفضي إلـى وضـع حـد للـنزاع الإسرائيلي العربي، وسيكون بمثابة بادئة للسـلام الإقليمـي.

وفي إطار الجهود الرامية إلـى إنجـاز هـذا الـهدف، كـان الطرفـان علـى استعداد للاستعانة بالولايـات المتحـدة، ومسـاعدتها فـي ضمـان أن تتبنـى الـدول العربية اتفاقية السلام الإسرائيلية السورية. وأن تقـوم هـذه الـدول بتطبيـع علاقاتـها مع إسـرائيل.

لقد حصلت -أنا شخصيا- على تاكيد بان هذا هـو الموقـف السـعودي، وقـد بعث السعوديون رسالة إلى بيرس، أشاروا فيها إلـى أنـه إذا مـا تـم إنجـاز سـلام إسرائيلي سوري، فإنهم سيقيمون علاقات دبلوماسية مـع إسـرائيل- رغـم انـهم لـم يحددوا مستوى هذه العلاقـة.

لقد قال لنا السوريون المرة تلـو الأخـرى: "لقـد توصلتـم إلـى سـلام مـع المصريين والأردنيين، والفلسطينيين، ورغم ذلك بقيتـم فـي حالـة نـزاع مـع العـالم العربي، لكن عندما تصنعون السـلام مـع سـورية، وعندمـا يقـول الرئيـس الأسـد

لأعضاء الجامعة العربية، أنه سيسمح لإسرائيل بفتح سفارة لـــها فـــي دمشـــق، حينـــها فقط سيتحرك العالم العربي بكامله أيضا، في هــــذا الاتجـــاه.

لم تكن رؤيتنا"للشرق الأوســـط الجديـــد" وعلـــى وجـــه الخصـــوص للجـــانب الاقتصادي منه مشابهة للرؤيـــة الســـورية.

لقد تمكنا من التعرف على التطلعـــات والتنبـــؤات الســـورية للمســـتقبل، خـــلال جلسات يـــوم الخميـــس، والتـــي كـــانت تجـــري دائمـــا بإشـــراف وزيـــر الخارجيـــة الأميركي كريستوفر، وتخصص لمناقشة مســـتقبل المنطقـــة، فقـــد تنبـــأ معلـــم، خـــلال هذه الجلسات، بأن إحلال السلام بين سورية وإســـرائيل ســـيدفع بطـــهران إلـــى الكـــف عن معارضتها للمســـيرات السياســـية الدائـــرة فـــي المنطقـــة. وألمـــح إلـــى التحســـن المرتقب في العلاقات بين سورية وتركيا. بيد أن أهـــم جـــانب مـــن جوانـــب التحليـــل تبدى في مدى تأثير السلام على العلاقات الأساسية القائمـــــة فـــي المنطقـــة.

وبناء على التحليلات التي كان معلم يقدمـــــها، اعتقدنـــا أن بالإمكـــان أن تتحـــد التطلعات الإقليميـــة الســـورية والإســـرائيلية حينمـــا يحيـــن الوقـــت بالاعتمـــاد علـــى الاهتمام المشترك بالاستقرار واقامة علاقات جيدة مـــع الولايـــات المتحـــدة.

وإذا كان السلام مع الفلســـطينيين ذا أســـس تتعلـــق بالقيمـــة بصـــورة أساســـية، فـــإن السلام مع سورية يجب أن يبنى على أســـس اســـتراتيجية إقليميـــة.

<u>الترتيبات الأمنيـــة:</u>

كان التفاهم حول الترتيبات الأمنية أصعـــب جـــانب فـــي المفاوضـــات. وكنـــا نعتقد أن إسرائيل لا تســـتطيع الانســـحاب مـــن هضبـــة الجـــولان دون ضمـــان عـــدم استغلال سورية للميزة الاستراتيجية الناجمة عن انسحابنا مـــن الهضبـــة لشـــن هجـــوم مفاجئ علينا. ووفقا لذلك قام الجيش بإعداد سلســـلة مـــن المطـــالب المفصلـــة، والتـــي يأتي تنفيذها كضمانة لأمن إسرائيل، وتضمنت هـــذه الخطـــوات: وضـــع قيـــود علـــى انتشار القوات السورية، ترتيبـــات وإجـــراءات لمتابعـــة عمليـــات الانتشـــار، التنســـيق بين الجيشين، شبكات إنـــذار مبكـــر، وإمكانيـــة تواجـــد طـــرف ثـــالث فـــي هضبـــة الجـــولان.

كان السوريون معنيين بترتيبات أمنية هامشــية، ورمزيــة، وبــدور أمــيركي موسع لضمان هذه الترتيبــات، وعــارضوا بمنتــهى الشــدة وجــود محطــات إنــذار إسرائيلية مبكرة في جبل الشــيخ.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض التضارب في آرائنــا بــهذا الصــدد، نجــم عــن التعارض القائم فــي نظرياتنــا. كــانت نظريتنــا تنــص علــى أن الســلام ســيصبح مضمونا، إلى حد كبــير، بالاعتمــاد علــى الترتيبــات الأمنيــة. فــي حيــن نصــت النظرية السورية على أن الســلام ســيضمن الأمــن. لقــد اتســمت النقاشــات حــول الترتيبات الأمنية بمشاركة جنرالات- من الجانبين- بأنها طويلــة وغــير مثمــرة.

كانت جذور المشكلة تكمن في رفض السوريين لمبــدأ المراقبــة فــي كــل مــا يتعلق بحجم الجيش السوري وإعــادة نشــره فــي عــهد الســلام. لقــد كــان مطلبنــا لمعرفة كيفية أنتشار الجيش السوري تجــاه إســرائيل، فــي أعقــاب إنجــاز الســلام، بمثابة انتهاك لقــدس الأقــداس بالنســبة للســوريين، وكــانوا يــردون علينــا قــائلين: الرئيس الأسد وحده هو الذي يعــرف كيــف يمكــن نشــر الجيــش الســوري آنــذاك. كانت هذه النقطة هي اشد العقبات التي تقف علــى طريــق الســلام.

طرحنا مشكلة الإرهاب في لبنان، فــي إطــار مناقشــة الأوضــاع والترتيبــات الأمنيــة، وتقديــم ســورية الحمايــة للمنظمــات الفلســطينية الإرهابيــة المعارضــة لعرفات، وقد قال السوريون، أن جميع هذه الأعمال ســتتوقف حــال إحــلال الســلام. ووصفوا العمليات في لبنان كنضال مقــاتلي حريــة، لقــد اعتــبروا "العنــف" بمثابــة ورقة مساومة يجب الاحتفاظ بها حتى نهاية المفاوضــات، أضــف إلــى ذلــك، أنــهم كانوا يعتزمون تطوير العلاقات القائمة بينهم وبيــن حلفائــهم مــن معــارضي الســلام، وخصوصا بينهم وبين إيران كشــركاء اســتراتيجيين بديليــن لاحتماليــة عــدم نجــاح المسيرة السلمية مع إســرائيل.

لقــد ارتكــب الســوريون خطــأ جســيما بــإصرارهم علــى التمسـك بــهذه الاستراتيجية نظــرا لان مصلحــة المنظمــات الإرهابيــة المواليــة لإيــران، كــانت تقتضي تقويض السلام. وأعتقد أننا أيضا أخطأنا لأننا لــم نطلــب مــن ســورية، فــي

صورة إنذار، أن ترغم رجال حزب الله، على وضـــع حـد لجميـع نشــاطاتهم خــلال فترة المفاوضات. لقد اعتبرنا السلام الشامل بمثابــــة الحـل النـــاجع لجميـع المشـــاكل السياسية والأمنيــة.

عمق الانسحاب من هضبة الجــــولان:

لم تطرح قضية الانسحاب من هضبــــة الجــولان، وعندمـــا كـــان الســـوريون يتطرقون إلى هذه القضية قائلين أن من الواضــــح لـــهم أن إســـرائيل ستنســحب حتـــى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، كنا نرد عليهم قــــائلين: أن الوقـــت لـــم يحــن بعـــد، لمناقشة هذه القضية، وأننا نعلم، أن رابيـــن تعــهد شــفهيا بشـــأن الانســـحاب، بيـــد أن هذا التعهد كان مشـــروطا.

اتفقنا، أنا و(معلـــم)، علـــى الصعيـــد الفنـــي، أن يتـم طـــرح قضيـــة ترســـيم الحدود المستقبلية أمـــام مجموعـــات عمـــل" ســـيتم تشـــكيلها حينمـــا يجـــري تشـــكيل مجموعات العمل في المستقبل في إطار اللجنـــــة الأمنيـــة.

كان واضحا أن سورية لن توافق علـــى ســـلام حقيقـــي مـــع إســـرائيل، الا إذا تم تطبيق (السابقة المصرية) في المجال الإقليمي، وقـــد عمـــد الســـوريون أكـــثر مـــن مرة، إبان مقارنتهم للسلام الإسرائيلي مع ســـورية ومصـــر، إلـــى القـــول: أن الســـلام مع سورية أكثر جدوى لإسرائيل، ومجد أيضـــــا لســـورية.

وهكذا، تمثلت مهمتنا في تحديد الماهيـــة الدقيقـــة والمحتملـــة للســـلام والأمـــن في ظل جميع المفاهيم، بحيث يتــــم تعويضنـــا لتخلينـــا عـــن هـــذه المنـــاطق المهمـــة استراتيجيا لامننا الوطني، والمقارنة بيــــن الربـــح الـــذي ســـنحرزه مقارنــــة بـــالجمود المتواصل في العلاقات مع ســـورية وانعكاســـاته.

لقد أدركنا أن"حدود السلام" النهائيـــة ســـتصبح قابلـــة للترســـيم، فقـــط، عندمـــا نتأكد من أن علاقاتنا ستحول هضبة الجولان، مـــن هضبـــة اســـتراتيجية حيويـــة، إلـــى مجرد هضبة صخرية كباقي الـــهضاب العاديـــة.

المياه:

يتدفق ثلثا مياه بحيرة طبريا التي تعتبر بمثابة احتياط المياه الوطني الإسرائيلي- من هضبة الجولان وجنوب لبنان، أو تتبع منها. لذا أوضحنا للسوريين، أنه إذا لم يتم التوصل إلى حل مرض لمشكلة المياه، فإننا لا نستطيع التوصل إلى اتفاق سلام. وقد توصلنا إلى تفاهم حول ضرورة ضمان تزويد الطرفين بالمياه على الصعيدين الكمي والنوعي. وكان ذلك يعني، بالنسبة لإسرائيل، استمرار تدفق المياه عبر نظام يتم الاتفاق عليه بين الطرفين. أما بالنسبة لسورية، فكان ذلك يعني العثور على أسلوب لسد احتياجاتها المائية في تسوية ما مع تركيا، تجري بلورتها تحت رعاية الولايات المتحدة. وقد قال (معلم)، خلال النقاشات أن تركيا ستكون شريكا في السلام الإقليمي الشامل.

ومن الجدير بالذكر، أن غالبية النقاشات حول مشكلة جرت بين كل طرف من الطرفين والولايات المتحدة على حدة. وقد اعتزم دنيس روس إجراء حوار مع الحكومة التركية حول ذلك.

دور الولايات المتحدة في المفاوضات:

كان دور طاقم السلام الأميركي برئاسة روس دورا مضيفا ووسيطا ومراقبا. وقد قام الطاقم الأميركي بهذا الدور بكفاءة وحكمة ودون أي محاولة لفرض رأيه. كما لم يكف روس عن التأكيد على العامل المشترك بين أعضاء الوفدين، وأبدى ارتباطا إزاء كل تقدم. بل عمد إلى إعداد إجمال غير رسمي مكتوب في نهاية الجولة الثانية من المفاوضات، أجمل فيه ست نقاط تفاهم بين الطرفين والتي من الضروري تطويرها وتوسيعها عبر مفاوضات أكثر إسهابا.

وإذا كان هناك ضعف في الموقف الأميركي، فقد تمثل، في التدخل المبالغ فيه -كوسطاء- في المحادثات.

حاولت -بوجود روس- إقناع معلم بالانتقال بالمفاوضات من النمط الثلاثي، إلى النمط الثنائي- بيننا وبينهم، وهو النمط الأكثر جدوى وتحديدا، على افتراض أن تواصل الولايات المتحدة التحدث مع الطرفين، كل على حدة.

وفي محاولتي إقناع معلم، رويــت لــه روايـــة ســمعتها مـــن بـــيرس:" كـــان هناك شاب يجب فتاة حبا جما، بيد أن خجله منعه مـــن التصريـــح لــها بـــهواه، وأخـــذ يرسل إليها رسالة يوميا مع ساعي البريد، وبعد سنة تزوجـــت حبيبتـــه مـــن الســـاعي. انفجر معلم بالضحك حينما ســـمع الروايـــة، وقـــد اقـــترحت عليـــه أن يقصــــها علــــى الرئيس الأســـد.

التطورات السياسية داخل إسرائيل والمســـــار الســـوري:

أنماط للتقدم في المســـتقبل:

توصلنا فـــي كـــانون الثـــاني ١٩٩٦ إلـــى نقطـــة تحـــول بســـبب التطـــورات السياسية الداخلية في إســـرائيل. فكلمـــا اتضـــح أن بـــيرس يعـــتزم إجـــراء انتخابـــات مبكرة، كلما بدأت الأصوات في حزب العمـــل تتحـــو نحـو(الـــبرايمرز) -الانتخابـــات التمهيدية- داخل الحزب، وتباطأ العمل على صعيـــد المســـيرة الســـلمية.

وبدا أن الكثيرين من أعضاء الحزب يميلـــون نحـــو توجيـــه الانتقـــادات إلـــى سورية، نظرا لان هذه الانتقادات تشغف آذان نــــاخبي الحـــزب، الذيـــن يشـــكون فـــي مـــدى جديـــة الموقـــف الســـوري تجـــاه الســـلام. وقـــد رد الســـوريون علـــى هـــذه التصريحات الإسرائيلية بشدة. بل ووجد بعـــض مرشـــحي الحـــزب ضـــرورة لتوجيـــه انتقادات أو شن هجوم على أعضاء الطـــاقم المفـــاوض.

تابع السوريون باهتمـــام بـــالغ وكبـــير التمخضـــات السياســـية الداخليـــة فـــي إسرائيل، وعزوا إلى تلـــك التصريحـــات أهميـــة كبـــيرة. لقـــد شـــعر الســـوريون أن الساحة الإسرائيلية الداخليـــة غارقـــة فـــي الفوضـــى، وأن بـــيرس غـــير قـــادر علـــى فرض الانضباط داخل الائتـــلاف الحكومـــي.

كان من المفروض إجراء الانتخابـــات فـــي تشـــرين الثـــاني ١٩٩٦، بيـــد أن التمخضات آنفة الذكر جعلت بـــيرس يعتقـــد أن مـــن الأفضـــل عـــدم الانتظـــار حتـــى تشرين الثاني، وإجراء انتخابات مبكرة ليحصـــل علـــى تخويـــل جمـــاهيري لمواصلـــة تجسيد سياسته الســـلمية.

كانت نصيحتي لبيرس مختلفة. فقد كنت أرغب في أن تتاح لنا الفرصة لدفع اتفاقية السلام مع سورية إلى الأمام خلال عام ١٩٩٦، فقلت له: أن هناك احتمالا كبيرا- لكن ليس مؤكدا- بإمكانية التوصل إلى اتفاقية سلام مع سورية تفي بمصالحنا الاستراتيجية، وتؤدي إلى اتفاقية سلام شاملة.

فرد بيرس قائلا: إن الطريق الوحيد لدفع المفاوضات إلى الأمام، ولضمان تقدم يخدم مصالح إسرائيل، يتمثل في إجراء سلسلة لقاءات قمة بينه وبين الأسد. فإذا ما وافق السوريون على ذلك، فإنه لن يعمل على إجراء انتخابات مبكرة لإتاحة الفرصة، لاستنفاذ فرص التسوية حتى نهاية عام ١٩٩٦. وقد قام وزير الخارجية كريستوفر بنقل رسالة إلى دمشق بهذا المعنى في الخامس من شباط ١٩٩٦.

وقد رد الأسد بالقول: أن من الواضح له أنه سيضطر للاجتماع برئيس حكومة إسرائيل في وقت ما، بيد أنه لا يستطيع الالتزام بتاريخ محدد. وقد فهم بيرس هذا الرد على أنه محاولة للتهرب، لذا، رد على ذلك في الحادي عشر من شباط بالإعلان عن إجراء الانتخابات المبكرة إلى أيار.

بعث بيرس رسالة أخرى إلى الأسد عبر كريستوفر-قال فيها: أن المفاوضات ستستأنف بعد الانتخابات بوتيرة سريعة على أمل التوصل إلى إنهائه عام ١٩٩٦. وقد وافق الأسد على هذا الاقتراح بعد تردد طويل.

واجهنا في جولة السابع والعشرين من شباط حتى الثالث من أيار في (واي بلانتيشن) مشكلة الترتيبات الأمنية، ولم نحرز تقدما يذكر ورتبنا الأوضاع بالنسبة للجان العمل التي ستجتمع بعد الانتخابات.

اتفقنا أنا ومعلم على أن نسجل في المرة القادمة التفاهم الذي تم إنجازه بيننا في جميع القضايا كما اتفقنا على تشكيل لجنة توجيه، تشرف على عمل ثلاث لجان خاصة.

١. لجنة الترتيبات الأمنية، والتي ستتضمن لجنة فرعية للانسحاب ولترسيم الحدود الجديدة.

٢. لجنة تطبيع، علـــى أن يكـون ضمـــن عملـــها الاهتمـــام بالعلاقـــات الاقتصاديـــة، والمياه والسلام الإقليمي الشـــامل.

٣. لجنة صياغة برئاسة زينجـــر وريـــاض داودي.

وخلال المحادثات بين القضائيين تطـــرق داودي إلـــى بنيـــة الاتفـــاق الســـلمي المستقبلي، وأعرب عن رغبته فـــي تضمينـــه الأســـس المبدئيـــة فـــي صيغـــة الاتفـــاق نفسها، وليس في الملاحق الطويلة، وقال لا يجب أن يشـــتمل الاتفـــاق علـــى أكـــثر مـــن ثلاثيـــن صفحـــة، وأن أي اتفـــاق يشـــبه الوثيقـــة التـــي وقعنـــا عليـــها مـــع الفلسطينيين(٤١٠صفحات) غير وارد فـــي الحســـبان، لانـــه ســـيعقد الوضـــع، وقـــد رد زينجر على ذلك بالقول أن مدخل الاتفاق قد يصـــل إلـــى ثلاثيـــن صفحـــة، واقـــترح أن يتم مناقشة طابع الاتفاق فيما بعـــد.

وقد اتضح من خلال الحوار بينهما، أن لكل طرف توجـــها مختلفـــا عـــن الآخـــر فيما يتعلق بالكلمات. فالسوريون رغبوا فـــي اســـتخدام الكلمـــات للتعبـــير عـــن مبـــادئ رئيسية، في حين أردنا نحن استخدامها لوصف واقع محـــدد بإســـهاب كبـــير.

ورغم ذلك، بدا بوضوح أن الطرفين راغبـــان بجديـــة للتوصـــل إلـــى ســـلام. وقد أعرب معلم عن اعتقاده بأن بالإمكـــان التوقيـــع علـــى اتفاقيـــة ســـلام بعـــد اشـــهر معدودة من الانتخابـــات.

وبدأت اقتنع أكـــثر فـــأكثر بإمكانيـــة التفـــاوض مـــع ســـورية حـــول الســـلام بالاستناد إلى مصالح استراتيجية مماثلـــة وليـــس علـــى وهـــم القتـــال. وكنـــت أدرك أن مثل هذا النوع من المفاوضات قـــد لا يعكـــس(الـــدفء) مـــن النـــوع الـــذي بـــدا لنـــا ضروريا، بيد أنه يستخدم مصالحنا على المدى البعيد، ويعـــزز أمننـــا الوطنـــي.

كان العديد من زملائي يشكون في ذلـــك، نظـــرا للحـــذر البـــالغ الـــذي يبديـــه الأسد، بيـــد أنننـــي اعتقـــد أن ديناميكيـــة الثمـــن ومقابلـــه، والتـــي ســـتتأثر بـــالعوامل والمؤثرات الدولية ستفاجيء خـــبراء الوضـــع الراهـــن، بـــل وربمـــا زعيـــم الوضـــع الراهن السوري نفســـه.

لقد شاعت المفارقات أن يشعر حتى معارضي السلام، أن السلام اصبح في متناول اليد، وبالتالي يجب إحباط إمكانية تدمير الاتفاق بأعمال العنف. وبدأت رسل الموت تنفذ التعليمات التي أرسلتها إليها طهران. ومما زاد الطين بلة في قطاع غزة انفجار جهاز هاتف خلوي بين أيدي رئيس الذراع العسكري لحركة حماس المسمى المهندس (يحيى عياش) مما أدى لقتله في الخامس من كانون الثاني ١٩٩٦. لقد كان هذا الرجل مسئولا عن مقتل أكثر من خمسين يهوديا، وكان عرفات يخشى من زجه في السجن.

وأنا لا اعتقد أن مثل هذه العمليات مجد، خصوصا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار العدد الكبير من (المخربين) المنتشرين ضدنا، ولا اعتقد أيضا أن مقتل عياش هو الذي أدى إلى الأحداث التي برزت في أعقاب ذلك. فحوافز الإرهاب كانت ولا زالت مسألة استراتيجية لا دخل لها أبدا في الأعمال الانتقامية.

وقعت العملية الانتحارية الأولى في الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٦-أي في نفس يوم عودتنا للجولة الثالثة إلى (واي بلانتيشن) وقد وقع الانفجار الانتحاري في حافلة على خط-١٨ في القدس مما أسفر عن مقتل أربعة وعشرين إسرائيليا. ولم يبد أن السوريين يشعرون بالأسف على الحادث، فقد كانوا يعتبرون"الإرهاب" خطوات مشروعة في إطار الدفاع عن الوطن. لقد دقت ردود فعلهم على أحداث تلك الأيام إسفينا حسيا بيننا وبينهم، ومست بهم كثيرا حسب اعتقادي.

وفي نفس اليوم وقع حادث انفجار آخر على طريق عسقلان، وأسفر عن مقتل امرأة واحدة.

لقد طرحت قضية الإرهاب خلال آخر لقاء بيننا، والذي تم في شقة روس في الثالث من آذار. وقد أعرب روس عن خشية الأميركيين من أن الإيرانيين يستخدمون سورية كقناة لنقل الأوامر إلى حركة حماس، بشأن تصعيد عملياتها الإرهابية ضد إسرائيل. فسأل معلم فيما إذا كانت لديه أي إثباتات على ذلك؟؟

وقع حادث انفجار انتحاري آخر في غضون أربع وعشرين ساعة في حافلة في القدس، في نفس الشارع ونفس الحافلة، مما أسفر عن مقتل ثمانية عشر شخصا.

راقبنا على شاشات التليفزيون مناظر القدس المعروفة لنا، وشوارعها الملطخة بالدم، والمناظر المفزعة الناجمة عن الانفجار، وشعرنا برغبة شديدة، في العودة إلى عائلاتنا، وحينما طلبنا ذلك من إسرائيل، قيل لنا أن الرد سيأتينا في غضون أربع وعشرين ساعة.

وقد جاء الرد فعلا في صورة عملية انتحارية أخرى قام بتنفيذها رامز عبيد- وهو طالب في كلية الفنون من خانيونس، واختار هذه المرة شارع(ديزنجوف) وخلال عيد المساخر، مما أدى إلى مقتل ثلاثة عشر شخصا، وإصابة العشرات الآخرين بجراح. وفي أعقاب هذا الحادث كنا نتوجه على أول طائرة إلى إسرائيل.

جاء دنيس روس لوداعنا في الطائرة، وقال لي أنه يشعر بالانزعاج الشديد، ويشاطرني الرأي في أن السلام يتعرض لخطر شديد. وقال: إن الرئيس الأميركي سيعقد مؤتمرا حول الإرهاب في القاهرة، وسيقوم الرئيسان كلينتون ومبارك بالعمل كمضيفين. إن المنطقة كلها وإسرائيل في أمس الحاجة إلى التزام دولي صارم، بشن حرب مشتركة ضد الإرهاب.

التقيت حال عودتي ببيرس، الذي بدا وكأنه أكبر سنا بعشر سنوات مما رأيته قبل سفري، لقد اضطر أربع مرات في الأسبوع لزيارة أماكن الانفجارات ورؤية القتلى والدماء وسط صرخات الغضب التي أطلقتها الجماهير التي فقدت إيمانها بالمسيرة السلمية.

وكان على بيرس اتخاذ خطوات لترميم هذا الوضع وموازنته، بيد أن الخطوات التي كان عليه اتخاذها لا تتساوق مع استراتيجية السلام.

بدأت استطلاعات الرأي العام تشير إلى أن بيرس ونتنياهو، اللذين كان الفارق بينهما لصالح بيرس أكثر من ٣٠%- قد بدا يسيران جنبا إلى جنب. لقد

عاد اليمين -من المخبأ الذي لجأ إليه في أعقاب مقتل رابين- للسيطرة على الشارع الإسرائيلي من جديد.

ورغم أن نتنياهو تصرف بفطنة وأيد خطوات الحكومة ضد الإرهاب، بما فيها فرض الإغلاق على المناطق، الا أن عددا من مؤيديه شجبوا سياسة الحكومة ووصفوها بأنها العامل الأساسي المحفز للإرهاب.

كانت ردود فعل الجماهير الإسرائيلية خلال هذه الموجة من الإرهاب شديدة للغاية، لقد ساد الفزع بصورة شاملة، وعبر قسم من الجماهير عن هذا الفزع في صورة هستيرية، وبدا وكأن قدرتنا على الردع قد تراجعت وضعفت، وتمكنت المخاوف والفزع من تحويل الإرهاب إلى سلاح استراتيجي حقيقي.

لقد جاءت ردود فعلنا، تماما، مثلما تمنى الإرهابيون واشتهوا، وبدأت الأسافين تدق بيننا وبين شركائنا في السلام. وزاد الطين بله أن الكثيرين بدأوا يخلطون بين حماس وعرفات.

في الثالث عشر من آذار ١٩٩٦- أي ثمانية أيام بعد الانفجار في (ديزنجوف)، ترأس الرئيس كلينتون مؤتمر شرم الشيخ الذي أعد خصيصا لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام، ومحاربة الإرهاب.

وقد أم هذا المؤتمر ثلاثون زعيما- نصفهم من الشرق الأوسط، ونصفهم من شتى أنحاء العالم، جاءوا إلى المؤتمر كي يقولوا" لا للإرهاب".

لقد تعرضت إسرائيل طيلة وجودها لهجمات إرهابية، بيد أن الوضع بدا الان مختلفا، لقد وقف ثلاثة عشر زعيما عربيا إلى جانبها في شرم الشيخ ضد الإرهاب. بل لقد أعلن عرفات نفسه، أمام الحاضرين، قائلا: سوف نجتث الإرهاب من جذوره ونحطمه. وسنبذل جهودا كبيرة لكبح جماح المتطرفين من أمثال حماس والجهاد الإسلامي.

أما بيرس، فوجه أصابع الاتهام إلى إيران بالقول:" هناك يد إيرانية تشرف على الإرهاب داخل بلادنا، وعلى طول حدودنا".

ما كاد الرئيس الأميركي يقلع بطائرته من إسرائيل، في أعقاب زيارته لنا، قادما من شرم الشيخ، حتى وجدنا أنفسنا نواجه هجمة إرهابية أعنف من حزب الله في جنوب لبنان، تناولت مواقع جيشنا هناك، ومستوطناتنا في الشمال، التي بدأت تتعرض لصواريخ الكاتيوشا التي يطلقها أعضاء الحزب. وإزاء هذا الوضع تزايدت الضغوط الجماهيرية على الحكومة لوضع حد لها، عبر توجيه ضربة شديدة إلى حزب الله.

مشكلة جنوب لبنان، تتطلب إبرام اتفاق سلام أوسع مع سورية، والذي كان سيقود بالضرورة إلى إبرام اتفاقية سلام مع لبنان. ولم تكن لدينا أي أطماع في لبنان، سوى الحفاظ على أمننا، بيد أن هذا الهدف، كان صعب المنال طالما بقي حزب الله يعمل من الجنوب. وكانت سورية، التي تسيطر عمليا على لبنان- هي المفتاح لتخليصنا من هذا الوحل، بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بتخليصنا منه، ولم تكن لديهم أي مصلحة في تحييد حزب الله وكف يده عنا، قبل ضمان إبرام اتفاقية سلام سورية إسرائيلية. شرعت الولايات المتحدة في الثامن عشر من آذار بالتحرك بغية إقناع السوريين بكبح جماح حزب الله، وقد قرر بيرس إتاحة الفرصة للدبلوماسية الأميركية كي تفعل فعلها، بيد أن جميع توسلات الأميركيين ذهبت أدارج الرياح، ولم تحرك سورية ساكنا للقيام بدورها، رغم الوعود التي قطعها وزير الخارجية السوري فاروق الشرع لوزير الخارجية الأميركي كريستوفر، بأن تتدخل بلاده من أجل ذلك.

خلفت هجمات حزب الله، ورد سلاح الجو الإسرائيلي على هذه الهجمات تصعيدا، أرغم بيرس على التفكير في ضرورة الرد. وبالتشاور مع جميع الجهات الأمنية، اقترح بيرس على الحكومة أن تشن إسرائيل هجوما على قيادات حزب الله بالطائرات في العمق اللبناني، بما فيها قيادات الحزب في بيروت تحت اسم عملية "عناقيد الغضب".

لقد تخوفت من مثل هذه العملية والآثار التي ستخلفها، وبعثت إلى يوسي بيلين رسالة بهذه الروحية. لقد نظرت إلى المسألة على النحو التالي: نظرا لان إسرائيل تحملت قدرا كبيرا من الخسائر المادية والبشرية، فقد أصبحت ضحية للإرهاب، لذا يجب علينا أن نرد على هذا الوضع، رغم تخوفاتي من الآثار التي قد تنجم عن هذا الرد. بيد أنني كنت أخشى من الانجرار وراء التدخل العسكري العميق في لبنان، بصورة لا تتساوق مع المصالح الإسرائيلية بعيدة المدى.

بدا أن الضربة العسكرية لقيادات حزب الله باتت محتومة إزاء انعدام وجود أي بدائل أخرى، والاعتقاد السائد في إسرائيل والقائل بأن هناك حلا عسكريا لكل مشكلة، لقد أرغمنا الأصوليون على الانخراط في لعبتهم، وعلى ساحتهم.

شكلت هذه العملية مساسا خطيرا جدا بالمسيرة السلمية، ولا شك أن بيرس كان يدرك ذلك جيدا، بيد أنه في ظل الشروط القائمة فضل إظهار القبضة الحديدية، ثم العودة إلى مسار المسيرة السلمية.

لقد كان يواجه ثلاث مشاكل عويصة للغاية في آن واحد: تحد هائل لاستغلال القبضة العسكرية، والرغبة في إنقاذ المسيرة السلمية، وخوض المعركة الانتخابية.

وفي الثالث من نيسان وجه سلاح الجو الإسرائيلي ضربة شديدة إلى قيادة حزب الله في بيروت. وبدا لأول وهلة أن سلاح الجو قادر على رد الصاع صاعين، وإسكات مصدر الفتنة، واسترداد الكرامة الوطنية، بيد أن صواريخ الكاتيوشا واصلت التساقط فوق مستوطناتنا الشمالية، مما اضطر المستوطنين للفرار إلى الملاجئ. فردت إسرائيل بقصف مواقع وقيادات حزب الله مما تسبب في فرار جماعي لسكان الجنوب اللبناني من قراهم.

تواصلت المعارك والهجمات في لبنان، وأملت قيادة الجيش الإسرائيلي، في أن تؤدي أزمة ومأساة سكانه إلى دفع الحكومة اللبنانية، لممارسة ضغط على

الأسد، لدفعه لكبح جماح حزب الله، ووقف تدفق المواطنين اللبنانيين شمالا، بيد أن الرئيس الأسد ليس بالرجل الذي يتأثر من مثل هذه الضغوط.

وفجأة وقعت المأساة ففي السابع عشر من نيسان هوجمت وحدة مدفعية إسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية، فسارعت إلى الرد على مصادر النيران، والتي كانت تتمركز قرب موقع قوات الطوارئ الدولية في الجنوب بالقرب من قرية (قانا). بيد أن وحدة المدفعية الإسرائيلية لم تكن تعلم أن المئات من اللبنانيين كانوا قد لجأوا إلى هذا الموقع مما أدى إلى مقتل مائة مواطن وإصابة مئات آخرين بجراح.

<u>مأزق قانا:</u>

وجد بيرس نفسه في مأزق، وبدا شديد الذهول، وكذلك قيادة الجيش الإسرائيلي، ورغم أن قائد موقع الأمم المتحدة اتهم حزب الله باستخدام الموقع لإطلاق النار على الجيش الإسرائيلي إلا أن الغضب العالمي انصب كله على إسرائيل.

فكر بيرس للحظات في إيقاف العملية، بيد أنه سرعان ما أدرك، أن وقف العملية، والاعتقاد بأن وقفها هو بمثابة هزيمة لإسرائيل. سيدفعان بحزب الله إلى القيام بعملية تحريض، وعمليات عسكرية أخرى ضدنا، فأمر بمواصلة القتال حتى توصل الطرفين إلى إتفاق يضمن الهدوء على حدودنا.

وعندما قابلت بيرس بعد عملية قانا، شعرن أن حزنه كان حقيقيا، وقال لي : لن أتهرب من المسئولية، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، أعرب عن حزنه العميق وأسفه، وعن تحمله الكامل لمسئولية ما حدث.

لقد أثار قلقي إلى حد بعيد، أن الجماهير الإسرائيلية التي كانت مشغولة بإلقاء اللوم والتأنيب على حزب الله، لمَ تكلف نفسها عناء الإعراب عن ذرة من الأسف على موت مائة مواطن لبناني بنيران قواتنا.

ونظرا لإدراكنا بأن سورية هي التي تحمل مفتاح الحل، فقد قام دنيس روس وكريستوفر وطاقم السلام الأمريكي في العشرين من نيسان بزيارة إلى

المنطقة تستغرق عشرة أيام للتفاوض مع سورية وإسرائيل، بيد أن الأسد لم يكن في عجلة من أمره. وبعد مفاوضات قاتلة ومدمرة للأعصاب، تمكننا من التوصل إلى إتفاق يخرج مناطق مدنية على الجانبين من إطار لعب القوات المسلحة والأعمال العسكرية.

وبناء على اقتراحات بيرس، والتدخل الأمريكي، تم الاتفاق على تشكيل جهازين جديدين : الأول يقوم بمراقبة الوضع الأمني في جنوب لبنان، بمشاركة ممثلين عن إسرائيل وسورية ولبنان وفرنسا والولايات المتحدة، والثاني للعمل على ترميم الاقتصاد اللبناني بإشراف الولايات المتحدة وفرنسا.

الفصل العاشر

بيرس طرح شعار السلام ونتنياهو أبدى أوسلو ككارثة٠٠٠ففازت الكارثة

أرض جديدة قديمـــة :

شهد شهرا آذار ونيســـان ١٩٩٦ أخطـر هجمـات أصوليـة ضـد المســيرة السلمية إلى الدرجة التي حـــدث بـالكثير مـن الإسـرائيليين للإعـلان بـأن إتفاقيـات أوسلو قد قضت نحبها، ورغم أن الأمر لم يكن قد بلغ إلـــى هـذا الحـد، إلا أنـه كـان لزاما علينا أن نعود لإدارة المسيرة السلمية، بصورة تشـــجع شـركاءنا علـى مواصلـة محاربتهم للإرهاب من جهة، وضمان التعاون الأمني بيننا مـــن الجـانب الآخـر.

إجتمعت في أعقاب عودتي من (واي بلانتيشن) مع أبـو عـلاء، كـان آنـذاك قد رشح نفسه لمجلس الحكم الذاتـــي، فـي الانتخابـات التـي جـرت، نهايـة كـانون الثاني، وحققت خلالها السـلطة الفلسـطينية نجاحـا كبـيرا، فقـد تـم انتخـاب ياسـر عرفات رئيسا للسلطة بأغلبية ٩٠% مـن أصـوات النـاخبين، وحظيـت حركـة فتـح بحوالي ٨٠% من الأصوات فـي إنتخابـات المجلـس التشـريعي، وتـم انتخـاب أبـو علاء الذي حظي بأكبر عدد مـن الأصـوات فـي منطقـة القـدس، رئيسـا للمجلـس الفلسطيني، وأخذ يكرس كافة جهده ووقته لبنـاء البرلمـان الفلسـطيني.

بدا أبو عـــلاء متكـدرا، وأعـرب عـن ذهولـه، وأسـفه البـالغ للعمليـات الإرهابية التي تقوم بها حركة حماس، وقال لـــي : إن عائلتـه كلـها، تشـعر بالأسـف لذلك، ومن الجدير بـــالذكر أن أبنـاءه حرصـوا علـى الحفـاظ علـى اتصـال دائـم بزوجتي، وأولادي طيلة فترة غيابي، فـــي (واي بلانتيشـن)، وشـاركوهم فـي حزنـهم وأسفهم.

نصحني أبو علاء بأن أكرس غالبية وقتـــي وجـهدي لإنقـاذ عمليـة السـلام، وقال : "هناك عدد كبير من الفلسطينيين يعـــارضون مـا حـدث ويحـدث، ولأول مـرة تجري في غزة مظاهرات ضـد الإرهـاب".

ورغم ذلك ما كان عليه أن يجري مفاوضات بصورة مباشرة بحكم منصبة الجديد، إلا أننا اتفقنا على إجراء اتصالات - دائمة بيننا، والتشاور حول أفضل الأساليب لمواصلة العمل ودفع المسيرة إلى الأمام.

كان جهازنا الأمني على قناعة تامة بأن فشل السلطة الفلسطينية في الحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، يرجع إلى عدم وجود سياسات شاملة ضد الإرهاب، لقد وضعت أجهزة الأمن الفلسطينية نصب عينيها، هدف إحباط العمليات الإرهابية التي يجري التخطيط لها، وإقناع زعماء حماس، بالتحول إلى حزب سياسي، بيد أنها لم تعمل على مطاردة زعماء حماس المسئولين عن الإرهاب واعتقالهم، وتدمير بنية الإرهاب ولم تقم بمصادرة الأسلحة غير المشروعة من أيديهم.

عمدت حركة حماس، مثل جميع المنظمات الأصولية الأخرى، إلى تجنيد مؤيدين لمدها بالاحتياجات الرئيسية، وأقامت مؤسسات اجتماعية، ورفاه ومدارس ورياض أطفال ومنتديات ونوادي، ورعت مساجد، ومستشفيات ومراكز تدريب وتأهيل مهنية، وقامت جميع هذه المؤسسات بتزويد العديد من الفلسطينيين بالطعام والعمل والخدمات الصحية والتأهيل في أعقاب قضاء فترات سجن.

واستخدمت كل هذه المؤسسات أيضا لأدلجة الفلسطينيين، وزرع نظريات فيهم تساوي بين التسوية والخنوع، وتجنيد الانتحاريين.

أدرك عرفات طبيعة الوضع، والأخطار الناجمة عنه على نظامه، لذا لجأ إلى أسلوب (فرق تسد)، فعمل على ضم بعض زعماء الحركة إلى جانبه بالوعود بإشراكهم في نظام حكمه، وأبعد قسما آخر، بيد أنه لم ينتبه إلى النشاطات التي تقوم بها الأسس الأصولية المتطرفة، والتي وضعت نصب عينيها هدف تدمير إتفاقياته مع إسرائيل بالإرهاب.

إجتمعت بعرفات قبل عشرة أيام من العملية الانتحارية في القدس، وخيل إلي أنه يبالغ في مدى سيطرته على الوضع، وقال لي : " قل لرئيس الحكومة

أنني أبذل كل يوم الجهد اللازم"، بيد أنه أعرب عن قلقه من تأثير (العناصر الخارجية).

لقد وضعته العمليات أمام تحد علني لسلطته، وفي نهاية المطاف، بدأ يدرك أن نتائج النضال ستسهم في بلورة وقبوله هوية المجتمع الفلسطيني، بل وأيضا الدولة الفلسطينية المستقبلية.

وإزاء هذا الفهم، قرر عرفات العمل بصورة أكثر شمولية ضد الإرهاب، أردنا أن نضمن قيام عرفات بذلك، فأرسل بيرس إليه أولا، (أمنون شاحك)، الذي بدا غاضبا وملحا، ثم أرسل إليه يوسي (جينوسار) بمطالب متشددة، وطالبنا خلال هذا اللقاءات، بأن توغل السلطة الفلسطينية في كيل الضربات لحماس، وهدم بنيتها ومصادرة أسلحتها، واعتقال المشبوهين بممارسته الإرهاب أو الحث عليه، وفي نفس الوقت فرضت إسرائيل إغلاقا محكما جدا على قطاع غزة والضفة الغربية عزلهما وفصلهما فصلا تاما عن إسرائيل.

ولأول مرة، منذ إتفاقيات أوسلو، يعرب بيرس عن شعوره بالإحباط من عرفات، ويتهمه علنا بالتقصير، وعدم اتخاذ جميع الخطوات اللازمة ضد الإرهاب، ورغم أن الاتهام آنف الذكر جاء في إطار محاولة بيرس إبداء القوة، إلا أنه أسهم أيضا في إضفاء اللاشرعية على عرفات في أعين الجماهير الإسرائيلية وساعد اليمين الإسرائيلي في شن حملته ضد أوسلو، وهكذا، وللمرة الثانية نجح الأصوليون في دفعه مجددا إلى الزاوية.

بعث بيرس جينوسار إلى عرفات من أجل بناء قناة اتصال سرية جديدة للمفاوضات، وتم تعييني، أنا وأبو مازن لترؤس هذا المسار الجديد، أما المشاركون الآخرون فكانوا ضباطا وموظفين آخرين، يعملون في مجال الأمن ومكافحة الإرهاب.

جرت خلال الفترة الواقعة بين ٢٣ آذار و١٧ نيسان عشرة لقاءات سرية، في إطار المسار السري الجديد، في القدس وعسقلان وأماكن أخرى، وكانت اللقاءات ترمي لبلورة تفاهم حول العمل ضد الإرهاب والتعاون الأمني

واستئناف المسيرة السلمية، وقد بدا لــي أبـو مـازن كشـريك صـادق وجـدي، وقـد اعترف بأن السلطة الفلسطينية أخطأت باعتقادهـا إمكانيـة التوصـل إلـى تفـاهم مـع حماس بالحوار الموسع الذي أجرته مع زعامتها فـي غـزة والسـودان.

وبناء على ذلـك، أصـدر عرفـات أمـرا يقضـي بتوجيـه ضربـة شـديدة لحماس والجهاد الإسـلامي.

وقد أعلمني أبو مازن، باعتقال المئـات مـن الحركتيـن، وإغـلاق مؤسسـات إجتماعية ودينية، وأكاديمية، كانت تعمل تحـت إشـراف حمـاس.

وقـد أدت التحقيقـات الواسـعة، التـي تـم إجراؤهـا والمـواد الكثـيرة المضبوطة، إلـى إقنـاع المحققيـن، بـأن الـهدف الحقيقـي لحمـاس، هـو السـلطة الفلسطينية نفسها، وأن العنف الذي يمارس ضـد إسـرائيل ليـس سـوى أحـد وسـائل الاقتتال الفلسطيني الداخلـي.

وفي نفس الوقت، ألقى المفـاوضون الفلسـطينيون قسـما كبـيرا مـن اللـوم علينا، بشأن تعاظم قـوة حمـاس، وقـال حسـن عصفـور، سياسـة الإغـلاق التـي تتبعونها منذ أوسلو، هي التي خلقت البطالة واليـأس والمـرارة التـي دفعـت بـالآلاف من الفلسطينيين إلى أحضان حماس، وحتى فـي أعقـاب العمليـات الإرهابيـة صـرخ المتظاهرون في غزة "نعـم للسـلام لا للإرهـاب" وفـي أعقـاب تشـديدكم للإغـلاق، صرخوا في شعاراتهم : "نعم للسلام، لا للإرهاب لا للإغـلاق"، وفـي أعقـاب تدهـور الوضع الأمني، بدأوا يصرخـون، " لا للاحتـلال لا للإغـلاق"، ولـن يطـول الزمـن، حتى تتحول هذه الصرخات إلى "لا للسـلام". إن سياسـتكم قصـيرة النظـر، وأنتـم لا تفتشون عن سلام حقيقـي".

وقال عصفور أيضا : إن عرفات لم يكـن قـادرا علـى شـن حـرب شـاملة ضد حماس، لأنه لم يكن لديه بالمقابل ما يقترحه علـى شـعبه، طالمـا بقيـت سياسـة الإغلاق، سيد الموقـف.

وفي حقيقة الأمر فقد ركزنا كل اهتمامنـا علـى ممارسـات وقـدرة الزعامـة الفلسطينية على التنفيذ إلى الدرجـة التـي أعمتنـا عـن رؤيـة الجمـاهير الفلسـطينية

واحتياجاتها، وأن من واجب زعامتها سد هذه الاحتياجات، ولـــهذا السـبب بـالغت فـي مدى قوة عرفات، أضف إلى ذلك، أن عرفات فشل في فهم مـــدى تـأثير الـرأي العـام على أسلوب اختيار إسرائيل لسياستها في المســيرة السـلمية.

قلت لعصفور أن على السـلطة الفلسـطينية أن تقـدم ردودا شـافية وسـريعة، وأن تقوم بتدمير المعارضـــة العنيفـة كخطـوة أولـى علـى صعيـد إحيـاء المسـيرة السلمية، وفي نفس الوقت الذي ناقشت فيـــه الجـهات الأمنيـة مـن الطرفيـن أسـاليب محاربة الإرهاب، عكفنا أنا وأبـو مـازن علـى بنـاء بنيـة جديـدة للتعـاون، بحيـث تشـمل.

- التعاون على الصعيد الاستخباري في الوقـــت الحقيقـي.
- مراقبة نشاطات السلطة الفلسطينية ضــد الإرهــاب.
- تعاون الطرفين انطلاقا من مبـدأ المســاواة.

قامت السلطة الفلسطينية خلال الأسابيع التي تلـت ذلـك بشـن حـرب شـاملة ضد حماس والجهاد الإسلامي، هذا إضافـة إلـى التحسـن الـهائل الـذي طـرأ علـى التعاون الأمني بيننا وبينهم، وتم إعتقـــال المئـات مـن أعضـاء حمـاس، وصـودرت أسلحة ومعدات حربية وجـــرى إقالـة شـخصيات عسـكرية ودينيـة وأكاديميـة مـن وظائفها، وأصبح العديد من الأهداف المدنية، بـل والمسـاجد، أهدافـا لاجتيـاح رجـال الشرطة الفلسطينية، لقد قاتل عرفات ليس فقط من أجـل انقـاذ المسـيرة السـلمية، بـل أيضا من أجل إنقاذ السلطة الفلسـطينية نفسـها.

بدأت أجهزة الأمن الإســرائيلية تتلقـى تحذيـرات باحتمـال وقـوع عمليـات إرهابية ضد إســرائيل، بيـد أنـها كـانت تشـعر بالارتيـاح التـام جـراء التعـاون الفلسطيني الوطيد على الصعيد الأمني، لقـــد أثبتـت الشـراكة الإسـرائيلية الفلسـطينية أنها قادرة على العمل حتى في أصعـب الظـروف، لقـد وصلـت المسـيرة السياسـية بعد ستة أسابيع من عملية ديزنجوف إلى ثلاثـة معـالم طريـق.

* صادق عرفات وبيرس في السابع عشـر مـن نيسـان علـى وثيقـة غـير رسـمية مفصلة للتعاون بين سـلطات الأمـن مـن الطرفيـن ضـد الإرهـاب، وأعلنـا عـن

استئناف المسيرة السلمية، وتفعيـــل جميـع لجـان العمـل بـهذا الشـأن، وتواصلـت الاستعدادات لإعادة الانتشار في الخليل، والتي تم تحديـــد موعدهـا بينـي وبيـن أبـو مازن في الخامس عشر من حزيران - أي في أعقـاب انتخابـات الكنيسـت.

وحال توصلنا إلى ذلك، اتجـهنا نحـو أحـد أكـثر اللقـاءات التـي عقدناهـا غرابة، وقد قدم بيرس إلى الاجتماع وبصحبته رئيس الأركـان ورئيسـا جـهاز الأمـن العام وشعبة الاستخبارات العسـكرية.

أما عرفات فقد جاء وبصحبتـه مسـئولو أجـهزة الأمـن الفلسـطينية، وفـي أعقاب تناول طعام الغداء استعرض الفلسـطينيون النشـاطات التـي قـاموا بـها ضـد الإرهاب منذ العمليات الانتحارية التي وقعت فـي شـباط وآذار، وقـام محمـد دحـلان بتفصيل تلك النشاطات باللغة العربية، في حين قـام أحـد رجـال جـهاز الأمـن العـام بالترجمة إلى اللغة العبريـة.

والحقيقة هي أنني لم أكن لأتخيل في يـوم مـن الأيـام، أننـا سـنرى ضبـاط الجيش الإسرائيلي يصغون إلـى ضبـاط منظمـة التحريـر، والسـجين السـابق وهـو يشرح لهم كيف يحارب أبناء شعبه ضد الإرهـاب بجديـة، ومنهجيـة.

* في الرابع والعشرين من نيسان وصلنا إلى معلـم الطريـق الثـاني، فبينمـا بـيرس في طريقه للاستقبال السنوي لوزير الدفـاع الـذي يجـري بمناسـبة عيـد الاسـتقلال، تلقى بيانا من عرفات يعلمه فيه أن المجلـس الوطنـي الفلسـطيني المنعقـد فـي غـزة اتخذ قرارا بأغلبية ٥٠٤ أصـوات ضـد ٥٤ صوتـا بإلغـاء مفعـول بنـود الميثـاق الوطني الداعية إلى تدمير دولة إسرائيل، لقد أتى هـذا التصويـت فـي إطـار الالـتزام الذي بعث به عرفات في رسالة إلى رئيس الحكومة اسحق رابيـن، فـي التاسـع مـن أيلول ١٩٩٣، في إطار الاعتراف المتبـادل بيـن منظمـة التحريـر وإسـرائيل، وقـد أطلعنا الفلسطينيون على صيغـة قـرار المجلـس الوطنـي الفلسـطيني مسـبقا إبـان الاتصالات السرية بين أبو مازن وزينجر وبوسـاطة جينوسـار. كـي يؤكـدوا علـى أنه يتلاءم مع التزاماتهم، وقد أكد زينجـر لرئيـس الحكومـة، أن الفلسـطينيين يوفـون حقا بالتزاماتـهم.

رغم أن منظمة التحرير كانت قد اعترفت بإسرائيل على جميع الأصعدة، إلا أن لقرار المجلس الوطني- بوصفه برلمان جميع الفلسطينيين والذي يشمل الفلسطينيين الذين لا يسكنون الضفة الغربية وغزة، ويضم فصائل تعارض إتفاقيات أوسلو، وتنفي وجود دولة إسرائيل كالجبهتين الشعبية والديمقراطية -كان أهمية خاصة.

وبهذه المناسبة قال عرفات : " لقد صنعنا سلام الشجعان، ويجب علينا أن نكون شجعانا بما فيه الكفاية، من أجل تغيير الميثاق الوطني.

ونظرا لان الميثاق كان يغص بعبارات الرفض والعداء، فقد قرر المجلس تشكيل لجنة لإعداد صيغة ميثاق جديد، وقد اعتقد أبو علاء الذي كان نشطا جدا خلال جلسة المجلس، أن الميثاق الجديد سيصبح تشريعا للدولة الفلسطينية المستقبلية.

وعندما أعلن بيرس عن قرار المجلس الوطني أمام الحاضرين في باحة وزارة الدفاع، ووصفه "بالتغيير التاريخي" انطلق الحاضرون بتصفيق حاد.

في الخامس من أيار ١٩٩٦ وجدت نفسي قرب فندق هيلتون في طابا، حيث قدم ممثلو الفلسطينيين والإسرائيليين للشروع بمفاوضات التسوية الدائمة، والتي كان يفترض أن تقودنا إلى المصالحة التاريخية وقد ترأست أنا وأبو مازن الوفدين.

جلست في غرفتي في الفندق كي أضع اللمسات الأخيرة على الكلمة التي سألقيها في الاجتماع الأول ، ووجدتني أضيف الصيغة المعدة، الكلمات التالية : "نعم، يجب على شعبينا أن ينفصل أحدهما عن الآخر، و الفصل يستخدم أصلا لتشجيع التعاون.... وبوضعنا أسس هذا الفصل، نكون قد أوضحنا أن الجانبين مسئولان عن هويتيهما".

لم يكن الطرفان في أي يوم ماض مؤهلين لمواجهة القضايا المطروحة آنذاك على جداول أعمال اللقاء : القدس، الحدود، اللاجئون، الفلسطينيون، والمستوطنات الإسرائيلية، لولا أنهما سارا معا على الطريق الصعب.

جمعت أوراقي وتوجهت إلى الجناح الذي كان أبـو مـازن يـنزل فيـه، ولـم يكن هناك شك بصعوبة المهمة التي نواجهها وعمـق الخلافـات القائمـة بيـن مواقفنـا ورغم ذلك كان يسري بيننا تفاهم عميـق فيمـا يتعلـق بـأهداف المسـيرة: المصالحـة التي سيتم إنجازها ستلتزم بالمسـاواة والتقديـر المتبـادل، وسـتضمن السـلام والأمـن والتعاون الاقتصـادي.

وقد عقب أبو مازن قـائلا نحـن مصـرون علـى وضـع حـد لعقـود مـن النزاع، وعلى التعايش السلمي بكرامة وأمـن متبـادل.

استهللنا الاجتماعات بمراسيم توقيـع دراميـة بيـد أن هـذا الاجتمـاع كـان يخدم هدفا، فقد أقمنا خلاله مجموعـات عمـل علـى جميـع الأصعـدة ولجنـة عليـا لتوجيه المفاوضـات.

وخلال اللقاء المغلق الذي أجرينـاه أنـا وأبـو مـازن قررنـا إنشـاء مسـار سري والذي أملنا أن نتمكن عبره من إحراز تقـدم حقيقـي.

إجتمعت في السابع من أيار ١٩٩٦ مع أبـو عـلاء ورويـت لـه مـا حـدث في اجتماع طابا الذي لم يتمكن من حضـوره ومـن الجديـر بـالذكر أن علاقاتـه مـع أبو مازن في تلك الأونة اتسمت بالتوتر. قال أبو عـلاء : " مـن السـابق لأوانـه جـدا أن أشارك في المفاوضات، وتساءل كيف سأواصل المفاوضات.

قلت له : "لا أعتقد أن علينا الانطلاق من رؤيتنـا للوضـع عـام ١٩٩٦، بـل ولا من نقطة رؤيتنا للقضايا التي يجـب علينـا أن نتخـذ قـرارا بشـأنها حتـى أيـار ١٩٩٩، بل أعتقد أن علينا الانطلاق من وضعنـا للأهـداف المشـتركة مثلمـا سـتبدو عام ٢٠٠٠، أي بعد سنة مـن التوقيـع علـى اتفاقيـة التسـوية الدائمـة، لأن القضيـة الموضوعة على كفة الميزان هي طبيعة علاقاتنـا المسـتقبلية.

يجب علينـا أن نحـرص علـى وصـف العلاقـات المرغوبـة بيننـا، علـى الصعد السياسية، والأمنية والاقتصاديـة.

وافق أبو علاء على ذلك قائلا : لقـد رفعـت طيلـة الطريـق لـواء التعـاون العميق فيما بيننا هذا هو الطريق الوحيد الذي سيؤدي إلـى تعزيـز الطرفيـن.

قلت : "يجب علينا أيضا أن نضمن أن ندفن النزاع نهائيا حال التوقيع على الاتفاق إنني أعتزم عرض إقامة نوع من التحالف بين الشعبين يكون خلاله تعاون أمني حقيقي ضد أعداء الشعبين، وإزالة الفواصل الاقتصادية القائمة بيننا، وأيضا بين اقتصادنا والاقتصاد الأردني وخلق شراكة سياسية وتؤدي إلى تعاون إقليمي.

وعندما نتوصل إلى التوقيع إلى إتفاق حول علاقاتنا المستقبلية، حينها سنبدأ مواجهة القضايا الصعبة.

ضحك أبو علاء وقال : حسنا أوري ، أرى أنك لست بحاجة إلي الآن، اتصل بي هاتفيا عام ١٩٩٨ عندما تكون هناك ضرورة للمواجهة بيننا".

لم يخطر ببالي أبدا أن هذا اللقاء هو آخر لقاءاتي مع أبو علاء أو مع أي مسئول فلسطيني آخر بوصفي منسقا للسلام، لقد مضى منذ بدأنا مسيرة أوسلو وحتى هذه المحادثة ألف ومائة يوم من المفاوضات حول السلام، لقد كنت منشغلا بوضع مخططات لمواجهة العديد من القضايا، وذلك على افتراض أن بيرس سيفوز في الانتخابات القادمة.

وعندما رويت لبيرس ما قلته لأبو علاء ولأبو مازن وافقني الرأي وقال لي : يجب أن تستعد لخوض المفاوضات على المسارين الفلسطيني والسوري في حزيران القادم بعد الانتخابات فقلت له:" لقد توصلت إلى تفاهم مماثل أيضا مع وليد معلم".

كانت الحكومة تعلم بأن إيران معنية بتغيير السلطة في إسرائيل، وذلك على افتراض أن هذا التغيير سيفضي إلى وقف المسيرة السلمية وبناء على ذلك، أمرت إيران المنظمات الإرهابية بمواصلة أعمال العنف ضد إسرائيل، وقد أكد اللواء أيلون ذلك علنا.

وقد تلقينا تأكيدا مماثلا حول النوايا الإيرانية من مصادر أمنية فلسطينية بالاستناد إلى المعلومات التي تم الحصول عليها من التحقيقات التي أجروها مع معتقلي حركة حماس.

وفي الرابع عشر من آذار اكتشفت سلطات الأمن البلجيكية صاروخا قصير المدى كان معدا للإطلاق على سفارة إسرائيلية في أوروبا، على متن سفينة انطلقت من إيران وحطت في ميناء انتورفن مما حدا بي للإعلان عن حالة الطوارئ في جميع سفاراتنا في أوروبا واتصل بيرس بالرئيس كلينتون وشيراك والمستشار كول فقام الثلاثة بتحذير إيران من مواصلة العمل بمثل هذه المخططات.

لقد ارتبطت الحملة الانتخابية الإسرائيلية بالنضال من أجل المسيرة السلمية وضد معارضيها المتسمين بالعنف، وقد انقسمت الجماهير الإسرائيلية إلى معسكرين: الذين قدروا إنجازات المسيرة السلمية وأيدوها، أولئك الذين اعتبروا العنف الممارس ضد المسيرة السلمية دلالة على أن هذه المسيرة ساذجة ومضللة من أساسها.

يناهز بنيامين نتنياهو السابعة والأربعين وهو أصغر رئيس حكومة إسرائيلي يخوض الانتخابات الرئاسية، وقد حرص في حملته الانتخابية اليومية على التأكيد صباح أمس، بأن أوسلو هي بمثابة خنوع لمنظمة التحرير الإرهابية، وأن وضع أمتنا بين أيدي زعيم إرهابي، لن يفضي الا إلى حمام دموي، وفي الدعاية الإعلامية التي كان الليكود يبثها ليليا، كان يعرض مناظر دموية من العمليات الانتحارية، ويؤكد أنه لا وجود للسلام ولا للأمن ولا يوجد أي سبب للتصويت لبيرس، في حين كانت حملة حزب العمل تعرض إنجازات المسيرة السلمية دفع المنطقة باتجاه مصالحة سياسية كوسيلة وحيدة لإحراز الأمن على المدى البعيد، وتظهر وجهة إسرائيل المتجه نحو المستقبل.

بيد أن التمزقات القائمة في المجتمع الإسرائيلي كانت أعمق من الخلافات السياسية فقد شارك قسم من الجماهير في ثورة السلام واعتبر انهيار الأسوار التي كانت تطوق إسرائيل بمثابة طوق النجاة للدولة، في حين اعتبر القسم الآخر من الشعب، المسيرة بمثابة كارثة.

وهكذا ما بدا لنصف الشعب كانفتاح آفاق وفرص جديـــدة أمـــام إســـرائيل، بـــدا للقســـم الآخر كترك الدولـــة مشـــاعا دون قـــدرة علـــى الدفـــاع أمـــام العنـــف وتغلغـــل القيـــم الأجنبية، وبالتـــالي اعتـــبرت الرؤيـــة الأخـــيرة أن إســـرائيل ليســـت محاطـــة بـــدول مجاورة، بل بأعداء أبدييـــن.

هذا هو الوضع اليهودي الذي ساد آلاف الســـنين، ومثلمـــا جـــاء فـــي التـــوراة "شعب وحده سيسكن"، لقد فهمت عمليـــة منـــح الثقـــة للآخريـــن كتركنـــا مشـــاعا بيـــن أيديـهم.

كانت دعايات الليكود اليومية تبـــدي عرفـــات وبـــيرس وهمـــا يســـيران يـــدا بيد، فبدا هذا الرمز لبعض الإسرائيليين كأنه إحـــدى ضـــرورات المصالحـــة فيمـــا بـــدا للآخرين كمسيرة نحو الكارثـــة.

لقد أثبت نتنياهو قدرة فذة علـــى توحيـــد معســـكرات مختلفـــة- تشـــاركه فـــي تطلعاته- خلفه فضم إليه اليمين العلماني الـــذي خـــارت قـــواه بســـبب النزاعـــات بيـــن قادته، ثم ضم إليه حامل لواء القضايـــا الاجتماعيـــة وزيـــر الخارجيـــة الســـابق (ديفيـــد ليفي) وضم إليـــه حركـــة شـــاس الدينيـــة الطائفيـــة تحـــت قيـــادة الحاخـــام (عوفاديـــا يوسيف)، كما نجح نتنياهو في ضم جمـــاعتين انتخـــابيتين أخريـــن همـــا : المتدينـــون من مؤيدي المفدال، و(الحراديم الإشكناز) لقـــد بـــدت انتخابـــات أيـــار ١٩٩٦، بمثابـــة استفتاء شعبي اجتماعي حضاري أكثر منها اختيارا بين المســـيرة الســـلمية وبديلـــها.

لقد بـــدا لـــي طيلـــة ســـنوات المفاوضـــات الثـــلاث، وأيضـــا أثنـــاء الحملـــة الانتخابية أن روح الطاقة والقتال في إسرائيل انحرفتا باتجاه اليميـــن الدينـــي لقـــد كـــان لدى هذا التيار رسالة يرغب في إشاعتها وقـــد اعـــد العـــدة والاســـتعداد الـــلازم لعمـــل ذلك بحماس بالغ فـــي الوقـــت الـــذي بـــدا فيـــه اليســـار الممســـك بمقـــاليد الســـلطة و صولجان الحكم خاملا وغير مبـــال.

لقد اعتقد أقطابه أن الاتجـــاه الإيجـــابي الـــذي فرضتـــه قـــرارات الحكومـــة، سيجر وراءه غالبية الشعب، ورغم الصعوبـــات وأعمـــال العنـــف، وبـــدا بتصرفـــه ذلك

وكأنه يعتقد انه يعيش عهد ما بعد السلام في حين أصــــر اليميــن علــى التخنــدق فــي بؤرة النزاع الأبــدي.

وقد ارتفعت ثقة جماهير اليســـار وأقطابــه وهـــي تــرى نتــائج اســتطلاعات الرأي العام التي كانت تشير حتى يوم الانتخابات تقريبــا إلــى تفــوق بــيرس بنســبة تتراوح بين ٣-٥% على نتنيـــاهو.

دعاني بيرس، أنـــا وعلــيزة جــورن وآفــي جيــل يــوم الانتخابــات التاســع والعشرين من أيار، لتناول طعام الغداء معه، وكان متفــــائلا جــدا، بــل وتحــدث عــن الاستعداد لاستئناف المفاوضات بعد الانتخابات، ثـــم بــدا غاضبــا جــدا علــى الشـــعار العدائي الذي تم توزيــعه والقائل : "نتنياهو جيـــد لليــهود".

وعندما زار بيرس بعد الظهر قيــادة الحملــة الإنتخابيـــة، إكتشــف أن النشــاط هناك متدن وليس على ما يرام، وخصوصا فـــي الوســط العربـــي، فـــي الوقــت الــذي كانت فيه التوقعات الأخيرة لسير الانتخابـــات تشــير إلــى ســير النــاخبين جنبــا إلــى جنب.

وفـــي حوالـــي الســـاعة العاشـــرة ليــلا، ســـمعنا نتـــائج النموذجيــن اللذيـــن عرضتهما القناتان التلفزيونيتان الأولى والثانيـــــة، واللتيــن أشـــارتا فيــهما إلــى تفــوق بيرس، وبدأت التهاني تنهال علي في بيتي ، ومـــن ضمـــن الذيـــن اتصلـــوا كـــان أبـــو علاء، الذي تساءل قائلا : "هل يمكنني أن أهنـــئ الآن؟؟". قلــت لـــه بحــذر:" الأمـــر جيد جدا، بيد أن الرواية لم تنته بعــــد".

قررت عدم الاتصال ببـــيرس حتـــى يتــأكد نبــأ النموذجيــن، وفـــي حوالـــي الســـاعة الواحدة والنصف ليلا وعندما اتضـــح أنـــه لا يوجــد تغيـــير فـــي النموذجيـــن اتصلــت ببيرس وقلت له :" حظ سعيد، يخيل إلي أنك فعلتها؟" فقــــال : "نعـــم، لقــد اتصلـــوا بـــي من القناة الثانية، وقالوا لي : إن الفــــارق بينـــي وبيـــن نتنيـــاهو يتســـع، وأنـــه أصبـــح ٢,٥%، أعتقد أنه يجب علي أن أذهـــب للنـــوم، كـــي أتوجــه إلـــى هيئـــة الانتخابـــات صباحا، أريد أن أقابلك هناك فـــي الثامنـــة والنصـــف أنـــت و(يوســـي بيليـــن) و(افـــي جيل) كي نرى من أين ســـننطلق؟.

وفي حوالي الساعة الثانية بـــدأت النتـــائج تحـــت صورتـــي المتنافســـين فـــي التلفزيـــون تتغـــير فوصلـــت أولا إلـــى التعـــادل ٥٠-٥٠ ثـــم إلـــى ٤٩-٥١ لصـــالح نتنياهو، وشاهدت علـــى شاشـــة التلفزيـــون الفرحـــة التـــي عمـــت نـــاخبي نتنيـــاهو، فاتصلت (بموشيه تتوميم) صديق بيرس القديم، ومستشاره لشـــئونْ الـــرأي العـــام فقـــال لي بصوت حزين : "إن عد الأصوات تسير إلى تحـــول درامـــي لصـــالح نتنيـــاهو، لقـــد خسرنا، ولا شك في ذلـــك. وقـــد اتضـــح فـــي نهايـــة عمليـــة حساب الأصـــوات، أن نتنياهو فاز على بيرس بأقل من ١%. اتصل بي (أفـــي جيـــل)، وقـــال لـــي إن بـــيرس ذهب للنوم، وهو يعتقد أنه فاز فـــي الانتخابـــات وقـــد اتصـــل جيـــل بابنتـــه تســـيكي، وطلب منها ومن زوجـــها الا يوقظـــاه وأن يتركـــاه كـــي يعـــرف النبـــأ الســـيء فـــي الصبـــاح.

وعندما قابلنا بيرس في الثامنة والنصف مثلمـــا اتفقنـــا وجدنـــا أمامنـــا إنســـانا حزينا جدا، وقويا جدا، وقد اعد عملية نقل السلطة إلـــى نتنيـــاهو وأخـــذ يواســـي أولئـــك الذين قدموا لمواساته، مؤكدا على انه سيواصل العمل مـــن أجـــل الســـلام.

في الثامن عشر مـــن حزيـــران يـــوم تشـــكيل الحكومـــة – قدمـــت اســـتقالتي لوزير الخارجية الجديد (ديفيد ليفي)، كي أدع له الفرصـــة لاختيـــار مديـــر عـــام جديـــد قادر على تنفيذ سياسته بارتيـــاح.

وبعد عدة أسابيع استقلت مـــن ســـلك خدمـــة وزارة الخارجيـــة بقلـــب مثقـــل بالألم، بعد عمل دام واحد وعشـــرين عامـــا.

قال لي أبو علاء في حديـــث خـــاص دار بينـــي وبينـــه فـــي أعقـــاب تشـــكيل حكومة نتنياهو : "نحن بحاجة إليك والـــى بـــيرس ، إن الفلســـطينيين يقـــدرون بـــيرس كزعيم عالمي وداعية سلام، ويجب عليك أن تواصـــل مـــا بدأنـــاه".

قلت له:" سنناضل من أجـــل معتقداتنـــا عـــبر قنـــوات أخـــرى لقـــد قررنـــا – بيرس وأنا– أن ننشئ مركز ســـلام ســـيخصص لتعزيـــز التعـــاون بيـــن شـــعبينا أمـــا المسار السياسي، فهو الآن رهن بأيدي الحكومـــة ورئيســـها الجديـــد".

-أبو علاء : نعم، لقد سمعت خطابه، إننا قلقون جدا، فـــهو يتحـدث مــن ناحيـة عــن استمرارية المسرة السلمية، ومن الناحية الأخـــرى يتحـدث عــن توســيع الاسـتيطان، ولا شك أن هاتين المسألتين لا تسيران جنبــا إلــى جنــب، مــا زلنــا لا نــدري كيــف سنتصرف حيال هذا الوضع الــذي فاجأنـــا .

أنا : كل ما أستطيع قوله لكم هو أن تبذلوا قصارى مـــا فـــي وســعكم لإحــلال الســلام مع الحكومة الجديـــدة.

لقد خلقت مسيرة أوسلو ديناميكية تدفـــع أمامـــها مأزقـــا كبـــيرا، لقــد انتصــر اليمين حقا في الانتخابات بيد أنه فقد برنامجه الأيدلوجـــي، فلــم يعــد هنـــاك بعــد الآن "أرض إسرائيل الكاملة"، أضف إلى ذلك، أن نتنياهو وعـــد بالســلام والأمـــن، وهـــو لا يستطيع توفير هذا ولا ذاك بدونكم، هـــل تذكـــر أننـــا كنـــا نقــول أن مســـيرة أوســلو، أقوى من جميع معارضيها؟؟ يجب عليكـــم أن تســاعدوا فـــي تـــأكيد ذلــك، لقــد كـــان لحماس تأثير لا يستهان به على نتـــائج الانتخابـــات بيـــد أنـــه لا يجـــب بـــأي حـــال أن نسمح للمتطرفين بأن يحـــرزوا الانتصــــار.

يجب أن تتذكروا بأنه إذا ما نجحتم فـــي الاتفـــاق علـــى الســلام مـــع حكومـــة اليمين فإن ٨٠-٩٠% من الإسرائيليين سيؤيدون هذا الســـلام لـــذا لا يجـــب أن تتخلـــوا عنـــه.

صافحني أبو علاء وقال : سأواصل المحاولة ما دمت حيـــا، ويخيــل الـــي انــك أيضـــا ستفعل ذلك، ثم ضحك بصوت عال وقال لي اعتقد أنها اللعنـــة التـــي تصاحبنـــا.

الفصل الحادي عشر

لقاء آخر

قبل زمن قصير عدت والتقيت مع الرجل الذي قـدم الـي فـي أوسـلو علـى انه العدو رقم -١ لإسرائيل فمنذ عهد أوسلو وأنا أواصل إقامـة علاقـات وطيـدة مـع مجموعة من الأشخاص، مثل (لاريسون) و(مونه) اللذين عادا إلـى أوسـلو بيـد أنـهما لا زالا ينجذبان نحونـا، و(دنيـس روس) و(مـارتن اينـدك) اللذيـن لا زالا يحافظـان على المسيرة السلمية، ولا زلت أصر على علاقتي وصلتي مـع أبـو عـلاء، الـذي لا زال يشغل منصب رئيس المجلـس التشـريعي الفلسـطيني، ولا زال يؤمـن بالسـلام، ويعمل من أجل إقامة الدول الفلسـطينية.

وقبل وقت قصير، وخلال إحدى الأزمات العميقـة التـي وقعـت التقيـت أنـا وهو وموظف من حكومة نتنياهو، وقـد توجـه إلينـا هـذا الموظـف بفضـول كبـير وسألنا قولوا لي:" كيف فعلتم ذلـك؟؟".

ابتسمت لأبو علاء، وقلت له : قل له حقا كيـف فعلنـا ذلـك.

أبو علاء : "لم نفعل ذلك انتم لا تتذكرون؟؟ لقد كنـا نعـارض ذلـك تمامـا". وانفجرنـا نحن الاثنين بالضحك معا لا زالت روح النكتة تربـط بيننـا.

وقلت لذلك الموظف : يقف أمامك صديقـان سـبق لـهما أن أدارا أحـد أشـد المفاوضات واصلبها بل وأكثر وحشية، وتنقلا مـن أزمـة إلـى أخـرى، فـي الوقـت الذي كانا فيه عدويـن يتسـمان بـالعنف، وأجـواء الشـكوكية والعـداء تسـد عليـهما الطريق، بيد أن الأهم من كل ذلك حدث منذ البداية عندمـا خلقنـا شـراكة تقـوم علـى قرارات زعمائنا وعلى العلاقات بيننـا.

أبو علاء : نعم لقد كان أوري شريكي وهو أيضـا صديقـي، ونحـن لـم نتفـق علـى شيء تقريبا باستثناء الأمـر شـديد الأهميـة: أنـه إذا مـا تقدمنـا معـا فـإن شـعبينا

سيكونان قويين، لان كلا منا قادر على تقديم المســـاعدة للآخـر، وخلــق واقـــع جديـــد، وإذا لم نفعل ذلك فإن الجانبين ســـيتحملان المعانـــاة.

أبو علاء : لقد قلت لسبير في أوسلو إن الجـــانبين ســـيرتكبان أخطـــاء كثـــيرة ولا شـــك أن هذا ما حدث حقا لقد وصلنا إلى مرحلة الحوار بعد زمن طويــــل مـــن العـــداء المـــر وسفك الدماء والكراهية، وتجربة ضئيلة على صعيد الســـلام لـــذا، هنـــاك حاجـــة إلـــى الكثير من الصبر لمواجهة مثل هذا التحدي، الصـــبر، والإيمـــان والتمســـك بالـــهدف.

أنا : ويجب أن يتم كل ذلك انطلاقا من خـــلال الشـــعور بالمســـاواة، فـــالحوافز تحـــرك الأشخاص وليس الأوامر، لقد أدركنا منذ البداية أن الشـــراكة ســـتخلق جوهـــر الاتفـــاق وليس العكـــس.

أبو علاء : وتذكرنا أيضا أن البديل رهيب ومأساوي، لـــذا فإننـــا ملزمـــون بـــان نقـــدم للجيل القادم لأبنائنا حياة مختلفة عن تلك الحيـــاة التـــي عرفناهـــا ونحـــن شـــركاء فـــي ذلك .

أنا : "بالضبط هو كذلك يا أبو علاء:" بدا وجه أبـــو عـــلاء مكفـــهرا، وســـادت لحظـــة صمت ثقيلة جعلتني أخشى مما سيقوله، بيد أن تقاطيع وجهـــه عـــادت إلـــى الإرتخـــاء، وقال للموظف الصامت " هـــل فـــهمت؟؟".

☜ الكتب الصادرة عن دار الجليل ☞

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهااسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية - الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرايين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور - قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين - وهي خارطة تمثل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين - وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سربية الصحراء	سميح القاسم	

	العنوان	المؤلف	
٤١-	الخيار النووي الاسرائيلي	شاي فيلدمان	غازي السعدي
٤٢-	انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة شهادات مشفوعة بالقسم		سليم ابو غوش
٤٣-	نقاط فوق الحروف مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد وبريجنيف	خالد الحسن	
٤٤-	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن	
٤٥-	فلسطينيات	خالد الحسن	
٤٦-	الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك	خالد الحسن	
٤٧-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨	يعقوب الياب	غازي السعدي
٤٨-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣		غازي السعدي
٤٩-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل	د . حمدان بدر	
٥٠-	ملصق يوم الأرض	سليمان منصور	
٥١-	ملصق جمل المحامل	سليمان منصور	
٥٢-	ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس		
٥٣-	فلسطين تاريخا ونضالا	نجيب الأحمد	
٥٤-	فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي نفي ترتسا	طيــور المحامي وليد الفاهوم	
٥٥-	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضــوء اسرائيل عسكر وسلاح (١)	بشير البرغوثي	
٥٦-	اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي	محمد الرفاعي	
٥٧-	الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلاميــة	فتحي فوراني	
٥٨-	فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة	موسى عبدالسلام هديب	
٥٩-	خط الدفاع في الضفة الغربية وجهة نظر إسرائيلية	أريه شليف	غازي السعدي
٦٠-	تشريقة بني مازن	د . عبداللطيف عقل	
٦١-	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	لجنة الحقوقيين الدوليين القانون من أجل الانسان	
٦٢-	صورة العربي في الأدب اليهودي (١)	الدكتورة ريزا دومب	عاطف عطاري
٦٣-	الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث ١٩٤٨- ١٩٨٥	غانم مزعل	

٦٤-	فلسطين أرض وتاريخ	د . محمد النحال	
٦٥-	القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦-	القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن	د . جابر الراوي	
٦٧-	شوكة في عيونكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨-	حرب الاستنزاف	د . محمد حمزة	
٦٩-	القرار ـ ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغير	
٧٠-	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١-	أزمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢-	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣-	دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨	أريه . ل . افنيري	بشير البرغوثي
٧٤-	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية		
٧٥-	سميح القاسم ـ قصائد ـ شخص غير مرغوب فيه		
٧٦-	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر	
٧٧-	فلسطين الأم وابنها البار ـ عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨-	عرب التركمان ـ أبناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩-	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠-	نادية برادلي ـ الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١-	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور	
٨٢-	تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والأبحاث	
٨٣-	الوجه الحقيقي للموساد	د . وجيه الحاج سالم وانور خلف	
٨٤-	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥-	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦-	شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧-	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨-	شخصيات صهيونية (٤) شارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩-	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠-	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي

العنوان	المؤلف	الناشر
٩١- شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢- شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣- شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥- شخصيات صهيونية ١١/١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦- شخصيات صهيونية ١١/٢ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨- ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
٣٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	تتان روعي	دار الجليل
١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧- دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨- وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠- الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

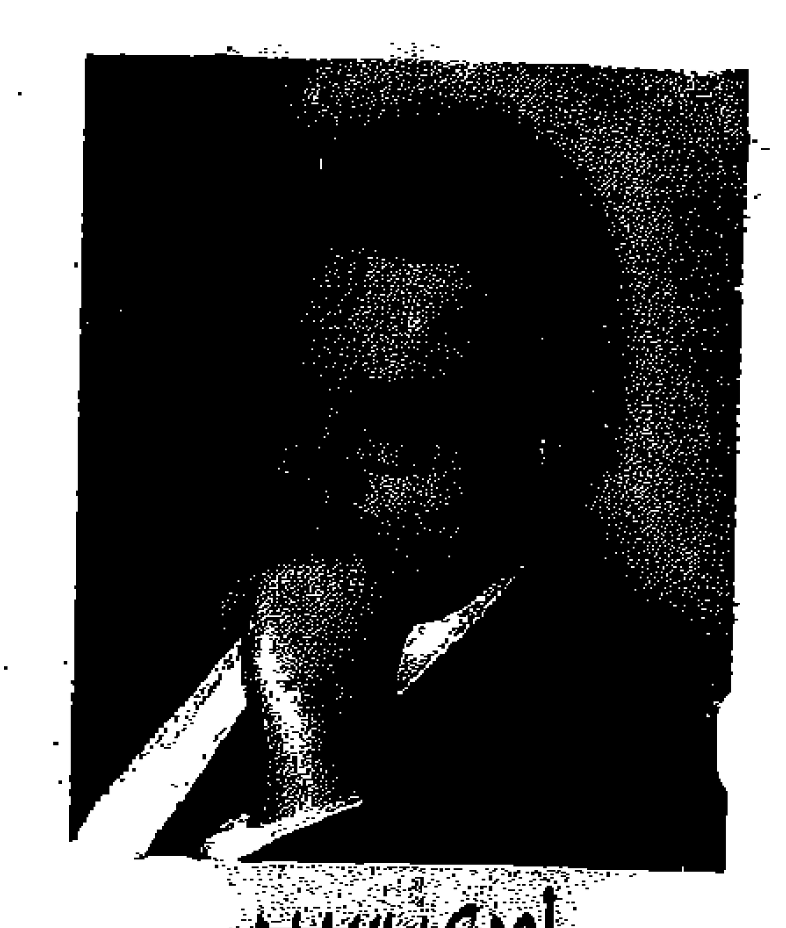
١١١- النزاع العربي ـ الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢- تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣- الغضب	اكرم النجار	
١١٤- جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥- منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨- صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩- الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١- ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣- اشتعالات حمدان ـ مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥- آه يابلدي ـ رواية	اكرم النجار	
١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨- أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١- قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة ـ رواية	اكرم النجار	
١٣٣- اسلحة وإرهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥- هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القزق	
١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ ـ تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧- المثلث الايراني ـ الكتاب الثاني ـ دراما العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية ـ الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨- الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

العنوان	المؤلف	الناشر
١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠- الأمن القومي العربي وتطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي ونظرية	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦- " دولة " اسرائيل - زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة - اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أريبه	دار الجليل
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر. هندرسون	دار الجليل
١٥٨- أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية - وتأثيراتها البيئية -	د . عادل احمد جرار	
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢- الشّبح	عبدالله عواد	
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين - وثيقة اسرائيلية -	بني موريس	دار الجليل
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

العنوان	المؤلف	الناشر
١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البليار	د. عبدالرزاق حسين	دار الجليل
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بوروس وروبرت ويندرم	دار الجليل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودةالدويري
١٧٦- احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧- فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩- دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠- قرية جزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اوري ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢ - مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣ - الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي
١٨٤ - دولة فلسطين الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين	
١٨٥ - اسحق رابين اغتيال سياسي	د. أمنون كابليون	بدر عقيلي
١٨٦ - نايف حواتمة يتحدث	عماد نداف	
١٨٧ - سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز	دار الجليل

١٨٨ ـ البســـتان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سورية واسرائيل	البروفيسور موشيه ماعوز	لينا وهيب
من الحرب الى صناعة السلام		
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو		دار الجليل
الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية		
حول الضفة الغربية وقطاع غزة		
١٩١ ـ الحرب الاقتصادية	يوفال اليتسور	محمد الدويري
(١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية		بدر عقيلي
بين اليهود والعرب		
١٩٢ ـ انثولوجيا الوجه الآخر		دار الجليل
قصص عبرية مختارة		
١٩٣ ـ المســـيرة	أوري سبير	بدر عقيلي
خفايا أوسلو.... من الألف الى الياء		

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٤٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦



أوري سبير

المسيرة

حكاية أوسلو من الألف إلى الياء

هذا الكتاب

يستعرض تفاصيل التفاصيل في المفاوضات التي قادت الى اتفاق أوسلو، ويقلم عرّابها الاسرائيلي أوري سبير الذي لم يترك شاردة ولا واردة دون أن يشير اليها، فخراً أحياناً، وخبثاً في أحايين كثيرة.

ويضع نقاطاً اسرائيلية سوداء على كلمات فلسطينية كانت، حتى أوسلو، تشع بالتصميم والعزم والارادة، واذ كانت مدريد انطلاقة ما بعد الجزر السياسي الذي أعقب حرب الخليج الثانية، فانّ أوسلو شكلت حالة من الاستفراد الاسرائيلي، ربما، جسّدت أسلوب الخروج من المأزق فلسطينياً واسرائيلياً على حد سواء.

ويرقّم صورة تتصارع فيها الألوان على النقيضين: عقلية «أرض اسرائيل» من جهة، والرغبة الفلسطينية العارمة في العودة الى «الوطن»، مروراً بجسر واهٍ، على أمل أن يكون أكثر متانة في المستقبل، انطلاقاً من مقولة «اذا لم يكن ما تريد فاردْ ما يكون».

وعلى مدى الف ومائة يوم، غلّفتها السرية المطلقة، كانت «أوسلو» مسرحاً للضغوط والغضب والحرد و«التنازلات» التي بلغت أحياناً حد «كسر العظم»، بيد أن مصالح الطرفين، رغم تناقضها غذّت الخطى نحو الاتفاق، الذي صيغ بأسلوب يحتمل «تفسير التفسير»، وكان اسرائيلياً أكثر منه فلسطينياً.

يضع كتاب «المسيرة» القارىء أمام حقائق مذهلة، وربما ظل المزيد طي الكتمان، صحيح أن «الراوي» هو عرّاب اسرائيل في «أوسلو» الذي احتفل مؤخراً بصدور كتابه بمشاركة بيرس وقريع، لكنه يظل اسرائيلياً، ربما يحرف الكلم عن مواضعه، وهو ما يحتاج ايضاحات فلسطينية.

يظل أن نقول، أن كتاب المسيرة، يحتل المكانة الثامنة عشرة بين الكتب الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الأميركية باعتباره أفضل ما كُتب عن أوسلو، وسيتم تصويره في فيلم سينمائي، ينتظر أن يُعرض منتصف عام ١٩٩٩.

المؤلف، أوري سبير (حزب العمل)، كبير المفاوضين الاسرائيليين في أوسلو، من مواليد ١٩٥٥، تخرج في الجامعة العبرية (علاقات دولية) تدرج في المناصب الدبلوماسية، وعُيّن مديراً عاماً للخارجية، حتى أخلى مركزه لنائبه وخصمه ايتان بنتسبور، إثر صعود الليكود برئاسة نتنياهو الى الحكم، ويشغل حالياً منصب مدير مركز بيرس للسلام.



اصدار

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمّان - ص .ب ٨٩٧٢ ، تلفون ٥١٥٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ - فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨